مَحَاسِنُ الأَخْبَارِ
فِي
فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ المُخْتَارِ ﷺ
وَمَحَاسِنُ السَّادَةِ الأَخْيَارِ

تأليف

العلامة الشيخ محمد بن شعيب الأبشيهي

المتوفى بعد سنة ١٠٣٠هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

محاسن الأخبار

في

فضل الصلاة على النبي المختار ﷺ

ومحاسن السادة الأخيار

تأليف

العلامة الشيخ محمد بن شعيب الأبشيهي

المتوفى بعد سنة ١٠٣٠ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: **Maḥāsin al-ʾaḫbār fī faḍl al-ṣalāt ʿalā al-Nabiy al-Muḫtār ﷺ wamaḥāsin al-sādah al-ʾaḫyār**

Author: Muḥammad ben Šuʿayb al-ʾAbšīhi

Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 472

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار ﷺ ومحاسن السادة الأخيار

المؤلف: الشيخ محمد بن شعيب الأبشيهي

المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ــ بيروت

عدد الصفحات: 472

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنــان

الطبعة: الأولى (لونان)

ISBN 2-7451-5233-5 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5233-6 (13 dig)

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين واهب المنن ومانح الكرم بالنبي المعظم والحبيب الأكرم من خصَّه الله بنورانية المواهب والنعم وجعل الصلاة عليه قربة منذ القدم.

قال سيدي أبو العباس التِّجاني في جوهرة الكمال:

اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدمي، صاحب الحق الرباني، البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان، اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقدم، صراطك التام الأقوم، اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه.

أما بعد.. فنقدم للقارئ، كتابًا عظيمًا نافعًا، ويعتبر من أفضل ما صنف في فضل الصلاة على النبي ﷺ، فلم يشاهد من قبل أوسع ولا أفضل من هذا الكتاب في نوعه، وقد بذلت فيه جهدًا واسعًا لنسخه وضبطه لصعوبة النسخة الخطية، وكذلك تخريج أحاديثه، والتعليق عليه، وغير ذلك مما يتضح للقارئ جهدنا فيه، وما حققناه إلا محبة في سيدنا رسول الله ﷺ، جعلنا الله من المتحققين بالحقيقة المحمدية التي لا يعرف قدرها إلا الله.

ونُورد للفائدة بعض ما صُنف في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

١ - أوثق العرى في الصلاة والسلام على خير الورى للبرزنجي.

٢ - تحفة الأنام في فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.

٣- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام لابن قيم الجوزية.

٤- دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة لابن أبي حجلة.

٥- دلائل الخيرات للإمام الجزولي.

٦- الدر الرائق في الصلاة على خير الخلائق للعلامة الدردير.

٧- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق للسيد البكري.

٨- الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود لابن حجر الهيتمي.

٩- رسالة في الصلاة على النبي ﷺ للإمام السيوطي.

١٠- زبدة الصلوات للشيخ النقشبندي.

١١- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين للعلامة النبهاني.

١٢- شفاء السقام في نوادر الصلاة والسلام للأثاري.

١٣- صلات السلام في فضائل الصلاة والسلام لعائشة الباعونية.

١٤- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية للسيد البكري الصديقي.

١٥- عقد الجوهر في الصلاة على الشفيع المشفع في يوم المحشر للبرزنجي.

١٦- عين التسنيم في حكم الصلاة والتسليم للبرزنجي أيضاً.

١٧- الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير للديلمي.

١٨- الفصوص المضية في فضل الصلاة على خير البرية للديلمي.

١٩- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام السخاوي.

٢٠- الكبريت الأحمر للإمام الجيلاني.

٢١- اللواء المعلم في مواطن الصلاة على النبي ﷺ للخيضري.

٢٢- كشف الأسف في الصلاة على صاحب الشرف للبرزنجي.

٢٣-كنوز الأسرار في الصلاة على النبي المختار للهاروشي.

٢٤- مصباح الظلام بالصلاة على خير الأنام للشنواني.

٢٥- المشرب الزلال في الصلاة على أفضل الرجال لابن ماء العينين.

٢٦- أفضل الصلوات على سيد السادات للنبهاني.

٢٧- مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى للقسطلاني.

٢٨- بلوغ الوطر في الصلاة على خير البشر لابن طولون.

٢٩- الحرز المنيع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام السيوطي.

٣٠- زهر الأكمام في مواطن الصلاة على نبينا عليه الصلاة والسلام لابن طولون.

٣١- نزهة الأصفيا في الصلاة على خير الأنبيا للمقري الغرناطي.

٣٢- مشارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار للميرغني.

٣٣-أفضل الوصلات بأنواع الصلوات للبكري الصديقي.

٣٤- طيب الكلام في تخصيص الصلاة على خير الأنام للشوكاني.

٣٥- أنوار البصائر في الصلاة على أفضل القبائل والعشائر لأحمد الدمياطي.

٣٦- تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار للرصاع.

٣٧- تنوير الضمير في الصلوات المشتملة على البشير النذير للبرزنجي.

٣٨- تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا عليه الصلاة والسلام لابن عظوم (طبع بتحقيقنا).

٣٩- جالية الأكدار في الصلاة على النبي المختار للنقشبندي.

٤٠- جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق لأبي العباس التجاني.

٤١- الذخيرة الماحية للأثام في الصلاة على خير الأنام في سائر الأيام للبكري.

٤٢- الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر للفيروزابادي.

٤٣- ميزاب الرحمات في الصلاة على سيد السادات لابن الموقت.

٤٤- وردة الجيوب في الصلاة على النبي المحبوب للجزولي.

٤٥- الصلوات الزاهرة على سيد أهل الدنيا والآخرة لشمس الدين البكري.

٤٦- الصلوات لسيدي شيخ العرب أحمد البدوي.

٤٧- القربة إلى رب العالمين بالصلاة على سيد المرسلين لابن بشكوال.

٤٨- حزب الترغيب في فضل على الحبيب للإمام السخاوي.

٤٩- بذل المحصول في الصلاة والسلام على الرسول للإمام السيوطي.

٥٠- فضل الصلاة على النبي لابن عساكر.

٥١- الصلوات لسيدي محيي الدين بن عربي.

٥٢- كنز الأسرار في الصلاة على النبي المختار لعبد الله الخياط الفاسي.

٥٣- المصباح المنير في شرح الصلاة على البشير النذير للبلقيني.

٥٤- مطالـــع الأنـــوار ومسالك الأبرار في فضل الصلاة على النبي المختار لجبر بن جبر بن محمد القرطبي.

٥٥- منح المنان بشرح صلاة أبي الفتيان البدوي للداموني (بتحقيقنا).

٥٦- شرح صلاة سيدي أحمد البدوي للعيدروس (بتحقيقنا).

٥٧- مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات لمحمد الفاسي.

٥٨- المسرات على دلائل الخيرات للحمزاوي بتحقيقنا.

٥٩- فتوح الجوارح للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني (بتحقيقنا).

٦٠- شرح مسبعات وصلوات الدرديري لأحمد الجنيدي بتحقيقنا، وكذلك:

٦١-الروضات العرشية شرح الصلاة المشيشية لسيدي مصطفى البكري.

٦٢-كروم عريش التهاني شرح صلاة ابن مشيش الداني، للبكري أيضاً.

٦٣- شرحين لصلاة سيدي محمد البكري، للشيخ مصطفى البكري.

٦٤- النفحات الشاذلية شرح البردة البوصيري للحمزاوي.

٦٥- شرح الصلوات المسبعات لسيدي أحمد الدردير للجنيدي.

٦٦- محاسن الأخبار للأبشيهي (كتابنا هذا).

٦٧- فضل الصلاة على النبي ﷺ لابن أبي عاصم (بتحقيقنا أيضًا).

٦٨- فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي (بتحقيقنا).

٦٩- رسالة أبي الحسن في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

٧٠- الأربعون حديثًا في فضل الصلاة على النبي ﷺ للآرميوني.

٧١- جواهر البحار في فضائل النبي المختار.

٧٢- التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار ﷺ لأحمد بن ثابت المغربي البجائي.

٧٣- التوسل إلى الرب العظيم بالصلاة على النبي الكريم لأحمد بن الحاج علي الشهير بابن الشيخ.

٧٤- جـــلاء الأكدار والسيف البتار في الصلاة على النبي المختار للشيخ أبي الضياء خالد النقشبندي الكردي.

٧٥- جمع الأحاديث الأربعين في الصلاة والسلام على النبي الأمين لمحمد شكور امرير

الميارديني (معاصر).

٧٦- الجوهر المتين في الصلاة على خاتم النبيين للشيخ رضوان العدل بيبرس.

٧٧- الخير الكثير في الصلاة على البشير النذير لزين الدين الآثاري.

٧٨- الغرر المملوكية في الصلاة على خير البرية لمحمد بن صالح بن ملوكة.

٧٩- القصيدة المضرية على خير البرية للشيخ البوصيري.

٧٩- القصيدة الهمزية في مدح خير البرية للشيخ البوصيري.

٨٠- النرجسة العنبرية في الصلاة على خير البرية لإبراهيم بن عبد القادر المحمودي الرياحي.

٨١- الأحاديث النبوية الواردة في الحث على فعل الخير وفي الصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

٨٢- أزهار الخمائل في الصلوات المشتملة على الشمائل للبرزنجي.

٨٣- الإعلام بفضل الصلاة على النبي ﷺ خير الأنام لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن النميري المالكي.

٨٤- أنوار الآثار المختصة في فضل الصلاة على النبي المختار لأبي العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الأندلسي الإقليشي.

٨٥- بلوغ السول في الصلاة والسلام على الرسول لجمال الدين المسراتي.

٨٦- تذكرة أهل الإسلام في الصلاة على خير الأنام لعبد الجليل بن محمد المرادي لابن عظوم.

٨٧- ترغيب السامع في الصلاة على خير شافع للشهاب أحمد بن عبد السلام.

٨٨- تنبيه الأنام في الصلاة على النبي ﷺ لعلي بن علي الكوندي التستوري.

٨٩- جوهرة الكمال في الصلاة على سيد الإرسال للشيخ أحمد بن محمد التجاني (بتحقيقنا).

٩٠- الخمسمائة صلاة على النبي ﷺ للرصاع.

٩١- ذخائر الأبرار في الصلاة على النبي المختار لقاسم دويرة الهذلي.

٩٢- ذخيرة المحبين في الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين لأحمد الشرقاوي

الجرجاوي.

٩٣- الرحمات العامة الشريفة في الصلاة على الذات المحمدية اللطيفة لمحمد بن البركي.

٩٤- رسالة في الأحاديث الواردة في الصلوات على الرسول ﷺ لمجهول.

٩٥- رسالة في بيان فضل الأضحية وفضائل رمضان وفضل الصلاة على سيد الخليقة ﷺ لمجهول.

٩٦- رسالة في بيان مواضع الصلاة على النبي ﷺ لسليمان بن أحمد.

٩٧- رسالة في شرح صيغة حديث التشهد لمحمد بهاء الدين.

٩٨- رسالة في الصلاة على النبي ﷺ لمحمد بن محمد السنوسي.

٩٩- رسالة في فضل الصلاة على أمين الرسالة لمحمد بن هشام القرطبي.

١٠٠- رسالة في فضل الجهاد والولاية وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

١٠١- رسالة في فضيلة الصلوات على النبي ﷺ لمجهول.

١٠٢- رسالة في شرح قوله ﷺ: من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا للشيخ عبد الغني النابلسي.

١٠٣- الرقم المعلم لبعضهم.

١٠٤- روح الكلام في شرح الصلاة عليه والسلام لمجهول.

١٠٥- سراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول لسراج الدين أحمد الحلبي الفاسي.

١٠٦- سعادة الدارين في الصلاة والسلام على سيد الكونين لمحمد بن أحمد الموصلي العمري.

١٠٧- سلسلة الأنوار وزين الأخبار في الصلاة والتسليم على النبي المختار لمحمد بن عبد القادر القادري.

١٠٨- شرح الصدور بالصلاة على الناصر المنصور لأحمد بن عبد الفتاح الملوي.

١٠٩- شرح الصلاة على النبي ﷺ لنور علي الشوني، لشهاب الدين البلقيني.

١١٠- شرح الصلاة على النبي ﷺ للغزالي، لأحمد بن حجازي.

١١١- الشفاء لكل داء في الصلاة والسلام على خير الأنبياء الجامع لخيري الدنيا

والآخرة لمجهول.

١١٢- الصلاة على شفيع العصاة للسيوطي.

١١٣- الصلاة على النبي ﷺ لأحمد بن عمر البزار.

١١٤- الصلاة على النبي ﷺ لابن أبي الدنيا.

١١٥- الصلاة على النبي لأبي الشيخ.

١١٦- الصلاة على النبي لأبي موسى المديني.

١١٧- الصلاة على النبي لجمال الدين يوسف بن جملة.

١١٨- صلاة المختار في الصلاة على النبي المختار لمحمد بن عبد العزيز الشيرازي.

١١٩- ضرورة الترغيب في الصلاة على الحبيب لعبد الرحمن بن السخاوي.

١٢٠- العطايا الكريمية في الصلاة على خير البرية لعبد الكريم بن أحمد بن علوان.

١٢١- الفتح المبين والدر الثمين في الصلاة عى سيد المرسلين للهاروشي.

١٢٢- الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير لأبي حفص الفاكهاني.

١٢٣- فضل التسليم على النبي الكريم لأبي القاسم بن بنون التونسي.

١٢٤- فضل الصلاة على النبي ﷺ لابن سيد الناس.

١٢٥- فضل الصلاة على النبي ﷺ للمحب الطبري.

١٢٦- فضل الصلاة على النبي ﷺ لأبي أحمد الدمياطي.

١٢٧- فضل الصلاة على النبي للضياء المقدسي.

١٢٨- فضل الصلاة على النبي ﷺ لإبراهيم بن مفلح الدمشقي.

١٢٩- فضل الصلاة على النبي لابن زيني دحلان.

١٣٠- فضل الصلاة على النبي ﷺ لابن فارس.

١٣١- فضل الصلاة على النبي ﷺ لعمر بن شاهين.

١٣٢- فضل الصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

١٣٣- فضائل الصلاة على سيد الأنبياء عليهم السلام للنسفي.

١٣٤- في كيفية الصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

١٣٥- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع لمحرم بن محمد السيواسي.

١٣٦- كنز الأسرار في الصلاة على النبي المختار ﷺ لابن الخياط التونسي.

١٣٧- الكنـــز الأسنى في الصلاة على الذات المكملة الحسنى لأحمد القشاشي.

١٣٨- كتاب فيه سبعون حديثًا في فضل الصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

١٣٩- لوامـــع الأســـنة في الصلاة على عين الرحمة والمنة بأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة لابن ملوكة.

١٤٠- مائة صلاة على النبي ﷺ لأحمد بن الحاج علي.

١٤٢- مجمع الفوائد ومعدن الفرائد لعبد الكريم بن ولي الدين.

١٤٣- مجموعة أحاديث في الصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

١٤٤- مدارج الأصول إلى أفضلية الصلاة على الرسول ﷺ لعمر العرضي.

١٤٥- المقطعـــات والقصائد المشهورات في الصلاة على النبي وآله السادات لمحمد ابن محمد بن مهدي القزويني.

١٤٦- منتهى السول في الصلاة على النبي الرسول لمحمد بن فضل الطبري.

١٤٧- المنعشات العوادية في الكلام على البسملة والحمدلة والصلاة على خير البرية لأحمد بن عواد الشافعي.

١٤٨- شرح الأذكار الثلاثة الاستعاذة والبسملة والصلاة على النبي ﷺ لأبي الحسين الرجراجي المالكي.

١٤٩- المواهب الربانية في الصلاة على خير البرية لأحمد بن عاشور الساحلي.

١٥٠- نبذة في أحاديث واردة في فضل الصلاة على النبي ﷺ لمجهول.

١٥١- نفح الطيب في الصلاة على الحبيب لمختار بن بونا الكنتي.

١٥٢- ورد الـــورود وفيض البحر المسدود للشيخ عبد الغني النابلسي، وهو شرح للصلاة الأكبرية.

١٥٣- كـــشف الأســـرار بالصلاة على النبي المختار لشيخ عمر العطار، وهو شرح للصلاة الأكبرية (بتحقيقنا).

١٥٤- شرح صلاة الشيخ الأكبر لمحمد بن عمر بن عبد الجليل البغدادي (بتحقيقنا).

١٥٥- وظيفة الصلاة على النبي ﷺ في شعبان لمجهول.

١٥٦- الصلاة على النبي ﷺ فضائلها وأحكامها لعبد الله سراج الدين.

١٥٧- الإكسير في شرح الصلاة على البشير النذير للشيخ الداموني.

١٥٨- شرح الصلاة المشيشية لابن زكري.

١٥٩- شرح الصلاة المشيشية لمحمد بن عبد المجيد.

١٦٠- مجلى الأسرار والحقائق في الصلاة على خير الخلائق لأحمد بن المأمون.

١٦١- شرح الصلاة المشيشية للشيخ الجزولي.

١٦٢- دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار للشيخ العلاوي.

١٦٣- عدة تخميسات للبردة البوصيرية.

١٦٤- المسرات شرح دلائل الخيرات للشيخ حسن العدوي الحمزاوي.

١٦٥- البدور النيرات في اختصار دلائل الخيرات لأويس بن عبد الله المجتبئي.

١٦٦- الصلوات المدنية على صاحب الطلعة البهية للمجتبئي.

١٦٧- الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات للشيخ النبهاني.

وغيرها كثير جداً مما أفاض عليهم صاحب الرياض ﷺ.

وأنشد الحافظ ابن حجر الهيتمي قائلاً:

وآخـــراً نسأل الله قبوله وهداه، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم، ومجالسة سيدنا محمد خير خلق الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

كتبه

أبو الحسن أحمد فريد المزيدي

باحث وخبير مخطوطات عربية

تعريف بالشيخ المصنف

هــو الشيخ العالم العلامة الفقيه المحدث العارف بالله تعالى المحقق شمسُ الدين وشهاب الدين سيدي: محمدُ بنُ شُعَيْب بْنِ مُحَمَّد بْنِ أَحْمَد بْنِ عَلِيّ الشُّعَيْبِيّ الأَبْشِيهِيّ الزَّائِر.

ممَّن لَبِسَ من الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني.

وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

كان حيًا سنة ١٠٣٠ هــ.

وأبشيه الملق قرية بالغربية مصر.

من تصانيفه:

- الجوهر الفريد والعقد الوحيد في ترجمة أهل التوحيد.
- السراج الواضح المبين في جمع الأربعين.
- المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية (بتحقيقنا) طبع دار الكتب العلمية.
- كتاب الشعيبي في ذكر المحدثين والأولياء المدفونين بالقاهرة، فرغ منه سنة ١٠٣٠ هــ.

وانظر: الأعلام للزركلي (٦/٣١٦).

* * *

نماذج من صور المخطوط

الضعيف النحيف الذليل يوسف بن الملا عبد الجليل عامله الله
تعالى بلطفه الجميل واجراه على عوائده الجزيل لما رايت ظهور
الأنكار على الأولياء الأخيار وهو من البدع الكبار وقد قال نبينا
المختار صلى الله عليه وسلم ما دام الليل والنهار اذا ظهرت الفتن او قال
البدع وسبت اصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا رواه الخطيب
البغدادي وقال صلى الله عليه وسلم ما اظهر الناس البدع الا اظهر الله
تعالى فيهم حجته على لسان من يشاء من خلقه رواه الحاكم وقال صلى الله
عليه وسلم ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله
بعقابه رواه ابن ماجة والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم ما من
امرئ مسلم يخذل امرءا مسلما اى يترك نصرته وعونه في موضع تنتهك
فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه
نصرته وما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه
وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته رواه
ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر
مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا رواه مسلم فاردت
بعون الله سبحانه وتعالى ان اولف كتابا يشتمل على معرفة اولياء الله
تعالى واوصافهم ونفع محبتهم وضرر معاداتهم والانكار عليهم وغير ذلك
نصيحة للمسلمين فاستخرت الله العظيم وتفألت بكتابه الكريم فظهر

صورة الصفحة الثانية من محاسن الأخبار

لهذا الباب رحمه الله جامعها فانه كان من الصالحين
المسلمين لله تعالى ولم يعرف أوذي لم يلتفت الى من اذاه بلغنا
عنه من بعض جماعته ان بردة الشيخ سرقت فلازم
الدعا للسارق بالتوبة وسامحه وكان يقول جزاه
الله خيرا في سائر مجالس الشيخ وسرقت الدابة التي
كان يركب عليها فعرفوها وجاؤا بها اليه فقال
قد شبهتم وما اظن هذه دابتي فتركوها فسارت الى
البيت بنفسها فليسوا انفعلهم على ذلك ولم يسلم
لهم وترك الدابة للرجل وكان اميا لا يقرا ولا يكتب
وله كرامات نفعنا الله به وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلام
على المرسلين والحمد
لله رب العالمين

تم الحمد لله وحده
وصلى الله على سيد
نا محمد وآله
تم

صورة الصفحة الأخيرة من محاسن الأخبار

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمدٍ وآله وسلَّم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي خصَّص أولياءه بالباطن والظاهر، واصطفى أصفياءه، وخصَّهم بالخاطر، واطّلع خواصَّهم الأبرار لمعرفة السرائر، وأسرى بأسرارهم فِي ليل أوطارهم إِلَى عوالم الأسرار. فما يعرفهم إلا النادر، قاموا بواجب أمره، فجعلهم أمناء عَلَى خلقه: عبدِهم، وحرِّهم، شقيِّهم، وسعيدهم.

فعاملوهم بما أمرهم به الملك القادر، ترفع عَلَى أيديهم قصص السائلين للخاطئين المعترفين بالذنب والوزر، فكلُّ واحدٍ منهم مخاطرٌ. فهُم بأمره متفرِّقون، منهم النقباء، والأبدال، والنجباء، والرجال، والأقطاب، والقطب الدائر، أعني به: الغوث الذي يُسقى به الغيث، وتدر ببركاته المياه فِي السحاب المتواتر. فهم بركة الأنام وأهل الصيام والقيام، كلُّ واحدٍ منهم كالجمل الخاطر.

نقباؤهم سبعون بمصر حرسوها، ما بين صائمٍ وفاطرٍ.

وأبدالهم أربعون بالشام: أي بهضاب الشام، كلُّ واحدٍ كالسيف الباتر.

ونجباؤهم ثلاثمائة ببلاد المغرب، ما بين حاملٍ للسر [وساكن].

ورجالهم عشرةٌ بالعراق تصفير شرابهم، وكلُّ واحدٍ بحمايةٍ لعدوٍّ مستمرٍ شاطرٍ.

والأقطاب أربعةٌ، أركزهم بالأقاليم السبعة؛ لمنافع العباد فِي سائر الأقطار [والمواطن].

والغوث بمكَّة المشرفة؛ فهذا هو القول الظاهر، سرُّهم مصونٌ، وأمرهم بالكاف والنون. فهم خزائن علم الملك القادر، فلولا وجودهم لفاضت العيون، ولولا ركوعهم وسجودهم لزاغت الأبصار والجفون، فهم فِي دائرة إرادته ما بين ذاهلٍ وحائرٍ، ليس عن مراقبة حضرته فرارٌ، ولا تغلق دونهم الأستار، فكنْ عَلَى قدمهم مخاطرة، إذا غلقت الملوك

أبوابِهَا رفعت لهم أستار حجابها، وإذا راحت السلاطين حجابِهَا عليهم لَمْ يستره الساتر.

فسبحان من قرَّبهم لحضرته، وحجبهم عن الأغيار بخدمته، وأبعد عنهم كل ضدٍّ بمتنٍ، وضـــربه بـــسيف الـــبعد الشاهد نصب فخ محبته لصيد قلوبهم، تعلق به الجنيد والسرِّيُّ والـــشِّبْليُّ وابـــن طاهـــر، وبادر إليَّ حب إبراهيم بن أدهم والحسن وشقران وذو النون المـــصري ومحمود الناصر، أرسل عقبات التوفيق إليَّ شقيقٌ، فجذبه بربق المريق والمحسن، وحسن بحماله البامز، ومن بالمزيد عَلَى أبي يزيد، فطلب التجريد، فكان لأعدائه كاسرًا، وجاد بالمعروف عَلَى معروف، فعمُر قلبه بالمعرفة فِي ظلمة الليل العاكر، وتفضَّل بفضله عَلَـــى الفضيل، فشمَّر فِي خدمته الذيل، وأدلج فِي الليل طلبه سائر مسافر، وسقى صرف المـــزاج للحلاج فسكر، وهاج، وباح به السر الفاخر، ونادى بلسان وجده، وقد خَرَجَ عن حدِّه، ولم يطق اصطبارًا، فأين الصابر الخابر؟.

أحمد حمد من أهله لخدمته، وجعل ظاهره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا وزير، ولا مشير، ولا مناظر.

وأشـــهد أن محمدًا عبده ورسوله المختار، ومن سادات خيار العشائر، صلَّى الله عليه وعَلَى آله وصحبه وتابعيه وحزبه الأماثل الأفاضل الذخائر.

وبعد...

هذه تذكرةٌ لطيفةٌ تشتمل على: معانٍ طريفةٍ، وألفاظٍ منيفةٍ، وأحاديث شريفةٍ، يبتهج بِهَـــا الـــسامع والقارئ والناظر، ويلتذُّ بِهَا المصاحب والمسامر، مأخوذةٍ من كل تفسيرٍ شريفٍ، ومعنًى ظريفٍ، وبيانٍ لطيفٍ، وحكمٍ حسانٍ بتصريفٍ وتبيانٍ، وعقائد، وقواعد، وأصـــول فقهٍ ودينٍ، ومنطقٍ، ومقاساتٍ سنيَّةٍ، ومسائل معنويَّةٍ، ومقالاتٍ جليَّةٍ، ونوادر، وأخـــبار، وأحاديث، وخصائص، وآثار، وعرائس أفكار، وبنات أبكار عربًا أترابًا، وغير ذلـــك من خصائص الحبيب، وفضل الصلاة عَلَى أكرم طبيبٍ، وذكر فضل الجهر بالذكر، وإحياء الفكر، وفضل إحياء ليلةٍ، وقضاء الحاجات، وخصائص الدعوات، وغير ذلك مما يلتذُّ به السامع، وتهتزُّ بمحبته أعطاف المسامع، وما قصدت بذكر ذلك فخرًا، بل جعلته لي عـــند الله ذخرًا، ولعلَّ الله يجعل لي ينابيعه خيرًا، وما خاب عبدٌ عَلَى يده عوائد الخير جرى، فإذا تيقَّن العبد واعتقد فيها لـــه قصدٌ علم أن ذلك منه هو الْمَدد عَلَى طول الأيام والْمُـــدد، وإذا تحدَّث بالنِّعم عَلَى ما لـــه الله قسم ازداد لـــه شكرًا، وكيف؟! وقد قسم

الله لي من فضله إحياء الليالي والخير المتوالي بصلاتي عَلَى أزكى حبيبٍ وأزكى نبيٍّ وطيِّب؛ فإنَّ الصلاة عليه أجلُّ القُربات، وإنَّها تؤثر فِي قلب العامل رقة القلب والخشوع والخضوع والتذلل والرحمة لخلق الله تعالى، وإنَّها نورٌ، وتنصر عَلَى الأعداء، وتطهِّر القلب من النفاق والصدى، وتُوجب محبَّة الناس، والتبرُّك والإيناس، ورؤيته فِي اليقظة والمنام، وكثرة العمل المشتمل عَلَى هذه الفضائل العظيمة، الذي لا ينبغي للعارف أن يغفل عنه؛ لأنه عند الله أقرب، ويوصل عند الله المنزل المقرب، والله خيرٌ، والله ثم والله يمينًا قسمًا لا أحول عنه حتَّى ألقى الله، ولا توجد هذه الفضائل العظيمة والمناقب الكريمة والفوائد الجمَّة العميمة فِي غير الصلاة عليه، ولا رأينا فِي قولٍ من الأقوال ولا عمل من الأعمال القبول بغيره، ولا نلتجئ بأخذ سواه؛ لأنه باب الله تعالى، والدخول من الباب أولى.

وسمعت سيدي محمد البكري الصديق عارف زمانه حيث قَالَ فِي بعض كلامه هذا الشاهد مفردًا:

وأنتَ بابُ الله أيَّما امرئٍ ... آتاه من غيرك لا يدخلُ

نسأل الله القبول فِي سائر ما نقوله، وأن يجعلنا من حزب أهل الصلاة عليه، صلَّى الله عليه وسلَّم.

فإنَّ الصلاة عليه فِي سائر الأوقات عند الفراغ من الوضوء ونحوه، وعند إقامة الصلاة وعقبها، ويؤكد ذلك بعد صلاة الصبح والمغرب، وفِي التشهد والقنوت، والقيام للتهجد، وبعد التهجد، وعند المرور بالمساجد، وعند رؤية المساجد، وعند دخول المساجد وعند خروجه منها، وبعد إجابة المؤذن، ويوم الجمعة وليلتها، وخطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والكسوفين، فِي أثناء تكبيرات العيدين، وعَلَى الجنازة، وعند إدخال الميت القبر، وفِي رجب وشعبان، وعند رؤية الكعبة، وفوق الصفا والمروة، والفراغ من التلبية، واستلام الحجر، وفِي الملتزم، وعشيَّة عرفة، ومسجد الخيف، وعند رؤية المدينة، وعند زيارة قبره، صلَّى الله عليه وسلَّم، ووداعه، ورؤية آثاره الشريفة، ومواطنه، ومواقفه: مثل بدر وغيرها، وعند الذبيحة، وعند البيع، وكتابة الوصيَّة، والخطبة للتزويج، وفِي طرفي النهار، وعند إرادة النوم والسفر، وركوب الدابة، ولمن قلَّ نومه، وعند الخروج إِلَى السوق، أو (الانتهاء) من دعوةٍ، وعند الدخول إِلَى المنزل، وافتتاح كلِّ كلامٍ، وعند البسملة، والهمِّ، والكرب، والفقر، والطاعون، وفِي أوائل الدعاء وأوسطه وآخره، وعند

طنين الأذن، وخَدَر الرِّجل[1]، والعطاس، والنسيان، واستحسان الشيء، ونهيق الحمير، وأكل الفجل، والتوبة من الذنب، وما يعرض من الحوائج، وفِي الأحوال كلها، ولمن أُتهم وهو بريء، وعند لقاء الأحزان، وبعد اجتماعهم، وعند اجتماع الجماعة، وفِي أيِّ شيءٍ، وتفرُّقهم عَلَى أيِّ شيءٍ، وعند لقاء القوم وتفرُّقهم، وعند ختم القرآن الشريف وحفظه، وعند كتابة اللوح وحفظه، وعند القيام من المجلس، وفِي كلِّ موضعٍ يجتمع فِيْهِ لذكر الله تعالى، وعند افتتاح كلِّ كلامٍ بسببٍ، وعند نشر كلِّ كلامٍ حسنٍ، وعند نشر العلم، وعند قراءة الحديث، والإفتاء، والوعظ، وعند كتابة اسمه الشريف.

وقد عددت هذه الفوائد وضبطتها فِي بابٍ، وذكرت لكلِّ فائدةٍ حديثًا وسببًا قررته الحفاظ، وقد ضبط هذه الفوائد السخاوي فِي كتابه «القول البديع»، وأَتَى الإمام البغدادي فِي كتابه «نشر محاسن المصطفى» بغاية فائدة ضبطها، وأَتَى عَلَى كل خصلةٍ (يخصلها) وحكمة الصلاة عَلَى النبي ﷺ فيها، وشرحها بعض المتأخرين فِي مجلدٍ ما عرفت اسم مؤلفه، أَتَى فِي ذلك بمعانٍ ومبيناتٍ بمائة حديثٍ ومائة حكايةٍ من أخبار القوم، وعرف عَلَى ذلك شواهد من حقائق أنفاس العارفين من أعيان الصالحين، فكانت فِي المثال زهرة الرياض، ونزهة القلوب المراض، أخينا فِي الله الشيخ «شهاب الدين أحمد الغمري» ولد الشيخ «سعد الدين» عفا الله عنه؛ حيث قَالَ هذه الأبيات من فكره البديع من بحر السريع:

أُشهدُ الله عَلَى ما أقولُ ... فِي وصفِ خير الخلقِ طه الرسولْ
محمدٌ مَنْ خصَّه ربُّه ... برتبةٍ تحتار فيها العقولْ
لو تكن السبعُ الطباقُ العلى ... والعرشُ والكرسي عرضًا وطولْ
والأرضين السبع جمعًا وما ... بينهم من بعد علم فِي النزولْ
رقًّا وأوراقًا وما شبهها ... لأجل مَنْ يكتب فيهم فصولْ
مع صحف الأملاك والرقِّ منـ ... ـشورًا كذاك اللَّوح أصلُ الأصولْ
وما بطوبى وعَلَى سدرة المنتهى ... من ورقٍ يا عجولْ
وما حوت الأشجار من ورقةٍ ... كذاك أوراق جميع البقولْ

---

(١) خَدَر الرِّجل: اجتماع عصبها: أي التنميل بالعامية.

وفِـي هـذه الدنـيا وفِـي الآخرة ... مـا اخـضرٌ مـنهم أو سقطَ بالذبُولْ
ومـا صـنع رقًـا وورقًـا ومـا ... سيـضعوه الخلـق فـيما يـؤولْ
ولـو يكـونُ كـلُّ نـبات ... بـدا فِي الدنيا والأخرى آتاهم حمولْ
مـن كـلٍّ نـوعٍ كـان أقلامهم ... عـبريَّةٌ محـدودةٌ كالنُّـصولْ
ولـو يكـونُ كـلُّ مـياه السماء ... والأرضـين الـسبع يجـري سـيولْ
وكـل مـا كـان مـن تحـتها ... بمـدة يجـري إلـيهم نهـولْ
والدمـع والـريق مـدادهما ... ومـاء جـنات وحـوض الرسـولْ
كـذا الـذي كـان مـدادًا ومـا ... يكـن مـدادًا يـأتي أو يـصولْ
والخلـق جمعًـا إنـسُهم وجـنُّهم ... ميِّـتًا وحـيًّا حاضـرًا أو يـزولْ
طـيرًا ووحـشًا كـلُّ حـيوانها ... ومـا بـه روحٌ بجـسمٍ تجـولْ
كـذا الـذي يخلـقُ ربُّـنا ... فِـي يـوم حـشرٍ ذاك يـومٌ مَهُولْ
والْحُـورُ والـولدانُ أملاكُـه ... ومـا يكـنْ أو كـانَ قـبل الأصولْ
وإن يكونـوا كلُّهـم كاتـبين ... خـصائص المخـتارِ حـارت عقولْ
أُولـو النُّهـى والفَهـم فِـي قولهم ... فِـي نـشر علـم ما فيهم من جَهُولْ
ذو قـوة مـا مـنهم عاجـزٌ ... ولـيس فـيهم أبـدًا مـن مَلُـولْ
ويجـتهدوا لـيلاً نهـارًا شـتاءً ... صـيفًا خـريفًا فِـي جمـيع الفصولْ
دُنـيا وأخـرى قـبلها بعـدها ... طـول المـدى لا يعتـريهم ذُهُـولْ
فِـي وصـف خير الخلق طه الذي ... أعطـاه مـولانا الرضـا والقَـبولْ
مـا كـان هـذا الجـدُّ فِي وصفه ... مـنهم وربِّـي عـالم مـا أقـولْ
إلا كمـا تـشربه الـنملة مـن ... طـوفان نـوحٍ ذا بـنصِّ الـنُّقُولْ
هـذا الـذي ألقـى بـه ربُّـنا ... عـن اعـتقادي أبـدًا لا أحـولْ
صـلَّى علـيه الله سـبحانه ... مـسلمًا فِـي كـلِّ وقـتٍ يـزولْ

فإنَّ مقاصده حسنةٌ، فما ألذَّ ما قرَّره، وأحسنه، وقد أعنَّ لي قبل أن أغوص فِي هذه المعاني أن أذكر ما لـه أعاني، ولا أكون فِي ذلك بالمعاني، فإن من تَشبَّه بقوم فهو منهم، ومن كثَّر سواد قوم حُشر معهم، والفقير طالب الطريق، ومحبٌّ أهل التحقيق، وما دققت

هذا التدقيق إلا لأهل التصديق؛ فإن طالب هذا المقام كالكبريت الأحمر، وما يصل إليه إلا من جعل الجوع دأبه، وسكن فِي قبره، وزاد اكتئابه، ولا يحزن عَلَى ما أصابه؛ لأن بعضهم تكلم فِي همِّ القوم وهمَّتهم، فلُسع من عقربٍ فِي خمسة مواضع فِي جسده، فلم يتأوَّه، ولا يستحي من الله تعالى أن يدَّعي قدم من لا يصل إليه، ولُسع بعضهم فِي صلاته من عقارب أربعٍ فِي قضَّيه ونواعم بدنه، فانبسط، ومرح.

وها أنا أذكر لك إن شاء الله تعالى ما يترتب عَلَى الشيخ والصوفيٌ، وما يحصل لهما من الحظِّ الموفَّى، وإنه لا ينبغي للشيخ والمريد أن يدخل إلا فيما يزيد، والفقير إن تأدب فِي تعلمه واستنشق عرف تنسُّمهُ لا يستغني عن ملكٍ مالكٍ ولا طالبٍ سالكٍ ولا مملوكٍ جاء إِلَى طريق ذلك، ولا جذبني إِلَى ما ترى من الرأفة والرقة إلا غيرةٌ منِّي عَلَى هذه المخرقة؛ فإن غالبهم الآن يقنع بالذكر من غير فكرٍ، فإن مقدماته لا بدَّ له منها، ولا لأحد محيدٌ عنها، وأصلها معرفة الكتاب والسنَّة، والتخلُّق بالآداب التي هي من مواهب المنَّة، وكل ما خَرَجَ عنها فهو باطلٌ، فإن بتعليمها تنشرح الصدور، ويظفر طالب اتِّباعها بالحور، وقد سَمَّيتُ كتابي هذا «**محاسن الأخبار فِي فضل الصلاة عَلَى النبيِّ المختار**»، وقد رتَّبته عَلَى مقدمةٍ وستة أبوابٍ وخاتمةٍ.

المقدمة: فِي ذكر العارفين الأبرار، وذكرت فيها أخلاق الصالحين الأخيار، بينت فيها مراتب السادات وأخلاق أهل السعادات، وفضل الصحابة والتابعين، وقدم القوم الصالحين، وذكرت فيها الهواتف ونعت كل شيخٍ عارفٍ، وفضل الأماكن، وذكرت فضل الذكر وساعات الإجابة.

والأبواب المذكورة:

الباب الأول: فِي فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وما لعاملها من الثواب، وما للمصلين عليه من النعيم الدائم، والخير القائم، والسعد الخادم، ونشر محاسنه الواجب عَلَى كلٍّ مسلم ذِكرها، والخوض فِي ذلك البحر الذي لا يُدرك له قرارٌ، ولا يوجد له جديد اختيار آناء الليل وأطراف النهار.

الباب الثاني: ذكرت فِيْهِ الفوائد، وهي إحدى وثمانون فائدةً، وأوردتها بعشر فوائد، وذكرت مَنْ جمعها وذكرها، جمعتها من كتبٍ عديدةٍ، وخصائص مفيدة.

الباب الثالث: ذكرت فِيْهِ من أسمائه الشريفة خمسمائة اسمٍ وزيادةً، وما أتيت إلا بما

ذكره الجلال السيوطيُّ فِي خصائصه وما شرحه صاحب الشمائل النبويَّة، وما ذكره السخاوي فِي «القول البديع»، وما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني [في تخريج الأذكار، وفتح الباري]، والإمام النووي فِي «شرح مسلم»، وما ذكره الإمام القسطلاني فِي «مواهبه»، ولكلٍّ اسمٍ من أسمائه الشريفة دليله فِي القرآن العظيم أو فِي السنَّة المطهَّرة.

الباب الرابع: فِي شرح كيفياتٍ من الصلاة عليه، ذكرها ابن بشكوال والمجد اللغوي، وما ذكره صاحب كتاب «الشرف»، وما ذكره شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة، وما ذكره الحافظ عبد الغني فِي كتابه «المورود العذب الهني»، وما ذكره شيخ الإسلام الدمياطي فِي كتابه «السيرة النبوية»، وأتيت بذكر جماعةٍ من الأولياء أهل الأوراد، وما نقل عنهم بصحة الألفاظ، وما وافقهم عليه الأئمة الحفَّاظ، من يقتدي بهم فِي سائر ما يقولون، الذين يفعلون ما يعلمون ويعملون بما يحفظون، مشايخ أهل التحقيق.

منهم: الشيخ نور الدين الشوني، شيخ الصلاة عَلَى سيِّد المرسلين بإملائه، ومنهم: الشيخ عبد الوهاب الشعراوي فِي كتابه «البدر المنير»، ومنهم: الشيخ أبو الحسن الحلبي فِي رسالته التي ليس لها نظيرٌ، ومنهم: الشيخ محمود الشناوي بإملائه، وفوائد من طبقات القونوي، وما أملاه القصري فِي الصلاة عليه، وما ينسب للغزالي فِي كتبه مثل: «إحياء علوم الدين»، «ومنهاج العابدين» «وبداية الهداية» وغيرها، وما قاله الإمام السهيلي، والمشايخ الذين يأتي ذكرهم فِي ذكر أسماء كتبهم، وهي ثلاثةٌ وثلاثون كيفيةً، رحم الله مؤلفيها، وجعل الخير فيها، جمعت من أربعين كتابًا فِي هذا المعنى، ولم أنسب كيفيةً لواحد من هؤلاء السادات؛ لعدم اتِّفاقهم فِي ذلك، وهذه الكيفيات كثيرة المعاني، نفع الله بها، ولم أذكر فِي شرح هذه الكيفيات ما هو مستحيلٌ فِي حقِّ الإنسان من حيثيةٍ إلا غير مستحيلٍ من حيث الوسعة الإلـٰهيَّة، وغير ممكنٍ من الشاهد إلا لـه عند القوم ألف شاهد، وما قرَّره الحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي فِي كتابه «القول الجليُّ فِي نظور الوليِّ» وكتابه: «المعاني الدقيقة فِي إدراك الحقيقة»، تعرَّض لـه بعض الفقهاء من حيثيات، قَالَ عفا الله عنه فِي حديث بيت المقدس: لمَّا جاء به جبريل حقيقة، أو غير حقيقة، أو مثَّل لـه صورة بيت المقدس، وقرر حديث الطائر مما لا يخفى عَلَى الفقهاء، وما قاله فِي إدراك الحقيقة مما ينهي أهل هذه الطريقة.

قـــال: ما كان غير ممكنٍ من المشاهد فيما قرره العلماء إلا ممكنٌ من جهة الفضل والعطاء.

وقال الشيخ عبد الغفار فِي كتابه «الوحيد» فِي طي الزمان والمكان وطي الأحرف ما يبهر العقل، مسائل لا تقررها الفقهاء، ويستحيل عندهم بأقوالهم بعدم وجودها.

وقـــال العارف بالله تعالى، تاج العلماء، أوحد الفضلاء، عارف زمانه «ابن عطاء الله السكندري» فِي غالب كتبه وغالب أقواله: ومن اعترض فِي وجهٍ ممَّا قررناه ولم ينظر إِلَى سعة فضل الله وعطاه فهو جاهل الجزاء.

وقـــال الـــشيخ عبد الغفار: من اعترض عَلَى طيِّ الزمان من حيثيَّةٍ وتنكَّر عدمه من حيثيَّة جَهِلَ أحكام القدرة، أو من مر عَلَى القرآن فِي درجة مستحيل منا ونظر إِلَى غيره لَـــمْ يقـــدر عَلَى ذلك، أو نظر إِلَى علامة القطبانيَّة بقول الطائفة وإجماعهم أن الدنيا بين عينيه كالقصعة وغير ذلك مما لا يُتصور فِي العقل إدراكه أو ما صوَّره الفقهاء فِي وجود القـــدرة الإلهية أن الله تعالى قادرٌ أن يُدخل السماوات والأرض فِي قشرة جوزةٍ فهذا لا يُتـــصور وجوده، إلا أن تضيق السماوات أقصاها، أو يوسع الجوزة، وليس هذا يُقاس بما نقرِّره فِي كتابنا هذا مما نتوسل به فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عدد ما كان وعدد ما يكون وعدد ما هو كائنٌ فِي علم الله؛ فإنَّ هذا مستحيل المشاهدة من القائل، ولو كان قطبًا.

وقال بعضهم: مستحيلٌ من الأنبياء معلومٌ مقرَّرٌ أن جميع الخلق لا يعلمون ما كان من علـــم الله تعالى وما يكون وما هو كائن، وهذا غير مستحيلٍ عليه جلَّ ذكره، وللملك أن يعطـــي ما شاء، وأن ننسب إليه ما هو ممكنٌ فِي قدرته، وما لا نلحظه بالمشاهدة نؤمن به، ونشهد أن لـــه الإحاطة بكلِّ شيءٍ جلَّ ذكره، وهذا بابٌ ضاق عَلَى غالب الفقهاء؛ لا يفهمون منه إلا الجدال وتقرير المحال، ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء.

واعلم أن المولى فضله عميمٌ وملكه لا يكيف، وحدِّث عن الله تعالى ما شئت؛ فإنَّك عاجزٌ قاصرٌ، والإيمان بما لا تدركه وتكيفه من كرامات الأولياء التي ورثتها من معجزات الأنبياء عليك واجبٌ، ولا تقول وجود الشيء من غير أصلٍ، ولا تكذب الشاهد.

وانظـــر إِلَـــى مـــا قَالَ الملك الوهَّاب بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠]، والحمد لله عَلَى مزيد كرمه وجزيل نعمه.

الباب الخامس: فِي فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وأحاديث فِي فضل الجهر بالذكر، وذكر فضل يوم الجمعة وليلتها، والتخلي فيها دون سائر الليالي من مغرب يوم الجمعة إلى صبيحة يوم السبت، وجمعت عَلَى ذلك مسائل ملتقطةً وأقوالاً مختلطةً، وهواتف ومعاني جُمعت من كتبٍ متعددةٍ: مثل كتاب «الترغيب» للإمام المنذري، وخصائص الجلال السيوطي، وكتاب «مصباح الظلام فِي المستغيثين بخير الأنام»، وكتاب «البِشَر بخير البَشَر»، وسنن البيهقي، و«الأدب المفرد» للبخاري، وما ورد فِي الصحيحين لمسلم والبخاري، ولَخَّصت بعض فوائد من كتاب «الدعاء» للبيهقي «وأحاديث موطأ» مالك، وأقوال بعض أصحابه، ومحاسن ما نقله محمد بن الحسين الدابغاني فِي كتاب «شوق العروس وأُنس النفوس»، وفوائد من كتاب «طهارة القلوب» لسيدي عبد العزيز الديريني، ومسائل من كتابه «الدرر الملتقطة فِي المسائل المختلطة»، وبعض مسائل من كتاب «شرف المصطفى» للشيخ أبي الفضل، ومسألتين من كتاب «شرح الهداية» للسروجي، وما رأيته من كتاب «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا، وأخذت ما رأيته فِي فضل الذكر من كتاب «أصول مذاهب العرف بالله» لمحمد بن عبد الله الديلمي، وكتاب «رونق المجالس» للسمرقندي، وكتاب «النجم» لابن العربي، وكتاب «مراتب العبادات» للإمام البغدادي، وفوائد من مصابيح البغوي، ومن كتاب «الفتاوى»، ومن محاسن ما قاله فِي تفسيره، ومسائل من كتاب «[جواهر العقدين في فضل] الشرفين» للسيد السمهودي؛ فحسُن هذا الباب وطاب ما فِيْه من الخطاب.

الباب السادس: فِي ذكر نبذةً من خصائصه الشريفة من فوائد علميَّةٍ، وقواعد نقليَّةٍ، وأقوالٍ معنويَّةٍ، وحكمٍ نبويَّةٍ، لخصتها من كتاب «السراج الواضح» للقرطبي، ومن كتب العلامة ابن رجب عفا الله عنه ثلاثة كتبٍ أُخذت من محاسن لطائفه ما حسن وراق، ومن كتاب النور ما نوَّر محاسنه هذا الكتاب، ومن كتاب وظائفه ما حلا وطاب، ومن محاسن كلام ابن الجوزي فِي كتاب «التوَّابين»، وغير ذلك من كتاب «سلوة الحزون»، ومسائل من كتاب «فضل التائبين» للمرزباني، وجمعت ما فِي «الدرُّ النفيس» لابن عبد الحكم، وما فِي كتاب «الفجر المنير» للفاكهاني، ومن محاسن كتاب «بهجة النفوس» لابن أبي جمرة، ومن «محاسن الحصن الحصين» للجزري، وفوائد من كتاب «زوال الظما فِي ذكر من استغاث برسول الله فِي الشدة والعما» للحافظ عبد العظيم المنذري، وفوائد من

كتاب «الترغيب» له، ومن كتاب «الشفا» للقاضي عياض، ومن كتاب «دقائق الأسرار» للإمام أبي بكر بن فورك، ومن كتاب «تخجيل أهل التوراة والإنجيل» للإمام الجعفري، وبعض فوائد من كتابه «الواضح المبين»، وفوائد من كتاب «خصائص الأنبياء» لابن واصل، ومن محاسن ما قاله عفا الله عنه فِي كتابه «خفايا الأفكار»، ومسألةً واحدةً من كتاب «التيجان» لابن هشام، ومن محاسن ما قاله الإمام الحوفِي فِي كتابه «موارد الأنبياء»، وكتابه «الإرشاد لطريق خير العباد والعُبَّاد» وذكرت فِيْهِ بعض فوائده من كتاب «عين الشفا» للقاضي ابن عياض، وما ذكره الإمام البارزي، وخلطت فِيْهِ مسائل وأقوال من كلام العلماء؛ فجاء كـ«الدرر الملتقطة فِي المسائل المختلطة» للدريني، وإذا تأمَّلت هذا الكتاب وجدته حاويًا للفضائل، جامعًا للوسائل، ذخرًا للطالب السائل، بهجةً للمتأملين، روضةً للقائلين، منهاجًا للمتوسِّلين، بستانًا للعارفين، ليس له مثيلٌ ولا مثالٌ، تشرَّف بذكر النبيِّ المصطفى ﷺ، وحصل له خيرٌ بأخباره، ولا خفاء؛ فهو درَّة الغوَّاص، وفوائد الخوَّاص، ونتائج الخاصِّ، لا إشكال ولا اعتراض عَلَى من افتخر بسيِّده، ومع ذلك إنِّي فقير الحال، قليل الرأسمال، كثير الآمال، داعيًا لمن رأى عيبًا وأصلحه، أو خللاً وصححه، أو ما يلزم الستر فِيْهِ وستره، أو ما ينسب الفقير فِيْهِ إِلَى التقصير، وعابه، ولا سدده.

واعلم يا أخي أن من شدَّد شدَّد الله عليه، ومن يسَّر يسَّر الله له، ومن ظنَّ أنه يصيب ولا يُصاب فقد أخطأ، والإنسان محلُّ النسيان والنقص والخطأ، وما دام الخط باقيًا لا يرفع عنه القلم، ومن ستر عيب أخيه جاء بفوائد الحكم، ومن أظهر عيب أخيه ومساوئه فقد ظلم، وخير الناس من يقبل المعذرة ويعلم أن الله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

واعلم يا أخي أن من اجتهد وأصاب فله أجران: أجر إصابته، وأجر اجتهاده، ومن اجتهد ولم يصب له أجرٌ واحدٌ: أجر اجتهاده، وقد قرَّرت العلماء رضي الله تعالى عنهم من هذه الحيثية أنَّ لكلِّ مجتهدٍ نصيبًا، أصاب أو لم يُصب، والحمد لله وحده، وصلَّى الله وسلم عَلَى من لا نبيَّ بعده.

الخاتمة: فِي ذكر أخلاق العارفين، ومحاسن أماكن الذكر، وفضل الجهر به، ذكرت فِيْهِ أحكام الطريق وأقوال البزار، كتاب أبي يعلَى الموصلي، كتاب الدارمي، كتاب معجم

الطبراني، كتاب الأوسط، كتاب المعجم الصغير، كتاب الدعاء للطبراني، كتاب النساء، فهذه سبعةٌ وعشرون كتابًا لأماثل الحفَّاظ رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا الله تعالى ببركاتهم، ومع ذلك إنني قليل العمل، كثير الفتور والكسل، مددت كفَّ الافتقار، وبسطت يد الاعتذار، خاليًا فِي معرفة طرق الحديث وأسماء الرجال وذكر أنسابهم وذكر ما كانوا عليه إلا القليل، أتيت إِلَى هذا الباب بالانكسار لمعرفتي بالنادر، فجبر الله تعالى كسري، وحمل ستري، وتذكرت ما أعطاني الله تعالى، ومنَّ به عليَّ من معرفة الرجال، وأرباب الأحوال، وأصحاب الأقوال من أهل الكشف، وقد عرفت أوصافهم، وذكَّرني الله تعالى أحوالهم وكراماتهم، ومَنَّ عليَّ بمطالعة خمسين كتابًا فِي الزيارة وآدابها، مثل كتاب «الكواكب السيَّارة وآدبها» لابن الزيَّات، «ومرشد الزوَّار»، وكتاب «هادي الزائرين»، وكتاب السيد النسَّابة، وغير ذلك مما يطول شرحه؛ فإن هذا الكتاب ما وصفناه إلا لذكر فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، ونشر محاسنه؛ فإنها رياض الصالحين وأنس الذاكرين، وقد اطَّلعت بفضل الله تعالى وعونه عَلَى كتاب «روض الرياحين»، وكتاب «رياض الصالحين»، و«بستان العارفين»، ومن كتب التاريخ على: تاريخ الطبري، والحافظ الذهبي، وتاريخ النويري، وخطط المقريزي، ومن كتب المتأخرين ممن أدركته بفضل الله تعالى شيئًا كثيرًا، ومن الرسائل وغيرها، وهذا من باب التحدُّث بالنعم، ومن نعم الله تعالى عَلَى الفقير ومزيد كرمه أنه أنعم عليَّ بجمع هذه المحاسن من نحو مائتي كتابٍ، غير ما التقطته من مشايخي، والفوائد التي عزوتها لأربابها؛ رجاءً فِي ثوابهَا من الله تعالى، ولم أقل (قلت) إلا فيما فِيْهِ البيان، ولم أعدّ نفسي من أهل هذا الشأن، وأنت إذا تأمَّلت ذلك كادت كلُّ فائدةٍ تكون من كتابٍ فهو تحفة الأحباب، وكنز الآداب، ومنهج الطلاب، شواهده من الكتاب والسنَّة واضحةٌ، وأشعة كلام النبوة عليه لائحةٌ، وتجارة الأعمال فِيْهِ رابحةٌ، والعاجز الضعيف يسعفه الربُّ اللطيف قليل السؤال كثير الآمال، غلب عليه الرجاء من سائر الأحوال، وتأمَّل كرم مولاه فِي جميع ما قال، لا يخيِّبه الله الكريم، ويجري له الثواب العظيم؛ فإن من تشبَّه بقومٍ فهو منهم، ومن كثَّر سواد قومٍ حُشر معهم، والستر مطلوبٌ، والمال محبوبٌ، وقد تضمخت(١) بأهل الأثر، وأقدِّم رمز من له اللفظ فِي

---

(١) تضمخ بالطيب: تلطخ به.

الخبر، وإن اختلفا ضمنته بما ضمنته السادة الحفَّاظ من مَنِّ الله تعالى عليهم بمحاسن الألفاظ، وإن اتفقا أوصلت الرمز بأخيه، وإن اختلفا شيئًا.

[رجعت إلى[١]] كتاب «الوحيد» للشيخ عبد الغفار، وكتاب «دلائل السعادة» لابن عياش، وكتاب «المحاسن» للثعلبي، كتاب «الفائق» للحافظ أبي القاسم، كتاب «الوائق» للإمام عبد المحسن بن عثمان بن غانم، كتاب «التنوير» لتاج الدين بن عطاء الله السكندري [....[٢]] ومن تفسير ابن عادل، وكتاب «الإشراق» للسيد النسابة، وكتاب «الكمال في أسماء الرجال»، وكتاب «خصيصات الأنبياء» لابن فارس، وكتاب «الحلية» لأبي نعيم، وكتاب «النوادر» لصالح بن كيسان، وفوائد من تذكرة القرطبي، وفوائد من تفسير ابن عطية، وكتاب «النصائح» لإسحاق بن إبراهيم الطائي، وكتاب «فضل لا إله إلا الله» للغزالي، وكتاب «ما ورد في فضل لا إله إلا الله» للعارف بالله تعالى محمد البكري الصدِّيقي، وكتاب «الخصال الواردة بحسن الاتصال» لابن حجر العسقلاني، وكتاب «الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة» له، وكتاب «مرشد الزوار» للموفق، وكتاب «هادي الزائرين» لابن الجبَّاس، وكتاب «أخبار أهل الغرام في ذكر من مات بالمحبة والهيام» لابن المبارك، وكتاب «رقائق الحقائق» لابن المبارك، وكتاب «أقاويل الثقات» للإمام الطبري، وكتاب «المستدرك» للإمام الحاكم، وفوائد من تفسير أبي السعود المفتي، وكتاب «الكواكب» لابن الزيَّات، وكتاب «تقريرات القاشاني»، وفوائد من تفسير ابن عياش، وكتاب «معراج الشيخ نجم الدين الغيطي»، وكتاب «الفوائد» للبغوي، وكتاب «الدر المنظم في المولد المعظم» لأبي القاسم السبتي، وكتاب «المطرب» لأبي الفرج البغدادي، وكتاب «تنبيه الغافلين» للسمرقندي الفقيه، و«مسند الفردوس» للديلمي، و«القول البديع» للسخاوي، و«نشر محاسن المصطفى» للبغدادي، وكتاب «زهرة الرياض ونزهة القلب الراض» للنسفي، وفوائد من «فتح الباري في شرح البخاري» لابن حجر العسقلاني، وفوائد من «شرح مسلم» للنووي، وكتاب «أذكار النووي»، وكتاب «رياض الصالحين» للنووي، و«شرح الهمزية» لابن

(١) لعله يوجد سقط سطر من المخطوط.

(٢) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

حجـــر المكـــي، وفوائد من كتب الشيخ جلال الدين السيوطي، كل فائدةٍ ذكرنا كتابها، وكـــتاب «رســـالة أبي الحســـن فـــي فضل الصلاة»، وفوائد من «المواهب اللدنية» للقسطلاني، وكتاب «القربى» لابن بشكوال، وكتاب «المورد العذب الهني» للحافظ عبد الغني، وسيرة الحافظ الدمياطي، و«البدر المنير» للشيخ عبد الوهاب الشعراوي، وكتاب «منوال الشفا» للبارزي، و«روض الرياحين» للشيخ عفيف الدين اليافعي، وكتاب «الدر النظيم» لـــه، وكتاب «إثبات الدراية عن سر الولاية» للإمام النقاش، و«معجم الطبراني الكـــبير»، و«مختـــصر السيرة النبوية» للحافظ بدر الدين بن جماعة، وكتاب «الزهد» لأحمد بن حنبل، وكتاب «الابتهاج» لابن الحاج، وسيرة ابن سيد الناس، وكتاب «الجمع بـــين الصحيحين» للإشبيلي، وخصائص ابن الملقن، وكتاب «العمل في اليوم والليلة» لابن السني، وكتاب «الشهاب» للقضاعي، وكتاب «صحيح ابن خزيمة».

وأما الكتب التي لَمْ نذكر أسماء مؤلفيها فهي هذه:

كـــتاب المتوســـلين، كتاب الدرة الفاخرة فِي موازين الآخرة، الحريفيش[١]، التحقيق والتدقـــيق، بهجـــة الأنـــوار[٢]، البركات الكاملة فِي خصائص أنفاسه الفاضلة الواصلة، التوسلات النبوية والشفاعات المحمدية عشرات الأوراق، خفايا الأحكام المرئيات، الروض الزاهر[٣]، دليل السعادة، الكيفيات فِي الصلوات المرتبات، التحف النبوية، كنـــز الأخيار الـــبلغاء، المحاسن النبوية، سلوة الأحزان[٤]، المصباح الفاخر، المعارف المحمديَّة، مشارق الأنـــوار[٥]، الـــبركة فِي السعي والحركة[٦]، شرح محاسن البغدادي، المشاهد والمقاصد، دلائـــل النـــبوة[٧]، الـــشمائل[٨]، شرح الشمائل[٩]، مصباح الظلام فِي المستغيثين بخير

---

(١) هو الروض الفائق فِي المواعظ والرقائق.

(٢) لأبي بكر البطائحي.

(٣) فِي مناقب الشيخ عبد اقدر للشهاب القسطلاني.

(٤) لابن الجوزي.

(٥) هو مشارق الأنوار المضية فِي شرح الكواكب الدرية للقسطلاني.

(٦) لجمال الدين الحبشي.

(٧) صنف فيها جمع غفير من المحدثين، ومشايخ الصوفية.

(٨) [illegible]د أكثر من كتاب فِي الشمائل، وأشهرها للترمذي، وقد حققناه بمصر.

(٩) لها شروح كثيرة، منها شرح ابن حجر والجمل بتحقيقنا.

الأنـــام[١]، حسن المجالسة، خلاصة الفرائد والعوائد، تحفة الصوفية، المشرف، المستغيثين بالله[٢]، مصباح الرياحين.

فهـــذه الكتب التي لَمْ نعرف أسماء أصحابها، وهذا غير ما نقلناه عن العارفين وأرباب الأحـــوال العـــارفين، ومـــا أخذناه من ألسنة الحفَّاظ المحدِّثين، ومن المشايخ المسلكين الـــسالكين، فكأننا قد قرَّرنا كل مسألةٍ من كتابٍ، فظهر نوره ببركة هذه الأئمة، وتَمَّت بركته؛ لمَا فِيْهِ من ذكر الرحمة، وبالله أستعين؛ فهو المعين، ومنه المدد والإمداد والإسعاف والإرشاد.

* * *

(١) لشمس الدين محمد بن النعمان المراكشي.

(٢) لابن بشكوال.

[المقدمة]

فِـي ذكـر العـارفين الأبرار، وأخلاق السادة الأخيار، بيَّنت فيها أخلاق الصالحين ومراتب السادات، وأخلاق أهل السعادات، وفضل الصحابة والتابعين، وقدم السالكين، ذكـرت فـيها الهواتف، ونعت كلٍّ عارف، وفضل الأماكن المهيئات للذكر، والأذكار، وسـاعات الإجابة، وأوقات الإصابة، وبالله أستعين، وأسأله قدم الحقِّ، فإنَّه هو المعين، وأقـول: وما توفيقي إلا بالله، وقد توكَّلت عَلَى الله، واستعنت بالله، وأسأله السلامة من البدع فِي الأقوال والأعمال؛ إنه عَلَى ما يشاء قديرٌ، وبعباده لطيفٌ خبيرٌ.

اعلم يا أخي وفَّقك الله تعالى أن الله لمَّا تَفضَّل عليَّ بمنِّه وكرمه ورزقني مخالطة العلماء والمشايخ العارفين ورزقني من كتابه العزيز ما قسمَه لي ومن ملازمة إحياء الليالي ما سهَّلَهُ لي ومـن سنة نبيِّه محمدٍ ﷺ ما لو يُقاس به الدرُّ كان قليلاً وزوى عنِّي الدينا ومنعني من الالتفاتات إليها وزوي عنِّي أهل الدنيا وأعطاني الاختلاط بهم والارتباط بغيرهم ورزقني التقـشُّف وجعلني غارقًا فِي خيره مغمورًا فِي جبره لَمْ أر منه إلا الجميل وقد أحسن إليَّ بمنِّه وتفضَّل غاية التفضيل ستر عيوبي، وأرجوه غفران ذنوبي، وإنِّي أسأله من فضله السابغ أن يرزقني بمحبَّة أحبابه وحزبه، وأن يرزقني صحبة أصحابه الذين لا يألفون بغيره، ومحبَّة العارفين من عباده، وأن يفتح لي فِي طريقهم بابًا، يكون لي جلبابًا، ويجعل لي به اكتسابًا، والفقـير مقتفِي آثار من مضوا بهذه الطريق وارتضوا تلمَحًا من ساداتي الآثار، وإن كنت بعجـزي وضـعفِي لَمْ ألحق لهم غبار، ولا أقول كما قَالَ المعري بالافتخار هذا البيت المفرد.

مفرد:

وإنِّـي وإنْ كنتُ الآخر زمانه   لآت بمـا لم تـستطعْه الأوائـلُ

بل أقول كما قَالَ يزيد فِي قوله المفيد:

فلـو قـيل بكَّاهـا بكيت صبابةً   بـسعدي شفيتُ النفس قبل التقدُّمِ

ولكـنْ بكَت قبلي فهيج لي البُكا   بكاهـا فقلـتُ الفـضلُ للمتقدِّمِ

ومـع ذلك فإنَّنا مقتدون بالكتاب والسنَّة ومواهب المنَّة، لمَّا روى الشيخان باتِّفاق

أهل السنَّة.

وذكر ذلك الإشبيلي فِي الجمع بين الصحيحين: أن بعض الأنصار قالوا: يا رسول الله كيف نصنع إذا جاءنا أمرٌ لَمْ نجده فِي كتاب الله تعالى ولا فِي سنَّة رسول الله ﷺ؟ فقال: «سَلُوا الصالحين، واجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فِيْه أمرًا دونهم[1]».

وفِي حديث وصية معاذ قَالَ لـه: «فإن جاءك ما ليس فِي كتاب الله تعالى ولا سنَّة رسول الله ﷺ اقضِ فِيْه بما قضى الخالون[2]»، فقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله ﷺ. وفِي بعض الطرق: «اجتهدوا عن رأيٍ[3]».

وحدَّثونا عن الجنيد رحمه الله تعالى قال: كنت إذا قمت من عند سري السَّقطيِّ قَالَ لي: إذا فارقتني من تجالس؟ فقلت: الحارث المحاسبي. فقال: نِعْمَ! خُذْ من علمه وأدبه، ودع عنك بتشقيق الكلام، وردَّه عَلَى المتوكِّلين. قال: فلمَّا ولَّيت سمعته يقول: جعلك الله تعالى صاحب حديثٍ صوفيًّا ولا جعلك صوفيًّا صاحب حديثٍ: يعني أنك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن ثم تزهَّدت وتقيَّدت نفذت فِي علم الصوفيَّة، وكنت صوفيًّا عارفًا، وإذا ابتدأت بالتقيُّد والتقوى والحال اشتغلت به عن العلم والسنن، فخرجت إمَّا شاطحًا أو غالطًا بجهلك بالأصول والسنن، فأحسن أحوالك أن ترجع إِلَى العلم الظاهر وكتب الحديث؛ لأنه هو الأصل الذي تفرَّع منه العبادة والعلم، وإن نويت الفرع قبل الأصل أتعبت نفسك، وقد قيل: إنما حُرموا الوصول بتضييع الأصول، وهي كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن والذل لله تعالى بمعرفة ذلك، والتواضع مصائد الشرف، يبلغ صاحبه أعلَى الغرف، ومن ارتفع قدره واتَّضح ذلَّ لـه كلُّ شيءٍ وخضع، وبالله تعالى التوفيق، ومنه أستمد الفيض والتحقيق، ولما رأيت مؤلفاتي بلغت ما يزيد عن عشرين كتاباً عزَّ لي فِي سنة تسع عشرة بعد الألف أن أجمع محاسن أخبار العارفين بالله تعالى والعلماء الصالحين، ومنَّ لي بعد ذلك أن أنثر درر محاسن السادة الصوفيَّة، وما أعطاهم الله تعالى من المواهب الزكيَّة والأخلاق المرضيَّة، ومن سلك قدم خير البريَّة،

---

(١) ذكره ابن حجر فِي لسان الميزان (٣/٧٨)، والحميدي في الجمع بين الصحيحين (ص١٢٥).

(٢) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٤/١٣٦)، والدارمي فِي السنن (١/٧١).

(٣) ذكره الآمدي فِي الإحكام (٤/٢١٥) بنحوه.

ومن تكلم بألفاظٍ معنويَّة ومحاسن أخبار البلغاء وأهل الدين، والصالحات من النساء والبنين، وجعلت غالبه مختصًّا بذكر فضل سيِّد المرسلين ﷺ ومحاسن خصائصه، وذكرت أصحابه وأتباعه ومحبيه وحزبه، وما نقل عن الأخيار من محاسن الأخبار الذين بذكرهم تنزل الرحمة، ويدفع الله تعالى ببركتهم عن الخلق النقمة، وإن الله تعالى ببركتهم يدفع البلاء، وإنهم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، قَالَ الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ولكن الله ذو فضلٍ عَلَى العالمين، ومن محاسن ما أخبر به النبيُّ ﷺ عنهم: «لولا عبادٌ ركَّعٌ وصبيانٌ رُضَّعٌ وبهائمُ رتَّعٌ لَصُبَّ عليكم البلاءُ صبًّا[(١)]»، ونظم هذا الحديث بعضهم فِي بيتين بقوله:

لولا عبادٌ لله رُكَّعْ … وصبيانٌ من العِباد رُضَّعْ
ومهملاتٌ فِي الفلاة رُتَّعْ … صببنا عليكم العذابَ الأوجعْ

ومع ذلك ما غرضي غير هؤلاء الطائفة المحبين الذين هم طول ليلهم ونهارهم خائفون؛ غيرة منِّي عَلَى أهل هذا الطريق، وما نالني عليها من طلب التوفيق، وتوجُّهي إِلَى مقام التسليك والتحقيق؛ فإن من هبَّ له النسيم وعرف ذلك المقام العظيم واستنشق نسمات المحبَّة وتآلف مع من تآلف وأحبَّه وجميع ما يكون بين المراد والمريد، والله تعالى فعَّالٌ لمَّا يريد؛ فإن غالب أهل زماننا يقنع بالذكر من غير فكرٍ؛ فإن مقدماته لا بدَّ له منها، ولا لأحد يحيد عنها، وأصل ذلك كله معرفة الكتاب والسنَّة والتخلُّق بالأخلاق الحسنة، ومعرفة ما يتعيَّن عَلَى كلِّ شيخٍ ومُريد وغيرهما من النَّاس، والاشتغال بالعلم، وهو الفقه الذي بيَّنه الشارع ﷺ بقوله: «طلبُ العلم فريضةٌ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ؛ رضًا بما يصنعُ[(٢)]».

قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سلك طريقًا يطلبُ فيها علمًا سهَّل الله تعالى له طريقًا إِلَى الجنَّة[(٣)]».

والمراد بالعلم: الفقه الشرعيُّ، ومعرفة الحلال والحرام، وما يلزم من العبادات الدينيَّة:

---

(١) رواه ابن عدي فِي الكامل (٦/٣٨٠)، وذكره الذهبي فِي الميزان (٦/٨).

(٢) رواه أحمد (٤/٢٣٩)، وابن ماجه (١/٨٢).

(٣) رواه البخاري (١/٣٧)، ومسلم (٤/٢٠٧٤).

من غُسلٍ، وصلاةٍ، وصومٍ، واعتكافٍ، وحجٍّ، وزكاةٍ إن كان لــه مالٌ، وما يجب عليه إِلَــى غير ذلك من العبادات الدينيَّة المقدَّمة عَلَى الأعمال البدنيَّة، وعَلَى سائر الصناعات الكــسبيَّة، فإذا أحكم ذلك كله فله أن يشتغل بالتصوف وتربية المريدين، ومن دخل فِي طــريق المــشيخة بغير ما ذكرناه كان كمن يشرب الماء عَلَى الرِّيق، وتعطل عليه طلب العلــم، وقنع بالتسمِّي بالشيخ، ويرى المشيخة، ولا يرى العلم، وتمنعه نفسه أن يستفيد، ويخسر، ولا يسأل عن العلم إذا احتاج إِلَى السؤال، وطالب العلم يسأل ولو من دونه.

وقــال بعــض العــارفين: لا تنظر إِلَى من قال، ولكن انظر إِلَى ما قال؛ فإن الإمام الشافعي ﷺ استفاد مسألةً من كلابزي؛ وذلك أنه سئل أن بعض الكلاب يرفع رجله عند البول وبعضها لا يرفعها فما علامة بلوغ الكلب؟ فسكت الإمام، وخرج، فوجد كلابزيًّا، فــسأله عن ذلك، فقال: علامة بلوغ الكلب أن يرفع رجله عند البول، والذي لا يرفع رجله يكون صغيرًا دون البلوغ، وكان يقول عنه إذا رآه أنه شيخه.

ومن نظر فِي أخذ العلم من الدون أنه دونه لا يكسب علمًا.

وقال بعض السادة: غشيت نفسي عشرين سنةً، فسئل عن ذلك، فقال: إنها ترى لها مقامًا عاليًا، ولا تتضع لأحدٍ.

ومــا أحسن ما قَالَ بعضهم: خذ مِن علومي، ولا تنظر إِلَى صفتي؛ فالعلم يُؤخذ من عــامٍّ ومن خاصٍّ، وانظر إِلَى الجوهر الشفَّاف هل نقصت فِي الناس قيمته فِي يد غواصٍ؟ وبلغــنا أن القفــال الشاشي أحد أصحاب الوجوه فِي مذهب الإمام الشافعي أقام بعمل الأقفال فِي حانوته أربعين عامًا، وكان إذا فرغ من شغله لبس ثوبًا نظيفًا وعمامةً مضلَّعةً وعيشةً حسنةً، فلقيته امرأةٌ من أهل الدين، فظنتْ أنه من أهل العلم، فسألته عن مسألةٍ فِي الحيض؟ فقال لها: لست بعالم ولا فقيهٍ، وإنما أنا أقفاليٌّ صنائعيٌّ، فخجلت منه، وقالت: أنــت مغرٍ بهذا الزيِّ، ولو علمت أنك لست بعالم ولا فقيه ما سألتك، وخجلت نفسي، فأخذته الحدَّة من قولها، فلم يعد لصنعته، واشتغل بالعلم حتَّى فاق أهل زمانه فِي الإفتاء، وقال ما قالته أصحاب الشافعي فِي الأخذ عنه، ونقله عنه من جاء من بعده، وهو صاحب قــولٍ فِي المذهب يُعمل به، وذكر بعض العلماء قوَّته فِي العلم، وأنه لا يسأل أحدًا بعد قوله.

فانظر إِلَى هذا التوفيق الذي حصل لــه من توبيخ امرأةٍ حتَّى صار يُرجع إليه فِي الحِلِّ

والعقـــد فِي مذهب الإمام الشافعي؛ ولأن الشيخ إذا تصدَّر للمشيخة وجمع المريدين ربما سأله بعض مريديه عن نوعٍ من أنواع العبادات، فإن قال: لا أدري كان نقصًا فِي حقِّه، وإن أفتاه بغير علم فقد ضلَّ وأضلَّ، فاجتهاد الشيخ فِي معرفة الفقه أولى لـــه من غيره، فهذا ما يتعيَّن عَلَى الشيخ قبل الذكر وتربيته المريدين.

ومـــن محاســـن مـــا يتعيَّن عليه أيضًا: أن يسوِّي بين تربيته فِي تلامذته، وينـــزلهم مـــنازلهم، ويأمرهم بالطاعة، ويعرِّفهم ما يحصل لهم من الثواب عليها من الكتاب العزيز والـــسنَّة المطهَّـــرة، وينهاهم عن المعاصي، ويعرِّفهم ما يترتَّب عليها من غيبةٍ، وكذبٍ، وعقـــوقٍ، وظلـــمٍ، وأكل مالٍ، وربًا، وزنًا، وسرقةٍ، وفحشٍ، وتصفية بطونهم من غشٍّ لأحدٍ، وحقدٍ، أو مكرٍ به، أو أكل حرامٍ، وما فِيْهِ شبهةٌ؛ لقول أنس بن مالك ﷺ: قَالَ لي رســـول الله ﷺ: «إنْ قدرتَ أنْ تُمسي وتُصبح ليس فِي قلبكَ غشٌّ لأحدٍ فافعلْ[1]»، ذكره صاحب الشفاء.

ومـــن محاسن عبد الله بن وهب: أنه عطش فسقاه ملك الأمراء بيده شربةً واحدةً، فبكـــى، وندم، وقال: كنت أجد قسوتها فِي قلبي أربعين سنةً، وبعد ذلك لَمْ يتناول من أحـــدٍ بعدها، وكان يأكل بفمه ويشرب به كالدواب، فقيل لـــه: لَمْ لا تشرب بيدك؟! فقال: بِهَا جانية، إذا شربت بِهَا أخاف أن يقسى قلبي.

ومن محاسن الخير بن نعيم القضاعي: أنه كان يأكل فِي كل يومين مرةً، فناوله نائب الخليفة تفاحةً، فربط يده عشر سنين، وكان يقول: أجد حرارة تناول يده إِلَى أن لقي الله تعالى.

والفقير إن لَمْ يكن لـــه حظٌّ مع الله تعالى ليس لـــه فِي الآخرة نصيبٌ، وأين الفقير إليه؟! إن لَمْ يكل أموره كلها إليه.

وقـــال بعض السادة: من كال: (أي توكَّل عليه) أمره إِلَى الله تعالى وقاه وسقاه من كأس حبِّه.

يا ذا الذي قد سقاني من حرف كاسات الهوى

وقـــــال لـــــي: لا تغنِّـــي فتهـــتك الأستارْ

---

(١) رواه الترمذي (٥/٤٦)، وأبو نعيم فِي الحلية (٨/١٠٧).

ولـــو سقا فـــزد قـــطرةً مـــا سقانـــي للجيل
غنَّـــى وصـــاح وأضـــحى بين الجـــبال غبارْ
أضـــحوا حيارى سُكارى من غير شربٍ عقار
أضـــحوا حيارى سُكارى من غير شربٍ عقار
مـــنهم الجنـــيد تروا وبـــشرٌ مـــبشِّرٌ بالفـــرج
ومـــنْ سـنَاها الـــشبليُّ بدتْ لـــه الأنوارْ
وكـــمْ كتمَ ابنُ أدهم حاله وذا الـــنون اختفَى
فـــصـــار بـــين القـــُدَامَـــى معروفًا بالأسمارْ
قـــومٌ دعـــاهم أجابـــوا وطهَّروا أســـرارهم
وأخـــلصـــوا بالمحـــبَّة لعـــالم الأســـرارْ
فهـــمْ رجـــالُ الحقيقةِ وهمْ مـــلوك الآخـــرة
وأخـــلصـــوا بالمحـــبَّة لعـــالم الأســـرارْ
أضـــحوا حيارى سُكارى من غير شربٍ عقارْ
أضـــحوا حيارى سُكارى من غير شربٍ عقارْ
مـــنهم الجنـــيد تروا وبـــشرٌ مـــبشِّرٌ بالفـــرجِ
وكـــمْ كـــتمَ ابنُ أدهم حاله وذا النون اختفَى
قـــومٌ دعـــاهم أجابـــوا وطهَّروا أســـرارهم
فهـــمْ رجـــالُ الحقيقةِ وهمْ مـــلوك الآخـــرة
يـــا فـــوز عبدٍ آتاهم مخلصٌ وبـــاع نفسه لهم
وقـــد رأى الخِـــيام نُصبوا عَلَى خام الطـــريق
رايـــاتهم قـــد شـــالوا يراها من حـــلَّ الحمـــا
آهٍ إنْ رأيـــت الـــصواويـــن مـــع النَّدامـــا
أيـــن الفقـــير الـــصادق يكون عارفًا ومريـــد
وأيـــن التـــصوف وأهلـــه وأين سُلاَّك الطريق

ومما يتعين عَلَى الشيخ أنه لا يهزأ بالمريد، ولا يمزح معه، ولا ينكر عليه، ولا يؤذيه

بيده ولا بلسانه، وأن يعظه بالوعظ اللطيف الذي أمر الله تعالى أنبياءه؛ لقوله تعالى فِي مسألة موسى عليه السلام وأخيه هارون مع فرعون حيث قَالَ تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وفَّقك الله تعالى إِلَى هذا الحلم العظيم من الربِّ الكريم لفرعون المدَّعي الألوهية، حيث أمر نبيه باللين لـه فِي القول مع علمه به، فسبحانه لا إله إلا هو ما أرفقه بمن يشانيه، وإذا كان كذلك فكيف رفقه بمن يواليه؟!

ومما يتعيَّن عَلَى الشيخ أنه لا يكلِّف تلميذه غنيًّا كان أو فقيرًا؛ فإنه إن كلَّف غنيًّا حمل جَميلتهُ، وصار لـه اليد عليه، وقد يكون ما بيديه إليه حياءً منه، وما أُخذ بسيف الحياء فهو حرامٌ، وإن كان فقيرًا كلَّفه ما لا يطيق، وإذا فعل خالف أحكام الطريق، ودخل مع المتلبِّس بها، وامتنع من سوادهم؛ لأنه لا يدخل فِي ظلِّهم إلا من اتَّصف بالإنصاف، وتخلَّق بمحاسن الأوصاف، ومن محاسن ما أجمعوا عليه مشايخ هذه الطائفة أن أحدهم لا يشرب عند مريده الماء، ومتى شرب يكون شربه فِيْهِ شبهةٌ، ولا يتحقَّق ما تحقَّق به السادة الصوفيَّة؛ فإن محاسن تحقيقهم أنهم لا يلمذوه حتَّى يختبروه، ولا يلذُّوه حتَّى يعرفون حكم القوم وشرطهم، وأعني بحكم القوم هو ما كان عليه السلف فِي جميع أحوالهم، ومؤاخاة الصحابة، وقدم أهل الصُّفَّة، فما أحسن شرطهم؛ يخرج الواحد منهم من الدنيا وليس عليه سببيَّةٌ من أسبابها.

ومن محاسن كلام الجارودي: عدم التكلُّف، ومتى أخذ منه شيئًا من غير علمه يكون شبهةً إذا كان محبًّا، وقرر وجهًا آخرفرَّق فِيْهِ إن أُخذ بعلمه ومنٍّ يده لا يعلم سخاءه وعدم سخائه، ووجهٌ آخر إمَّا أن يكون غنيًّا يسمح به لغرضٍ أو غير سموحٍ، ولا ترضى نفسه ذلك، وإمَّا أن يكون فقيرًا، فَيقْترِض، ويأتيه بما طلبه منه بتعبٍ شديدٍ، أو يجهد فِي فعل شيءٍ بنفسه حتَّى يأتيه به، فيحصل لـه الضرر من سائر الوجوه.

وما قررناه لك إذا انتبهت لـه كفاك.

ومن محاسن ما أخبر به الشيخ عبد الوهاب الشعراني عن شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري: أن بعض طَلبتهُ طلب منه الماء، وكان عطشانًا، فآتاه بِقُلَّة ماء مبخرة، فأعجب الشيخ، وقال لـه لمَّا شرب أهل بيتك عندهم الترافة. ثم التفت، فوجده يلهث، فقال

لـــه: كأنك تعبت فِي مجيئك بالماء. فقال لـــه: يا سيدي ما أعجبني الماء الذي عندي، وخـــشيت إذا قابلكم بما لا يليق، فإنَّ جماعتي لا يصلوا إِلَى هذا، فأخذت هذه القُلَّة من بيت فلانٍ جاري؛ لعلمي بنظافتهم. فتبسم الشيخ، وأرسل خلفه صاحب البيت، واعتذر لـــه، وقال: نحن لا نكلِّف طلبتنا، ولا من يأخذ عنَّا العلم.

فما أدقَّ هذه من مثل شيخ الإسلام، وأهل الباطن يدققون أعلَى من هذا.

وممـــا يتعيَّن عَلَى التلميذ أنه ينظر إِلَى شيخه بعين الإجلال والتعظيم، والاعتقاد التامِّ، ولزوم الأدب فِي الكلام، وعدم الضجر منه، والهدر عليه، وإطراق الرأس عند كلامه، كما بيَّـــنا فِي كتاب «موارد الإلهام» أن بعض المريدين أقام يخدم شيخه مدةً طويلةً لَمْ يعرف ما فِي وجهه من الحياء وعدم تأمله، ولا يستعذر لـــه مطعمًا ولا ملبسًا ولا مشربًا، كما قرَّرنا أن بعض المشايخ نظر إِلَى خادمه، فوجده يبكي، قَالَ لـــه: ما يبكيك؟ فقال لـــه: تأســـفًا عَلَى حالي معك. فقال لـــه الشيخ: يا طول بكائك. فسلب لوقته، فجاؤوا إِلَى الشيخ، واعتذروا إليه، فحدَّد لـــه خمس سنين، فما رجع إلا عند تمامها، فلمَّا رجع إليه قَالَ لـــه: تبت الآن؟ قال: نعم. فقال لـــه: اعرف قدر المشايخ، وما أعطاهم الله تعالى من المواهب.

ومن محاسن ما يتعيَّن عَلَى التلميذ: الاعتقاد فِي شيخه، وعدم التعرُّض لـــه بقولٍ أو فعـــلٍ؛ فإنـــه إذا لَمْ يعتقده لَمْ ينتفع به، ويجب عليه أن يسمع من شيخه، وإذا أمره بأمرٍ يُجيـــبه ويمتثله، ولو كان صائمًا ودعاه أجابه امتثالاً لأمره، كما وقع لابن واصل أنه دعا تلمـــيذًا لـــه فِي رمضان ليأكل، فقال لـــه: إن لَمْ تخبر الفقراء إلا خفت وتب من هذا الوقت، فقال: أكلت فِي هذا الوقت، وقلت فِي نفسي: ما عليَّ من الشيخ؟ فبكى الشيخ، وقال لـــه: لولاه ما قدم ما تَمَّ لك.

هـــذا وحكـــي أنَّ رجلين قدما عَلَى شيخٍ يزورانه، فأمر تلميذه أن يأتي لهما بشيءٍ يأكلانه، فأَتَى به لهما، وإذا برجل قد أقبل، فقالا لـــه: كُلْ معنا. فقال: إنِّي صائمٌ. فقال أحـــدهم: كُـــلْ، وأنا أضمن لك عَلَى الله أجر صوم شهرٍ. فامتنع، فقال لـــه الثاني: كُلْ معنا، وأنا أضمن لك عَلَى الله تعالى أجر صوم سنةٍ. فامتنع، فقال الشيخ: دعوا من سقط من عين الله تعالى.

ومـــا رأينا للتلميذ هنا ما أوجب ما ذكر؛ فاتُّهم التلميذ بعد ذلك بالسرقة، وقُطِعَت يده.

ومن محاسن ما أخبر به النويري فِي كتابه: أنَّ شيخا تغيَّر خاطره عَلَى تلميذه، فأراد أن يريه كرامةً، فنــزع الشيخ خاتمه من يده للتلميذ، وقال لـــه: خُذْ هذا الخاتم، وانظر إِلَـى الأرض، فنظر التلميذ إِلَى الأرض، وألقى الخاتم فِي جهنم، والتلميذ ينظر إليه، فقال لـــه الشيخ: لولا حقُّ التربية أسقطتك فِي جهنم، كما أسقطت هذا الخاتم؛ فتاب التلميذ، وزاد اعتقاده فِي شيخه، ولازم مجالسه وأوراده.

وهـــذا قليلٌ من كثيرٍ من أمر الشيخ والمريد، ومن هنا أبيِّن لك آداب الذكر، وفضل الجهر به، وما نقل عن العلماء مبينًا.

ومن محاسن ما نقله العلامة الجلال السيوطي فِي نتيجة الفكر: أن ما اعتاده السادة الصوفيَّة من عقد حلق الذكر والجهر به فِي المساجد ورفع الصوت بالتهليل لا كراهية فِي ذلـــك، وهـــذه عادةٌ حسنةٌ وردت فيها الأحاديث باستحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتـــضي الإسرار به، والجمع بينهما أولى، وذلك يختلف باختلاف الأحوالِ والأشخاص، كمـــا جمـــع الإمام النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث باستحباب الإسرار بها، والصحيح فِي أثناء الليل فضلٌ لا يُحصى، لا سيما من جماعـــةٍ يشوقون إِلَى أعمال الخير، ويرغبون بعضهم بعضًا، ويستعينون عَلَى إحياء الليالي بالأوراد القرآنيَّة وذكر الله تعالى، لا يفترون عن الملائكة، وتشهد لهم به الأمكنة والأزمنة والساعات والأوقات والليل والنهار.

ومـــن محاسن ما أخبر به الشيخ شمس الدين محمد الرملي الشافعي عن والده: أنه كان إذا جاء من درسه من الأزهر يشقُّ من حارة اليهود، ويأتي من أماكن مهجورةٍ، فقيل لـــه: ما فِي ذلك؟ فقال أريد إحياء البقعة والأماكن الميتة، ولو كان ينوب كل قدم حصته من حرف أحياه الله تعالى ببركته، وذهبت عن ظلمة هولاء الكفرة، واختصر ذلك جميعه بقوله فِي بعض كتبه: (أردت إحياء الأماكن التي أمرُّ بها). وأظنه لغزارة فهمه ورغبته فِي الأجر وعدم تضييع الأوقات بغير عمل عملاً بالحديث الذي خرَّجه ابن أبي الدنيا عن أبي عبـــيد قال: إن المؤمن إذا مات نادت بقاع الأرض: عبد الله المؤمن مات. فتبكي عليه الأرض والـــسماء، فيقول الرحمن جلَّ وعلا: ما يبكيكما عَلَى عبدي؟ فيقولان: ربنا لم

يمش فِي ناحية منَّا قطُّ إلا وهو يذكرك. أخرجه ابن جرير فِي تفسيره عن ابن عباس فِي قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩] (١).

وجه الدلالة من ذلك: أن سماع الجبال والأرض للذكر لا يكون إلا عن الجهر به.

ومن محاسن أحاديث البزار والحاكم فِي (المستدرك) فيما صحَّحاه فِي حديث جابر قال: خرَجَ علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيُّها النَّاس، إنَّ لله سرايا من الملائكة تحلُّ وتقف عَلَى مجالس الذكر فِي الأرض؛ فارتعوا فِي رياض الجنَّة. قالوا: وأين رياض الجنَّة؟ قال: مجالس الذكر؛ فاغدوا وروحوا فِي ذكر الله تعالى(٢)»، حديثٌ حسنٌ فِي «الجامع الصغير».

وفِي الزيادة: إن الأرض تفرح بالذاكر وتتباهى به، وتفتخر عَلَى البقعة التي يجانبها، وتفرح بقدوم الذاكرين، وتهتم لغيابهم، والشاهد فِي القرآن بكاء البقعة انتهى.

وقال بعض العلماء: الذكر من الله تعالى المغفرة والعفو، فإذا ذكر العبد ربَّه ذكره بالمغفرة، وشهد له كلُّ شيءٍ سمعه: من صامتٍ، وناطقٍ، فهذا دليل فضيلة الجهريَّة بالذكر.

ومن محاسن الترغيب فِي الجهر بالذكر: ما أخرجه مسلم والحاكم واللفظ له عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: «إنَّ لله تعالى ملائكةً سيَّارةً وفضلاً، يلتمسون مجالس الذكر فِي الأرض، فإذا أتوا عَلَى مجلس ذكرٍ حفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم إِلَى السماء، فيقول الله تعالى وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك يسبِّحونك ويكبِّرونك ويحمِّدونك ويهلِّلونك ويسألونك ويستجيرونك. فيقول وهو أعلم: ما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك عن الجنَّة. فيقول وهو أعلم: وهل رأوها؟ فيقولون: لا يا ربِّ. فيقول الله تعالى: فيكف لو رأوها. فيقول الله تعالى وهو أعلم: وممَّا يستجيروني؟ فيقولون: من النَّار. فيقول وهو أعلم: فهل رأوها؟ فيقولون: لا يا ربِّ. فيقول الله تعالى: أشهدوا أنِّي قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوني، وأجرتهم مما استجاروني. فيقولون: ربَّنا، إنَّ فيهم عبدًا خطَّاءً جلس إليهم وليس هو منهم. فيقول: وهو أيضًا قد غفرت

(١) رواه الطبري فِي تفسيره (٢٥/١٢٤).

(٢) رواه الحاكم فِي المستدرك (١/٦٧١)، وأبو يعلَى فِي مسنده (٣/٣٩٠).

لــه؛ هم القومُ لا يشقى جليسُهم[١].

ولهــذا الحديث أدلَّةٌ ذكرتها الأئمة الحفَّاظ، وفِي فتح الباري للحافظ ابن حجر الذكر بين الذاكرين معناه: أن العبد لا يقدر عَلَى ذكر الله تعالى إلا بمعونةٍ منه؛ فلا يذكره ما لَمْ يذكره بالتوفيق، فإذا ذكره الله تعالى ذكره العبد، ومن ثم قيل لرابعة العدوية: إذا تاب العبد يــتوب الله تعالى عليه؟ قالت للقائل: لا تقلْ إلا: إذا تاب الله تعالى عَلَى العبد تاب، وإذا أيقظه للذكر شهد لــه كلُّ شيءٍ سمعه.

ومــن محاسن ما يقوي به الشيخ عَلَى إحياء الليالي: ما ورد فِي «صحيح البخاري» عــن أبي هريرة قال: قَالَ رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «أنَا عند ظَنِّ عبدي بِي، وأنَا معــه إذَا ذكرني، فإنْ ذكرني فِي نفسه ذكرته فِي نفسي، وإنْ ذكرني فِي ملإٍ ذكرته فِي ملإٍ خيرٍ منهم[٢]» والذكر فِي الملإ لا يكون إلا جهرًا.

ومــن محاسن روض الرياحين عن شاهين التوني قال: رأيت فخر الفارسي، فسلَّمت عليه، فقال: اجلسْ ها هنا تشهد، فجلسنا نذكر الله تعالى، وإذا بسبعٍ مرَّ بنا، فقال: هذا أحــد الشهود، ووقعت لبنةٌ، فقال: شاهدٌ ثانٍ، والمكان والزمان، وما عليك؟ فبكيت، فــسمعت الأرض من تحتي تقول: صدق فخرٌ. وقال: يا شاهين، يومئذ تحدِّث أخبارها بــأن ربك أوحى لها. فحدثتني نفسي أن ذلك فِي وقت حشر الناس، فقال: تأدَّب، أما كان لك فيما سمعت كفايةٌ؟! فعلمت أنه من باب الكشف.

وها أنا أبيِّن لك محاسن القوم.

ومن محاسن «إثبات الدراية عن سرِّ الولاية» للنقَّاش: أن الكون ومن فِيْهِ من عجائب القدرة شغل المتعجِّب عن صانع الصنعة؛ إذ هو منتهى الطالب، وليس للمكاشف بما دون الله تعالى دليلٌ عَلَى الوصول، ومن قطع علائق طمعه من الدارين وصل إِلَى نهاية التحصيل بتوفيق: «أنَا جليسُ مَنْ ذَكَرَنِي[٣]».

وليس ذكر الله تعالى عند أهل التحقيق إلا باستيلاء المذكور عَلَى الذاكر بنفِي ما

(١) رواه مسلم (٢٠٦٩/٤)، والترمذي (٥٧٩/٥)، وأحمد (٢٥١/٢).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٤/٦)، ومسلم (٢٠٦١/٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة فِي المصنف (١٠٨/١)، والبيهقي فِي الشعب (٤٥١/١).

سواه، وحينئذٍ صحَّ التوجُّه إِلَى من يقصم حبَّه من الالتفاتات إِلَى محلِّ الجهات، ولا جهة لمحقق لا يوصف باليمين والشمال والفوق والتحت، ومَنْ عَرِفَ الحيَّ القيوم بتعريفه لــه لَمْ يرَ لــه حركةً فِي جوارحه إلا بقيوميةٍ تستولي عَلَى نفِي (لي) و(عليَّ) و(بي)، وصحَّ التوجُّه بالقديم الأزليِّ، لا بمعنى محدثٍ، والقديم والحديث من المعاني حاضرٌ غير منتظرٍ بالمستقبل، ولا ماضٍ بالماضي؛ لأن الفاعل فيها هو الحاضر معنا، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]؛ فلا تشغل قلبك بعدد الآحاد والمئات والألوف فِي مستقبل الزمان وماضيه؛ فما ثَمَّ إلا واحدٌ يحكم بحكمه، خبيرٌ بصيرٌ مدبِّرٌ مختارٌ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، وإن تدبَّرت فِي جمع الجمع: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧] الآية، والسرُّ فِي جمع الجمع متفقٌ عليه عند الصوفية، وأحد الأسرار كقول بعض العارفين لهذه المعاني:

سرُّ جمع الجمع لمَّا انتشر عمر الندمان

رقص الكون وغنَّى حين ظهر وأظهر الألحان * وكتب لي فِي معانيها وصولٌ من كريمٍ وهَّابْ

ويقول بعضهم: رقص الكون وغنَّى طربًا، صاحت الأرواح.

فهذا شاهد معنى جمع الجمع تفهمه السادة الصوفيَّة، وهذا رمز مثال أهل التحقيق، إذا دقَّق العارف فِيْهِ فكره عرف القصد، وترك الخوض وصاحب البيت، إذا انتهى ذكر القوم.

ومــن محاسن شعب الإيمان: ما ذكره البيهقي عن أبي الجوزاء من حديث أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثِروا ذكرَ الله تعالى حتَّى يقولُوا: مَجْنُونٌ[1]».

وفِي حديث آخر: «أَكْثِرُوا ذكرَ الله تعالى حتَّى يقولَ المنافِقُون إِنَّكُمْ تُراؤُون[2]»، قَالَ شيخ الإسلام السيوطي: مرسلٌ.

---

(١) رواه ابن حبان فِي الصحيح (٩٩/٣)، والحاكم فِي المستدرك (٦٧٧/١).

(٢) رواه الطبراني فِي الكبير (١٦٩/١٢)، وأبو نعيم فِي الحلية (٨١/٣).

ووجه الدلالة من هذا والذي قبله: أن ذلك إنما يُقال عند الجهر دون الإسرار، وهذا الذكر إذا خلص فِيْهِ العبد انقاد لـــه كلُّ شيءٍ.

قال الشيخ عبد الوهاب ﷺ: الذكر لا يكون إلا بسيف عزم الإخلاص، حتَّى يصل إِلَى الوجه الذي برؤيته يهدأ الصلب الحتِّيُّ؛ ليطيب المنقلب القدسيُّ بشهادة من لا يُشَكُّ فِي شهادته وقربه؛ حيث يقول رسول الله ﷺ: «لا راحةَ للمؤمنِ دون لقاء ربِّه[1]»، فإنْ عكــف المنــيب بخاطره عَلَى شيءٍ دون الذي ليس كمثله شيءٌ تعيَّن خسرانه وضعف إيمانــه؛ فإنَّـــا لله وإنَّا إليه راجعون عَلَى مصيبةٍ حلَّت بصوفيَّة الوقت إذا طولبوا غدًا بما أظهـــروه مـــن الخشوع والنسك، وعَلَى هذا انعقدت بواطنهم عَلَى النفاق والإفك، لا يخافون من الفضيحة، ولا يقبلون النَّصيحة والسَّلام.

وقـــال عـــارف الـــوقت محيي الدين بن العربي: حضرت مجلس ذكرٍ، فتكلَّمت فِيْهِ الطائفـــة، فقـــام من بينهم غلامٌ، وقال: الذاكر تنطق كل جارحةٍ لـــه بذكرٍ، فوالله لقد سمعت لكل جارحةٍ فِيْهِ تنطق، وقال ابن عين الحياة: أزلت شعرًا كان عليَّ، وأردت رميه بمكانٍ آخر، فناداني: ألحقني بإثرك؛ لأكون معك واقفًا، بين يديه شاهدًا ناطقًا.

وقال الشيخ زكريا الأنصاري: العبارة عن الكبير المتعال مع الإصابة غلطٌ، والكفُّ عن العبارة بمعنى: أصمه وأعماه وأبكمه هو عين الإصابة.

ولله درَّ من قال:

ألا ليـــتني أصـــمٌ وأعمًى تقودني   بنـــيَّةٌ لا يخفـــى علـــيَّ كلامُهـــا

فكـــنْ حـــذرًا فطنًا، ولو رأيت أنموذجًا من ذلك فإن الملاك مودعٌ فِي دعوى العلم الصادر من غير حجَّةٍ، ولله الحجَّة البالغة.

أتـــسألُ عن ليلى وأنت ضجيعُها   وتكـــتمها حيـــنًا وحيـــنًا تذيعُها

فـــلا أنـــت إيَّاها ولا أنت غيرها   وشـــاهد هـــذا حين كنتَ سميعَها

عَلـــم ذلك من عَلِمَ، وجَهِل ذلك من جَهِلَ، يا أخي ليس كلُّ ذاكرٍ ذاكرًا؛ فإنَّ ذكر الله تعـــالى يشهده كل صامتٍ وناطقٍ، وشاهد هذا ما ورد فِي «ستر البيهقي» برواية أبي داود: «إِنَّ الجـــبلَ ليناديِ الجَبلَ باسْمِهِ: يا فلانُ هَلْ مرَّ بِكَ اليومَ ذاكرٌ لله تعالى؟ فإنْ

(١) ذكره العجلوني فِي كشف الخفا (٢/٢٢٥)، والذهبي فِي السير (١/٢٩٠).

قَالَ: نَعَمْ اِسْتَبْشَرَ[(١)]))، حديثٌ صحيحٌ باتِّفاق الحفَّاظ، وقال المنذري: حديثٌ حسنٌ.

ونقل أن: قارئًا قرأ عند عبد الله بن عمر من أوَّل سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] حتَّى بلغ قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾[مريم: ٩٠، ٩١]، فبكى، وقال: واحسرتاه؛ إن فِي هذا السورة حكمًا تحيَّر فِيْهِ العقول، والله ما اتَّخذنا عند الله عهدًا إلا بالمسامحة منه، ولا قلنا: اتخذ الله ولدًا، وعلمنا أن كل شيءٍ شاهدٌ لنا وعلينا، وكلٌ جارحة ناطقةٌ بما فعلنا، واحسرتاه عَلَى قومٍ يصغون إِلَى اللغو، ويسمعون الزور، ولا يسمعون إِلَى الخير، واشوقاه إِلَى قومٍ لا يشهدون الزور، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان:٧٢]؛ فافهم من العبارة، واعرف هذه الإشارة.

ومن محاسن قول ابن دقيق العيد فِي معنى قول الصحابة للنبيِّ ﷺ: ((أنأتِي شهواتنا ونُؤْجَرُ؟ فأجابَهم عليه الصَّلاة والسَّلام كالمتعجِّب منهم بقوله: أرأيتم إنْ وضعتوها فِي غير حِلٍّ، ألستم تُوزَرُوا؟! فقالُوا: بَلىَ. فقالَ لَهم: تَحْسِبُون الشَّرَّ، ولا تَحْسِبُون الخير[(٢)])).

معنى هذا: إنما هي أعمالكم أحصاها الله تعالى، وإن نسيتم أنتم، وبيان ذلك فِي شهادة أعضائكم.

ومن محاسن ما قرَّره البغدادي فِي كتاب ((الجواهر)): أن تقوية ذكر الذاكر بشهده؛ فإن مشهد الذاكر معينٌ له، وفيما ذكرنا لك كفايةٌ من شهادة الزمان والمكان والأعضاء.

قالت أكابر الصوفية: قوة ذكر الذاكر شهده، وإذا علم الإنسان أن كلَّ ما يمرُّ به يشهد له أو عليه استيقظ.

وأفاد الجنيد أن بعض الذاكرين ذكر الله تعالى، وكان فِي بقعةٍ مهجورةٍ فِي فلاةٍ،

---

(١) رواه الطبراني فِي الكبير (٩/١٠٣)، والبيهقي فِي شعب الإيمان (١/٤٠٢)، وأبو نعيم فِي حلية الأولياء (٤/٢٤٢).

(٢) رواه الحكيم الترمذي فِي النوادر (٣/١٩٢).

فتنفس فيها، فنبتت نباتًا حسنًا، وزكى ذلك النبات ونما، فبكى ذلك العارف حتَّى غُشي عليه، وقال: نفسٌ فِي النباتات أظهرها، فكيف لا يقيم القلوب المفتوحة؟! فلمَّا خَرَجَ من تلك البقعة ودَّعته، وطلبته لمَّا مرَّ عليها ثانيًا: أن عُدْ إليَّ. وكان خطابِهَا بلسانٍ عربيٍّ طلقٍ فصيحٍ.

قلت: وشاهد هذا حديثٌ أخرجه ابن جرير فِي تفسيره: أن المؤمن إذا مات بكى عليه من الأمكنة المحلُّ الذي يذكر الله تعالى فيه، ويذكره بما كان يصنع، ويجعل الله تعالى لــه بدلاً بنيته[1]، وحديث: «إنَّ الله تعالى يُبَاهِي بالذَّاكرين الملائكة[2]»، وحديث: «إنَّ الله تعالى يَنْظُرُ لأنفاسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُم[3]»، فالأنفس يصعد ذكره إِلَى ساق العرش.

ونقل المنذري: أن كلَّ جلالةٍ لها مشهدٌ من أسماء الصفات؛ فافهم ما قرَّرناه لك.

وقال الروياني: ذِكر الله تعالى أعلَى الأذكار، والجلالة اسم الله العظيم الأعظم.

ونقــل الجنيد: أن الله تعالى يباهي بالذاكرين ملائكته، وإن العبد إذا زهد الدنيا ناداه كل شيءٍ زهد فيه: اللَّهُمَّ أيقظ قلبه، واسلبه حبَّ الدنيا.

وقــال ابن صبيح: من أخلص سريرته فِي ذكره طوى الله تعالى لــه البعيد، وسهَّل لــه القريب، وخدمته الدنيا راغمةً، وما سأل الله تعالى فِي شيءٍ إلا أعطاه إيَّاه.

وقــال ابن كثير: الذكر سلاحٌ قاطعٌ، وسيفٌ باترٌ، وجوهرٌ يرى به العبد ما بعُد من الجــبال الخافية الخالية، ولو همَّ الذاكر لله تعالى أن يُحيي الموتى لفعل، أو يوصل الأحياء لوصل انتهى.

من كلام الجنيد لبعض مريديه: عليك بطاعة الله تعالى تفزْ، واستعمل الإخلاص تغنمْ، وتــزود إِلَى الآخرة باستعمال الأوراد فِي الصباح والمساء؛ فإن الذكر عملٌ لــه نتيجةٌ، وهــو وقايــةٌ للذاكر، وحرزٌ من الشيطان، وأمانٌ يوم الفزع الأكبر، ويمر به العبد عَلَى الصراط، ويُدخِله الجنَّة. ثم بكى، وقال: إن البقاع شاهدةٌ، وإن الله تعالى يعطي الذاكرين ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت انتهى.

---

(١) رواه الطبري فِي تفسيره (١٢٤/٢٥، ١٢٥).

(٢) رواه الترمذي (٤٦٠/٥)، وابن حبان فِي الصحيح (٩٥/٣) بنحوه.

(٣) لم أقف عليه.

وقال بعض العارفين متوسلاً إِلَى الله تعالى بهذه الأبيات:

يـا سـيدي مـا خابَ مَنْ لك قصدَ ... يـا واحـدًا فِـي مُلكـه أنت الصمدْ
يـا خالـقَ الأرضـين مـع فَلَـوَاتِها ... يـا رافـعَ السَّبعِ الطـباق بلا عمدْ
يـا منتهـى سُـؤلي ويـا كـلَّ الْمُنى ... جاهـي وزخـري يـا مهيمنُ يا أحدْ
يـا مَـنْ عَلَى العرش العظيم قد استوى ... مـن غـيرِ تَكَـيُّفٍ ولا آنٍ يُحَـدْ
يـا مَـن تَعَـرَّفَ للخلائـق كلِّهـم ... بالعفـو والفـضل الـذي مـنه نُمَدْ
فاحـننْ علـيَّ وكـنْ لكسري جابرًا ... واخـتمْ بخـيرٍ لي إذا سـرِّي نَفَـدْ
وارحمنـي واغفـر لي ولا تنظـرْ إِلَـى ... عملـي فإنِّـي عاجـزٌ طـول المدَدْ
مـا لِـي شـفيعٌ غـير جـاه محمَّـدٍ ... خـيرِ الأنـام وخيرِ من لك قَدْ حَمَدْ
متوسـلٌ يـا ربِّ مَـنْ لِـي سـيدي ... أرجـوه غـيرك يـا إلهـي يـا سَنَدْ

ومن محاسن مراتب علوِّ هذا المعنى:

يـا أيُّهـا العـبدُ الـضعيفُ إِلَى متى ... نقـصي الإلـه وأنـت فِي عيشٍ رغدْ
قُـمْ وانتـبه ضيَّعت عمرك فِي اللُّها[(١)] ... فِـي الزمان فما لـه من عِوَضٍ يَجِدْ
دُنْـيَاك دارُ الـرِّبحِ فاتْجِـرْ يـا أخي ... يـا نائمًـا فِـي غفلـةٍ مع مَنْ رَقَدْ
وأَكثِـرْ مـنَ التَّوحيد فِي جُنْحِ الدُّجَى ... فالذِّكـرُ ركـنٌ للخلائـق يُـستَندْ
كَـمْ ذاكـرٍ قـد قام فِي جُنْحِ الدُّجى ... حـاز الـنَّجابةَ والـنَّجاةَ ومـا وُعِدْ
بلغـه مـا يـرجوه مـن كرمٍ ومن ... سُـؤْدُدٍ عَلَـى طـول الليالِي والْمُدَدْ

ومن محاسن الآثار ما أخرجه البزار والبيهقي بسندٍ صحيحٍ عن ابن عباس قال: قَالَ رسـول الله ﷺ: «قال الله تعالى: عَبْدِي إذا ذكرتني خاليًا ذكرتُك خاليًا، وإذا ذكرتنِي فِي ملإٍ ذكرتُك فِي ملإٍ خيرٍ منهم[(٢)]» وأكثر.

وقـال الطـبري: ومَـنْ أحسن أحسن الله تعالى إليه، وإنْ رفعَ الصوت تُباهى به الملائكةُ، ويشهدُ لـه كل شيءٍ سمعه، حتَّى الحيتان فِي البحر.

---

(١) لهي عن الشيء لُهيًّا: أي سلا عنه، وأضرب عنه، وترك ذكره، وأعرض عنه.

(٢) رواه البيهقي فِي الشعب (١/٤٠٦)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٠/٧٨).

قلت: ما زاده الطبري تنبيهٌ للجهر بالذكر.

وحديث راقد بن أسلم قال: قَالَ ابن الأذرع: انطلقت مع رسول الله ﷺ، فمرَّ برجلٍ فِي المسجد يرفع صوته، قلت: يا رسول الله، عسى يكون هذا مرائيًا. قال: «لا، ولكنَّه أوَّاهٌ[(١)]».

قــال بعض الحفاظ: هذه مدحةٌ للقائل، وعدم اعتراضه لــه دليلٌ عَلَى فضل الجهر بالذكر، وما خرَّجه البيهقي عن جابر: أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر، فقال رجلٌ: لو أن هذا خفض من صوته. فقال النبي ﷺ: إنَّه أوَّاهٌ. وفِي رواية: دَعْهُ؛ فإنَّه أوَّاهٌ[(٢)].

قال الإمام الذهبي نادرةً لطيفةً: كان بعض السادة يذكر الله تعالى فِي خلو فلاةٍ ويرفع صوته، فانبحَّ حلقه بمرضٍ اعتراه، فجلس يذكر الله تعالى عَلَى جاري عادته خافضًا صوته، فنادته الأرض: شفاك الله تعالى، وأزال ما بك. فلمَّا قام دعا لــه كلُّ مكانٍ وصل صوته إليه، فشُفِي لوقته، ذكره فِي مشاهد أهل التحقيق.

وقال كثيرٌ ممن شرب بكأس الرضا: فلم يجد أحدًا فِي المستقبل ولا فيما مضى فقبل منَّته وغذي رحمته حدَّث بما مَنَّ عليه، وما أبداه من النعيم عليه قديمًا وحديثًا، إن شعار العارفين مهنةٌ وغلبةٌ وحيرةٌ، وشعار الطالبين بث علائق ما دونه بنور توفيق علم اليقين، فكلما أقلَّ لا حاصل لــه، وكلما بقي بصفة التبليغ فواجبٌ إثباته من طريقٍ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، والمأمور عندنا هو الأمر بشهادةٍ فِي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، ولكن بقي مكان العقل يثبت شرعًا وينفِي حقيقةً، ومما ذكره دقائق لا تؤدي العبارة كنه حقيقتها، ومن ثَمَّ صمم العارف إِلَى فناء الغنى لابسًا خُلعة: «وسعني قلبُ عبدِي المؤمنِ[(٣)]»، متوَّجًا بتاج الخضوع، ومرتديًا برداء عدم البيان، فبقاء القديم أوجب فناء الحديث، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]: أي كيف أسلك ولا جهة، ومن أين أثبت ولا سوى.

---

(١) رواه البيهقي فِي الشعب (٤١٧/١)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٤٥٧/١).

(٢) رواه عبد الرزاق فِي مصنفه (٥٢٢/٣).

(٣) رواه ابن أبي عاصم فِي الزهد (٨١/١)، وذكره القاري فِي المصنوع (١٦٤/١)، والعجلوني فِي كشف الخفا (١٢٩/٢).

شعر:

كفُّـه خـالٍ قـد بـلاني بالـوله فمقـالي مـن مقـال مـولَّهْ
فلـساني ذاكـرٌ مـن ذكـره أثـبت الأعمـال بـني ذو البلهْ
كـم أقاسـي عـيلةً مـن حـيره جـلَّ معنًـى قـد هـداني سـبيلهْ
فالمعـاني فِـي المـثاني حُجَّتـي قـرأ السـرَّ الـذي قـدْ أنـزلهْ
أنـا حـرفٌ مـن حروفٍ قُطِعَتْ أنكـر المنكـر شـيئًا جهلـهْ
فـإذا قـستُ بحـالي غـيره قلـت: جـلَّ الله فـيما فعلـهْ

وقال ابن العريق: رأيت بعض العارفين طائفًا بالبيت، وهو يذكر الله تعالى، فقلت: مـا هـذا؟ قال: رقية مقامًا ما وصل إِلَى مثله، وأنا ما وصلت إليه إلاَّ فِي هذه الساعة، فاعتراني من هيبةٍ. فقام، ثم قَالَ مناديًا لحال: يا أرباب التشوُّق، هلمُّوا؛ فعسى تجدوا عَلَى الـنَّار هدًى، ويا أُسراء[1] الشهوات سارعوا بالتوبة؛ فعسى أن يخرج توقيع: إمَّا منًّا بعدُ وإمَّـا فداء. فذهلت من كلامه، فأشار إليَّ، وإذا بالأرض تضجُّ، وترتجُّ، فعرفت قدره، فقـال لي: الدنـيا بين أعين القوم كالمرآة يخاطبون ما أرادوا منها، وإن الأرض تستأنس بالذاكرين فيها، وحدِّث عن الله تعالى ما شئت أهل العقول.

قـال العـارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: هذه المسألة فِي كتابه المسمَّى «بالميزان» وأوسع فيها العبارة، فسبحان المنعم عَلَى عبيده بالمواهب.

وهذا القسم الذي قالوا: لو عرفوا الملوك ما نحن عليه لقاتلونا بالسيوف، فهذه محاسن أهل الذكر.

وقال شداد بن أوس: كنا عند النبيِّ ﷺ إذ قال: «ارْفَعُوا أيديَكُمْ، فقولُوا: لا إِلَه إلا الله. ففعلنا، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّك بعثتني بِهذِهِ الكَلمةِ، وأمرتني بِها، ووعدتني علـيها الجَنَّة، إِنَّك لا تخلفُ الميعادَ. ثم قال: أَبْشِرُوا؛ إِنَّ الله تعالى قد غفرَ لَكُمْ[2]»، وذلـك لمَّا رأى من برهان ربِّه، وما أعطى الله تعالى للذاكرين، ثم بشَّرهم بقوله ﷺ: «لله تعـالى سيَّارةٌ مِنَ الملائكةِ يطلبُون حلَقَ الذِّكرِ، فإِذَا أَتَوْا عليهم حفُّوا بهم، فيقول الله

(١) جمع أسير.
(٢) رواه أحمد (٤/١٢٤)، والحاكم فِي المستدرك (١/٦٧٩).

تعالى: اغشوهم رحمتي؛ فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم[(١)]» أخرجه الطبراني فِي الكبير فِي فضل أهل الصُّفَّة.

من حديث عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت عَلَى رسول الله ﷺ وهو فِي بعض آيات قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]، فخرج يلتمسهم، فوجد قومًا يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلمَّا رآهم جلس معهم، وقال: «الحمدُ لله الذي جعلَ فِي أمَّتي مَنْ أمرني أنْ أصبرَ نفسي معهم[(٢)]».

فهذا مما يرغِّب فِي الطريق والتماس أهلها، ويرغِّب فِي أهل الأوراد وإحياء الليالي، وما وعد به الشرع حقٌّ.

وما أخرجه الإمام أحمد فِي كتاب «الزهد» عن ثابت قال: كان سليمان فِي عصابة يذكرون الله، فمرَّ النبيُّ ﷺ، فكفُّوا، فقال: «إنِّي رأيتُ الرَّحْمَةَ تَتَنَـزَّلُ عليكُمْ، فأحببتُ أَنْ أُشَارِكَكُمْ فيها»، ثم قال: «الحمدُ لله الذي جعلَ من أمَّتي مَنْ أُمرتُ أَنْ أصبرَ نفسي معهم»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٦][(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: الآية الشريفة ليست هي من لفظ الحديث، وإنما هي دليلٌ عَلَى محبَّة الله تعالى لأهل الذكر، وفِي «معجم الطبراني» نزَّل الآية ليعلمهم أنهم من أهل المحبَّة، وساق الجلال السيوطي هذا الأثر، ولم يذكر فِيْهِ الآية فِي فضل الجهر بالذكر. ومن محاسن ما نقله الإمام الجيلي عقب ذلك: لمَّا سمعت قلوب العارفين قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] وضعوا أرحالهم عَلَى منجب العزائم، وتزوَّدوا من الدارين زاد القناعة، وسيروا ما فِي مهامه الوحدانيَّة، وحدُّوها بأنغامٍ روحانيَّةٍ وألحانٍ ربانيَّةٍ؛ لتطرب

---

(١) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٦/٢٦٨)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٠/٧٧).

(٢) رواه أبو داود (٣/٣٢٣)، والطبراني فِي الأوسط (٨/٣٥٨)، وابن عدي فِي الكامل (٦/٢٩٨)، وأبو نعيم فِي الحلية (١/٣٤٢).

(٣) رواه الحاكم فِي المستدرك (١/٢١٠)، وأبو نعيم فِي الحلية (١/٣٤٢).

وتسلو عن آمال الأمنيَّة والعلل الحسيَّة، فإذا عزمت بمكان تأمن فِيْهِ من قطع القاطع ومنع المانع سمعت قرَّاء الترحيب وجلساء الحبيب من غير جهةٍ: مرحبًا بالذين يريدون وجهه، فـلا يـزالون فِـي منادمة الحبيب، وجوار القريب المجيب إِلَى أن يلوح لهم نور الجلال، وتـستولي عليهم هيبة الجمال، فلا يجدون إِلَى اللقاء سبيلاً، ولا إِلَى الرجوع دليلاً، قد غابوا فِي حال الحضور، وانماعوا من ظهور النور.

شعر:

يَلـوحُ لهم فِي حضرةِ الحقِّ شاهدٌ ... يـدلُّ عَلَـى أن الـشواهد وَاحِـدْ

فـلا عـارفَ يَفْنَـى ويبقى بحاله ... ولا مخـبرَ عـن صـادرٍ ووارِدْ

فـيا مـن عاين رتب القوم ولم يهجر مضاجع النوم اقرأ عَلَى النفس إذا ونَّت بغتة المنون، وقل لها: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦]، فإذا سمعت بإذن القبول امتـثلت للسعي فِي طريق: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧]، فإذا سلكت السبيل فعاجلها بالرفق؛ خشية أن تملَّ؛ فالقليل من العمل الخالص خيرٌ من الكثير المشاب، وأهل الهمم قد اعتزلوا عن الوجود فِي فناء حضرة الشهود، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنبـياء:١٠٣]، فإذا بقيت فيهم بقية التبليغ أخذت منهم، وبلَّغت عنهم، فالقناعة رأس مال الفقير، والهلع يزيد صاحبه يأسًا، وبالله المستعان، فإذا كنت ممن يعقل فكنْ راضيًا بسوابق العبادات؛ فإنَّها سهامٌ صائبةٌ، تصدر من حكيمٍ بـصيرٍ، وإيَّاك! إيَّاك! من جهل السخط؛ فإنه يُورث البعد من الحضرة زمانًا طويلا، والله عَلَـى كل شيءٍ قديرٍ، وإنما ذكرت بك هذا لتعرف حال أهل الذكر وما هم عليه، وما شهد لهم به الكتاب والسنَّة، وأن لهم التصريف ومقام التشريف، وهذه الطائفة أهل المقام الأكبر والعزِّ الأفخر.

ومـن محاسنهم: أن الواحد منهم لَمْ يزل فِي الأوراد والأذكار وإحياء الليالي والنهار حتَّى يلقى الله ﷻ.

ومن محاسنهم: أن أقوالهم غيبيَّةٌ، لا جدال فيها، وأسرارهم معنويَّةٌ، خُلقهم القرآن، لَمْ يعترضـون عَلَى أحدٍ من خلق الله تعالى، وسرُّهم مع الله تعالى، وحالهم لا يعلمه غير الله

تعالى، تحير الفكر فِي مواهبهم، بخلاف أهل الدنيا، لا يعابون بالزهد، بخلاف عادة المغالب فِي العالم، ولا بالعُرى ولا بالجوع، لا يُعرف لهم مقامٌ ولا مكانٌ، ولا يعرفون عصرًا ولا أوانًا، يقبلهم الله كيف شاء، قلوبهم عَلَى ما يشاء، إن تكلموا بكلمة جاءت كالسهم الخارق أو كالبرق البارق، لا يعبأ بهم، ولا يلتفت إليهم، عن الناس بمعزلٍ، والذي يظهره الله تعالى منهم فِي غاية التعب من المكابدة والمجاهدة، والأمر معه من قبلُ ومن بعدُ.

ومن محاسن ما نُقل عن أبي الخير التبياني: أنه اجتمع بابن أبي العلاء، فرآه لا يغفل عن الذكر، فقال له: عَلَى رسلك، خَفِّف عَلَى نفسك. فقال: لا راحة فِي هذه الدنيا.

الحديث الوارد عن أبي رزين العقيلي: أن رسول الله ﷺ قَالَ له: «ألا أَدُلُّك عَلَى مِلاكِ الأمرِ الذي نصيبُ بهِ خير الدنيا والآخرة». قال: بلى. قال: «عليك بمجالس الذِّكر، وإذا خلوتَ فحرِّكْ لسانَك بذكرِ الله تعالى. ثُمَّ قال: وإنِّي أسألُ الله تعالى أَنْ يجعلَ لساني رطبًا بذكره[1]»، قاله فِي «المصباح».

ومن محاسن الكواكب السيارة: أخرج الأصبهاني عن أنس قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَجلسُ مع قومٍ يذكُرُون الله تعالى بعد صلاةِ الصبح إِلَى أَنْ تطلعَ الشمسُ أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ، ولأَنْ أجلسُ مع قومٍ يذكُرُون الله تعالى بعد العصرِ إِلَى أَنْ تغيبَ الشمسُ أحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنيا وما فيها[2]».

ومن محاسن ما قاله سيدي محمد وفا فِي هواتفه: ذكرت الله تعالى فِي نفسي، ثم أخذني الحال، فجهرت، فجاءني الخاطر فِي الخاطر، فسمعت: «ما عرَّفته لعبادي من القرب ليس هو القرب الذي أعرفه أنا، فلا بعدي عَرفوا، ولا قُربي عَرفوا، ولا وصفِي كما يليق لي عرفوا؛ وذلك أن القرب الذي عرفوه مسافةٌ، والبعد الذي عرفوه مسافةٌ، وأنا القريب البعيد بلا مسافةٍ، وأنا أقرب للسان من نطقه إذا نطق، فغبت عن وجودي، واستغرقت فِي شهودي، وذكرت جَهدي، وما عرَّفت أحدًا قصدي».

---

(١) رواه البيهقي فِي الشعب (٦/٤٩٣)، وأبو نعيم فِي الحلية (١/٣٦٦).

(٢) رواه أبو داود (٣/٣٢٤)، والطبراني فِي الأوسط (٩/١٣٨)، والبيهقي فِي الكبرى (٨/٣٨)، وفِي الشعب (١/٤٠٩).

والله تعالى أعلم بمداد ما خطر للإنشاد، وما أوضح كلامًا فِي خاطره، وهكذا إحالة القـــوم فِي استغراقهم هاتفٍ آخر من كلامه: ((جهلني من أنكرني، وأنكر شيئًا من جميع الوجـــود، وكيف يدَّعي عبادي معرفتي وأنا إذا تجليت لهم فِي الآخرة ينكرون ربوبيَّتي، ويـــتعوَّذون منها، وبِهَا يتعوذون؟! ولكن لا يشعرون، ويقولون لذلك التجلّي: نعوذ بالله منك، وها نحن لربنا منتظرون، فحينئذٍ أخرج عليهم فِي الصورة التي لديهم، فيقرُّون لي بالربوبيَّة، وعَلَى أنفسهم بالعبوديَّة، فهم لعلاماتِهم عابدون، وللصورة التي تقرَّرت عندهم مشاهدون، فمن قَالَ منهم: إنه عبدني فقوله زورٌ، وكيف يصحُّ لـــه دعوى أنه عبدني؟! وعندما تجلَّيت لـــه أنكرني، فمن قيَّدني بصورةٍ دون صورةٍ فهو عابد وثنٍ، وهو جاحدٌ لي، ومن لَمْ يقيِّدني لَمْ يحصرني، وإذا لَمْ يحصرني لَمْ يعرفني)).

وهـــذا دلـــيل قول الصديق بالعجز عن إدراك معنًى من المعاني، فكلٌ عاجزٌ عارفٌ، وكلٌ متحيِّرٌ مدهوشٌ.

ومن محاسن قول سيدنا ابن العربي فِي هواتفه: ((متى رأيت نفسك ثابتًا ولم ترني فِي الـــرؤية مثبتًا حُجِب عنك وجهي، وأسفر لك وجهك، فانظر ما بدا لك، وماذا لو أرى عنك وإن لَمْ تجعل كل ما بدا ويبدو وراء ظهرك لَمْ تفلح، وإذا لَمْ تفلح لَمْ تجتمع عليَّ، وإذا لَمْ تجتمع عَلَي لَمْ ترني، وإذا لَمْ ترني لَمْ تكنْ لي، ومن كان لا يفتر عن ذكري ومن ذكـــرني كنت أنيسه وجليسه؛ فاشهد مشاهد ذكري تملك ملكوتي، وعمِّر فكرك بالعجز عن كلٍ معنًى تراني فِي جميع المعاني من غير كيفيَّةٍ وأينٍ)).

ومـــن محاســـن هواتفه أيضًا: ((ما خلقت لك وجهين إلا لتنظرني بوجهٍ وتنظر ذاتك بالـــوجه الآخر، لكن مع أي وجهٍ توجَّهت غبت عن الآخر، غير أن هنا لَطيفةً، أنبِّهُك عليها: وذلك أنك إذا توجَّهت إِلَى مشاهدة وجهك غبت عن وجهي وعن وجهك، فإذا انقلـــبت إليَّ فـــني عنك كلُ وجهٍ تراه سواي، فأنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن، وعلمك بي من وراء الحروف لا فِي الحروف؛ لأن حضرتي تحرف الحروف، فاخرج من المعلم تخرج من الجهل، واخرج من البعد تخرج عن القرب والبعد، واخرج عن القرب ترى الله تعالى، ومن رأى الله تعالى لا يفتر عنه)).

وهذا ملحظ من استعمل ذكر الله تعالى فِي الأسواق بعلوٍّ صوته:

قال ذو النون: رأيت رجلاً يذكر الله تعالى فِي الأسواق، ويبكي، وينادي: أشهد لي

مرات ليس بيني وبينك حجابٌ. فوقفت مقابلاً لــه، فقال: يا ذا النون، استنفد المعرفة، والزم الأدب، واعرف حقيقة الذكر بلا فكرٍ، ويؤيِّد هذا يا ذا النون ما أخرجه الحاكم فِي المستدرك بسنده عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «من دخلَ السوقَ فقالَ: لا إله إلا الله وحده لا شريكَ لــه، لــه الملكُ، وله الحمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ كتب الله تعالى لــه ألف ألف حسنة، ومَحَا عنه ألف ألف سيئة، ورفع لــه ألف ألف درجةٍ، وبَنَى لــه بيتًا فِي الجنَّة[1]»، فهذا دليل ما رغَّبني فِي ذلك، ثم بكى حتَّى فاض الدمع، وغاب عن ذي النون، فلم يره.

ورأيت فِي بعض طرق هذا الحديث: «فنادى لا إله إلا الله» انتهى.

قال الحافظ ابن حجر من طريقٍ آخر: «من جاء للسوق، وقال: لا إله إلا الله....» إِلَى آخر الحديث، وقال: ما رغَّبني به الأستاذ البهنسي عفا الله تعالى عنه فِي إحياء الليالي ورفع الصوت وشهادة ما يمرُّ عليه الصوت ويسمعه، فوجدت ذلك عِيانًا ما أخرجه أبو داود فِــي ســنته والترمذي فِي صحيحه والشيخان، وصحَّحه ابن ماجه، والنسائي عن الســايب: أن رسول الله ﷺ قال: جاءني جبريل عليه السلام، فقال: مُرْ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية[2]»، كان يبكي، ويقول: أيُّ دليلٍ للفقراء أوضح من هذا.

وذكر عن بعض الصالحين أنه كان يرفع صوته، ويزعج، ويضجُّ فِي ورده، ففعل ذلك ســرًّا فِــي بعض الأيام وزاد عَلَى ما كان يعمل فِي الجهر، فمرَّ بمكانٍ بعيدٍ عن مكانه، فسمع قائلاً يقول: غفل فلانٌ فِي هذه الليلة وما سمعنا لــه صوتًا، وأوحشنا حسُّه. فقال قائــل يــرد لــه الجواب: اللَّهُمَّ أيقظه. فبكى، وجاء إِلَى أستاذه، وأخبره، فقال: لا تعد للسر، واجهر؛ فهذه وظيفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فإن الأرض شاهدةٌ، ولا تنظر لصامتٍ؛ فإن الجماد لــه حركاتٌ لا يشهدها إلا من وفَّقه الله تعالى؛ فاعرف هذا.

وكــان عــبد الله بن عمر وأبو هريرة يأتيان السوق أيام العشر، فيكبِّران، لا يأتيان

(١) رواه الترمذي (٥/٤٩١)، وأحمد (١/٤٧)، وابن ماجه (٢/٧٥٢).

(٢) رواه النسائي فِي الكبرى (٢/٣٥٤)، وأحمد (٤/٥٦)، وابن ماجه (٢/٩٧٥)، والدارمي فِي السنن (٢/٥٣)، وابن خزيمة فِي صحيحه (٤/١٧٣).

السوق إلا لذلك.

ومـــن محاسن الألفاظ فِي ترجمته الأئمة والحفَّاظ عن عبيد بن عمر قال: كان عمر يكبِّر فِي قبَّته، فيكبِّر أهل المسجد، فيكبِّر أهل السوق، حتَّى ترتجَّ منِّى تكبيرًا[(١)].

وقـــال ابـــن وهب: أدركت الناس يكبِّرون فِي العشر، حتَّى كنت أشبِّه اجتماعهم بالأمواج؛ لمَّا يحصل فِيْهِ من الخشوع، ورأيت جماعة يطربون بذكر الله تعالى، ويقولون: انبسطنا، شملنا، سكرنا.

وقال بعضهم: لذة التوحيد عندنا ألذُّ من طرب أهل الدنيا، وإننا لنعبث كأننا قد شملنا من طرب الذّكر.

ومـــن محاســـن ما نُقل من سؤالٍ جاء لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الجهر بالذكـــر فأجـــاب: لا كـــراهية ألبتة فِي الجهر بالذكر؛ حيث لا ضرر، ويجوز للجماعة اســـتعمالهم الأوراد بالجهر، ورفع الصوت، وذلك أكثر أجرًا وأعلى، وإن الملائكة تشهد بالأدب والخشوع، والمكان يشهد بما سمع والوقت، وللسادة فِي ذلك مقاصد.

وفِـــي الأحاديـــث ما يدلُّ عَلَى استحبابه، إمَّا صريحًا أو التزامًا، وأما سؤال السائل بمعارضـــته بحـــديث الذكـــر الخفِي فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث: «المـــسرُّ بالقـــرآن كالمسرِّ بالصدقة[(٢)]»، وقد جمع النووي بينهما بأن الإخفاء أفضل؛ حـــيث خاف الرياء، أو تأذى به مصلُّون أو نيامٌ، والجهر أفضل فِي غير ذلك؛ لأن العمل فِـــيْهِ أكثـــر؛ لأن فائدتـــه تتعدى إِلَى السامعين، ولأنه يوقظ القلب، ويجمع همة الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد فِي النشاط.

ومـــن محاسن الذكر يوم الجمعة: أن العبد إذا مات فِيْهِ ذاكرًا لا يُعذَّب، ولا يُسأل، ويرى مقعده فِي الجنَّة.

قال الحكيم الترمذي: وحكمته أنه انكشف لـــه الغطاء بما لـــه عند الله تعالى؛ لأن جهـــنم لا تُسجَّر فِي يوم الجمعة، وتُغلق فِيْهِ أبوابها، ولا يعمل فِيْهِ سلطانها ما يعمل فِي

---

(١) رواه البخاري (٣٣٠/١)، والبيهقي فِي الكبرى (٣١٤/٣).

(٢) رواه البخاري فِي خلق أفعال العباد (١١١/١)، وأحمد في المسند (٢٠١/٤)، والطبراني فِي الكبير (٣٣٤/١٧)، وفِي الأوسط (٣٠٤/٣).

سائر الأيام، فإذا قبض الله تعالى فِيْهِ عبدًا كان دليلاً لسعادته وحسن مآبه، وأنه لَمْ يقبض فِـــي هذا اليوم العظيم إلا من كتب لـــه السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر؛ لأن سببهَا إنما هو تمييز المنافق من المؤمن، وهو يوم رفع العذاب عن أهل البرزخ فيه.

قَالَ ذلك اليافعي فِي كتابه «روض الرياحين»: بلغنا أن الموتى لا يعذَّبون ليلة الجمعة تشريفًا، وأخبر عن رجلٍ من آل عاصم الجحدري: أنه رأى عاصمًا الجحدري فِي النوم، فقـــال: أنـــا فِـــي روضةٍ من رياض الجنَّة، أنا ونفرٌ من أصحابي، نجتمع كلَّ ليلة جمعةٍ وصبحتها إِلَى بكر بن عبد الله المزني، فنتلاقى أخباركم. قلت: هل تعلمون بزيارتنا؟ قال: نعلـــم بِهَا عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إِلَى طلوع الشمس. قلت: وكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمه، وأن فِيْهِ اجتماع الأرواح.

ومـــن محاســـن «كـــتاب الكواكب السيارة» لابن الزيَّات: ما أخبر عن ذي النون المصري: أنه جاء إِلَى قرافة مصر، فزار تربتها حتَّى انتهى إِلَى قبر عقبة بن عامر الْجُهَنِي الصحابي، فرأى ملأً قد اجتمعوا وهم فِي ازدحامٍ. فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن سكان هذه القـــبور، جئـــنا نقتسم الرحمة عند قبر عقبة بن عامر كما تقتسموا الهدايا فِي دار الدنيا. فقـــال: ما هذا الازدحام؟ فقالوا: فرحًا بالغنيمة وإنَّا لنفرح بالزائر؛ لمَّا ينالنا من الثواب. فقال: وتعرفون من غاب من الزوار؟! فقالوا: نقاسي لغيابه عنَّا.

ومن محاسن ما ذُكر فِي فضائل البهنسا وبقعتها: قَالَ ذو النون المصري: كنت أزور البهنسا الغرَّاء، فانقطعت سنةً من السنين؛ لمرض اعتراني، فبينما أنا كذلك، وإذا بجماعةٍ شُعثٍ قد أقبلوا عليَّ، فقلت: من أنتم؟ قالوا: يا ذو النون نحن سكان البهنسا، كنا نفرح بـــك وبـــزيارتك، ونـــرى بهديتك الرحمة، وإنا لنعرف الزائر، فلمَّا غبت استأذنَّا ربَّنا، وجئناك، وإنَّا لنجتمع كل يوم جمعةٍ، ونجلس إِلَى صبح سَبْتِها، وإن يوم الجمعة عيد الأيام وسيِّدها، فِيْهِ خمس خلال: فِيْهِ خُلق آدم، وفِيْهِ هبط، وفِيْهِ مات، وفِيْهِ ساعةٌ لا يسأل الله تعالى العبد فيها شيئًا إلا أعطاه ما لَمْ يسأل حرامًا، وفِيْهِ تقوم الساعة، ما من ملكٍ مقرَّبٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جبالٍ ولا بحرٍ إلا وهو يشفق من يوم الجمعة[١].

(١) مصداقًا لذلك أذكر واقعة حدثت لي أنا وبعض الإخوان منذ عامٍ ونصف تقريبًا، ونحن متوجهين في ارتحال إلى مزار شهداء البهنسا بعد صلاة الفجر: حيث كنا جميعًا في صوت واحد ننشد منظومة أسماء الله الحسنى لسيدي أحمد الدردير، وعند قوله: ويا قابض اقبضنا على خير حالة.. =

ومـــن محاسن ما نقله ابن الجوزي عن بعض الحنابلة: أنه قال: اختلف أصحابنا هل ليلة الجمعة أفضل أو ليلة القدر؟ فاختار ابن بطة وجماعةٌ: أن ليلة الجمعة أفضل.

وقال به أبو الحسن التميمي: فيما عدا الليلة التي أنزل فيها القرآن، وأكثر العلماء عَلَى أن لـــيلة القدر أفضل، واستدلَّ الأولون بحديث الليلة الغرَّاء، والغرة من الشيء: خياره، وبأنــه جــاء فِــي فــضل يــومها ما لَمْ يجئ فِي ليلة القدر، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣] بأن التقدير: خيرٌ من ألف شهرٍ ليس فيها ليلة الجمعة، كما أن تقديرها عند الأكثرين: خيرٌ من ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر.

وأيضًا فإن ليلة الجمعة باقيةٌ فِي الجنَّة، كان فِي يومها نفع الزيارة إِلَى الله تعالى، وهي معلـــومةٌ فِـــي الدنيا بعينها عَلَى القطع، وما اختلفوا إلا فِي ساعتها، وليلة القدر مظنونٌ عينها، وأن يومها مذكورٌ فِي الأيام دون أيام الأسبوع، وأن الشاهد والمشهود يوم عرفة، وإنه لمدخرٌ لهذه الأمة.

ومـــن محاســـن يوم الجمعة وليلتها: قراءة «حم» الدخان، وسورة «يس»، وسورة «الكهـــف»، فمن ذلك ما أخرجه الأصفهاني فِي «الترغيب» بسنده عن عبد الواحد بن أيمـــن (تابعـــي) قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سورةَ البقرةِ وآل عمرانَ فِي ليلةِ الجمعـــةِ كـــان لـــه من الأجرِ كما بين (البيداء[1]) و(عروباء[2]) [3]»، فلبيداء: الأرض

فإذا بالسيارة تنقلب بنا انقلابًا عارمًا شديدًا، وبدا الحادث لمن شاهد هيئة السيارة ومدى هلع المنظر وضخامته، أنه لم ينجو أحد، وإذا بنا نرى أنفسنا خارج السيارة جميعًا على بعدٍ منها، رغم الإصابات والكسور المؤلمة، وأنا واحد ممن أصيبوا بكسر في إحدى فقرات الظهر فضلاً عما هو غير ذلك، وحتى الأخ الوحيد الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى قام يمشي وفي ثوان وافته المنية، فما كان ذلك إلا سادة البهنسا شفعوا لنا وحملونا شفقة بنا، وقد رأى بعضهم النبي ﷺ في رؤيا يخبر أنها رحمة حدثت ببركة الذكر والزيارة وشهداء البهنسا، ولا سيما شيخنا حفظه الله، والله أعلم. فانظر: إلى أي مدى محاسنهم وبركاتهم حتى بعد انتقالهم، فإنما هم أحياء عند ربهم يرزقون.

(١) البيداء: هي الأرض السابعة.

(٢) العروباء: هي السماء السابعة.

(٣) ذكره المناوي فِي فيض القدير (٦/١٩٩).

السابعة، وعروباء: السماء السابعة.

وفي حديث آخر: «كان له نورٌ ما بين (عريباء[١]) و(عجيباء[٢])[٣]» وعريبا: العرش، وعجيباء: أسفل الأرض.

وفي حديثٍ آخر: «اقرؤوا سورةَ هودٍ يومَ الجمعة[٤]».

وللطبراني: «مَنْ قرأَ السورةَ التي يُذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلَّى الله عليه وملائكته حتَّى تغيب[٥]».

وفي حديث: «مَنْ قرأَ (حم الدخان) في ليلةِ الجمعةِ أو يوم الجمعةِ بنَى الله تعالى له بيتًا في الجنَّة[٦]».

ومن طريق أخرى: «أصبح مغفورًا له، وزُوِّج من الحور العين[٧]».

وللبيهقي في (شعب الإيمان): «مَنْ قَرأَ ليلةَ الجمعةِ (حم الدخان) و(يس) أصبحَ مغفُورًا له[٨]».

وأخرجه الأصبهاني بلفظ: «مَنْ قَرأَ يس في ليلةِ الجمعةِ غُفِرَ له[٩]».

ومن محاسن ليلة الجمعة ويومها: «مَنْ قَالَ قبلَ صلاةِ الغداةِ يومَ الجمعةِ ثلاثَ مرات: (استغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه) غُفرت له ذنوبُه، وإن كانت أكثر من زَبد البحر[١٠]».

وأخرج أبو داود والحاكم وابن ماجه عن أوس بن أوس قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ

(١) عريباء: العرش.

(٢) عجيباء: أسفل الأرضين.

(٣) رواه ابن حبان في الثقات (٧/٤٠٩)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/٢٤).

(٤) رواه الدارمي في السنن (٢/٥٤٥)، وذكره القرطبي في التفسير (٩/١).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١١/٤٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٦٨)، والمناوي في فيض القدير (٦/١٩٨)، والمنذري في الترغيب (١/٢٩٨).

(٦) رواه الطبراني في الكبير (٨/٢٦٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٦٨).

(٧) رواه الدارمي في السنن (٢/٥٥٠).

(٨) رواه البيهقي في الشعب (٢/٤٨٤)، والقزويني في التدوين (٣/٨٢).

(٩) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١/٢٩٨).

(١٠) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٣٥٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٦٨).

من أفضلِ أيَّامكم يومَ الجمعةِ؛ فِيْهِ خُلِقَ آدمُ، وفِيْهِ قُبِضَ، وفِيْهِ الصعقةُ؛ فأكثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عليَّ فيه؛ فإنَّ صلاتَكُمْ معروضةٌ عليَّ[(١)])).

وأخرج الطبراني فِي الأوسط عن أبي هريرة قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا الصلاة عليَّ فِي (الليلة الزهراء واليوم الأزهر[(٢)])؛ فإنَّ صلاتكم تُعرضُ عليَّ[(٣)])).

وأخرج البيهقي فِي الشعب عن أبي أمامة قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا مِنَ الصلاةِ عليَّ فِي كلِّ يوم جمعة؛ فمَنْ كان أكثرُهم عليَّ صلاةً كان أقربَهم منِّي منزلةً[(٤)])).

وأخرج عن أنس قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا الصلاةَ عليَّ فِي يومِ الجمعةِ وليلةِ الجمعةِ، فَمَنْ فعلَ ذلكَ كنتُ لـه شهيدًا وشاهدًا وشافعًا يومَ القيامةِ[(٥)])).

وأخرج أيضًا عن أنس مرفوعًا: ((من صلَّى عليَّ فِي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله لـه مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا[(٦)])).

أخرج عن عليٍّ قال: ((مَنْ صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ يوم الجمعة مائة مرةٍ جاء يوم القيامة وعَلَى وجهه نورٌ[(٧)])).

ومن طريق أخرى: ((مَنْ صلَّى عليَّ يوم الجمعة ألف مرةٍ لَمْ يَمُتْ حتَّى يرى مقعدَه مِنَ الجنَّة[(٨)])).

من محاسن كتاب ((الحلية)) عن زياد بن وهب قال: قَالَ لي ابن مسعود: ((لا تَدَعْ إذا كانَ يومُ الجمعةِ أَنْ تُصلِّيَ عَلَى النبيِّ ﷺ ألف مرةٍ، فتقول: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ، وعَلَى آل محمَّدٍ النبيِّ الأمِّيِّ[(٩)])).

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٥/١)، والنسائي فِي الكبرى (٥١٩/١)، وأحمد (٨/٤)، وابن ماجه (٥٢٤/١).

(٢) الليلة الزهراء: هي ليلة الجمعة، واليوم الأزهر: هو يوم الجمعة.

(٣) رواه الطبراني فِي الأوسط (٨٣/١)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٦٩/٢).

(٤) رواه البيهقي فِي الكبرى (٢٤٩/٣)، وفِي الشعب (١١٠/٣)، والديلمي فِي الفردوس (٨١/١).

(٥) رواه ابن عدي فِي الكامل (١٠٢/٣).

(٦) رواه البيهقي فِي الشعب (١١١/٣).

(٧) رواه البيهقي فِي الشعب (١١٢/٣)، وأبو نعيم فِي الحلية (٤٧/٨).

(٨) ذكره المنذري فِي الترغيب والترهيب (٣٢٨/٢).

(٩) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٢٣٧/٨).

ومن محاسن شعب الإيمان: ما ورد عن سهل بن سعد السعدي قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إن لكـــم فِي كلِّ جمعةٍ حجَّةٌ وعمرةٌ، فالحجَّة: الهجرة إِلَى الجمعة، والعمرة: انتظار العصر بعد الجمعة، ومَنْ أحبَّ شيئًا أكثرَ من ذكرِه[١]»؛ فعليك بمحبَّة هذا اليوم؛ فإنَّه يومٌ شريفٌ، وتأهَّبْ لذكر النبيِّ ﷺ فيه؛ فإنَّه أحسنُ الأعمالِ، ولا بدَّ، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البيهقي فِي الكبرى (٣/٢٤١)، وفِي الشعب (٣/١١٥)، وابن عدي فِي الكامل (٦/٣٨).

الباب الأول

[فِي فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ]

وما ينال عاملها من الثواب، وما أعدَّ الله تعالى للمصلِّين عليه من النعيم الدائم، والخير القائم، والسعد الخادم.

اعلم يا أخي وفَّقك الله تعالى أن نشر محاسنه والثناء عليه واجبٌ عَلَى كلِّ مسلمٍ، ولو لَمْ يكن إلا فِي الصلوات الخمس لكان خيرًا زائدًا.

ومـــن محاسن كتاب «المستغيثين بالله»: أن ذكر النبيِّ ﷺ وشكره وميل القلوب إِلَى محبَّـــته وبـــرِّه لأمته والانطواء عَلَى معاضدته ونصره لاسيما من محبَّته فرضٌ عَلَى القلوب حتمًا، وموالاته مُقدَّمةٌ عَلَى كلِّ الموالاة جزمًا، كيف لا؟! وقد أنقذنا الله تعالى به من النَّار ذرعًا قدمًا، وشرح به صدورًا مُلئت همًّا، وفتح الله تعالى به أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صمًّا.

هـــذا وقـــد كمَّل الله تعالى لـــه خَلقًا وخُلقًا وفهمًا، وعلَّمه من لدنه علمًا وحلمًا وحكمًا، وفضَّله عَلَى سائر عباده: عربًا وعجمًا، فكان أقواهم يقينًا وعزمًا، وأعلاهم رتبةً واسمًـــا، وأعزَّهم سلطانًا وحِمًى، وأشدَّهم به رأفةً ورحمًا، وأكثر المرسلين اتِّباعًا، وأنمى، وأَعْود بالخير عَلَى الخليقة، وترى آياته تُتلى عَلَى الحقيقة، ومحاسنه تُتلى عَلَى أهل الطريقة، ومعجزاته تسمو وتسما، فعليك بنشر محاسنه؛ فإنه صاحب الهيئة من غير شكٍّ ولاريبةٍ، وانظر إِلَى تعظيمه عند العارفين وما كانت عليه الصحابة والتابعين، ونشر محاسنه الواجب عَلَى كل مسلم ذكرها، والخوض فِي ذلك البحر الذي لا يُدرك لـــه قرارٌ، ولا يوجد لـــه حدٌّ باختيارٍ آناء الليل وأطراف النهار.

ومـــن محاسن تنبيه الغافلين فِي باب تعظيم الصحابة قال: كان يعظِّمونه فوق تعظيم الملوك، وفِي رواية: «ما رأيتُ ملكًا قطُّ تعظِّمه أصحابُه تعظيمَ أصحاب محمَّد لـــه[1]».

وخادمه أنس روى عنه وعدَّ أخلاقه، وقال: رأيت حراش بن أمية الكُلَبي بضم الكاف وفـــتح اللام وجزم الياء المثناة التحتية منسوب إِلَى كليب يحلق رأسه الشريفة فِي حجَّة

---

(١) رواه البيهقي فِي الشعب (٢/١٩٩)، وذكره الشوكاني فِي نيل الأوطار (٨/١٨٥).

الوداع، وحلق رأسه يوم الجعرانة أبو هند[1].

فائــدة في شرح كتاب شمائل النبوة: قَالَ ابن الأثير بروايته عن أنس أنه قال: رأيت النبيَّ ﷺ والحلاق يحلق رأسه الشريفة فِي حجَّة الوداع، والحالق لــه اسمه حراش ابن أمية الكلبي بضم الكاف وفتح اللام منسوبٌ إِلَى كليب.

قــال ابن الأثير في مختصر الأنساب: وفيما قررناه من المؤمنين رجالٌ هم الأولياء، والولاية سرٌّ مستحبُ الكتم، وعدم البحث عنه أولى، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب:٢٣]: إذا مات.

وفــي الحليمي: أن النبيَّ ﷺ تلا هذه الآية عَلَى المنبر، فسأله رجلٌ من هؤلاء، فأقبل طلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: ((هذا منهم[2])).

وفي تفسير ابن أبي حاتم: ((إنَّ عمَّارًا منهم[3])).

وقال بعض المفسرين: عمر وأصحابه.

وقال ابن إسحاق: (فمنهم من قضى نحبه): من استشهد ببدر، (ومنهم من ينتظر) ما وعده الله به.

ومــن محاســن التأويل: إن حرمة النبيِّ ﷺ ثابتةٌ برتبته؛ لأن مرتبته أعلَى وأعظم من المشهد، أو الذين قتلوا فِي سبيل الله، وأيضًا فإن علمه ثابتٌ إِلَى يوم القيامة، وإن تعظيمه واضــح الدلالــة؛ لأن سنته الأصل الثاني بعد كتاب الله تعالى؛ فمقامه معلومٌ بالأدلة عند سائر البشر والكتب المنــزَّلة.

ومــن محاسن خضوعه وخشوعه مع معرفة ما أعطاه الله تعالى من مقام الكمالات: قَالَ السخاوي فِي القول البديع: ويخشع من باب عطف الشيء عَلَى نفسه، والذي يظهر أن الخشوع أعمُّ من الخضوع؛ لأنه يُوصف به الذات والقلب، قَالَ الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، ويُوصف به الجماد، قَالَ الله

---

(١) ذكره ابن حجر فِي فتح الباري (٣/٥٦٦).

(٢) ذكره القرطبي فِي تفسيره (١٤/١٥٩) بنحوه.

(٣) ذكره المباركفوري فِي تحفة الأحوذي (١/٣٨٢).

تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [فصلت:٣٩]

وكانت هذه سيرة سلفنا الصالحين، وهو حرمته وتعظيمه، والمشي عَلَى طريقته، وآدابه، والأدب معه بعد الحياة كحالة الحياة، وأخذ بهذا مالك، ونهى عن رفع الصوت فِي المسجد عند سياقة حديثه، وحرمته ميِّتًا كحرمته حيًّا، وحديثه مُنزَّلٌ منزلة نطقه منه حيًّا؛ فينبغي أن يروى بخشوعٍ وخضوعٍ وسكونٍ وهيبةٍ.

ومن محاسن ما قَالَ الإمام أبو السعود المفتي فِي تفسيره: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] ساق هذه الآية عَلَى أحد الأقوال: وهو أن آل بيته وذريته وأزواجه وهو اختيار ابن عطية فِي تفسيره بعد أن نقل أن الجمهور قالوا: إنهم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، قال: وحجة الجمهور: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالميم، ولو كان للنساء خاصة لقال: (عنكنَّ).

قال صاحب الكشاف: وفِيهِ دليلٌ بيِّنٌ عَلَى أن نساء النبيِّ من أهل بيته، ويمكن أن يكون التذكير عَلَى سبيل التغليب، فيكون أهل البيت المراد به النسب والزوجات، وهو وجوب تعظيمهنَّ واحترامهنَّ، وحرمة نكاحهن، وقال ﷺ: «**معرفةُ آل محمدٍ براءةٌ مِنَ النَّار**[1]»: أي معرفة مقدارهم وحرمتهم والقيام بواجبات قيامهم عَلَى ما كانوا عليه سببًا لجواز الصراط؛ لأن المرء مع من أحبَّ.

ومن محاسن الإشراق: الولاية لآله ﷺ وأمانًا من العذاب؛ لأنهم أولياء الله تعالى بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس:٦٢]، وفِي السُّنة: «أنَّه دعا ﷺ فاطمة وحسنًا وحسينًا، ودعا لهم بالولاية[2]»، وفِي قوله: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**[3]»، قَالَ الحافظ عبد الغني: من كنت أتولاه فعليٌّ يتولاه، قَالَ الشافعي فِي «الأم» معناه: من أحبني وتولاني فليتوله، ومن لَمْ يتوله لا إسلام له، ودليله عَلَى ذلك قوله

---

(١) انظره في: الكشاف للزمخشري (١/٩٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٦٣)، والطبراني فِي الكبير (٣/٥٤).

(٣) رواه الترمذي (٥/٦٣٣)، والنسائي فِي الكبرى (٥/١٣٤)، وأحمد (١/٨٤)، وابن ماجه (١/٤٥)، والحاكم فِي المستدرك (٣/١١٨).

تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد:١١].

وفِي قول عمر: «لِعَلِّي أصبحتَ مولى كلِّ مؤمنٍ[١]»: أي وليَّ كلِّ مؤمنٍ، وفِي هذا دليل الولاية لعليٍّ كرَّم الله وجهه.

ومن محاسن كلام السخاوي: سبب ذلك أن أسامة بن زيد قَالَ لعليٍّ: لست مولاي، إنما مولاي رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه[٢]» رواه الإمام أحمد.

وفِي حديث عن أبي أيوب: «ولا يحبُّك إلا مؤمنٌ[٣]»، فأثبت له ثبوت ما أثبت لنفسه الشريفة من أن الإيمان به محبَّته، فكلما وجدت محبَّته وجدت الإيمان، وفِي لفظ آخر: «ولا يبغضك إلا منافقٌ[٤]».

قال السدي: النفاق أخصُّ من الكفر، فهو مستلزمٌ له.

وقوله: «لا يدخلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتَّى يحبَّكم لله تعالى[٥]».

ومن محاسن الإيمان الحقيقي: تصديقٌ قلبيٌّ بينه وبين المحبَّة ارتباطٌ من جهة أن المحبة: ميل القلب إِلَى المحبوب، والإيمان: التصديق القلبي، فيجتمعان فِي القلب، وجعلهما متلازمين، فيلزم من نفِي أحدهما بقاء الآخر، ثم علَّل هذه المحبة بكونها لله تعالى ورسوله، يعني: أن هذه تكون شرطًا فيها، فلا عبرة بمحبته؛ لعلةٍ غير ذلك، فالمحبَّة اللازمة للإيمان هي المحبَّة لله تعالى ورسوله، بمعنى: أن هذه تكون شرطًا فيها، فلا عبرة.

وفِي هذا تنبيهٌ عَلَى زيادة وزر من فاه بلسانه بحرفٍ واحدٍ فِي حقِّه، وإعلامًا بتعظيمه وتعظيم آل بيته.

ومن محاسن ما خُصَّ به المصلِّي عليه: تكفير الخطايا؛ لأنه مأمورٌ بتحسين الصلاة

(١) رواه البيهقي فِي الاعتقاد (١/٣٥٥)، وذكره المباركفوري فِي تحفة الأحوذي (١/١٤٨).
(٢) رواه النسائي فِي الكبرى (٥/٤٥)، وأحمد (١/١١٨)، وابن ماجه (١/٤٣).
(٣) رواه الترمذي (٥/٦٤٣)، والنسائي فِي الكبرى (٥/١٣٧).
(٤) رواه الترمذي (٥/٦٤٣)، والنسائي فِي الكبرى (٥/١٣٧).
(٥) رواه الترمذي (٥/٦٥٢)، والنسائي فِي الكبرى (٥/٥١)، وأحمد (١/٢٠٧)، وابن ماجه (١/٥٠)، والحاكم فِي المستدرك (٣/٣٧٦).

علــيه، والتــرغيب فِي حضور المجالس التي يصلي فيها عليه؛ لمَّا فِي حضورها من كثرة الثواب، وأنها علامة أهل السنَّة، وأهل المحبَّة لا يغفلون عن الصلاة عليه؛ لمَّا رأوا من صلاة الملائكة عليه عَلَى الدوام، وكما قرَّرنا إمهار آدم لحوَّاء الصلاة عليه؛ لمَّا فيها من القرب، وأن لا شيء يعادلها، وأن آدم استصغر كلَّ شيءٍ رآه فِي مهرها؛ لمَّا رأى من جمالها.

وقــال السخاوي: هذا خطأٌ، بل ظن آدم أنه لا يقوم بمهرها فأمهرها الصلاة عليه، فعــرَّفه الله تعالى بهذا مقدار هذا النبيِّ الكريم، ودلَّت الأحاديث أن بكاء الصغير فِي عهده مــدة أربعة أشهرٍ صلاةٌ عليه، وإن مات قبل الأربعة الأشهر يجعل الله تعالى ثواب تلك الصلاة لوالديه.

قلت: هذا حسنٌ، قرَّره الحافظ عبد الغني، والعبد المأمور بالصلاة عليه إذا صلَّى عَلَى غــيره مــن الرســل يبدأ بذكره ﷺ، وأن الله تعالى يصلِّي عَلَى المصلِّي عليه وملائكته، والــصلاة علــيه تكفيرٌ للخطايا، وتزكيةٌ للأعمال، ورفعًا للدرجات، ومغفرةً للذنوب، واستغفار الصلاة لقائلها وردت به الأدلة.

ومــن محاسن ما قرَّره الحافظ ابن جماعة فِي كتابه «فيما تكتبه الملائكة للمصلِّي علــيه»: أن لــــه قيراطًا من الأجر، والقيراط مثل أُحد، وإن الصلاة عليه يكتال ثوابهَا بالمكــيال الأدنى، ومن جعل الصلاة عليه وردًا كفاه الله تعالى أمر الدنيا والآخرة، وأنها تمحــق الخطايــا، وفضلها عَلَى عتق الرقاب والنجاة من الأهوال، وشهادة الرسول بها، ووجــوب الشفاعة، ورضا الله تعالى، ورحمته، والأمان من سخطه، والدخول تحت ظلِّ العرش، ورجحان الميزان، وورود الحوض، والأمان من العطش الأكبر، والنجاة من النَّار، والجــواز عَلَى الصراط فِي أسرع مرورٍ، قَالَ الحافظ الدمياطي: أعني العوائق التي تقف لها الزبانية.

ومــن محاسن أخبار الحافظ عبد العظيم المنذري فِي فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ: رؤية المقعد المقرَّب من الجنَّة، يراه المصلي عليه عند موته قبل الموت، وكثرة الأزواج فِي الجنَّة، ورجحانها عَلَى أكثر من عشرين زوجةً، وقيامها مقام الصدقة للمعسر، وأنها زكاةٌ، وطهارةٌ، وينمو المال ببركتها، وتُقضى بِهَا مائةٌ من الحوائج، كما قررنا، وقال الحليمي: بل أكثر، وزاد جماعة من العلماء: مائتي حاجةٍ، فزاد بعضهم عَلَى ذلك؛ لعظم شأنه، وعلوِّ رتبــته، وارتفاع مقامه، وقال بعضهم: لا حصر ولا ضبط فِي ثواب الصلاة عليه؛ لأنها

عبادةٌ، وأحبُّ الأعمال إِلَى الله تعالى، وتَزين المجالس، وتنفِي الفقر وضيق العيش، ويلتمس بِهَا مظانّ الخير، وإن فاعلها أولى الناس به، وينتفع هو وولده وولد ولده بها، ومن أهديت فِي صحيفته ينجو بثوابها؛ لمَّا يناله من القرب عند الله تعالى وعند رسوله.

ومن محاسن تقريرات الإمام القاشاني فِي قوله فِي المهدى إليه: فكيف بمن أهداها؟ فلا حصر فِي ثوابها، وأنها أجلُّ القربات، وأنها تؤثر فِي العامل بِهَا رقة القلب وخشوعه، والخضوع، والتذلل، والرحمة لخلق الله تعالى؛ لأنها نورٌ، وتنصر عَلَى الأعداء، وتطهِّر القلب من النفاق والصدأ، وتوجب محبَّة الناس، ورؤية النبيِّ ﷺ فِي المنام، قلت: بل واليقظة، كما قرره شيخنا البهنسي والشيخ عبد الوهاب الشعراني فيمن رآه يقظةً، وحكي عن الشيخ نور الدين الشوني وأبي الحمائل الشروي والخوَّاص والدشطوطي وغيره، كما قرر صاحب الوحيد.

قلت: وما هذا عند الله تعالى ببعيدٍ؛ لقرب المصلين عَلَى النبيِّ ﷺ؛ لأنها أبرك الأعمال وأفضلها، وأكثرها نفعًا فِي الدين والدنيا، وغير ذلك من الثواب المرغَّب فِيْهِ للفطن الحريص عَلَى ذخائر الأعمال، واجتناء الثمرة من بصائر الآمال.

وأقول لسائر الإخوان فِي مرِّ الزمان: العمل المشتمل عَلَى هذه الفضائل العظيمة لا يغفل عنه أحد، وألَّف بعضهم فِي الصلاة عليه كتابًا أكبر من أنس المنقطعين، بدأ فِي ذلك بأثر فضل الوضوء، وضمَّنه عشرة أحاديث فِي فضل الصلاة عليه، وعشرة أقوال، وعشر حكاياتٍ فِي الصلاة عليه، وفضلها، وختم ذلك بفوائد فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وجعل بعد ذلك مجلسًا فِي كتابة اسمه، وذكر من صلَّى عليه فِي أوَّل كتابه بالمرأة الحسنة، فيا له من كتاب، جزى الله مؤلفه خير الجزاء، ولقد سَمَّى الدعاء صلاةً؛ لأن قصد الداعي: جميع المقاصد الحسنة الجميلة والمواهب السنية الرفيعة أولاً وآخرًا، باطنًا وظاهرًا، دنيا ودينًا، بحسب اختلاف السائلين؛ ففيْهِ معين الجمعية، وعدة أنواع مسائل الدعاء لا تنحصر معانيها، عدَّها بعض العلماء ما بين نوعٍ يطول شرحها: كدعاء الصائم، ودعاء العابد، ودعاء العارف، وذكر معاني اللغة فِي ذلك، ومنها الصلاة وسط الظهر من الإنسان، ومن كل ذي أربعٍ، وقيل: ما انحدر من الوركين، كلُّ ذلك لمَّا فِيْهِ من الانضمام والاجتماع، ومنها صلاه بالنَّار: أي شواه؛ لأنه ينضم ويجتمع، وصلا يده: سخنها وأدفأها لانضمام الحرارة، وصلاه: أي غافله وخدعه، ومنها الصلاية لمدق الطيب: يجمع

فِيْه الطيب، والصلوات: كنائس اليهود لاجتماعهم فيها، والمصول: المكنسة؛ لأنها تجمع الكُناسـة، والصيلة بالكسر: عقدة فِي العدبة، والمصول: شيءٌ يجمع فِيْه الحنظل وينقع فـيه؛ ليذهب مرارته، وهذا المعنى فِي اللغة يطول شرحها، ذكرها بعض المشايخ ستون وجهًـا، كل وجه لـه صورةٌ، منها الوصيلة: للناقة التي وصلت بين عشرين أبطن، وفِي آخرها سميت الأفعال المشروعة المخصوصة صلاةً؛ لمَّا فيها من اجتماع الجوارح الظاهرة والخواطـر الباطـنة، واشتمالها عَلَى جميع المقاصد الحسنة والخيرات البيِّنة، وكونها أصل العبادات وأمَّ الطاعات.

ومن محاسن ما ذكره الإمام القسطلاني فِي المواهب اللدنيَّة:

الصلاة بمعنى: الاستغفار، كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «إنِّي بُعِثْتُ لأهلِ البقيعِ لأُصلِّي علـيهم[1]». وفِي رواية أخرى: «أُمِرْتُ أنْ أستغفِرَ لَهُمْ[2]»، وتستعمل بمعنى: البركة؛ لقـوله ﷺ: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى أبي أوفَى صلاةً[3]»، وفِي رواية: «عَلَى آلِ أبي[4]»، وزاد بعـضهم «آل أبي إبراهيم[5]»، وبمعنى القراءة: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفِي صحيح البخاري: إن معنى صلاة الله عليه لنبيه: ثناؤه عليه عند ملائكته، ومعنى صلاة الملائكة عليه: الدعاء لـه[6].

وذكر البغوي فِي تفسيره: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب:٤٣]: أي يستغفر لكم، ويأمر الملائكة أن يستغفروا لكم.

وفِي تفسير ابن عباس: صلاة الملائكة: الدعاء بالبركة.

---

(١) رواه ابن حبان فِي الصحيح (٦٣/٩).

(٢) ذكره الزرقاني فِي شرحه (٤٧٢/١).

(٣) رواه عبد الرزاق فِي مصنفه (٥٨/٤).

(٤) رواه البخاري (٥٤٤/٢)، ومسلم (٧٥٦/٢).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) رواه البخاري (١٨٠٢/٤).

ومن محاسن عجائب الأخبار:

مـــا ذكر عن ابن أبي حاتم فِي تفسيره: أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام: هل ربُّك يصلي؟ قال: فكأن ذلك كثُر فِي صدر موسى عليه السلام، فأوحى الله تعالى إليه: «أخبرهم أنِّي أصـــلِّي، وأنَّ صلاتِي: أنَّ رحمتِي سَبَقَتْ غضبِي[(١)]» ذكره الطبراني فِي معجمه الأوسط، وقال: صلاة ربِّنا: سبوحٌ قدُّوسٌ، سبقت رحمتي غضبي.

وما لخَّصه العلماء فِي جميع أقوالهم واختلاف مقاصدهم: أن معنى صلاة الله عَلَى نبيِّه: ثناؤه عليه، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك لـــه من الله تعالى، والمراد: طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة.

وفيما قرره العلامة القسطلاني: أن الصلاة عَلَى النبي ﷺ من الله تعالى تشريفٌ وزيادة تكرمةٍ، وعَلَى من دون النبيِّ رحمةٌ.

وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبيِّ ﷺ وغيره من المؤمنين.

ومن محاسن قوله ﷺ: «إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين، يُبلِّغونِّي عن أمَّتِي السَّلام، فإذا سلم عليَّ أحدٌ ردَّ الله عليَّ روحِي فأردُّ عليه[(٢)]»:

قـــال البغوي: المراد بذلك إدراك كل معنًى من أمَّته بقوةٍ من الله تعالى، أعطاه إيَّاها؛ فلا يخفى عليه سلامٌ واحدٌ من أمَّته فِي الصلوات الخمس، ولا فِي تطوُّعٍ، ولا فِي تهجُّدٍ، ولا فِي عملٍ من الأعمال، ولا فِي وقتٍ من الأوقات، وهذه من خصائصه التي ما وسعها غيره من النبيين.

* * *

[فائدة في أفضل أوقات الصلاة على النبي ﷺ]

قال السخاوي: الأمر بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ كان فِي السنة الثانية من الهجرة.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: فِي ليلة الإسراء.

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٧٠٠)، والنسائي فِي الكبرى (٤/٤١٧)، وأحمد في المسند (٢/٣٩٧)، وابن ماجه (١/٦٧)، والطبراني في الأوسط (١/٤٢).

(٢) رواه ابن حبان فِي الصحيح (٣/١٩٥)، والدارمي فِي السنن (٢/٤٠٩).

قال الشيخ نجم الدين الغيطي: فِي ليلة النصف من شعبان؛ لأن فِيْهِ نزلت آية الصلاة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

أُخبر بِهَا الصحابة فِي السنة الثانية، فلمَّا أخبر قال: «صلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكم عليَّ زكاةٌ لكم[١]»، وقال ﷺ: «فإنَّها لكم أضعافٌ مضاعفةٌ[٢]».

وعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: أوصاني رسول الله ﷺ بملازمة الصلاة عليه فِي السفر والحضر، ذكر ذلك ابن بشكوال.

ومن محاسن ما نقل الطبري فِي معجمه: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عليَّ؛ لأنَّ أوَّل ما تُسألُون فِي القبر عنِّي[٣]»، قَالَ السخاوي: لَمْ أقف لـه عَلَى سندٍ.

ومن محاسن ما خرَّجه البيهقي عن أبي مسعود البدري الأنصاري واسمه عقبة بن عمرو ﷺ قال: «آتانا رسول الله ﷺ ونحن فِي مجلس سعد بن عيادة، فقال لـه بشر بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلِّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلِّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتَّى تمنينا أنه لَمْ يسأله، ثم قَالَ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمدٍ، وعَلَى آل محمَّدٍ، كما صلَّيْتَ عَلَى آل إبراهيمَ، وباركْ عَلَى محمَّدٍ، وعَلَى آل محمَّدٍ، كما بَارَكْتَ عَلَى إبراهيمَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ، والسَّلام كما علمتُم[٤]» رواه مسلم، وهو عند مالك فِي «الموطأ»، وأبي دواد، والنسائي، والترمذي، والبيهقي، وزادوا: «فِي العالمين إنَّك حميدٌ مجيدٌ».

وقال ابن السنِّي فِي «عمل اليوم والليلة»: «كما قد علمتم».

وقال الجلال السيوطي: «كما علمتم»، يروى بفتح العين، وتخفيف اللام، وبضم

---

(١) رواه هناد فِي الزهد (١١٧/١)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٢٥٣/٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه مسلم (٣٠٥/١)، والترمذي (٣٥٩/٥)، والنسائي فِي الكبرى (٣٨١/١)، ومالك فِي الموطأ (١٦٥/١)، وأبو نعيم فِي المسند المستخرج (٢٩/٢).

العين وتشديد اللام.

ومن محاسن ما نقله شيخ الإسلام ابن عميرة فِي سيرته: ما أخرجه عن ابن حبَّان فِي «صحيحه»، والدارقطني فِي «سننه»، والبيهقي فِي «شعب الإيمان» قال: أقبل رجلٌ حتَّى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، وعنده جماعةٌ من الصحابة، أو قال: مرَّ، وفِي حديث نقله السخاوي: ونحن عنده، فقال: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا صلينا فِي صلاتنا صلَّى الله عليك؟ قال: فصمت رسول الله ﷺ، حتَّى رجينا أن الرجل لَمْ يسأله، فقال: «إذَا أنتمْ صلَّيتم فقولُوا: اللَّهمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ النبيِّ الأمِّيِّ، وعَلَى آل محمَّدٍ، كما صلَّيتَ عَلَى إبراهيمَ وعَلَى آل إبراهيمَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ[(١)]».

وفِي رواية ذكرها الحميدي قال: «تقولُون: اللَّهُمَّ اجعلْ صلواتِك وبركاتِك عَلَى محمَّدٍ، كما جعلتها عَلَى إبراهيمَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ[(٢)]».

وزاد ابن أبي شيبة: «آل إبراهيم[(٣)]».

وفِي رواية: «اللَّهمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ عبدِك ورسولِك وأهل بيته، كما صلَّيت عَلَى إبراهيمَ وعَلَى آل إبراهيم[(٤)]»، وفِي رواية: «إبراهيم»، وزاد: «إنَّك حميدٌ مجيدٌ».

وزاد ابن ماجه: «وارحمْ محمدًا وآل محمَّدٍ[(٥)]».

ورأيت كراسة فِي هذه الصلاة ذكر طرق الأحاديث ما يزيد عَلَى مائة حديث، وخرَّجها باختلاف أقوالها، وجعل الضابط لذلك فِي صفة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد وعَلَى آل محمَّد، كما صليت عَلَى إبراهيم وعَلَى آل إبراهيم، وباركْ عَلَى سيِّدنا محمدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ، كما باركت عَلَى إبراهيم، فِي العالمين إنَّك حميدٌ مجيدٌ، عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون،

(١) رواه البخاري (٤/١٨٠٢)، وأحمد (٤/١١٩).

(٢) رواه أبو داود (٤/٣٤٧)، والنسائي فِي الكبرى (٦/٨٩)، وأحمد (٥/٣٥٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة فِي المصنف (٢/٢٤٧).

(٤) رواه الطبري فِي تفسيره (٢٢/٤٤).

(٥) رواه الحاكم فِي المستدرك (١/٤٠٢)، وذكره ابن حجر فِي تلخيص الحبير (١/٢٧٤).

وغفل عن ذكرك الغافلون»، وقرر فِي ذلك أن المصلي عليه بهذه الصلاة لــه من الثواب ما لا يُحصى.

وسـئل الإمام النووي عن حصر ثواب هذه الصلاة هل يعطيه الله ثوابًا عدد خلقه؟ فقال: لا مانع من ذلك.

وقـال الإمام الجويني: زنة عرشك أثقل ثوابًا من زينة عرشك، وكلاهما جائزٌ، وأما رضاء الله تعالى وعطاؤه لا يكيَّف ولا يقدَّر فِيْهِ حصرٌ.

قَالَ صاحب كتاب الوحيد فِي ترجمته أهل التوحيد: رأيت عن بعض أهل الكشف أن الله تعـالى يأمـر المَلك الذي يصعد بهذه الصلاة أن يُعلم النبيَّ ﷺ بها، فيأخذها بيده الـشريفة، ويختم عليها بخاتمه الشريف، ويقول للملك: «دعْها تحت ساق عرش ربِّي، فـيدعها»، فهـذا دليلٌ عَلَى اعتنائه بهذه الصلاة، وأنها أفضل الصلوات، وأن منها ما هو بلفظ شفتيه.

ومن محاسنها ما قررناه فِي الأحاديث السابقة، ولم يكن دليل لفظٍ أبلغ من هذا.

وقـال الـشيخ عبد الوهاب الشعراني: هي وِرد العارفين، وجاءه رجل عليه ديونٌ كثيرةٌ فأمره بملازمة هذه الصلاة، فما مضى عليه شهرٌ حتَّى قضى الله دَينه عَلَى أيسر ما يكون وأحسن زيادةٍ.

وكـان شـيخنا دائمًا يقول: هنيئًا لمن تَقبَّل الله منه صلاةً واحدةً فِي عمره؛ فإنه لا يدخل النَّار.

ومـن محاسن ما نقل عن عبد الله بن عمر: «أنَّ رجلاً قَالَ لــه: كيفَ الصَّلاةُ عَلَى النبيِّ ﷺ؟ فقال لــه: اللَّهُمَّ اجعلْ صلواتِك وبركاتِك ورحمتَك عَلَى سيِّد المرسلينَ وإمامِ المتَّقين وخاتمِ النبيِّين محمَّد عبدِك ونبيِّك ورسولك إمامِ الخير، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ يومَ القيامةِ مقامًا محمـودًا يغبطُه الأوَّلون والآخِرُون، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيت عَلَى إبـراهيمَ وآل إبراهيمَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ[1]» رواه أحمد بن منيع فِي مسنده، وسبط البغوي فِي فوائده.

ومن محاسن كتاب دليل السعادة: ما روي عن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه المحاملي فِي أماليه (١/٢٨٨).

قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قال: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ، وأَنْزِلْه المقعدَ المقرَّب عندَكَ يومَ القيامةِ وَجَبَتْ لـه شفاعتي[(١)]»، وزاد فِي الحلية بلفظ: «المقرَّب عندك فِي الجنَّة حلَّت لـه شفاعتي يومَ القيامة[(٢)]».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ قال: جزى الله عنَّا محمدًا ﷺ خيرًا ما أهلُه به»، وقيل: «ما هو أهله أتعب سبعين ملكًا ألف صباحٍ[(٣)]» رواه الحافظ أبو نعيم فِي الحلية.

قلت: هذا الحديث يؤيد ما نقله القونوي قدَّس الله سرَّه فِي هذه الصلاة: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ، وعَلَى أصحاب محمَّدٍ، وعَلَى أزواج محمَّدٍ، وعَلَى ذرية محمَّدٍ، واجـزِ محمَّـدًا ﷺ ما هو أهله، ذكر فِي ثواب هذه الصلاة ما لا يُحصى، وأن الله تعالى يـزوِّجه سـبعين حورًا، وأن لـه قصرًا فِي الجنَّة، ولم أر لهذه الصلاة عَلَى هذا الترتيب حديـثًا أسند عليه، ولعله ذكر ذلك من باب الترغيب، أو اطَّلع عَلَى سند نقله، عفا الله تعالى عنه.

وقـال: هذه الصلاة تزيد فِي الرزق، وتحفظ الذهن، وتجود الفكر، وملازمها يعطيه الله تعالى ثوابًا جزيلاً.

وقـال الأوزاعـي: عـدد آل محمَّدٍ وآل محمَّدٍ كل تقيٍّ من آدم إِلَى قيام الساعة، وأصحاب محمَّدٍ وأزواجه وذريته اجتمع فيهم كلُّ خيرٍ، وما هو أهله.

قال البغوي: قَالَ الله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]، والنبيُّ ﷺ أهل الشفاعة والعفو والتجاوز والصفح.

وقال الغزالي: ربما اجتمعت هذه الخصال الست لمن صلَّى بهذه الصلاة، فمن ثَمَّ لا حـصر لـثواب هذه الصلاة، ولعل الضمير فِي قوله: (أهله) راجعٌ إِلَى الله تعالى، أو إِلَى محمَّدٍ ﷺ، قَالَ ذلك المجد اللغوي.

---

(١) رواه أحمد (١٠٨/٤)، والطبراني فِي الكبير (٢٥/٥)، وفِي الأوسط (٣٢١/٣)، وابن أبي عاصم فِي السنة (٣٩٥/٢)، والبزار فِي مسنده (٢٩٩/٦).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٢٠٦/٣)، والطبراني فِي الكبير (٢٠٦/١١)، وفِي الأوسط (٨٢/١).

ومـــن محاســـن ما نقله المجد اللغوي فِي كتابه: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ صلَّى عَلَى روح محمَّدٍ فِي الأرواح وعَلَى جسده فِي الأجساد وعَلَى قبرِه فِي القُبُور رآني فِي منامِهِ، ومن رآني فِي منامه رآنِي يومَ القيامةِ، ومَنْ رآنِي يومَ القيامةِ شَفعتُ لـــه، ومَنْ شفعتُ لـــه شربَ من حوضي، وحرَّم الله جسده عَلَى النَّار[1]» ذكره أبو القاسم السبتي فِي كتابه «الدرُّ المنظم فِي المولد المعظَّم».

وزاد بعـــضهم: «وعَلَـــى اسمه فِي الأسماء، وعَلَى صورته فِي الصور، وعَلَى نوره فِي الأنوار[2]».

وزادني بعضهم: القول والفعل والعمل والعلم، فقال: «وعَلَى قوله فِي الأقوال، وعَلَى فعله فِي الأفعال، وعَلَى عمله فِي الأعمال، وعَلَى علمه فِي العلوم[3]».

وزاد بعـــضهم: «مـــا رســـم به»، ثم نظر إِلَى صفة جسده الشريف، فذكر: شِعره الشريف وثغره وجيده ونحره ونهره، ثم زادني ذلك ذكر بطنه، وظهره، وختم بذكر قبره الشريف ﷺ، ولازم صلاة الروح هذه من العارفين جماعةٌ عَلَى هذه الصورة، فكان يرى الـــنبيَّ ﷺ يقظةً، كأبي الحمائل السروي وغيره، والشيخ نور الدين الشوني، والشيخ عبد الـــوهاب الـــشعراني، ورأى النبيَّ ﷺ بفضل هذه الصلاة جماعةٌ: منهم الشيخ أبو الحسن الكفوري شيخنا عفا الله عنه، ورآه ما يزيد عن مائه مرةٍ، وأعطاه علامةً للشفاعة، وقال لــــه: الموعد الموقف، وقال لـــه فِي مرةٍ أخرى: نحن صحبناك من الصغر، وكان دَيِّنًا ورعًا زاهدًا.

والشيخ نور الدين الشوني كان يراه يقظةً، أخبر عنه الشيخ شهاب الدين البلقيني عفا الله تعـــالى عنه، وأخبرني من أثق به بحضرة شيخ الإسلام البهنسي عفا الله تعالى عنه، رآه ما يزيد عن مائة مرةٍ، وأعطاه علامةً للشفاعة: أنه رأى النبيَّ ﷺ بمجيئه الأزهر فِي إحياء لـــيلة الجمعة وسيِّدنا عيسى ابن مريم عن يمينه وملأ من الصحابة، فقال النبيُّ ﷺ لعيسى عليه السلام: يـــا ابن مريم هل فِي حواريك مثل هذا يجمع للصلاة عليَّ؟ وقد نصره الله تعالى،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

وأخـــذت عنه العلماء، ودعا لأهل المجلس، وقد بسط يديه. قَالَ الرائي: فأردت أن أقوم. قال: جعلك الله منهم، فلازمت معهم ليلة الإثنين وليلة الجمعة ومجالسهم، فرأيت الخير، وكـــان يخبر أنه يرى النبيَّ ﷺ، وكان الشيخ شهاب الدين البلقيني عفا الله تعالى عنه يخبر بالعجائـــب من بركة الصلاة عليه، وكذلك ولده الشيخ صالح عفا الله تعالى عنه، وكان الشيخ عبد القادر القشاشي يراه فِي صلاة التراويح.

وأخبرني الشيخ شحاتة الحلبي زائر القرافتين: أن الشيخ بركات الزائر رأى النبيَّ ﷺ سبع مراتٍ، وأوصاه بالشيخ شاهين المجذوب، وقال: هو مع الفرقة الناجية.

قلت: ولعله أراد بِهَا العاملين بالكتاب والسنَّة، أو أراد شاهين المذكور أنه مع الفرقة الناجية ولو بسطته ذكر من رأى النبيَّ ﷺ وهو يصلي صلاة التراويح، هذه لمَّا وسعه هذا الكتاب.

وبالجملة: إن ثواب هذه الكيفية لها لا يُحصيه إلا الله تعالى.

قـــال العارف بالله تعالى الإمام الكيزاني: يعطيه الله ثوابًا عدد الأرواح، وثوابًا عدد الأجـــساد، والأشباح: جمع شبح، والمراد بذلك: الملائكة، ومن ليس لهم جسم، ويعطيه الله ثوابًا بعدد كلِّ صورةٍ من الخلق، والدواب، والطير، والوحش، والذر، والبعوض وغير ذلك، والمراد بالنور: الملائكة الكروبيون، وحور الجنَّة، ثم نظر إِلَى ثواب كل قولٍ نطق به اللسان من أعمال الخير إِلَى يوم القيامة، وكل عملٍ من الأعمال المأمور بها، وكلِّ علم جـــاء عنه، وأما رسمه فهو ما وسمت به أمته، وما وسم الله تعالى به كل عارفٍ، والوسم مذكـــور خلاف الرسم، وسوف يأتي ذكر الرسم فِي الكيفيات، أو لعله أراد ما وسمت به الصالحون كالغرة المذكورة والتحجيل، وغير ذلك من خصائص هذه الأمَّة الشريفة.

ثم نظـــر إِلَـــى جسمه الشريف، فبدأ بذكر شعره؛ لمضاعفة الثواب فِي ذلك وجبيه وثغـــره، ولما رأى ما نطق به من الحكمة، وناهيك بالقرآن العظيم وثوابه، وصدره، وما حوى بكل خيرٍ، وبطنه وما وعى، فهذا تقريرٌ حسنٌ عرفنا به قدر هذه الصلاة الشريفة، وإن أصـــلها واردٌ فِي السنة وزيادة، وإن شاء الله تعالى يأتي ذكر رسمه الشريفة فِي الباب الـــرابع مبيّـــنًا مفصّلاً، فإن ذكر هذه الألفاظ حسنٌ، وأنها ليست ببدعة، ومن ذكر ذاته الـــشريفة، ومـــا حـــوت توسُّـــلاً وتفرُّعًا، فلا يعترض فِي ذلك، فإنها كالدعاء المأثور المستخرج من أقواله ﷺ.

واعترض بعض الفقهاء عَلَى هذا التقرير، فمقت، ومات فِي قرية بغير دفنٍ، ولم أر ما تلمّح به غير الاعتقاد، وأقول ما قالت مشايخنا وسادتنا: هذه الصلاة معتقدٌ، أو هي: اللَّهُمَّ صلِّ وسلم عَلَى روح نبينا محمَّدٍ فِي الأرواح، وصلِّ وسلم عَلَى جسده فِي الأجساد، وصلِّ وسلم عَلَى قبره فِي القبور، وصلِّ وسلم عَلَى اسمه فِي الأسماء، وصلِّ وسلم عَلَى صورته فِي الصور، وصلِّ وسلم عَلَى نوره فِي الأنوار، وصلِّ وسلم عَلَى قوله فِي الأقوال، وصلِّ وسلم عَلَى فعله فِي الأفعال، وصلِّ وسلم عَلَى عمله فِي الأعمال، وصلِّ وسلم عَلَى علمه فِي العلوم، وصلِّ وسلم عَلَى رسمه فِي الرسوم، وصلِّ وسلم عَلَى شعره فِي الشعور، وصلِّ وسلم عَلَى ثغره فِي الثغور، وصلِّ وسلم عَلَى بطنه فِي البطون، وصلِّ وسلم عَلَى ظهره فِي الظهور، وبعضهم ختم هذه الصلاة بذكر اسمه الشريف، وبعضهم ختمها بذكر قبره الشريف، وبعضهم قدّم وآخر وكلٌّ ذلك حسنٌ.

وأخبرني الوالد عن شيخ الإسلام الرملي عفا الله تعالى عنه: أنه كان يحبُّ هذه الصلاة، ويقول: لها أصل، ولو لَمْ يكن فِي ثوابها إلا ما وعد ﷺ بقوله: «رآني فِي مَنَامِهِ، وشفعتُ لَهُ، وشربَ مِنْ حوضِي، وحرَّم الله جسدَهُ عَلَى النَّارِ» لكان خيرًا كثيرًا انتهى.

ومن محاسن فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ: «مَنْ سرَّه أنْ يكتالَ بالمكيالِ الأوفَى إذا صلَّى عَلَى أهل البيتِ فليقلْ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ النبيِّ وأزواجِه أمَّهاتِ المؤمنين وذرِّيَّتِهِ وأهلِ بيتِهِ، كَمَا صلَّيتَ عَلَى إبراهيمَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ(١)».

وفِي روايةٍ يقول: «اللَّهُمَّ اجعلْ صلواتِك وبركاتِك عَلَى النبيِّ محمَّدٍ وأزواجِه أمَّهاتِ المؤمنين»، وزاد فِي آخرها: «سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفُون، وسلامٌ عَلَى المرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين(٢)».

ومن محاسن الدر المنظم عن النبي ﷺ: أنه قال: «الصلاةُ عليَّ نورٌ عِنْدَ ظُلْمَةِ

---

(١) رواه أبو داود (١/٢٥٨)، والعقيلي فِي الضعفاء (١/٣١٨)، والبيهقي فِي الكبرى (٢/١٥١)، وفِي الشعب (٢/١٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٧/١٢٣) بنحوه.

الصِّراطِ، ومَنْ أرادَ أَنْ يَكْتَالَ بالمكيالِ الأوفى فَلْيُكْثِرْ الصَّلاةَ عَلَيَّ[(١)]))، وكان عليٌّ بن أبي طالب يقول: ((اللَّهُمَّ داحيَ المدحوَّات، وبارئَ المسموكات، وجبَّارَ القلوب عَلَى فطرتها: شقيّها وسعيدها اجعلْ شرائفَ صلواتِك ونوامِيَ بركاتِك ورأفةَ تحنُّنِك عَلَى محمَّد عبدِك ورسولِك، الخاتمِ لمَّا سبق، والفاتحِ لمَّا أغلق، والمعلنِ الحقَّ بالحقِّ، والدامغ لِشبهات الأباطيل، كما حمل، فاضطلع بأمرك لطاعتك، مستوفزًا فِي مرضاتك، غير نكلٍ عن قدمٍ، ولا وهنٍ فِي عزمٍ، داعيًا لوحيك، حافظًا لعهدك، ماضيًا عَلَى نفاذ أمرك، حتَّى أورى ما يشاء لقائض آناء الله، تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، وأبهج موضحات الأعلام، ومنيرات الإسلام، ودائرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخزَّان علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، التي أنعمت بِهَا عليه، ورسولك بالحقِّ، رحمةٌ للخلق، اللَّهُمَّ افسح له مفسحًا فِي عدنك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهيأةً له غير مكدراتٍ من نور ثوابك المصون، وجزيل عطاياك المعلول، اللَّهُمَّ أعلِ عَلَى بناء الناس بناه، وأكرم مثواه لديك ونُزله، وأتمم له نوره، واجزه من انبعاثك له مقبول الشهادة، ومرضي المقالة إذا أنطق عدل، وخطة فصلٍ، وحجَّة، وبرهان عظيم ﷺ[(٢)])) أخرجه الطبراني وابن أبي عاصم.

وكان ابن عباس إذا صلى عَلَى النبيِّ ﷺ قال: ((اللَّهُمَّ تقبَّل شفاعة محمَّد الكبرى، وارفع درجته العليا، وأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الآخرة والأولى، كما آتيتَ إبراهيمَ ومُوسَى[(٣)])) رواه ابن حميد.

وفِي حديث أنس: ((اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ كما أمرتنا أَنْ نصلِّيَ عليه، وصلِّ عليه كما ينبغي أَنْ يُصلَّى عليه[(٤)])).

ومن محاسن ما نقله الحجري فِي كتابه ((الواضح المبين)): ما رواه ابن عباس عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول فِي دعائه: ((اللَّهُمَّ إنِّي أسألك يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا جائرَ

---

(١) رواه الديلمي فِي الفردوس (٢/٤٠٨)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٤/٢٤٩)، والذهبي فِي الميزان (٣/١٠٩).

(٢) رواه الطبراني فِي الأوسط (٩/٤٣)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٦/٦٦).

(٣) رواه عبد الرزاق فِي مصنفه (٢/٢١١)، وذكره ابن كثير فِي تفسيره (٣/٥١٤).

(٤) لم أقف عليه.

المستجيرين، يا مأمنَ الخائفين، يا عمادَ مَنْ لا عمادَ له، يا سندَ مَنْ لا سندَ له، يا ذُخر مَنْ لا ذُخر له، يا حرزَ الضعفاء، يا كَنزَ الفقراء، يا عظيمَ الرجاء، ومنقذَ الهلكاء، يا منجِّيَ الغرقى، يا مُحسنُ، يا مُكمِّلُ، يا مُنعمُ، يا مفضِّلُ، يا عزيزُ، يا جبَّارُ، يا منيرُ، أنت الذي سجد لك سوادُ الليل، وضوءُ النَّهار، وشعاعُ الشمس، وحفيفُ الشجر، ودويُّ الماء، ونورُ القمر، يا الله، أنت الله لا شريكَ لك، أسألُك أنْ تُصلِّيَ عَلَى محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، وعَلَى آل محمَّد[1]».

لازم هذه الصلاة جماعةٌ من التابعين، وأخذها السلف من أهل الطريق، ولم ينقل السخاوي هذا بسندٍ غير ما نقلناه إِلَى آخر الصلاة المذكورة.

وفِي الكتاب المذكور ما روي عن عمارة بن زيد المعوني ومحمد بن إسحاق المطالبي قالوا: بينما رسول الله ﷺ فِي المسجد إذا برجلٍ مُلثَّمٍ بلثامٍ، فأسفر عن لثامه، وأفصح عن كلامه، وقال: السلام عليكم يا أهل العزِّ الشامخ والكرم الباذخ، فأجلسه النبيُّ ﷺ بينه وبين أبي بكر، فنظر أبي بكر إِلَى الأعرابي، فقال: يا رسول الله، أتجلسه بيني وبينك، ولا أعلم عَلَى الأرض أحبَّ إليك منِّي. فقال له: «إنَّ الأعرابي أخبرني عنه جبريل عليه السلام أنه يصلي عليَّ صلاةً لَمْ يصلها عليَّ أحدٌ قبله». فقال: يا رسول الله صلى الله عليك، كيف يصلي عليك حتَّى أصلِّي عليك مثله؟ فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكرٍ، إنَّه يقولُ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ فِي الأوَّلين والآخرين، وفِي الملإِ الأعلَى إِلَى يومِ الدِّينِ». فقال: يا رسولَ الله، فما ثوابُ هذه الصلاة؟ فقال: «يا أبا بكر، لقد سألتني عمَّا لا أقدرُ أَنْ أحصيَه، فلو كانتِ البحارُ مدادًا، والأشجارُ أقلامًا، والملائكة كُتَّابًا يكتبون لفنِيَ المدادُ، وتكسَّرتِ الأقلامُ، ولم تبلغْ الملائكةُ ثوابَ هذه الصلاةِ[2]» ذكره أبو الفرج فِي كتاب «المطرب».

ومن محاسن ما ذكره ابن منيع كما فِي «الشفا»: أن النبي ﷺ كان لا يجلس بينه وبين أبي بكر أحدٌ، فجاء رجلٌ يومًا، فأجلسه بينهما، فتعجَّبت الصحابة من ذلك، فلمَّا خرَجَ قَالَ النبي ﷺ: «هذا يقولُ فِي صلاتِه: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ كما تحبُّ وترضَى

(١) رواه الديلمي فِي الفردوس (١/٤٥٠).

(٢) رواه الطبري فِي تفسيره (٢١/٨١)، والبيهقي فِي الاعتقاد (ص٩٧).

لــه[(١)]».

وعن ابن مسعود أنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إذا صلَّيتُمْ عليَّ فأَحْسِنُوا صلاتَكُمْ؛ فــإنَّكُمْ لا تــدرُونَ، لَعَــلَّ ذلكَ يُعرضُ عليَّ، قولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صلواتِكَ ورحمتَكَ وبــركَاتِكَ عَلَــى سيِّدِ المرسلين، وإمامِ المتَّقين، وخاتمِ النبيِّين عبدِكَ ورسولِكَ إمامِ الخَــيرِ، وقائــدِ الخيرِ، ورسولِ الرَّحمةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ المقامَ المحمودَ، يغبطُه به الأوَّلون والآخِرُونَ[(٢)]» أخرجه الديلمي فِي «مسند الفردوس».

وروي عــن زين العابدين علي بن الحسين: أنه كان إذا صلَّى عَلَى جدِّه يقول والناس يسمعونه: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ فِي الأوَّلين، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ فِي الآخرين، وصلِّ عَلَى محمَّــدٍ شابًّا تقيًّا، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ أملاً مرضيًّا، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ رسولاً نبيًّا، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَــى محمَّدٍ حتَّى ترضى، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ بعدَ الرضا، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ أبدًا أبدًا، اللَّهُمَّ صَــلِّ عَلَى محمَّدٍ كما أَمَرْتَ بالصَّلاة عليه، وصَلِّ عَلَى محمَّدٍ كما تُحِبُّ أَنْ يُصَلَّى عليه، وصَــلِّ عَلَى محمَّدٍ كما أردت أَنْ يُصَلَّى عليه، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ عددَ خلقِكَ، وصَلِّ عَلَــى محمَّدٍ رضاءَ نفسك، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ زنةَ عرشِكَ، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ مدادَ كلماتِك التِــي لا تنفدُ، اللَّهُمَّ وأعطِ محمَّدًا الوسيلةَ والفضلَ والفضيلةَ والدرجةَ الرفيعةَ، اللَّهُمَّ عَظِّمْ بُــرْهَانَه، وأَبْلِغْ حجَّتَه، وأَبْلغْهُ مَأْمُولَه فِي أهلِ بيتِه وأمَّتِه، اللَّهُمَّ اجعلْ صلواتِك وبركاتِك ورأفــتَك ورحمتَك عَلَى محمَّدٍ حبيبِكَ وصفيِّك، وعَلَى أهل بيْتِه الطيِّبين الطاهرين، اللَّهُمَّ صَــلِّ عَلَــى محمَّدٍ بأفضلِ ما صلَّيت عَلَى أحدٍ من خلقِك، وباركْ عَلَى محمَّدٍ مثل ذلكَ، وارْحَــمْ محمَّدًا مثلَ ذلكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ فِي اللَّيلِ إذا يَغْشَى، وصَلِّ عَلَى محمَّدٍ فِي الــنَّهارِ إذا تَجَلَّــى، وصَلِّ عَلَى محمَّدٍ فِي الآخرة والأولى، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ الصَّلاةَ التامَّةَ، وباركْ عَلَى محمَّدٍ البركةَ التامَّة، وسلم عَلَى محمَّدٍ السَّلام التامَّ، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ إمامِ الخيرِ وقائدِ الخيرِ ورسولِ الرحمةِ، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ أبدَ الآبدين، ودهر الداهرين، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ النبيِّ الأمِّيِّ العربيِّ القرشيِّ الهاشميِّ الأبطحيِّ التِّهاميِّ المكِّيِّ، صاحب

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه ابــن ماجــه (٢٩٣/١)، والطبراني فِي الكبير (١١٥/٩)، والبيهقي فِي الشعب (٢٠٨/٢)، وأبو يعلَى فِي مسنده (٧٥/٩).

التاجِ والهراوةِ والجهادِ والغنم، صاحب الخيرِ والمير، صاحب السرايا والعطايا، والآيات والمعجزات، والعلامات الباهرات، والمقام المشهود، والحوض المورود، والشفاعة والسجود للربِّ المعبود المحمود، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ بعددِ مَنْ صلَّى عليه وعددِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عليه».

ومن محاسن ما ذكر الفاكهاني فِي أنه ألهم كيفية ذكرها وهي هذه الصلوات:

«اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد، الذي أشرقت بنورِه الظلم، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ المبعوثِ رحمةً لكلِّ الأمم، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد المختارِ للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد الموصوف بأفضل الأخلاق والشِّيم، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد المخصوص بجوامع الكَلِم وخواص الحكم، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد الذي كان لا تنهتك فِي مجالسه الحُرمُ، ولا يُغضى عمَّن ظلم، الذي كان إذا مشى تظلله الغمام حيثما يمرُّ، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد الذي انشقَّ له القمر، وكلَّمه الحَجر، وأقرَّ برسالته وصمَّم، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد الذي أثنى عليه ربُّ العزَّة نصًّا فِي سالف القِدَم، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّد الذي صلى الله عليه فِي محكم كتابه، وأمر أن يُصلى عليه وسلَّم، صلَّى الله عليه وعَلَى آله وأصحابه وأزواجه ما أضلَّت الديم، وما جُرَّت عَلَى المذنبين أذيال الكرم، وسلم تسليمًا، وشَرُفَ وكَرُمَ». ذكر هذه الصلاة السخاوي فِي كتابه، وكتبهَا جماعةٌ وحفظوها.

قال رضي الله تعالى عنه: ثم أخبرت بعدد ذلك أن بعض الطلبة المباركين من أصحابنا المالكية رأى فِي المنام أنه يُصلي بِهَا عَلَى منبر النبيِّ ﷺ، والحمد لله انتهى.

قلت وأقول كما قَالَ الشيخ عفا الله تعالى عنه: إن هذه الصلوات من نعم الله تعالى عَلَى جماعةٍ قالوا بترتيبٍ عَلَى غير هذا الترتيب، ورأوا النبيَّ ﷺ وعنده جماعةٌ يصلُّون بها، وقد ردَّت عنهم العذاب، ووقاهم الله تعالى كلَّ سوءٍ، ودفع عنهم كلَّ ضررٍ، ورأى الفقير من بركاتها ما لا يُحصى، وهي هذه.

ومن محاسن ما أنعم الله تعالى عَلَى الفقير: أني وقعت عَلَى مؤلف فِي هذه الصلاة التي ذكرتها، كان شيخنا البهنسي يفيد أنها بعشرة آلاف صلاةٍ، وذكر السخاوي أنه لَمْ يقف لها عَلَى أصلٍ، وذكر ابن بشكوال فِي مؤلفه ما اشتهر من فضلها.

وقال الحافظ ابن حجر المكِّيِّ عفا الله تعالى عنه: وقفت عَلَى قول بعض التابعين ولم

أرَ لهــا أثرًا عند المحدثين، وفِي كتاب «المرائي» أنها كثيرة البركات، وذكر ابن رشيق لها شـــرحًا لطــيفًا، وممن لازمها اليمني، وابن عساكر، والطائي، ومن أهل الأوراد جماعةٌ، ومعانـــيها لا تنحصر، وذكر بعض العلماء لها شرحًا فِيْهِ أنواع البلاغة، وذكر عن الإمام العلامة السهيلي: أنه كان يلازمها فِي توسلاته، وفيما تلقاه كفايةٌ، ولله الحمد، وهي هذه: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ السابق للخلق نوره، ورحمة العالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك، ومن بقي، ومن سعد منهم، ومن شقي، صلاةً لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد ولا انقـــضاء، صلاةً تستغرق العدَّ، وتحيط بالحدِّ، صلاةً دائمةً بدوام ملكك، باقيةً ببقاء عزِّك، لا نفاذ لها دون علمك، وعَلَى آله وصحبه كذلك، والحمد لله عَلَى ذلك».

قال الإمام النويري: إن قررنا ضبط معاني هذه الصلاة ما وسعها مجلدٌ.

وقال الحافظ سراج الدين البلقيني: إنها تكفرُ الخطايا.

وتبعه ولده الشيخ صالح فِي فتواه، وزاد: أنها تهدم الذنوب، وأنها بعشرة آلاف صلاةٍ.

وذكــر الجــلال الســيوطي: أن أوَّل من صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ بهذه الصلاة فتًى من التابعين، وقال رضي الله تعالى عنه: إني لَمْ أعرف اسم ذلك التابعي، ورأيت من ذكر ذلك من العلماء، وقال إنها عن بعض السلف.

ومــن محاسن ما ذكره السخاوي عفا الله تعالى عنه فِي كتابه «القول البديع» وقد تقـــدَّم ذكره بغير هذا المعنى: نقل أن ابن الجوزي قَالَ فِي كتابه «سلوة المخزون» قصةً طـــويلةً، وذكر أنه لَمْ يقف عليها فِي مسنده: تزويج أبينا آدم عليه السلام بحوى، وأنه لمَّا رام القـــرب لها طلبت منه المهر، فقال: يا ربِّ ماذا أعطيها؟ فقال: «يا آدم صلِّ عَلَى صفيِّي محمَّدٍ عشرين مرةً». ففعل، فزوَّجه بها، وزاد ما قدمناه فِي «الولد الصغير» أنه إذا أراد أن يـــشرب ثدي أمه درَّ ثديها لبنًا سائغًا شرابه من الجنَّة، وإذا قَالَ الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ فِي الثناء، وإن صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ غفر لهما.

ومن محاسن ما نقله البيهقي فِي كتابه «شعب الإيمان»: ألا تنبغي الصلاة عَلَى أحدٍ إلا عَلَى النبيِّ ﷺ، ورجاله رجال الصحيح[1].

---

(١) رواه الطبراني فِي الكبير (٣٠٥/١١)، والبيهقي فِي الكبرى (١٥٣/٢)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٢٥٤/٢)، وابن حبان فِي الصحيح (١٩٧/٣).

وقال سفيان الثوري: (يُكره أن يُصلَّى عَلَى غير النبيِّ ﷺ) أخرجه البيهقي[١].

وقال مالك: «إنَّه لا يُصلَّى عَلَى غيرِ الأنبياءِ».

أوّله أصحابه، منهم يحيى بن بكير، وأشهب، وبعده عبد الوهاب بن نصر بمعنى: ألا نتعبد بالصلاة عَلَى غيره من الأنبياء، كما تعبَّدنا بالصلاة عليه ﷺ، قاله السخاوي فِي تقريراته، وذلك بحديث ورد أنه قال: «صَلُّوا عَلَى أنبياءِ اللهِ ورسلِه[٢]».

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وحذفت اختلافهم وما ذكره لمَّا قصدناه من ذكر الترغيب فِي فضله والصلاة عليه ﷺ.

ومن محاسن ما ذكره صاحب الكيفيات المرتبات: قَالَ الإمام عفيف الدين اليافعي رضي الله تعالى عنه: ضبطت كيفيات صلاة إبراهيم، أعني بها: المذكورة فِي الصلاة، فوجدتها إحدى وستين كيفيةً، أحسنها ثلاثٌ، وجمعت بين الثلاث بقولي: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وآل محمَّد كما صلَّيت عَلَى إبراهيمَ وآل إبراهيمَ، وباركْ عَلَى محمَّدٍ وآل محمَّدٍ، كما بَارَكْتَ عَلَى إبراهيمَ وآل إبراهيمَ»، ولم أر: «فِي العالمين؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون».

زاد بعضهم: «وسلم تسليمًا كثيرًا».

واختلف المتأخرون فِي طرق عدَّها السخاوي ما تزيد عن مائةٍ، كلٌ منهم بكيفيةٍ، أولها: وما ذكرت لك فلك حتَّى تعلم ما قصدنا، والله تعالى المنعم بفضله.

ومن محاسن القول البديع: ما أخبر به السخاوي عن نفسه أنه قال: كنت فِي أيام شيبتي إذا صلَّيت عَلَى النبيِّ ﷺ أقول: اللَّهُمَّ صلِّ وباركْ وسلم عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّد، كما صلَّيتَ وسلَّمتَ وباركتَ عَلَى إبراهيمَ وعَلَى آل إبراهيمَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. فقيل لي فِي منامي: أنت أفصح وأعلم بمعاني الكلام، وجوامع فصل الخطاب من النبيِّ ﷺ، لو لَمْ يكن فِي التفصيل معنًى زائدًا، لمَّا فصل ذلك ﷺ سبل الله، وقل: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ كما قَالَ هو. فاستغفرتُ الله تعالى عن ذلك، ورجعتُ إِلَى نفس التفصيل فِي موضع

(١) رواه عبد الرزاق فِي مصنفه (٢/٢١٦).

(٢) رواه الديلمي فِي الفردوس (٢/٣٨٥)، وعبد الرزاق فِي مصنفه (٢/٢١٦)، والخطيب البغدادي فِي تاريخه (٧/٣٨٠).

الوجــوب وموضع الاستحباب، وكنت أقولُ كلَّ ما فِيْهِ البلاغة فِي ذكره، وأتبعه بالأدب فِي حقِّه.

فما أحسن أدب هذا السيِّد عفا الله تعالى عنه.

ومن محاسن ما رأيت وجمعت فِي الصلاة عليه ﷺ وزاده شرفًا وكرمًا ورفعةً ومهابةً وتعظيمًا: عن بعض الثقاة من أهل الكشف من أهل العلم أن هذه الصلاة لا يحصي ثوابَهَا إلا الله تعالى، وذكر لها حكاياتٍ كثيرةً، منها: وفاء الدَّين، والبركة فِي الرزق، والسعة فِي المعيشة، ويُكتفى همَّ الدنيا والآخرة، وإن كان من أهل الدِّين عاش سعيدًا، ومات شهيدًا، وقد حرَّرت واحد وعشرين كتابًا فِي كيفية هذه الصلاة، وجمعت هذه الكلمات، فجاءت لَمْ تزد عن قول الأئمة، فرأيتها من نعم الله تعالى، وإذا حررتها فِي كتاب السخاوي عرفت ذلــك، وفِي كتاب «المشرف» بالفاء الموحَّدة وهي هذه الصلاة المباركة: «اللَّهُمَّ صَلِّ وسَــلم وبَــارِكْ وتَــرحَّمْ عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ، عبدِك ونبيِّك ورسولِك، النبيِّ الأمِّيِّ، سيِّد المرسلين، وإمام المتَّقين، وخاتم النبيِّين، وقائدِ الغُرِّ المحجَّلين، إمامِ الخيرِ، وقائدِ الخيرِ، ونبيِّ الــرحمةِ، ورســولِها، وبُغْيَتِها، وسُؤْلِها، وعَلَى أزواجِه أمَّهاتِ المؤمنين، وذرِّيَّتِه الطيِّبين، وأهــل بيــته الطاهــرين، وآله الوارثين، وأصهاره المحبوبين، وأنصاره المجاهدين، وأتباعه والــتابعين، وأشــياعه السائلين، ومحبِّيه المتوسِّلين، كما صلَّيتَ وباركتَ وترحَّمْتَ عَلَى إبــراهيمَ وعَلَى آل إبراهيمَ فِي العالمينَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وصَلِّ وبَارِكْ وتَرحَّمْ علينا معهم أفضل صلواتِك وأزكى بركاتِك، كلَّما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، عدد الــشفع والوتر، وعدد كلماتك التامَّات المباركات، وعدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، صلاةً دائمةً بدوامك، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مقامًا محمودًا يغبطُه به الأوَّلون والآخــرون، وأَنْــزِلْهُ المقعدَ المقرَّب عندك يوم القيامة، وتقبَّل شفاعته الكبرى، وارْفَعْهُ الدرجةَ العُليَا، وأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الآخرة والأولى، كما آتيت إبراهيم وموسى، اللَّهُمَّ اجعلْ فِي المصطفين محبَّته، وفِي المقرَّبين مودَّته، وفِي الأعلين ذكره، واجْزِهِ عنَّا ما هو أهله خيرَ ما جزيتَ نبيًّا عن أمَّته، واجزِ الأنبياء كلَّهم خيرَ صلواتِ الله وصلواتِ المؤمنين عَلَى محمَّد النبيِّ الأمِّيِّ، السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته، ومغفرتُه ورضوانُه، اللَّهُمَّ أبلغْهُ منَّا السلامَ، وارْدُدْ علينا منه السلامَ، وأَتْبِعْهُ من ذريَّته وأمَّته ما تقرُّ به عينه عددَ ما كان، وعددَ ما يكون، وعدد ما هو كائنٌ فِي علمك، لا يحدُّه حدٌّ، ولا يحيط به عدٌّ، وسلم تسليمًا

كثيرًا)).

قال الجعبري: هذه الصلاة جامعة الفضائل.

وقال البغدادي: ما ذكرتها فِي أمرٍ إلا جاءت مثل فلق الصبح.

ونحن نسأل الله تعالى أن يجعلها شاهدةً لنا، موصلةً لنا.

فائدة

إن قيل: ما الحكمة فِي قوله (الغافلين)؟ ولم قَالَ (غفل)، ولم يَقُلْ (سكت)؟

قال النووي: ربما يكون الساكت ذاكرًا بقلبه، والغافل ليس بذاكرٍ.

وقال السبكي: الغفلة ليست هي من أعمال الخير، والغفلة عن ذكره أشدُّ من الغفلة عن ذكر الله تعالى.

الجـــواب: أن ذكره واجبٌ فِي سائر أوقات الصلوات، ولا تصحُّ الصلاة إلا بذكره؛ فكانت كالمداومة.

وجوابٌ آخر: ألزم سائر مخلوقاته بذكره، فأجابوا فِي عالم الذر، فأخذ عليهم العهد بذلك.

ومـــن محاسن ذلك: حديث جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لما كانت ليلة بعثت ما مررت بشجرٍ ولا حجرٍ إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله[1])).

وحـــديث آخر ذكره القسطلاني فِي ((المواهب اللدنيَّة)): قَالَ معَلَى بن مرَّة الثقفي: ((بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ ونزلنا منـــزلاً، فنام رسولُ الله ﷺ، فجاءتْ شجرةٌ تشقُّ الأرضَ حتَّى غشيته، ثُمَّ رجعتْ إلَى مكانها، فلمَّا استيقظَ النبيُّ ﷺ ذكرتُ ذلك لـــه، فقال: هي شجرةٌ استأذنت ربها ﷻ أنْ تُسلم عَلَيَّ، فأذن لها[2])).

ومـــن محاسن كتاب ((فضائل الصحابة)): كلام جابر وأنس وابن عباس فِي ((معجم الطبراني)) وفِي ((الجامع)): ((إنِّي لأعرفُ حجرًا بمكَّة كان يسلم عليَّ قبلَ أنْ أُبْعثَ[3])).

(١) رواه الطبري فِي تاريخه (١/٥٢٩).

(٢) رواه أحمد فِي المسند (٤/١٧٣)، وعبد بن حميد فِي مسنده (١/١٥٤).

(٣) رواه مسلم (٤/١٧٨٢)، وأحمد (٥/٩٥)، والدارمي (١/٢٤)، وابن حبان (١٤/٤٠٢).

وفِـــي لفظٍ للسخاوي: «إنَّ بمكَّة لحجرًا كان يسلم عَلَى ليالي بعثت، إنِّي لأعرفه إذا مررتُ عليه[(١)]».

وفِي «الجامع الصحيح» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: علم جبريل رسول الله ﷺ كيف يتوضأ، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم صلَّى ركعتين، ثم انصرف، فلم يمر عَلَى حجرٍ ولا مدرٍ إلا يُسلم عليه، يقول: السلام عليك يا رسول الله[(٢)].

ومـــن محاسن كتاب «زهرة الرياض ونزهة القلوب المراض» للنسفي: قَالَ بعض الصوفية: كنت أنام عَلَى حجرٍ، فسمعت ذات ليلةٍ قائلاً: السلام عليك يا نبيَّ الله، السلام علـيك يـا رســول الله، الــسلام عَلَى محمَّد بن عبد الله، السلام علينا وعَلَى المؤمنين والمؤمـــنات، من غاب منهم ومن شهد، اللَّهُمَّ اغفرْ لمحمَّدٍ، وتقبَّلْ شفاعته، واغفرْ لأهل بيـــته. فقلت: واغفرْ لي ولوالديَّ، وارحمْهما. فقال القائل: السلام علينا وعَلَى عباد الله الصالحين. وإذا بصائحٍ تحتَّى يقول: السلام عليك.

معرفته فِي قلوب عباده المؤمنين، وانجلت سحائب الشكِّ والريب عنَّا، كما تنجلي عن القمر ليلة إبداره، ولم يدع لأمته حاجةً فِي هذا التعريف وغيره، لا إِلَى من قبلهم ولا إِلَى من بعدهم؛ بل كفاهم، وشفاهم، وأغناهم عن كلٍّ من تكلم من الأولين والآخرين، بما أوتيه من جوامع الكلم وبدائع الحكم، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]، موصوفٌ فِي التوراة: محمَّدٌ عبدي ورسولي، ليس بفظٍّ، ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ فِي الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، يعفو ويغفر، فتح به أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، أَرْحَم الخلق وأَرأفهم، وأَعظم الخلق نفعًا فِي الدِّين والدُّنيا، وأفصح الخلق، وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدَّالة عَلَى المراد، أصبرهم فِي مواطن الصبر، وأصدقهم فِي مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمَّة، وأعظمهم مكافأةً عَلَى الجميل بأضعافه، وأشدُّهم تواضعًا وإيثارًا عَلَى نفسه، أشدُّ الخلق ذبًّا عن أصحابه، وحميةً لهم، ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يُؤمر به، أتركهم لمَّا يُنهى

(١) رواه أبو يعلَى فِي مسنده (١٣/٤٥٩).

(٢) ذكره ابن حجر فِي الإصابة (٧/٦٠١).

عنه، وأوصل الخلق لرحمه، فوائده لا تُحصى، ومكارمه لا تُعدُّ، جميع المخلوقات فِي حرز فضله مغموسون، وله فِي كل عصرٍ وزمانٍ متلمِّحون، سلطان الدنيا والآخرة، ومالك الجِنان الفاخرة، أعطاه الله تعالى الأنهر الأربعة، وهو خير من يُتَّبع، ﷺ وعَلَى آله وصحبه وتابعيه وحزبه)).

وأنـــت إذا تأمَّلـــت هذه المعاني وجدتها جمعت كل الخصائص، فللهِ دُر قائلها؛ لقد أصاب وأجاد، وأسأل الله تعالى أن يسطر ذلك النعت فِي صحيفة الفقير، ويبلغ به المراد؛ إنه عَلَى ما يشاء قديرٌ، وبعباده لطيفٌ خبيرٌ.

* * *

فائدة

[ذكرها شيخ الإسلام]

وهـــو أنه لمَّا كان: ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)) أفضل كلام الآدميين وأفضل الأذكار عَلَى الإطلاق فكان الحمد جامعًا لهذه الأربعة.

قال السبكي: فِيْهِ ما فِي هذه الثلاثة وزيادة؛ فهو أعمُّها.

وقـــال النووي: إن التسبيح مقام تنـــزيهٍ، وهو لنفي النقائص، والتهليل مقام توحيدٍ؛ وهو لنفي الشريك، والتكبير تحقيق أن لله سبحانه وتعالى من المحامد وراء ما قلناه وفوق ما أدركناه من التنـــزيه والتوحيد وإثبات الصفات الكاملة ما لا ندركه، ولا يمكن لبشرٍ الوصول إليه، والحمد مستكمل إثبات جميع المحامد، فيدخل فِيْهِ كل ما ذكر من التنـــزيه والتوحـــيد وإثـــبات صفات الكمال، ونفِي جميع النقائص، وإثبات ما تقصر العقول عن إدراكـــه، وجمـــيع ما ذكر دخل فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وذلك جميعه انحصر فِي ميم (اللَّهُـــمَّ)؛ لأنها أشرف الأسماء، وذكر وجوهًا متعددةً فِي ذلك؛ فهي من خصائصه، ولم أقف عَلَى أزْيَد من هذا.

قال الشيخ إمام الحرمين: لا إشكال فيما ذُكِر، والعارف إذا لخَّص هذه اللطيفة عرف قدر الصلاة عليه ﷺ.

وقال بعض العلماء: كأنه لحظ ملحظًا لخَّص به هذا التقدير، ولا نذكره إلاَّ بكلٍّ جميلٍ

مما قال، ولله الحمد.

وقال بعضهم في هذه اللطيفة: كأنه نظر إِلَى حيثيَّة السائل وما قصد فِي توسُّله واختلاف أنواع التوسلات؛ لأن اسم الله الأعظم هذه الجلالة، والميم جعلها الله تعالى سببًا للنجاة، والتوسل هو سبب الوصول إليه، وسبب كمالٍ لهذه الأمة، وإذا سقنا ما قاله الإمام النقَّاش فِي هذه المعاني لكان كرَّاسًا، وهذا ما تلخَّص لنا، ولله الحمد.

وقال التفتازاني: المصلي عليه معه وتحت لوائه.

وفِي حديث الأعرابي الذي أجلسه بينه وبين أبي بكر كفايةً لمن نظر إِلَى قرب المصلي عليه، وما لـه وما يناله، وأنَّ الصلاة عليه أجلُّ المقامات، وأعلاها.

ومن محاسن كتاب «شوق العروس وأنس النفوس»: ما ذكره الحسين بن محمد الدامغاني مؤلف هذا الكتاب المذكور نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبيِّ ﷺ عند أهل الجنَّة: عبد الكريم، وعند أهل النَّار: عبد الجبار، وعند أهل العرش: عبد الحميد، وعند سائر الملائكة: عبد المجيد، وعند الأنبياء: عبد الوهاب، وعند الشياطين: عبد القهَّار، وعند الجنِّ: عبد الرحيم، وفِي الجبال: عبد الخلاق، وفِي الْبَرِّ: عبد القادر، وفِي البحر: عبد المهيمن، وعند الحيتان: عبد القدُّوس، وعند الهوامِّ: عبد الغيَّاث، وعند الوحوش: عبد الرزَّاق، وعند السباع: عبد السلام، وعند البهائم: عبد المؤمن، وعند الطيور: عبد الغفَّار، وفِي التوراة: مودٌّ مودٌّ[1]، وفِي الإنجيل: طاب طاب، وفِي الصحف: عاقب، وفِي الزبور: فاروق، وعند الله: طه ويس، وعند المؤمنين: محمد، وكنيته أبو القاسم؛ لأنه يقسم الجنَّة بين أهلها.

ومن محاسن كتاب «مشارق الأنوار»: ذكر لـه ألف اسمٍ فِي مجلدٍ مختصٍّ بأسمائه، وشرح كل اسمٍ بمعانٍ، وذكر أهل الأثر وقدَّم بفضل الله تعالى عَلَى هذا الكتاب رحم الله تعالى مؤلفه.

وذكر السخاوي فِي كتابه «القول البديع» أربعمائة وسبعة وعشرين اسمًا، جمعها عَلَى حروف المعجم، جمعها من كتب، ورتَّبهَا من الألف للياء، وجمع الصفدي لـه مائة اسمٍ، وقال: هي أجلُّ أسمائه، وشرحها فِي مجلدٍ، وغير ذلك مما خصَّه الله تعالى به، وما قصدت

(١) مود: بالتشديد أي تشديد الدال حَسن الآداء، وبالتخفيف: هالك.

بما ذكرت غير طلب الأجر من شدة الشوق إليه، زاده الله تعالى شرفًا لديه؛ فهو ذخيرتي ووسيلتي، وامتزجت بمحبَّته سائر أعضائي، ولا فخر لي أعظم من هذا؛ لأنني انتسبتُ إليه، وحُسبْتُ عليه، ورجائي فِي الله تعالى فتح لي هذا الجمع، فلا مانع لمَّا أعطى، والفقير منكسر الخاطر، معتذرٌ لمن رأى عيب لفظ وأصلحه أن يتحفه بالأجر الكامل من كرم هذا الحبيب الجامع الشامل، ومحبته، ومحبة آل بيته؛ تمثُّلاً بما قَالَ محمد بن يوسف الشافعي شعرًا:

يَا أهْلَ بيتِ رسولِ الله حُبُّكُمُ فَرْضٌ مِن الله فِي القرآنِ أنْزَلَهُ
كَفَاكُمْ مِن عَظِيمِ القَدر أنَّكمُ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عليكُم لا صلاةَ لَه

ومن محاسن كتاب «**المشرف**»: أن إبراهيم الخليل رأى الجنَّة فِي المنام وعَلَى أشجارها مكتوبٌ: (لا إله إلا الله، محمَّدٌ رسول الله)، فسأل جبريل عن حاله؟ فأخبره به، فقال: يا ربِّ أجري ذكرى عَلَى لسانه ولسان أمته.

ذكر ذلك أبو السعود المفتي فِي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، فاستدلينا بذلك أنه أفضل الأنبياء بعد نبينا، وسمَّاه الله تعالى إيمانًا بقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ].

وقال الشيخ تقي الدين السبكي: إذا صلَّى عبدٌ عَلَى النبيِّ ﷺ صلاة إبراهيم المذكورة بكيفية ما ذكرنا فقد سأل الله تعالى أن يصلِّي عَلَى محمَّدٍ كما صلَّى عَلَى إبراهيم وعَلَى آل إبراهيم، وقد دعا الله تعالى بما دعا به الخليل، والأنبياء من بعده.

وهذه الفوائد لا توجد فِي غير هذه الصلاة.

ومن محاسن فضل صلاة إبراهيم الجارية عَلَى ألسنة المصلِّين عليه:

أنها من الله تعالى، وأنها وظيفة الكروبيين من الملائكة وملائكة العرش، وأنها صلاةٌ من الله ﷻ وملائكته ورسله، وأنها تكفِّر الخطايا، وتزكِّي الأعمال، وترفع الدرجات، ويغفر الله تعالى ببركتها الذنوب، وإن استغفارها لقائلها زائدٌ عَلَى الصلوات؛ لمَّا فيها من ذكر زنة العرش أو زينة العرش، وهذا لا يحصره تقريرٌ، ورأيت عن الشيخ عبد الوهاب بن نصر شارح الرسالة: قيراط ثواب الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ مثل أُحد عشر مراتٍ، وله من

الأجــر زيادات كثيرةٌ، وهذه الصلاة زائدٌ ثوابها، وأنها الكيل الأوفى، وكفايةٌ لمن لازمها لجميــع أمــور الدنيا والآخرة، ومن جعل صلاته كلها صلاةً عليه مُحقت خطاياه، وإن ملائكــتها الأعلون، وفضلها عَلَى عتق الرقاب زائدٌ، وبِهَا النجاة من الأهوال، وشهادة الرسول بِهَا دون غيرها، ووجوب الشفاعة، ورِضا الله تعالى ورحمته، والأمان من سخطه، والدخــول تحــت ظل العرش، ورجحان الميزان، وورود الحوض، والأمان من العطش، والعــتق مــن النَّار، والجواز عَلَى الصراط، ورؤية المقصد المقرَّب من الجنَّة قبل الموت، وكثــرة الأزواج فِي الجنَّة، ورجحانها عَلَى أكثر من عشرين زوجة، وقيامها مقام الصدقة للمعسر، وأنها زكاةٌ وطهارةٌ، وينمو المال ببركتها، وتقضي صلاةٌ واحدةٌ مائة حاجةٍ عند الله ﷻ.

وفِي قول ابن عباس أكثر: وحسناتها تضاعف، وأجورها زائدةٌ، وغالبِهَا خالٍ من عدم القــبول، ويقطــع الله تعالى الرياء من قلب ملازمها، وإن كان قول بعض العلماء كسائر الأعمــال فبركتها تشمل صاحبها، وتغسله من الرياء والذنوب، كما يغسل الماء الدَّرن، وكمــا مثَّل النبي ﷺ الصلاة كالنهر مثَّل الصلاة عليه كذلك؛ لأنها فِي الصلوات الخمس، ولهــذا ذهب الأكثرون أنها مقبولةٌ غير مردودةٍ، وأنها تحفةٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين، وإن مــن أكرم المصلي عليه أكرمه ﷺ، ومن أكرمه أكرمه الله تعالى، وأنها طاعةٌ وعبادةٌ، وأحــبُّ الأعمــال إِلَى الله تعالى، وأنها تَزين المجالس، وتنفِي الفقر، وتمنع ضيق العيش، ويُلــتمس بِهَا مظانُّ الخير، وإن فاعلها أولى الناس به، وينتفع به هو وولده، وولد ولده، ومن أهدى فِي صحيفته ثوابها.

وقال الحافظ المنذري: تقرِّب العبد إِلَى الله ﷻ ورسوله، وتكون لــه نورًا، وتنصره عَلَــى الأعداء، وتطهِّر القلب من النفاق والصدأ، وتُوجب محبَّة الناس، ورؤية النبيِّ ﷺ، وتمنع من اغتياب صاحبها، وهي أبرك الأعمال وأفضلها، وأكثرها نفعًا فِي الدنيا والدين، وثوابها لا يُحصى.

وفيما قررناه كفايةٌ للمتأمل، ولو ذكرنا ما فِي ذلك لطال الشرح.

قلت: إذا كان هذا التقرير فِي ثواب صلاةٍ واحدةٍ فكيف من نوّع كيفيات من الصلاة عليه؟ زاده الله تعالى شرفًا وكرمًا لديه، وجعلنا من حزبه وأهل محبته، وستر عيوبنا ببركته فِي الدارين، وهذه أفضل الكيفيات لله، واجبةٌ فِي اليوم والليلة فِي الصلوات الخمس مع ما

فيها من الصلاة والسلام عليه.

ومن محاسن ما رواه ابن يوسف: «مَا مِنْ عبدٍ مؤمنٍ يذكرني، فيصلِّي عليَّ إلاَّ كتب الله تعالى لـه عشرَ حسناتٍ، ومَحَا عنه عشرَ سَيِّئاتٍ، ورفعَ لـه عشرَ درجاتٍ[1]».

ومن محاسن ما جمعه الديريني في كتابه «طهارة القلوب»: عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ فتوجَّه نحو صدقته، فدخل، فاستقبل القبلة، فخرَّ ساجدًا، فأطال السجود حتَّى ظننت أن الله تعالى قبض نفسه فيها، فدنوت منه، فرفع رأسه، وقال: من هذا؟ قلت: عبد الرحمن. قال: ما شأنك؟ قلت: يا رسول الله، سجدت سجدةً حتَّى ظننت أن يكون الله تعالى قد قبض نفسك فيها، فقال: إن جبريل آتاني، فبشَّرني، فقال: إن الله ﷻ يقول: «مَنْ صلَّى عليك صلَّيتُ عليه، ومَنْ سلم عليك سلَّمتُ عليه. فسجدتُ لله شكرًا[2]».

وفي رواية: دخل رسول الله ﷺ حائطًا وأنا أتبعه، فقال: «إنَّ جبريلَ ؑ لَقِيَني فقال: أبشِّرك أنَّ الله ﷻ يقولُ: مَنْ صلَّى عليك صلَّيتُ عليه، ومَنْ سلم عليك سلَّمتُ عليه[3]».

وفي رواية: «دخل حائطًا من الأسواق يعني: بالغًا بالغرقد: وهو موضع بالمدينة، فتوضأ، ثم صلَّى ركعتين، ثم سجد، فأطال السجود، فبكيت، وقلت: قبض الله تعالى روحه، قال: فدعاني لمَّا رفع رأسه، وقال: ما لك؟ قلت: يا رسول الله، أطلت السجود حتَّى قلت: قبض الله روح رسوله، فلا أراه أبدًا. قال: سجدت شكرًا لربِّي فيما أبلاني: أي فيما أنعم عليَّ في أمَّتي: من صلَّى عليَّ صلاةً من أمَّتي كتب الله لـه عشر حسناتٍ، ومَحَا عنه عشر سيئاتٍ[4]».

وفي لفظٍ آخر: «وصلَّى الله عليه عشرًا»، ولفظه: «سجدتُ لربِّي شُكْرًا[5]»، وطرق

---

(١) رواه أبو بكر ابن نقطة في تكملة الإكمال (٢/٢٩٥).

(٢) رواه أحمد (١/١٩١)، وعبد بن حميد في مسنده (١/٨٢)، والحاكم في المستدرك (١/٧٣٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/٣٤٤)، وأبو يعلَى في مسنده (٢/١٧٤).

(٤) رواه البزار في مسنده (٣/٢٢٠)، وأبو يعلَى في مسنده (٢/١٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٥٤).

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٨٩).

هذا الحديث كثيرة، وتختلف بالزيادة والنقصان.

وفي روايةٍ: «صلَّت عليه الملائكةُ مثلما صلَّى عليَّ[١]».

وفي رواية: «ثم صلَّى الله عليه عشرًا، ورفعَ لـــه عشرَ درجاتٍ[٢]».

وفي «الأدب المفرد» للبخاري: «ومَحَا عنه عشر خطيئاتٍ[٣]».

وفي رواية: «عشر سيئاتٍ[٤]».

وفي رواية البزاء بن عازب: «صلَّى الله عليه بِهَا عشر صلواتٍ[٥]».

ومـــن محاسن القول البديع عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً كَتَبَ اللهُ لـــه بِهَا عشرَ حسناتٍ، ومَحَا عنه عشرَ سيِّئاتٍ، ورَفَعَ لـــه بِهَا عشرَ درجاتٍ، وكانَ لـــه عدلَ عشرِ رقابٍ[٦]» رواه ابن أبي عاصم فِي كتاب «الصلاة».

وقـــال ﷺ: «مَـــا صَلَّى عبدٌ عليَّ مِنْ أمَّتِي صلاةً صادقًا مِنْ قلبِهِ إلا صَلَّى اللهُ بِهَا عـــشرَ صلواتٍ، ورفعه بِهَا عشرَ درجاتٍ، وكتبَ لـــه بِهَا عشرَ حسناتٍ، ومَحَا عنه بِهَا عشرَ سيِّئاتٍ[٧]».

فِي حديث البزار: «مِنْ تلقاءِ نفسِه[٨]».

وفِي حديث: «مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّتْ عليْهِ الملائكةُ ما صلَّى؛ فليُكْثِرْ عبدٌ أَوْ لِيُقِلَّ[٩]».

---

(١) رواه ابن ماجه (١/٢٩٤)، والطبراني فِي الأوسط (٢/١٨٢)، والطيالسي فِي مسنده (١/١٥٦).

(٢) رواه البخاري فِي الأدب المفرد (١/٢٢٣).

(٣) رواه البخاري فِي الأدب المفرد (١/٢٢٤).

(٤) رواه أبو داود (٤/٣١٩)، والترمذي (٥/٥١٥)، والنسائي فِي الكبرى (٦/١٠)، وأحمد (٢/٣)، وابن ماجه (٢/٩٨٥).

(٥) رواه البخاري (٦/٢٧٣١)، وأحمد (٣/٢٦١).

(٦) رواه الترمذي (٥/٥٤٤)، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٥٢) بتحقيقنا، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٠/١١٢).

(٧) رواه النسائي (٦/٢١)، والطبراني فِي الكبير (٢٢/١٩٥).

(٨) رواه البزار فِي مسنده (٩/٢٦٨).

(٩) رواه البيهقي فِي الشعب (٢/٢١١)، والبغوي في مسند ابن أبي الجعد فِي المسند (١/١٣٦).

وفِي رواية: «لم تزل الملائكة تصلي عليه[١]».

وعـــن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: «الصَّلاةُ عَلَى النبيِّ ﷺ أمحقُ للخطايا مِنَ الماءِ للنَّارِ، والسلامُ عَلَى النبيِّ أفضلُ مِنْ عِتقِ الرِّقَابِ، وحُبُّ رسولِ الله ﷺ أفضلُ مِنْ مهج الأنفس[٢]».

وقال: «مِنْ ضَرْبِ السَّيْفِ فِي سبيل الله[٣]» رواه الترمذي، وصحَّ: أن من أعتق رقبة فله بكل عضوٍ منها عضوٌ منه حتَّى الفرج بالفرج[٤].

وعـــن أنس بن مالك ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً فتقبِّلت منه محَا الله عنه ذنوبَ ثمانين سنةً[٥]» رواه أبو الشيخ وأبو الفضل فِي شرف المصطفى.

وفِي حديث: «أمرَ الله حافظيه ألا يكتبُوا عليه ذنبًا ثلاثةَ أيَّامٍ[٦]».

وفِي حديث «لم يلج النَّار حتَّى يعودَ اللبنُ فِي الضَّرْعِ[٧]».

وعـــن أنـــس قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «أنجاكُم يومِ القيامةِ مِنْ أهوالِها ومواطنِها أكثرُكُمْ عَليَّ صلاةً فِي دارِ الدُّنيَا[٨]».

وعن البغدادي قال: كان لي جارٌ، فسألت الله تعالى أن يريه لي فِي المنام، فرأيته فِي هيئة حسنة، فقلت لـــه: أخبرني عمَّا عندكم. فقال لي: يا أخي، كنت من الهالكين لولا كثرةً صلاتي عَلَى رسول ﷺ، وإن ببركة ذلك أعطاني الله تعالى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت.

وقال الشبليُّ: مات رجلٌ من جيراني، فرأيته فِي المنام، فقلت لـــه: ما فعل الله تعالى

---

(١) رواه البخاري (١/٢٣٢)، وأحمد (٣/٤٤٥)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٢/٢٥٣)، (٦/٣٢٦).

(٢) رواه الخطيب البغدادي فِي التاريخ (٧/١٦١)، وذكره العجلوني فِي كشف الخفا (٢/٣٩).

(٣) رواه الخطيب فِي التاريخ (١٢/٤١٠)، وذكره الذهبي فِي السير (١٠/٤٩٩) بنحوه.

(٤) رواه مسلم (٢/١١٤٧)، والنسائي فِي الكبرى (٣/١٧١)، وأحمد (٤/١١٣)، وابن حبان فِي الصحيح (١٠/١٤٦).

(٥) ذكره العجلوني فِي كشف الخفا (١/١٩٠) بنحوه.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) رواه الترمذي (٤/١٧١)، (٤/٥٥٥)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٤/٢٠٨).

(٨) رواه الديلمي فِي الفردوس (٥/٢٧٧).

بـــك؟ فقال: يا شبلي، مرَّت بي أحوالٌ عظيمةٌ فارتججت عند السؤال، فقلت فِي نفسي من أين أَتَى عليَّ؟ ألم أمت عَلَى الإسلام؟ فنوديت: هذه عقوبة أعمالك للسانك فِي دار الدنـــيا، فلمَّـــا همَّ الملكان حال بيني وبينهما رجلٌ جميلُ الوجه طيبُ الرائحة، وذكَّرني حجَّـــتي، فقلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا شخصٌ خُلقت من كثرة صلاتك عَلَى النبيِّ ﷺ، قَالَ أبـــو يزيد البسطامي: لمعاينتي السباع، وتآلفت عليَّ القلوب، إلا ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

وقـــال ابـــن أدهم: ما زهدني لله تعالى فِي الدنيا ورغَّبني فِي الآخرة وصيرني إِلَى ما ترون إلا بكثرة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

وقـــال ﷺ: «مَـــنْ صلَّى عليَّ حين يُصبح عشرًا وحين يُمسي عشرًا وجبت لـــه شفاعتي[(١)]».

وفِي رواية: «كنتُ لـــه شفيعًا وشهيدًا[(٢)]».

وقـــال ﷺ: «من صلَّى عليَّ حين يُصبح عشرًا وحين يُمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة[(٣)]».

وقال ﷺ: «إن الله ﷻ قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر الله ﷻ بنـــيَّة صـــادقة غفر لـــه، ومن قال: لا إله إلا الله رجح ميزانه، ومن صلَّى عليَّ كنتُ شفيعه يوم القيامة[(٤)]».

وقال ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ عشرًا من أوَّل النَّهار وعشرًا من آخره نالته شفاعتي يوم القيامة[(٥)]».

ورأى بعض الصالحين النبيَّ ﷺ، فسأله الشفاعة، فقال: أَكثِر من الصلاة عليَّ.

وقالـــت عائـــشة رضي الله تعالى عنها: «مَنْ سرَّه أن يلقى الله عنه راضيًا فليُكثر من

---

(١) ذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٠/١٢٠)، والمناوي فِي فيض القدير (٦/١٦٩).

(٢) رواه أحمد (٢/٢٨٧)، والطبراني فِي الكبير (١٩/٢٦٥)، والبيهقي فِي الشعب (٢/٢٧٠).

(٣) ذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٠/١٢٠)، والمناوي فِي فيض القدير (٦/١٦٩).

(٤) ذكره ابن القيم فِي جلاء الأفهام (ص٢٠٧).

(٥) ذكره القسطلاني في مسالك الحنفا (ص١٦٥)، بنحوه.

الصلاة عَلَى رسول الله ﷺ[(١)]».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ لله تعالى سيَّارةً من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفُّوا بهم، ثم بعثوا رائدهم إِلَى السماء إِلَى ربِّ العزَّة تبارك وتعالى، فيقولون: ربَّنا أتينا عَلَى عباد من عبادك يعظِّمون آلائك، ويتلون كتابك، ويصلُّون عَلَى نبيِّك محمَّد ﷺ، ويسألونك آخرتهم ودنياهم، فيقول الله تبارك وتعالى: غشُّوهم رحمتي. فيقولون: يا ربِّ، إن فيهم فلانًا الخطَّاء اعتنقهم اعتناقًا. فيقول الله تبارك وتعالى: هو منهم، غشُّوهم رحمتي وهو معهم؛ فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم[(٢)]».

وهذا الحديث فِيْهِ زيادة عمَّا قدمناه فِي فضل الجهر بالذكر فِي أول الكتاب.

وقال عَليّ ﷺ: لولا أن أنسى ذكر الله ﷻ ما تقرَّبت إِلَى الله ﷻ إلا بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ؛ فإنِّي سمعته يقول: «قال جبريل: يا محمد، إن الله ﷻ يقول: مَنْ صَلَّى عليك عشر مراتٍ استوجب الأمان من سخطي[(٣)]».

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ يظلُّهم الله تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: من فرَّج عن مكروبٍ من أمَّتي، وأحيى سنَّتي، وأكثر الصلاة عليَّ[(٤)]».

وعن عبد الله بن نمرة قال: قَالَ رسول ﷺ: «إن لآدم من الله تعالى موقفًا فِي فسيح العرش، عليه ثوبان أخضران، كأنه نخلة سحوق، ينظر إِلَى من ينطلق به من ولده إِلَى الجنَّة، وينظر إِلَى من ينطلق به من ولده إِلَى النَّار. قال: فبينما آدم عَلَى ذلك إذ نظر إِلَى رجلٍ من أمَّة محمدٍ ﷺ، منطلق به إِلَى النَّار، فنادى آدم: يا أحمد يا أحمد. فأقول: لبيك لبيك يا أبا البشر. فيقول: هذا رجلٌ من أمَّتك منطلقٌ به إِلَى النَّار، فأشد المئزر، وأسرع فِي أثر الملائكة. وأقول: يا رسل ربِّي قفوا. فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا نعصي الله ما أمرنا، ونفعل ما نؤمر به، فإذا آيس النبي ﷺ قبض عَلَى لحيته بيده اليسرى،

---

(١) رواه ابن عدي فِي الكامل (٥/١٧)، وذكره الذهبي فِي الميزان (٥/٢٣٥).

(٢) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٦/٢٦٨).

(٣) رواه ابن طاهر القيسراني فِي تذكرة الحفاظ (٢/٦٣١)، وذكره الذهبي فِي السير (١٣/٢٩٦).

(٤) ذكره الزرقاني فِي شرحه (٤/٤٤٢).

واســتقبل العرش بيده، فيقول: يا ربِّ، أليس قد وعدتني لا تُخْزِني فِي أمَتي؟ فيأتي النداء مــن عــند العرش: أطيعوا محمدًا، وردوا هذا العبد فِي المقام، فأخرج من حجرتي بطاقةً بيــضاء كالأنملــة، فألقها فِي كفة الميزان، وأنا أقول: بسم الله، فترجح الحسنات عَلَى الــسيئات، فينادي سَعِد وسَعِد جدُّه، وثقلت موازينه، امضوا به إِلَى الجنَّة. فينادي ذلك العــبد: يا رسل ربِّي قفوا؛ حتَّى أكلم هذا العبد الكريم عَلَى ربِّي، فيقول: بأبي وأمي ما أحــسن وجهــك! وأحسن خلقك، فقد أقلتني عثرتي، ورحمت غبرتي، فأقول: أنا نبيُّك محمد، وهذه صلاتك التي كنت تصليها عليَّ، قد وفَتك ما كنت أحوج عليها[1]» أخرجه ابن أبي الدنيا فِي كتابه «حسن الظن بالله تعالى».

وفِي أثنائه: «ثم ليردنَّ الحوض عَلَى أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة عليَّ».

وعن كعب الأحبار قال: «أوحى الله تعالى إِلَى موسى عليه السلام فِي بعض ما أوحى إليه: يــا موســى، لولا من يحمدني ما أنزلت من السماء قطرةً، ولا أنبت من الأرض ورقة خضراء، يا موسى، لولا من يعبدني ما أمهلت عَلَى من يعصيني طرفة عين، يا موسى، لولا من شهد أن لا إله إلا الله لسيلت جهنم عَلَى الدنيا، يا موسى، إذا لقيت المساكين فسألهم كمــا تسأل الأغنياء، فإن لَمْ تفعل ذلك فاجعل كل شيء علمت أو قال: عملت تحت التــراب، يا موسى أتحب ألا ينالك من عطش يوم القيامة شيءٌ؟ قال: ألا هي نعم. قال: فأكثــر من الصلاة عَلَى حبيبي محمد، يا موسى أتريد أن أكون لك أقرب من كلامك إِلَى لــسانك، ومن وساوس قلبك إِلَى قلبك، ومن روحك إِلَى بدنك، ومن نور بصرك إِلَى عينيك؟! قال: نعم، يا ربِّ. قال: أكثر الصلاة عَلَى حبيبي محمد ﷺ، يا موسى، إن محبتي لمحمَّدٍ اخترتها قبل خلق السماوات والأرض، وإنه خيرتي من خلقي، وصفيِّي وحبيبي».

وفِي هذه الألفاظ زيادةٌ عَلَى ما قدَّمنا، قاله السروجي فِي شرح الهداية.

وعــن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ، عن جبريل، عن ميكائيل، عن إســرافيل، عــن الرفيع، عن اللوح المحفوظ، عن الله ﷻ: أنه أظهر فِي اللوح المحفوظ أن يخــبر الرفيع، وأن يخبر الرفيع إسرافيل، وأن يخبر إسرافيل ميكائيل، وأن يخبر ميكائيل جبريل، وأن يخبر جبريل محمد ﷺ: «مَنْ صلَّى عليك فِي اليوم والليلة مائة مرةٍ صليت

(١) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن (ص٩٣).

عليه ألف صلاةٍ، ويقضي الله تعالى لـــه ألف حاجةٍ، أيسرها أن يُعتق من النَّار[(١)]».

وقال عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ فقال: «إنِّـــي رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمَّتي يزحف عَلَى الصراط مرةً، ويحبو مرةً، ويتعلق مرةً، فجاءته صلاته عليَّ، فأخذت بيده، فأقامته عَلَى الصراط حتَّى جاوزه[(٢)]».

ومن محاسن ما خرجه الرشيد العطار ولفظه: خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ يومًا ونحن فِي مسجد المدينة، فقال: «رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمَّتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برُّه بوالديه، فردَّه عنه، ورأيت رجلاً من أمَّتي قد سُلِّط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه، فاستنقذه منه، ورأيت رجلاً من أمَّتي استوحشته الشياطين، فجاءه ذكر الله تعالى، فخلَّصه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمَّتي قد استوحشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته، فاستنقذته من بين أيدهم، ورأيت رجلاً من أمَّتي يلهث عطشًا، كلما ورد حوضًا مُنع منه، فجاءته صبيًّا لـــه، فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمَّتي والنبيون قعود حلقًـــا، كلمـــا دنا إِلَى حلقةٍ طُرد، فجاءه اغتساله من الجنابة، فأخذ بيده، وأجلسه إِلَى جـــنبي، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمةٌ، وعن يمينه ظلمةٌ، وعـــن شماله ظلمةٌ، ومن فوقه ظلمةٌ، ومن تحته ظلمةٌ، وهو يستجير فيها، فجاءه حجُّه وعمـــرته، فاســـتخرجاه مـــن الظلمة، وأدخلاه فِي النور، ورأيت رجلاً من أمَّتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته للرحم، فقالت: يا معشر المؤمنين كلِّموه؛ فإنه كان واصلاً لرحمه، فكلَّموه وصافحوه، ورأيت رجلاً من أمتي يتَّقي النَّار وحرَّها وشررها بيده عـــن وجهه، فجاءته صدقته، فصارت سترًا عَلَى وجهه، وظلاً عَلَى رأسه، ورأيت رجلاً من أمَّتي أخذته الزبانية من كلِّ مكانٍ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذته مـــن بين أيديهم، وسلماه إِلَى ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمَّتي هوت صحيفته من قِبَل شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى، فأخذ صحيفته، فجعلها فِي يمينه، ورأيت رجلاً من أمَّـــتي قـــد خفَّ ميزانه، فجاءته أفراطه، فثقَّلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمَّتي قائمًا عَلَى شـــفير جهـــنم، فجاءه وجَله من الله تعالى أنقذه منها، ورأيت رجلا من أمَّتي هوى إِلَى

(١) رواه ابن منده في جزء إبراهيم بن أدهم (٢٨)، بنحوه.

(٢) ذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٧٩/٧)، والمناوي فِي فيض القدير (٢٥/٣).

النَّار، فجاءته دموعه التي بكاها من خشية الله تعالى، فاستخرجته من النَّار، ورأيت رجلاً من أمَّتي يرعد عَلَى الصراط كما ترعد السعفة، فجاءته صلاته عليّ، فسكنت رعدته، ورأيت رجلاً من أمَّتي غلِّقت أبواب الجنَّة دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت لـه أبواب الجنَّة، ورأيت رجلا جاثيًا عَلَى ركبتيه وبينه وبين الربِّ حجابٌ، فجاءته محبَّتي، فأخذت بيده، وأدخلته عَلَى الله تعالى[(١)]».

قال السخاوي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، ذكره أبو ثابت محمد بن عبد الملك الديلمي فِي كتاب «أصول مذاهب العرفاء بالله تعالى»، ما معناه أن هذا الحديث وإن كان غريبًا عند أهل الحديث فهو صحيحٌ، لا شكَّ فيه، ولا ريب، حصل لـه صحة لفظه وشهد بقوة لفظه جماعةٌ من العلماء، ومن شهد بصحته رأى ذلك بطريق الكشف فِي كثير من وقائعه وأحواله.

وقال الحافظ ابن حجر: لـه شواهد الصحة، وفِي ترغيب المنذري حديثٌ غريبٌ، وقال بغرابته الحافظ عبد الغني، وأهل الأثر يتداولون أقواله، قاله: ابن الأثير.

ومن محاسن كتاب «حادي القلوب إِلَى لقاء المحبوب» لابن الميلق شيخ الشاذلية فِي معنى هذا الحديث بقوله: فأما كون بر الوالدين يؤخِّر الموت فقد ثبت فِي الصحيحين أنه ﷺ قال: «من أحبَّ أن يُبسط لـه فِي رزقه وينسأ لـه فِي أثره فليصلْ رحمه[(٢)]».

معنى ينسأ لـه فِي أثره: يؤخَّر لـه فِي أجله، ولا شكَّ أن بر الوالدين من أعظم أنواع صلة الرحم، وأما كون الذكر يستنقذ من الشياطين فقد قَالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

وقال تعالى: ومن يعش عن ذكر الرحمن ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

وفِي الحديث: «إنَّ الشيطان إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص: أي ضراط[(٣)]».

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٣/٢٣١)، والعقيلي فِي الضعفاء (٤/٣٥٠)، وابن حبان فِي المجروحين (٣/٤٤).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٢٣٢)، ومسلم (٤/١٩٨٢)، وابن حبان فِي الصحيح (٢/١٨١).

(٣) رواه الطبراني فِي الأوسط (٧/٢٥٦)، وذكره ابن كثير فِي التفسير (٢/٧٣)، والهيثمي فِي مجمع =

وأمـــا تخليص الصلاة من ملائكة العذاب فإنها أول دليلٍ، وبِهَا يظهر إخلاص العبد وبيانه أنها أعظم الأشياء، الشاهد بِهَا الكتاب والسنة، وفضلها غير مذكورٍ، وأول ما يسأل العبد عنها، وجمع الله تعالى فيها سائر أنواع العبادات، وأما كون الصائم يروى من العطش فيدلُّ عليه ما فِي الصحيحين من دخول الصائم الجنَّة من باب الريَّان(١).

وأمـــا كـــون الباكي من خشية الله تعالى يستخرجه من النَّار فقد روى الترمذي أبو عيسى فِي «جامعه» أن النبيَّ ﷺ قال: «لا يلجُ النَّار رجلٌ بكى من خشية الله تعالى حتَّى يعود اللبن فِي الضرع، ولا يجتمع عَلَى عبدٍ غبارٌ فِي سبيل الله ودخان جهنم(٢)».

قَالَ الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفِي صحيحه أيضًا: «عينان لا تمسُّهما النَّار: عينٌ بكت من خشية الله تعالى، وعين باتت تحرس فِي سبيل الله(٣)» حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفِي الصحيحين: «سبعةٌ يظلُّهم الله تعالى يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه».

ثم قَالَ فيه: «ورجل ذكر الله تعالى خاليًا، ففاضت عيناه(٤)».

وأمـــا كون حسن الظن يسكن الرعدة فقد صحَّ فيما حكاه النبي ﷺ عن الله تعالى أنه قال: «أنا عند ظن عبدي بي(٥)» معناه: أنا محقق لـــه ما يظنه بي من الخير ويرجوه عندي مـــن الفـــضل، فـــإذا حقـــق الله تعالى لعبده ذلك المرجوَّ من الفضل حصل لـــه البِشر والطمأنيـــنة، فزالت الرعدة عنه والخوف، وأما كون الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ تأخذ بيد العبد عَلَـــى الصراط وتقيمه وتمضي به بعد أن كان يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فلأن الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ من أعظم الأعمال وأفضل الأقوال؛ فهي جابرةٌ للخلل الحاصل فِي عمل العبد المقتضي لزحفه عَلَى الصراط؛ إذ المرور عَلَى الصراط عَلَى قدر الأعمال،

الزوائد (١٠/١٣٤).

(١) رواه البخاري (٢/٦٧١)، ومسلم (٢/٧١١).

(٢) رواه الترمذي (٤/٥٥٥)، وهناد فِي الزهد (١/٢٦٨)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٤/٢٠٨).

(٣) رواه الترمذي (٤/١٧٥)، وابن عدي فِي الكامل (٦/٢٠٦)، والديلمي فِي الفردوس (٣/٤٨).

(٤) رواه البخاري (١/٢٣٤)، ومسلم (٢/٧١٥).

(٥) رواه البخاري (٦/٢٦٩٤)، ومسلم (٤/٢٠٦١).

فلمَّـــا عجز عمل هذا العبد عن إقامته وإمراره عَلَى الصراط جاءت الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فأغنت عن غيرها، وكنت العامل بها.

ومـــن محاسن المهمات: ما خرَّجه الطبراني فِي «معجمه»، وأبو عيسى الترمذي فِي «جامعه»، ومسلم بزيادة لفظٍ فيه، ونقله الدارمي وابن جماعةٌ، وقالوا: حديثٌ حسنٌ بسند صـــحيحٍ عن أُبي بن كعب قال: «كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام، فقال: يا أيُّها الناسُ اذكروا الله: جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه. قلت: يا رسول الله إنِّي أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شـــئت، فـــإن زدت فهو خير لك. قلت: الثلثين. قال: ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك. قال: أجعل لك صلاتي كلها. قال: إذًا تُكفى همَّك، ويُغفر ذنبُك[1]».

وزاد ابن أبي شيبة: «إذًا يكفيك الله ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك[2]».

وزاد الطبراني: «وتكون من الفائزين الناجين فِي الدنيا والآخرة[3]».

وزاد[..]: «ولك الضمان فِي كلِّ موطنٍ تخشاه[4]».

وزاد البغوي: «وإنِّي أعرف من يصلي عليَّ بعلامةٍ فِي وجهه[5]».

هـــذا الحديث فِيْهِ زياداتٌ عَلَى ما قرَّره القسطلاني فِي «مسالكهم»، والسخاوي فِي «قـــوله البديع»، وأما شهادة أن لا إله إلا الله تفتح أبواب الجنَّة فقد ثبت فِي مسند أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «مفتاحُ الجنَّة شهادةُ أن لا إله إلا الله[6]».

وروى أبو نعيم الحافظ: «أن أعرابيًا قال: يا رسول الله ﷺ، ما مفتاح الجنَّة؟ قال: لا إلـــه إلا الله قـــال: بلى، ولكن ليس من مفتاحٍ إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاحٍ لـــه

---

(١) رواه الترمذي (٤/٦٣٦)، وأحمد (٥/١٣٦)، والبيهقي فِي الشعب (١/٣٩٤)، والطبراني فِي الكبير (٤/٣٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة فِي المصنف (٦/٣٢٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) رواه البزار فِي مسنده (٧/١٠٤)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٣/٣٦١).

أسنان فتح لك، وإلا لَمْ يفتح لك[١]».

قال كثير من العلماء: المراد بالأسنان هنا الأعمال الصالحة من أركان الإسلام وشرائع الدين ولوازم الشرع.

يحتمل أن يُراد بالأسنان الأعمال التي يشترط كونها من فرائض الإيمان؛ بحيث يقدح إنكار وجوبها فِي الإيمان، وصحَّ أن أهل لا إله إلا الله كلهم يدخلون الجنَّة.

وأما محبَّته ﷺ فهي أعلَى درج الجنَّة، وهي لخواص هذه الأمة: كأبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، ويحتمل أن العبد يعطى المحبة، ويحول بينه وبينها قيد الذنب، فيحب، ولا يعمل، فتعوقه الخطايا، فتأتيه محبته، فتأخذ بيده، وأحاديث المحبة كثيرة.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ فِي يومٍ ألف مرةٍ لَمْ يَمُتْ حتَّى يرى مقعده فِي الجنَّة[٢]».

وقال ﷺ: «أكثرُكم عليَّ صلاةً أكثرُكم أزواجًا فِي الجنَّة[٣]».

وعن عليٍّ ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «من حجَّ حجَّة الإسلام وغزا بعدها غزوةً كتبت غزوته بأربعمائة حجَّة»، قال: فانكسرت قلوب أقوام لا يقدرون عَلَى الجهاد والحج، قال: فبلَغني، فأوحى الله تعالى إليَّ: ما صلَّى عليك أحدٌ إلا كُتبت صلاته بأربعمائة غزوةٍ، كلُّ غزوةٍ بأربعمائة حجَّةٍ[٤]» أخرجه أبو حفص فِي المجالس المكِّيَّة.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «أيُّما مسلم لَمْ تكن عنده صدقةٌ، فليقلْ فِي دعائه: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد عبدِك ورسولِك، وصَلِّ عَلَى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات؛ فإنَّها زكاةٌ ورحمةٌ. قال: لا يشبع المؤمن من خيرٍ حتَّى يكون منتهاه الجنَّة[٥]» أخرجه ابن وهب.

وقال ﷺ: «أيُّما رجلٍ كسب مالاً من حلالٍ فأطعم نفسه وكساها فمن دونه من

---

(١) رواه أبو نعيم فِي الحلية (٤/٦٦)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٥/٥٢٦).

(٢) ذكره المنذري فِي الترغيب والترهيب (٢/٣٢٨).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره الذهبي فِي الميزان (٦/١٥٩).

(٥) رواه الحاكم فِي المستدرك (٤/١٤٤)، وابن حبان فِي الصحيح (٣/١٨٥)، والبيهقي فِي الشعب (٢/٨٦)، وابن عدي فِي الكامل (٣/١١٤).

خلق الله فإنَّه لـــه زكاةٌ، وأيُّما رجلٍ لَمْ يكن عنده صدقةٌ فليقلْ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ عبدك ورسولك، وعَلَى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات؛ فإنَّها زكاةٌ[(١)]» أخرجه البخاري فِي «الأدب المفرد».

* * *

فائدة

سُئل بعض العلماء عن الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ والصدقة: أيهما أفضل؟ فأجاب: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ أفضل من الصدقة. فقيل لـــه: سواء كانت الصدقة نقلاً أو فرضًا أو نافلةً؟ فقـــال: نعم؛ لأن الفرض الذي افترضه الله تعالى عَلَى عباده وفَعله هو وملائكته ليس هو كالفـــرض الذي عَلَى عباده فقط، ولا يخفى ردُّه، والله الموفِّق، قَالَ ذلك السخاوي فِي كتابه «القول البديع».

ومـــن محاسن كتاب «شرف المصطفى»: ما ورد عن أنس ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مـــن صلَّى عليَّ فِي يوم مائة مرةٍ كتب الله لـــه بِهَا ألف ألف حسنة، ومَحَا عنه ألـــف ألـــف سيئة، وكتب لـــه مائة صدقةٍ مقبولةٍ، ومن صلَّى عليَّ ثم بلغتني صلاته صلَّيت عليه كما صلَّى عليَّ، ومن صليت عليه نالته شفاعتي[(٢)]».

وزاد فِـــي رواية: «واسألوا الله ﷻ لي الوسيلة؛ فإنها أرفع درجةٍ فِي الجنَّة، لا ينالها إلا رجـــلٌ، وأرجو أن أكون أنا هو[(٣)]» ذكره البيهقي فِي «سننه» بهذه الزيادة، وقال ابن بشكوال: من طريق غيرها، وابن حبان فِي «صحيحه».

ومـــن محاســـن مـــا ذكره أبو طالب المكِّي فِي كتابه «من باب الدعاء»: قَالَ ﷺ: «صلاتكم عليَّ مجوزةٌ لدعائكم، ومرضاةٌ لربِّكم[(٤)]».

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٠)، وابن حبان فِي الصحيح (٤٨/١٠)، والحاكم فِي المستدرك (١٤٤/٤)، وابن عدي فِي الكامل (١١٤/٣).

(٢) تقدم تخريجه بنحوه.

(٣) رواه الترمذي (٥٨٦/٥)، وهناد فِي الزهد (١١٧/١).

(٤) رواه الديلمي فِي الفردوس (٣٩١/٢).

وفِي حديثٍ: «مَنْ صلَّى عليَّ كفاه الله ما أهمَّه، وقضى لــه سبعين حاجةً[١]».

وزاد فِي لفظ آخر: «وقضى الله لــه مائة حاجةٍ[٢]».

وقال ﷺ فِي رواية أخرى: «من صلَّى عليَّ مائة مرةٍ عند النوم كان كمن داوم عَلَى العبادة الليل والنهار، وإنَّها أحبُّ الأعمال إِلَى الله تعالى أخبرني جبريل[٣]»، ورأيت هذا الحديث من طرقٍ كثيرةٍ، وأظنُّ أبا طالب جمع ألفاظ الحديث.

ومن محاسن ما ذكره السخاوي عن سمرة السوائي والد جابر رضي الله تعالى عنهما: قــال: «كنَّا عند رسول الله ﷺ إذْ جاءه رجلٌ، فقال: يا رسول الله، ما أقربُ الأعمالِ إِلَــى الله تعــالى؟ قَالَ: صدقُ الحديثِ وآداءُ الأمانة. قُلْتُ: يا رسولَ الله، زِدْنا. قال: صلاةُ اللَّيلِ وصومُ الهواجِرِ. قُلْتُ: يا رسولَ الله، زِدْنا. قَالَ: كثرةُ الذكر والصلاةُ عليَّ تقِــي الفقــر. قلت: يا رسول الله، زِدْنا. قال: مَنْ أمَّ قومًا فَلْيُخَفِّفْ؛ فإنَّ فيهم الكبيرَ والعليلَ والصغيرَ وذا الحاجةِ[٤]» أخرجه أبو نعيم.

ومــن محاسن فضل الصلاة عَلَى النبي ﷺ: ما ورد عن سهل بن سعد ﷺ قال: جاء رجلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، وشكا إليه الفقر وضيق العيش والمعايش، فقال لــه ﷺ: «إذَا دخلتَ منـــزلَك فسلِّمْ إنْ كَانَ فِيْهِ أحدٌ أَوْ لَمْ يكنْ فِيْهِ أحدٌ، ثُمَّ سَلِّمْ عليَّ، واقْرأْ: (قل هو الله أحد) مرةً واحدةً». ففعل الرجل، فزاد الله تعالى عليه الرزق، حتَّى أفاض عَلَى جيرانه وقرابته[٥].

ومــن محاسن كتاب «رونق المجالس» للسمرقندي: أنه كان بمدينة (بلخ) رجلٌ تاجرٌ كــثير المال، وكان لــه ابنان، فتوفي الرجل، وقسَّم أبناءه المال بينهما نصفين، وكان فِي المــيراث الذي خلفه أبوهما ثلاث شعراتٍ من شعره ﷺ، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما شعرةً، وبقــيت شعرةٌ واحدةٌ بينهما، فقال أكبرهما: نجعل الشعرة الواحدة نصفين. فقال الآخر:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الحلية (٧/٦٧٤)، بنحوه.

(٥) رواه إسماعيل بن إسحاق في الصلاة (٣٠) بنحوه.

والله بل النبيُّ ﷺ أجلُّ من أن يُقطع شعره ﷺ. فقال الكبير للأصغر: تأخذ هذه الشعرات فيما يخصُّك من الميراث. فقال: نعم. فأخذ الكبير المال، وأخذ الصغير الشعرات، فجعلها فِي بيته، وجعل يُخرجها ويشاهدها، ويصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، ويُعيدها إِلَى جيبه، فما كان غير أيام قلائل حتَّى فني مال الكبير وكثُر مال الصغير، وعاش هو فِي بيت أخيه إِلَى أن توفاه الله تعالى، وتوفي هو بعد أخيه، فرآه بعض الصالحين فِي النوم، ورأى النبيَّ ﷺ عند قبره، فقبَّل يديه، فقال له: قُلْ للناس: «من كانت له حاجةٌ إِلَى الله ﷻ فليأتِ قبر فلان هذا، ويسأل الله تعالى قضاء حاجته». فكان الناس يقصدون قبره، حتَّى بلغ أن مَرَّ عَلَى قبره راكبٌ ينزل ويمشي راجلاً.

ومن محاسن المواهب اللدنيَّة: أن أبا محمد البغدادي رأى النبيَّ ﷺ فِي المنام، وشكا إليه الفقر، فقال له: قل اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّد، وهبْ لنا اللَّهُمَّ من رزقك الحلال الطيب المبارك ما تصون به وجوهنا عن التعرُّض إِلَى أحدٍ من خلقك، واجعلْ لنا اللَّهُمَّ إليه طريقًا سهلاً من غير تعبٍ ولا نصبٍ ولا منَّةٍ ولا تبعةٍ، وجَنِّبنا اللَّهُمَّ الحرام حيث كان وأين كان وعند من كان، وحل بيننا وبين أهله أعداءنا، واقبض عنَّا أيديهم، واصرف عنا قلوبهم؛ حتَّى لا تنقلب إلا فيما يُرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلا عَلَى ما تحبُّ، يا أرحم الراحمين.

قال البغدادي: فما إن تممتها فجاءني الغنى فِي تمام شهري.

وقال السخاوي: ذلك.

وحكى أبو محمد القسطلاني: أنه رأى مثل هذه الرؤيا، قال: والله رأيتها بعينها.

وزاد البيهقي فِي آخرها فِي محاسن من رآه فِي المنام: كانت تترادف عليَّ الدنيا، وأنا أعرض عنها، وعرفت أن ذلك من بركة هذا الدعاء، وعلَّمته لمن أحبُّ من إخواني، فأغناهم الله تعالى ببركة النبيِّ ﷺ.

وعن الحسن البصري ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ القرآنَ وحَمِدَ ربَّه وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ فقدِ التمسَ الخيرَ مِنْ مكانه[1]».

ومن محاسن «أحاسن المحاسن» للفخر: ما رواه عن عتبة بن عبد الله، عن ابن مسعود،

---

(١) رواه البيهقي فِي الشعب (٢/٣٧٣).

وفِي طريق غير هذه، هذا الحديث للطبري، ونقل الطبراني فِي «معجمه» عن حذيفة ﷺ قال: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ تُدرك الرجل وولده وولد ولده، وتكون نورًا له ولولده ولولد ولده، وإنَّها بركةٌ فِي الرزق، ومحبَّةٌ للذرية، وجالبةٌ للخير، ومجردةٌ لمراعاة الله تعالى فِي حقِّ المصلِّي عليه وولده وولد ولده[1].

وما أحسن ما أنشد أبو سعيد محمد بن الهيثم السلمي قال:

أمَّا الصلاةُ عَلَى النبيِّ فَسيرةٌ ... مُرْضيةٌ تُمحى بِهَا الآثامْ
وبِهَا ينالُ المرءُ عزَّ شفاعةٍ ... يلقى بِهَا الإعزازَ والإكرامْ
كُنْ للصلاةِ عَلَى النبيِّ مُلازمًا ... فصلاتُهُ لك محبَّةٌ وسلامْ

وأنشد أبو حفص عمر بن الخطاب لنفسه شعر:

أَيَا مَنْ أَتَى ذنبًا وقارفَ زَلَّةً ... ومَنْ يرتجي الرحماءَ من الله والقربى
تعاهدْ صلاةَ اللهِ فِي كلِّ ساعةٍ ... عَلَى خير مبعوثٍ وأكرم من نبا
فتكفيك هَمًّا أيَّ همٍّ تخافه ... وتكفيك ذنبًا جئت أعظم به ذنبًا
ومَنْ لَمْ يَكُن يفعل فإنَّ دعاءه بجد ... قبل أن يرقى إِلَى ربِّه حجبًا
عليه صلاةُ الله ما لاح بارقٌ ... وما طاف بالبيت الحجيج وما لبَّا

وأنشد الرشيد العطار الحافظ الحسيني لنفسه يقول:

ألا أَيُّها الراجي المثوبة والأجر ... وتكفير ذنبٍ سالفٍ أنقض الظَّهرَ
عليك بإكثار الصلاة مواظبًا ... عَلَى أحمد الهادي شفيع الورى طرًّا
وأفضل خلق الله من نَسْل آدم ... وأزكاهم فرعًا وأشرفهم فخرا
فقد صحَّ أنَّ الله جلَّ جلالُه ... يصلِّي عَلَى من قَالَ فِي مرةٍ عشرا
فصلَّى عليه الله ما جنت الدُّجى ... واطَّلعت الأفلاك فِي أفقها فجرا

ومن محاسن كلام يحيى بن يوسف الصرصري:

مَنْ لَمْ يصلِّ عليه إنْ ذُكر اسمه ... فهو البخيل وزِدْهُ وصف جبانِ
وإذا الفتى صلَّى عليه مرةً ... من سائر الأقطارِ والبلدانِ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩/٢٢٤).

صــلّى علــيه عــشرةً فليــستزدْ مَــنْ كــان يرجو الفضل من رحمانِ

ومــن محاســن ما ذكره أبو الفرج البغدادي فِي كتابه «المطرب»: عن سعيد بن جـبير، عــن ابن عباس ﷺ قال: «أَوْحَى الله تعالى إِلَى موسى الطَّيْلاَ: أنّي جعلتُ فيكَ عــشرةَ آلافِ سمعٍ حتَّى سمعتَ كلامِي، وعشرةَ آلافِ لسَانٍ حتَّى أجبتنِي، وأحبُّ ما يكــونُ وأقــربُه إليّ إذا أكثــرتَ الصلاةَ عَلَى النبيِّ ﷺ[1]» أخرجه الطبراني فِي ترجمة موســى، وأحمد بن حنبل فِي «الزهد»، وقال السخاوي فِي كتابه: أخرجه القشيري فِي «الرســالة»، وقــال فِــي الجامع الصغير: قَالَ ﷺ: «أكثرُكُمْ عليَّ صلاةً أقربُكُمْ منِّي غدًا[2]».

لــه وللشيخ جلال الدين السيوطي من طريقٍ أخرى: «أَوْلَى النَّاسِ بِي أكثرُهُمْ عليَّ صلاةً[3]».

وحديث «أقربُكم منِّي يومَ القيامةِ فِي كلِّ موطنٍ أكثرُكُمْ عليَّ صلاةً فِي الدُّنيا[4]» ذكره أنس.

وزاد فيه: «فإنَّ الصلاةَ عليَّ نورٌ يوم القيامة عَلَى الصِّراط[5]».

وحديث «صلاتُكم عليَّ نورٌ لكُمْ[6]».

ومن محاسن ما ذكره السمرقندي الفقيه فِي «تنبيه الغافلين» فِي باب فضل الصلاة عَلَى النبي ﷺ: قَالَ الطائي: قَالَ لي المظفَّر السمرقندي: دخلت يومًا فِي مغارةٍ، فضللتُ الطــريق، فإذا أنا بالخضر الطَّيْلاَ قد رأيته، فقال لي: تجد معي: أي امشي، فمشيت معه، فظننت، فقلت: لعله خضرٌ، فقلت: ما اسمك؟ فقال: خضر بن أنشا أبو العباس، ورأيت معه صاحبًا، فقلت: ما اسمك؟ فقال: إلياس بن سام. فقلت: رحمك الله تعالى، هل رأيتما محمــدًا ﷺ؟ قال: نعم. فقلت: بعزة الله تعالى وبقدرته لتخبراني شيئًا حتَّى أروي عنكما.

---

(١) ورواه أحمد فِي الرد عَلَى الزنادقة والجهمية (٣٦/١)، وأبو نعيم فِي الحلية (٢١٠/٦).

(٢) ورواه البزار فِي مسنده (٢٧٨/٤)، وأبو يعلَى فِي مسنده (١٣/٩) بنحوه.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤/٢)، وابن حبان فِي الصحيح (١٩٢/٣)، والطبراني فِي الكبير (١٧/١٠).

(٤) رواه البزار فِي مسنده (٢٧٨/٤)، والبيهقي فِي الشعب (١١١/٣).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه الديلمي فِي الفردوس (٢٩١/٢)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٦٩/٤).

فقال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مؤمنٍ صلَّى عَلَى محمَّدٍ ﷺ إلا نضَّر لـه قلبَه ونـوَّره الله ﷻ»، وسمعت الخضر وإلياس يقولان: كان فِي بني إسرائيل ابنٌ يقال لـه: أشمـويل، قد رزقه الله تعالى النصر عَلَى الأعداء، وأنه خَرَجَ فِي طلب عدوٍّ لـه، فقالوا: هـذا ساحرٌ، يسحر أعيننا، ويقيد عساكرنا، فنجعله فِي ناحية البحر ونهزمه، فخرج فِي أربعين رجلاً، فجعلوه فِي ناحية البحر، فقال أصحابه: كيف نعمل؟ قال: احملوا، وقولوا: صـلَّى الله عَلَى محمدٍ، فحملوا، وقالوا: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ، قال: فصار أعداءهم فِي ناحـية البحـر فغرقوا أجمعين، قَالَ الخضر: كان ذلك بحضرتنا. وسمعتهما أيضًا يقولان: سمعـنا رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مؤمنٍ يقول: صلَّى الله عَلَى محمَّدٍ إلا حبَّبه النَّاسُ، وإنْ كانُوا يَغَضُوهُ، ووالله لا يحبُّونَه حتَّى يحبَّه الله ﷻ».

وسمعناه يقول عَلَى المنبر: «مَنْ قالَ: صلَّى الله عَلَى محمَّدٍ فقد فتحَ عَلَى نفسه سبعينَ بابًـا مِنَ الرَّحْمَة». وسمعتهما يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صلَّى عَلَى محمَّدٍ طهَّر الله قلبَه مِنَ النِّفاقِ كمَا يُطهِّر الثوبَ الماءُ».

وسمعـتهما يقولان: جاء رجل من الشام إِلَى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أبي شيخٌ كـبيرٌ، وهو يحبُّ أن يراك. فقال: «آتني به». فقال: إنَّه ضرير البصر. فقال: قل لـه: «لِيَقُلْ فِي سبع أسبوع: يعني فِي سبع ليالٍ: صلَّى الله عَلَى محمَّدٍ؛ فإنَّه يراني فِي المنامِ، حتَّى يروي عنِّي الحديثَ». ففعل، فرآه فِي المنام(1)، فكان يروي عن الحديث.

وزاد الـسخاوي فِي كتابه زيادة بقوله: سمعتهما يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إذَا جلستُمْ مجلسًا فقولُوا: بِسْمِ الله الرحمنِ الرحيمِ، وصلَّى الله عَلَى محمَّدٍ؛ يُوكِّل الله تعالى بِكُمْ ملكًا يمنعُكم مِنَ الغيبةِ حتَّى لا تغتابُوا، فإذَا قُمْتُمْ فقُولُوا: بِسْمِ الله الرحمنِ الرحيمِ، وصلَّى الله عَلَى محمَّدٍ؛ فإنَّ النَّاسَ لا يغتابُوكُمْ، ويمنعُهم كمَا منعَكُمْ».

ذكر ذلك المجد اللغوي.

وقـال الجـلال: لا يعتمد عليها؛ فإن ألفاظها ركيكةٌ، والصلاة عليه أجلُّ من ذلك، وأغلى وأعلى، ولعل ذلك لأهل الأوراد.

---

(1) ذكره الذهبي فِي الميزان (٥/٢٢١).

فائدة

ذكـــرها البغوي فِي «فتاويه» وفِي «مصابيحه» بمعنى: «من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله بِهَا عشرًا[(١)]».

وفِي قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فما الفرق؟ وما فائدة الحديث والآية؟.

قال عفا الله تعالى عنه فِي فتاويه: هذه أعظم فائدةٍ استفادها العبد، وذلك أن القرآن الـــشريف اقتـــضى أن مـــن جاء بحسنةٍ تُضاعف عشرًا، والصلاة عَلَى النبي ﷺ حسنةٌ، فمقتضى القرآن أنه يُعطى عشر درجاتٍ فِي الجنَّة.

والفـــرق: أن الله تعالى أخبر أنه يصلي عَلَى من صلَّى عَلَى رسوله عشرًا، وذِكر الله تعالى للعبد أعظم من الحسنة مضاعفةً.

وفرق آخر: يتحقق العارف أن الله تعالى لَمْ يجعل جزاء ذكره إلا ذكره، وجعل جزاء ذكـــر نبيه ذكره لمن ذكره، وزاده، وحطَّ عنه عشر سيئاتٍ، ورفع لـــه عشر درجاتٍ، وجعلها أفضل من عتق الرقاب، فهذا فرقٌ يتنبه لـــه الغافل عن هذا العطاء الجزيل.

قال الولي العراقي: هذه فائدةٌ حسنةٌ.

وقال السخاوي فِي كتابه بعد أن ذكر هذه المسألة فِي الفصل الثالث: قَالَ القاضي أبو بكر بن العربي: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ لا حصر لثوابها؛ لأنها من الله تعالى.

وفِي آخر ما قاله السخاوي قلت: قَالَ الفاكهاني: هذه نكتةٌ حسنةٌ أجاد فيها وأفاد.

فائدة

الصلاة عَلَى النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب، وذلك معلوم الثواب من جهة المعتوق عـــضوًا بعـــضو، والـــسلام عليه أيضًا أفضل من عتق الرقاب فِي مقابلة العتق من النَّار، ودخـــول الجنَّة والسلام عليه فِي مقابلة سلام الله ﷻ، وسلامٌ من الله ﷻ أفضل من مائة ألف ألف ألف جنَّةٍ، فناهيك بِهَا من منَّةٍ.

---

(١) رواه الطبراني فِي الأوسط (١٨٨/٧)، وفِي الصغير (١٢٦/٢)، وأبو يعلَى فِي مسنده (٢٠٣/١).

ومن محاسن كتاب «الزهد» لابن أبي الدنيا: قَالَ ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عليَّ فِي اللَّيلةِ الغرَّاءِ واليومِ الأَزْهَرِ؛ فإنَّهُمَا يُؤَدِّيانِ عَنْكُمْ، وإنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادَ الأنبياءِ، وكلُّ ابنِ آدمَ يأكلُه الترابُ إلا عُجْبَ الذَّنْبِ(١)».

وفي رواية زاد فيها: «ومَا مِنْ مُسْلمٍ يُصلِّي عليَّ إلا حملها ملكٌ حتَّى يُؤدِّيها إليَّ، ويسميها، حتَّى أنَّه ليقولُ: إنَّ فلانًا يقولُ كذا وكذا(٢)».

وقال ﷺ: «إن ملكًا موكَّلٌ بكلِّ مَنْ صلَّى عليَّ حتَّى يُبلغني(٣)».

قال قتادة: تحت يد ذلك الملك ملائكةٌ لا يعلمهم إلا الله تعالى، يبلِّغون الصلاة عليه بإذن ذلك الملك، وهو رئيس هذه الطائفة.

وقال سليمان: ورأيت النبيَّ ﷺ فِي النوم، فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك، فيسلِّمون عليك، أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأَرُدُّ عليهم.

وقال أحمد بن شيبان: جئت إِلَى القبر الشريف، فسلَّمت عَلَى النبيِّ ﷺ، فسمعته من داخل الحجرة يقول: وعليك السلام.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «حياتي خيرٌ لكم؛ تُحدِّثون وأُحَدِّثكم، فإذا أنا مِتُّ كانت وفاتي خيرًا لكم؛ تُعرَض عليَّ أعمالُكم، فإنْ رأيت خيرًا حمدتُ الله تعالى، وإن رأيت غير ذلك استغفرتُ لكم(٤)».

ومن محاسن الكواكب السيَّارة فِي زيارة القرافتين: ما نُقل عن أبي الخير الأقطع التيناني قال: دخلت المدينة وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيامٍ ما ذقت ذواقًا، فتقدَّمت إِلَى القبر، وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، فتنحَّيت، ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي المنام، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعليٌّ بين يديه، رضي الله تعالى عنهم، فحرَّكني عليٌّ، وقال: قم؛ فقد جاء رسول الله ﷺ. فقمت إليه، وقبَّلت بين عينيه،

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٧١)، والبخاري فِي خلق أفعال العباد (١/٩٥)، والنسائي فِي الكبرى (١/٦٦٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (ص٥٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة فِي المصنف (٢/٢٥٣).

(٤) رواه الديلمي فِي الفردوس (١/١٨٣)، والبزار فِي مسنده (٩/٢٤)، وابن سعد فِي الطبقات (٢/١٩٤).

فدفـع إليَّ رغيفًا، فأكلت نصفه، وانتهيت، فإذا فِي يدي نصف الرغيف، فصلَّيت عليه، وسلَّمت، ودعوت الله تعالى، وسألته الرحمة والعزَّ به.

ومن محاسن كتاب المصباح قال: أَتَى رجلٌ من خراسان إِلَى أبي الفضل، وقال لـه: إنَّ النبي ﷺ يسلم عليكم، ويقول لك: لا تقطع هذه الصلاة عليه. فبكى، فأقسم عليه، فقال: إنِّي أقول فِي كلِّ ليلة: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آله وأصحابه، عدد أنعام الله وأفضاله. فأخذها عنه، وحلف بالله أنه ما كان يعرفه ولا يعرف اسمه حتَّى عرفه رسول الله ﷺ، فدفع لـه شيئًا من الدنيا، فقال: لا أبيع رسالة رسول الله ﷺ بالعرض الفاني.

ويُحكى عن بعض العارفين بالمدينة الشريفة: أن رجلاً جاء من بغداد، وقال لـه: علِّمني الصلاة التي تُصلِّيها عَلَى النبيِّ ﷺ؛ فإنَّه دلَّني عليك بأمارة ما تصلِّي عليه كلَّ ليلة مائة مرةٍ. فقال: أقسمت عليَّ بعظيمٍ، أقول: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ النبيِّ الأمِّيِّ، وعَلَى آل محمَّدٍ، جزى الله محمدًا ﷺ عنَّا ما هو أهله.

ومن محاسن ما ذكره ابن النعمان بسندٍ صحيحٍ: قَالَ محمد بن مالك: مضيت إِلَى بغداد؛ لأقرأ عَلَى أبي بكر بن مجاهد المقرئ، فبينما نحن نقرأ عليه يومًا من الأيام وكنَّا جماعة إذ دخل عليه شيخٌ وعليه عمامةٌ رثَّاء، وقميصٌ رثٌّ، ورداءٌ رثٌّ، فقام الشيخ أبو بكر إليه، وأجلسه مكانه، واستخبره عن حاله وحال صبيانه، فقال لـه: وُلِدَ لي الليلة مولودٌ، وقد طلبوا منِّي سمنًا وعسلاً، وأنا لا أقدر عَلَى ذرةٍ، قَالَ الشيخ أبو بكر: فنمت وأنا حزين القلب، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي منامي، فقال لي: ما هذا الحزن؟ اذهب إِلَى عليِّ بن عيسى الوزير وَزير الخليفة، فاقرأ عليه منِّي السلام، وقل لـه: بعلامةٍ بينك وبينه: أنك لا تنام كلَّ ليلة جمعةٍ إلا بعد أن تصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ ألف مرةٍ، وهذه الجمعة صلَّيت ليلتها عَلَى جاري عادتك سبعمائة مرةٍ، ثم جاءك رسول الخليفة، فدعاك إليه، فمضيت لـه، ثم رجعت، فصليت عليه تمام الألف، سَلم إِلَى أبي المولود مائة دينارٍ يستعين بهما عَلَى مصالحه. فقام أبو بكر بن مجاهد المقرئ ممتثلاً، وأخذ معه ذلك الرجل، ومضيا إِلَى دار الوزير، ودخلا عليه، وأخبره الشيخ أبو بكر برسالة رسول الله ﷺ، ففرح، وأجاب، وأمر غلامه بإخراج بدرة فيها من المال شيءٌ كثيرٌ، ووزن مائة دينارٍ، وسلَّمها لأبي المولود، ثم وَزَنَ أخرى، وأعرضها عَلَى الشيخ، فامتنع، فبكى الوزير، وقال لـه: ما أحسن هذه البشارة، كان السر بيني وبين الله ورسوله، فصار الذي كان بيني وبين الله ورسوله لك،

وأنـت رسـول الحبيب، تستحق المال الجزيل، ثم أخرج البدرة، وأعرضها عَلَى الرجل، فقال: والله ما أخالف رسالته ﷺ، ولا أزيد عليه، فأرسلها إِلَى داره، فامتنع، ولسان حاله يقول:

بـشارةٌ جـاءت تُفـيد الـذي قـد جـاء فـيها كلُّ أمرٍ عجيبِ
مِـنَ الـنَّبيِّ المـصطفى خُبِّرتُ بكـلِّ خـيرٍ مـن حبيبِ الحبيبِ

ومن محاسن فوائده:

أنـه سمع عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد يقول: أصابني وجعٌ فِي يدي من وقعةٍ وقعـتها فِي حمامٍ، فَورَمتْ يدي، نمت، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي المنام، فقلت: يا رسول الله، فقال لي: أوحشتني صلاتُك عليَّ يا ولدي. فأصبحت وقد زال الوَجَع والورم ببركته ﷺ.

ومن محاسن ما حكاه العتبي عفا الله تعالى عنه قال:

كـنت جالـسًا عند قبر النبيِّ ﷺ، فجاء أعرابيٌّ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت قول الله تعالى فِي كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّـهَ وَاسْـتَغْفَرَ لَهُـمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء:٦٤]، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي، مستشفعًا بك إِلَى ربِّي، ثم أنشد يقول:

يـا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظمُه فطـاب مـن طيـبهنَّ القاعُ والأكمُ
نفـسي الفـداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه فِـيْهِ العفـافُ وفِـيْهِ الجودُ والكرمُ

ثم انصرف، فغلبتني عيناي، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي النوم، وقال: الحق الأعرابيَّ، وبَشِّره بأن الله تعالى قد غفر لـه.

ومن محاسن حكايات ان بشكوال فِي كتابه:

ما حكاه عن محمد بن حرب الباهلي قال: دخلت المدينة، فانتهيت إِلَى قبر النبيِّ ﷺ، فـإذا بأعـرابيٍّ نزل عن بعيره، فأناخه، وعَقَلَهُ، ثم دخل إِلَى القبر الشريف، فسلم سلامًا حـسنًا، ودعـا دعاءً جميلاً، ثم قال: بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله؛ إنَّ الله تعالى خصَّك بوحـيه، وأنزل عليك كتابًا جَمع لك فِيْهِ عِلم الأولين والآخرين، وقال فِي كتابه، وقوله الحـق المـبين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

وقـد أتيـتك مقرًّا بذنبي، مستشفعًا بك إِلَى ربِّك، وهو ما وعدك به، ثم التفت إِلَى قبره، وزاد البيتين بيتًا بقوله هذا البيت:

أَنْتَ الَّذي فِي الْوَرَى تُرْجَا شَفَاعةً ... عِـنْدَ الـصِّراط إِذَا مَـا زلَّتُ القدمُ

ثم ركب راحلته، وسار فرحًا مستبشرًا، فظننت أنه لشيءٍ رآه.

قال السخاوي:

فمـا أشكُّ إن شاء الله تعالى إلا أنه راح بالمغفرة، ورأيت تحت ذلك ولَّى مهزولاً، وركب مستبشرًا، ونادى بلسانه هذه الأبيات:

يـا ربِّ جـئت نبـيًّا ساد مرتقيًا ... جُـدْ لي بِجـودٍ وإحـسانٍ أفوزُ بهِ
وهـا أنـا راكبًا قد عُدتُ فِي سعةٍ ... مِـنَ الـنبيِّ بمـن أسـتجيرُ بـهِ

ومن محاسن ما قَالَ بعضهم:

ألا أيُّهـا الحـادِي إِلَـى قبرِ أحمدَ ... تحمَّـل شـوقًا لا أطـيقُ لـه حملا
تحمَّـلْ هَـدَاك الله منِّـي رسـالةً ... وبلِّـغ سـلامي روح مَـنْ طيبةَ حلا
وقفْ عند ذاك القبرِ فِي الروضة التي ... تكـون يميـنًا للمـصلِّي إذا صـلَّى
وقـمْ خاضـعًا فِي مهبطِ الوحي خاشعًا ... واخفـضْ هـناك الـصدرَ واسمـعْ
ونـادِ: سـلامُ الله يـا قـبر أحمدَ ... عَلَـى جسدٍ لَمْ يبلَ قط أبدًا ولا يبلى
تـراني أراني عـند قـبرك واقفًـا ... يـناديك عـبدٌ ما لـه غيركم مولى
وتـسمع عـن قـربٍ صلاتي مثلما ... تُـبَلَّغ مـن بعـدُ صـلاةَ الذي صلَّى
أناديـك يـا خـير الخلـق والذي ... بـه خـتم الله النبـيين والرسـلا
نـبي الهـدى لولاك لَمْ يُعرف الهدى ... ولـولاك لَـمْ يُعرف حرامًا ولا حِلاً
ولـولاك والله مـا كـان كـائنٌ ... ولم يخلـق الـرحمن جـرًّا ولا نحلا

وقال آخر:

أهـلاً بمـا لَـمْ أكنْ أهلاً لموقعه ... قـول المبـشِّر بعـد اليأس بالفرجِ
ملـكُ البِـشارة فاخلع ما عليك فقد ... ذُكـرت ثَـمَّ عَلَى ما فيك من عوجِ

وقال آخر:

ومـن خطـرتْ منه ببالك خطرةٌ ... حقـيقًا بـأنْ يـسموَ وأنْ يـتقدَّمَ

فائدة

أن النبيُّ ﷺ حيٌّ عَلَى الدوام، ومن المحال أن يخلو الوجود كله من واحدٍ يسلم عليه فِي ليلٍ أو فِي نهارٍ، ونحن نؤمن ونصدِّق بأنه ﷺ حيٌّ يُرزق فِي قبره، وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض، والإجماع عَلَى هذا، وأنه يَردُّ عَلَى من يسلم عليه بنفسه، وإذا بَلَّغه ذلك الملك فلا يشتغل بهذا عن هذا، وإدراكه يفوق إدراك كلِّ المخلوقات، وكما أن كلَّ ما فِي الوجود تابعٌ له، معترفٌ بفضله، شاهدٌ برسالته، وهو شاهد الجميع باتِّفاق العلماء.

فائدة

[نختتم بِهَا هذا الباب فِي كراهية الصلاة فِي المقبرة]

وهو ما نقله الإمام البخاري فِي كراهية الصلاة فِي المقابر، وفِي قوله ﷺ: «لا تجعلُوا بيوتَكم قبورًا[1]».

قال الخطابي: أي وطنًا للنوم لا تصلُّون فيها؛ فإن النوم أخو الموت، والميِّت لا يصلِّي.

وشاهد هذا ما ذكره مسلم فِي «صحيحه»: «مَثلُ البيت الذي يُذكر الله تعالى فِيْهِ والبيت الذي لا يُذكر اسم الله تعالى فِيْهِ كَمَثل الحيِّ والميِّت، وأجساد الأنبياء لا تتغير[2]».

وزاد بعضهم ما نبهنا عَلَى علوِّ قدرهم وعظيم شأنهم: «أنَّهم ما يتغيَّرُ لهم حالٌ فِي أبدانهم حتَّى الحنَّاء لَمْ تتغيَّرْ فِي أيديهم[3]».

---

(١) رواه مسلم (١/٥٣٩)، وأبو داود (٢/٢١٨)، والترمذي (٥/١٥٧)، والنسائي فِي الكبرى (٥/١٣)، وأحمد (٢/٢٨٤).

(٢) رواه مسلم (١/٥٣٩)، وابن حبان فِي الصحيح (٣/١٣٥)، وأبو نعيم فِي المسند المستخرج (٢/٣٧٢).

(٣) لم أقف عليه.

فائدة

الصلاة في المقبرة حسرةٌ عَلَى الميِّت وندامةٌ

وقـــال الـــنووي رضي الله تعالى عنه: مشاهد القبور ما أُعدت للصلاة، وإنما بنيت لأموات المسلمين.

وكره أحمد بن حنبل ذلك.

والجلوس عَلَى القبر قَالَ بكراهته جماعةٌ من العلماء، وإنه حسرةٌ عَلَى الميِّت، والوطء بالنعل لا يجوز، وعدَّه جماعةٌ من قلة الأدب، والنط عَلَى القبر قَالَ بحرمته جماعةٌ، والدعاء للميت لا بأس به، والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ مغفرةٌ لأهل الجبَّانة وتخفيف العذاب عنهم.

وزاد بعـــضهم: أن الصلاة عليه ﷺ إذا صلاها المارُّ بالمقبرة خفَّف الله تعالى العذاب عن أهل تلك المقبرة إن كانوا من عصاة هذه الأمة؛ فهي رحمةٌ للأموات عَلَى كلِّ حالٍ، والمـــصلِّي علـــيه لا يخـــرج من دار الدنيا إلا مغفورًا لـــه، وقد جرَّب ذلك جماعةٌ من الـــصالحين نالوا ببركة الصلاة عليه العزَّ الأكبر والمقام الأفخم الأفخر، وصلَّى الله وسلم عَلَى سيِّدنا محمد وآله وصحبه، وزاده الله شرفًا وكرمًا ورفعةً ومهابةً وتعظيمًا.

***

الباب الثاني

يشتمل عَلَى إحدى وثمانين فائدةً، وأردفتها بعشر فوائد، رأيتها فِي كتبٍ جليلة، وقد ذكـــرت من جمعها، جمعتها من كتبٍ عديدةٍ وخصائص مفيدةٍ، كلُّ خصيصيةٍ من كتابٍ فيما خصَّ الله تعالى به هذا النبيَّ الكريم، وذلك بتيسير الله ﷻ:

الفائدة الأولى: فِي فضل الصلاة عليه، وثوابها.

الفائدة الثانية: فِي فضل كتابة الصلاة عليه، وثوابها.

الفائدة الثالثة: فِي كتابة اسمه الشريف.

الفائدة الرابعة: فِي الوعظ بمقاله، وفضل من يتَّعظ به، وما أعطاه الله تعالى من الثواب.

الفائدة الخامسة: فِي الإفتاء بما قال، وأجر من أصاب ومن لَمْ يُصب.

الفائدة السادسة: فِي قراءة الحديث، وما أعدَّ الله تعالى للمحدِّثين من الثواب.

الفائدة السابعة: فِي نشر العلم عنه، ومحاسنه.

الفائدة الثامنة: عند ذكره تنـــزل الرحمة.

الفائدة التاسعة: فِي افتتاح كلِّ كلامٍ بذكره.

الفائدة العاشرة: فِي كلِّ موضعٍ يُجتمع فِيْهِ لذكر الله تعالى.

الفائدة الحادية عشرة: عند الفراغ من الوضوء.

الفائدة الثانية عشرة: عند التيمُّم.

الفائدة الثالثة عشرة: عند الغُسل من الجنابة.

الفائدة الرابعة عشر: عند الحيض للنساء، وفِي الحيض، وأن الله تعالى يكفِي بِهَا المرأة أذى الحيض.

الفائدة الخامسة عشرة: فِي فضل ذكرها فِي الصلاة.

الفائدة السادسة عشرة: فِي فضل ذكرها عقب الصلاة.

الفائدة السابعة عشرة: فضل ذكرها عند إقامة الصلاة.

الفائـــدة الثامنة عشرة: فِي فضل ذكرها، والتأكيد عليه بعد الصبح والمغرب، وأن الله تعالى يكفِيْهِ ببركتها شرَّ يومٍ وليلته.

الفائدة التاسعة عشرة: فِي بركة ذكرها فِي التشهُّد.

الفائدة العشرون: فِي بركة ذكرها فِي القُنوت.

الفائدة الحادية والعشرون: فِي بركة ذكرها عند القيام من المجلس.

الفائدة الثانية والعشرون: فِي بركة ذكرها لحفظ القرآن.

الفائدة الثالثة والعشرون: لطلب القرآن.

الفائدة الرابعة والعشرون: لختم القرآن.

الفائدة الخامسة والعشرون: فِي بركة ذكرها عند تفرُّق القوم بعد اجتماعهم.

الفائدة السادسة والعشرين: فِي بركة ذكرها عند لقاء الإخوان.

الفائدة السابعة والعشرين: فِي بركتها فيما يعرض للعبد من الحوائج.

الفائدة الثامنة والعشرين: فِي بركة ذكرها لمن اُتُّهم وهو بريءّ.

الفائدة التاسعة والعشرين: فِي بركة ذكرها فِي الأحوال كلُّها.

الفائدة الثلاثون: فِي بركة ذكرها فيما يعرض للعبد من الحوائج.

الفائدة الحادية والثلاثون: فِي بركة ذكرها فِي التهجُّد.

الفائدة الثانية والثلاثون: فِي بركة ذكرها عند القيام للأولى.

الفائدة الثالثة والثلاثون: فِي بركة ذكرها عند المرور بالمساجد.

الفائدة الرابعة والثلاثون: فِي بركة ذكرها بعد التهجُّد، وبعد مروره بالمساجد.

الفائدة الخامسة والثلاثون: فِي بركة ذكرها عند رؤية المساجد.

الفائدة السادسة والثلاثون: فِي بركة ذكرها عند دخول المساجد.

الفائدة السابعة والثلاثون: فِي بركة ذكرها عند خروجه من المسجد.

الفائدة الثامنة والثلاثون: فِي بركة ذكرها بعد إجابة المؤذِّن.

الفائدة التاسعة والثلاثون: فِي بركة ذكرها فِي يوم الجمعة.

الفائدة الأربعون: فِي بركة ذكرها فِي العيدين فِي الخطبة.

الفائدة الحادية والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي ليلة الجمعة.

الفائدة الثانية والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي السبت وليلته.

الفائدة الثالثة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي الأحد وليلته.

الفائدة الرابعة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي الإثنين وليلته.

الفائدة الخامسة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي الثلاثاء وليلته.

الفائدة السادسة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي الاستسقاء.

الفائدة السابعة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي الكسوفين.

الفائدة الثامنة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي أثناء تكبيرات العيدين.

الفائدة التاسعة والأربعون: فِي بركة ذكرها فِي صلاة الجنازة.

الفائدة الخمسون: فِي بركة ذكرها عند إدخال الميِّت فِي قبره.

الفائدة الحادية والخمسون: فِي بركة ذكرها فِي رجب.

الفائدة الثانية والخمسون: فِي بركة ذكرها فِي شعبان، وأنَّه شهر الصلاة عليه.

الفائدة الثالثة والخمسون: فِي بركة ذكرها عند رؤية الكعبة.

الفائدة الرابعة والخمسون: فِي بركة ذكرها فوق الصفا والمروة.

الفائدة الخامسة والخمسون: عند الفراغ من التلبية.

الفائدة السادسة والخمسون: عند استلام الحجر الأسود، وأنه شاهدٌ.

الفائدة السابعة والخمسون: بركة ذكرها عند الملتزم، وما فِيْهِ من الثواب.

الفائدة الثامنة والخمسون: بركة ذكرها عشية عرفة مع الذكر الوارد.

الفائدة التاسعة والخمسون: بركة ذكرها عند مسجد الخيف.

الفائدة الستون: بركة ذكرها عند رؤية المدينة المطهَّرة.

الفائدة الحادية والستون: بركة ذكرها عند استحسان الشيء الحسن.

الفائدة الثانية والستون: بركة ذكرها عند التوبة من الذنب.

الفائدة الثالثة والستون: بركة ذكرها عند نهيق الحمير.

الفائدة الرابعة والستون: بركة ذكرها عند النسيان.

الفائدة الخامسة والستون: بركة ذكرها عند أهل التعجُّل.

الفائدة السادسة والستون: بركة ذكرها عند العطاس.

الفائدة السابعة والستون: بركة ذكرها عند خَدَر الرِّجل.

الفائدة الثامنة والستون: بركة ذكرها عند طنين الأذن.

الفائدة التاسعة والستون: بركة ذكرها عند أول الدعاء وأوسطه وآخره.

الفائدة السبعون: بركة ذكرها عندما يأتي الطاعون، فيزيله الله تعالى بذكره.

الفائدة الحادية والسبعون: بركة ذكرها عند زيارة قبره الشريف.

الفائدة الثانية والسبعون: بركة ذكرها عند وداعه ورؤية آثاره.

الفائدة الثالثة والسبعون: بركة ذكرها عند مواطنه ومواقفه الشريفة: مثل بدر وغيرها، وعند زيارة قبور الصالحين.

الفائدة الرابعة والسبعون: بركة ذكرها عند الذبيحة.

الفائدة الخامسة والسبعون: بركة ذكرها عند البيع.

الفائدة: السادسة والسبعون: بركة ذكرها عند كتابة الوصيَّة.

الفائدة السابعة والسبعون: بركة ذكرها عند إرادة التزويج.

الفائدة الثامنة والسبعون: بركة ذكرها عند إرادة السفر لأي شيءٍ أراد.

الفائدة التاسعة والسبعون: بركة ذكرها عند إرادة النوم.

الفائدة الثمانون: بركة ذكرها عند ركوب الدابَّة.

الفائدة الحادية والثمانون: بركة ذكرها لمن قلَّ نومه.

فوائد

بعض العلماء زاد هذه الفوائد فِي فضل الصلاة عليه ﷺ، فقال: تستحبُّ الصلاة عليه؛ لمَّا ورد من الأحاديث فِي فضل الصلاة عليه لمن خَرَجَ إِلَى السوق وما لــه من الأجر، ومــن دعاه أخوه إِلَى منــزله أو لدعوةٍ مباحةٍ ودخول المنــزل، وافتتاح الرسائل، وبعد البسملة الشريفة، وعند الهمِّ والكرب والشدائد، قاله السخاوي.

وقــد رتَّبت هولاء ترتيبًا حسنًا، كما رتبت ذكر أسمائه الشريفة، وما غرضنا من ذلك إلا فضل الصلاة عليه ﷺ، كما قدَّمنا، وها أنا أبيِّن لك ذلك مضبوطًا إن شاء الله تعالى[1].

***

الفائدة الأولى

[فِي فضل الصلاة عليه]

كما قد أشرنا من الفوائد والفضائل والثواب الجزيل الذي ليس لــه ضبطٌ ولا حصر، وما جمع الله تعالى للمصلِّي عليه، وما خصَّه به، فوجب علينا اعتقاد ما وعد الله تعالى عَلَى لسان نبيِّه ﷺ؛ لأنه ما ينطق عن الهوى كما أخبرنا الله تعالى، وأن كل فضلٍ انحصر فيه، وكــلُ ثوابٍ من أعمال الخيرات منه، وقد أمرنا الله ﷻ باتِّباعه، وقد قدَّمنا فضل الصلاة عليه.

وقال البغوي: كل ما ورد عنه من عملٍ فِيْهِ الترغيب يجوز العمل به.

وقــرَّر الــنووي ذلــك فِي فضائل الأعمال بقوله فِي شرح مسلم فِي جواز العمل بالحديث الضعيف؛ لحديث أبي الرجاء عن يحيى بن كثير، عن أبي أسلم بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهم قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ بلغه عن الله تعالى شيءٌ فِيْهِ فضيلةٌ فأخذ به إيمانًا واحتسابًا[2])).

---

(١) ذكر ابن قيم في جلاء الأفهام ٣٣ فائدة، والسخاوي في القول البديع ١٤ فائدة.

(٢) رواه الخطيب فِي التاريخ (٨/٢٩٥)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٦/٩٥).

وفِي حديثٍ: «إيمانًا به ورجاء ثوابه أعطاه الله تعالى ذلك، وإن لَمْ يكن كذلك[١]».
وفيما قررناه فِي فضل الصلاة عليه ﷺ كفايةٌ لمن تأمَّل.

***

الفائدة الثانية

[فِي فضل كتابة الصلاة عليه]

وثـــوابَها لمن كتبها، ومن رأى، ومن عمل منها ما استطاع، فهو شريكه فِي الأجر؛ للحديث الوارد: «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم، وإن أجر الكاتب بمقصد حسنٍ لا ينقطع كأجر الواقف، وإنَّ الخطَّ شاهدٌ، وإنَّه عملٌ[٢]»، وإنَّ الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ لا ينقطع أجر كاتبها، خصوصًا إذا كان عارفًا بأحكام الحلال والحرام، يميز الضعيف والموضوع، ناصحًا فِي كتابته غير بخيلٍ.

كمـــا ورد: «أن رجـــلاً كان يكتب الحديث، ولا يصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ إذا ذكره، ويحذف ذلك منه؛ شحًّا عَلَى الورق، فوقعت الأكلة فِي يده اليمنى فأكلتها[٣]».

وقال بعض الكتبة: كنت أكتب الحديث، فإذا وصلت إِلَى ذكره كتبت: عليه السلام، فرأيت النبي ﷺ فِي المنام وهو يعاتبني، وقال لي: ما لك لا تتمّ الصلاة عليَّ فيما كتبت؟! فكتـــبت بعـــد ذلك: ﷺ، فرأيت أن الله تعالى ربَّا لي ذلك حتَّى صار كلُّ حرفٍ كالجبل العظيم.

وقـــال أبو طاهر العطار: كتب لي أبو طاهر أجزاءً بخطه، فرأيت فيها: إذا جاء ذكر الـــنبي ﷺ يكتب: تسليمًا كثيرًا كثيرًا كثيرًا ثلاثًا أو سبع مراتٍ، فسألته عن هذا، فبكى، وقـــال: يا أخي كنت أكتب الحديث، وإذا جاء ذكر النبي ﷺ لا أصلِّي عليه، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي النوم، فأقبلت عليه، فتوارى عنِّي، فسلَّمت عليه، فأدار وجهه، فدرت وجهي إليه، فـــأدار وجه من الجانب الثاني، فاستقبلته فِي المرة الثالثة، وقلت: يا رسول الله، لَمْ تدير

---

(١) رواه الخطيب فِي التاريخ (٨/٢٩٥)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٦/٩٥).
(٢) ذكره ابن حجر فِي فتح الباري (١٣/٢٦١) بنحوه.
(٣) لم أقف عليه.

وجهــك عنِّــي؟! قال: لأنَّك إذا ذكرتني فِي كتابك لا تُصلي عليَّ. فأنا من ذلك اليوم تائبٌ.

وقــال الإمــام القاشاني: كتب اللخمي كتابًا فِي الحديث، فجاء لــه رجلٌ، فقال: اكتب لي لفظ الحديث، ولا تكتب لي ﷺ، فقال: أنا لا أعاقد عَلَى هذا، وكان تلك الليلة لَــمْ يكــن بــيده شيءٌ، فقال: اللَّهُمَّ اشهد أنِّي لا أترك الصلاة عَلَى نبيك، فولَّى ذلك المغــربي، ولم يتيــسَّر للشيخ شيءٌ، فبات الليلة الثانية، فلمَّا كان صبح اليوم الثاني جاء المغــربي للشيخ، وقال: اكتب لي ﷺ، وكَرِّرها؛ فإني عُوتبتُ من أجلها، ولا أقول إنك تمحق الورق، ولم يعلم منه ما سبب ذلك.

وقــال الطبري حاكيًا عن الحسن بن موسى الحضرمي المعروف بابن عجيبة: قال: كــنت أكــتب الحديث ولا أكتب الصلاة عليه، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي المنام، وقال لي: ما تكتب الصلاة عليَّ؟! فانتبهت فزعًا، وآليت عَلَى نفسي لا أقطع ذكر الصلاة عليه ﷺ.

وذكر ابن بشكوال جماعة من أهل الحديث أنهم رأوهم بعد موتهم فِي المنام، وأُخبروا أن الله تعالى قد غفر لهم ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

وقــال صالح الصوفي: رأيتُ ابن بكير فِي المنام، قلت: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي ربِّي. قلت: بأيِّ شيءٍ؟ قال: بصلاتي فِي كتبي عَلَى النبيِّ ﷺ.

وروى عــبد الله بــن وهب: فِي المنام قيل لــه ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي بكثرة ما كتبت بهاتين الإصبعين ﷺ.

وعــن أبي القاسم بن عبد الله المروزي قال: كنت وأبي نقابل بالليل الحديث، فرأى فِــي الموضع الذي كنَّا نقابل فِيْهِ عمودًا من نورٍ يبلغ عَنان السماء، فقيل: ما هذا النور؟ فقــيل: صلاتهما عَلَى النبيِّ ﷺ، وإذا بقائل يقول: وشرُف، وكرُم، أخرجه الخطيب، وابن بشكوال.

وقال الدارمي: قررت بعض تخريجاتي فِي الحديث، فأخذتني سِنَةٌ، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي المنام كأنه أخذ شيئًا ما كتبته، فنظر فيه، وقال: جيِّد، رواه الخطيب أيضًا.

ورئــي ابــن رشيق فِي حالةٍ حسنةٍ وعليه الحلل والحُليّ، فقيل: بما نلت هذا؟ قال: بصلاتي عَلَى النبيِّ ﷺ.

* * *

الفائدة الثالثة

[فِي فضل الصلاة عليه عند كتابة اسمه الشريف ﷺ]

قال الحافظ: من كان فِي صحيفته اسم محمَّدٍ لَمْ يُعذَّبْ.

وقال الغزالي: كان لي جار ورَّاق فمات، فرأيته فِي المنام، فقلت لـه: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي بكتابة اسمه الشريف ﷺ.

وقال جعفر: رأيت أبا زرعة فِي المنام وهو يصلِّي فِي السماء بالملائكة، فقلت لـه: بما نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديثٍ فيها اسم النبيِّ ﷺ.

وقال ابن عبد الحكم: رأيت الشافعيَّ فِي النوم، فقلت لـه: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: غفر لي، ورحمني، وزُفَّت روحي إِلَى الجنَّة كما تُزَفُّ العروس، ونُثر عليَّ كما يُنثر عَلَى العروس، فقلت لـه: بما بلغت هذه الحالة؟ فسمعت قائل يقول: بكتابة اسمه الشريف فِي أوَّل كتاب «الرسالة». قلت: وكيف ذلك؟ قلت: قال: وصلَّى الله عَلَى محمَّد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، فلمَّا أصبحت نظرت فِي الرسالة، فوجدت الأمر كما رأيت، وعددت من رأى الشافعيَّ فِي النوم، فوجدتهم أربعين رجلاً، كلٌّ منهم يقول بخلاف الآخر، فمنهم من رأى النبي ﷺ وهو يدعو لـه، ومنهم من قَالَ لـه: لا يقف للحساب يوم القيامة، ومنهم من قَالَ لـه: خصصته أن الله تعالى لا يحاسبه، ومنهم من قَالَ لـه: تُسبق بصلاة لَمْ يُسبق بِهَا أحدٌ.

وعن البيهقي: أن الشافعي ﷺ رئي فِي المنام، فقيل لـه: ما فعل الله تعالى بك؟ قَالَ غفر لي. فقيل لـه: بماذا؟ قال: بخمس كلمات كنت أصلِّي بهنَّ عَلَى رسول الله ﷺ. فقيل لـه: وما هنَّ؟ قال: كنت أقول: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّد عدد من صلَّى عليه، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ بعدد من لَمْ يصلِّ عليه، وصلِّ عَلَى محمَّد كما أمرت أن يُصلَّى عليه، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ كما تحبُّ أن يُصلى عليه، وصلِّ عَلَى محمَّدٍ كما تنبغي الصلاة.

وقال صاحب كتاب النجم: أنه رئي يتبختر فِي الجنَّة.

وفِي «المصباح» كيفية غير هذه.

وفِي كتاب «الكواكب السيَّارة» رؤية اللخمي وفِي رجليه كيفية غير هؤلاء، وهذا كله ببركة كتابة اسمه الشريف.

وقال الحافظ الدمياطي: من كتب اسمه يكون معه في الجنَّة.

وروى ابن عيينة، فقال: أما نحن فدخلنا الجنَّة، وقبَّلنا يده، وقال: «أبشروا؛ كلُّ من كتب اسمي بيده لـه نورٌ في أصابع يده حتَّى يُحشر معي يوم القيامة، يضاعفه الله تعالى لـه»، وقال لمن ترك التسليم عليه: «لم تترك هذه الأربعة أحرفٍ، وهي بأربعين حسنةٍ والسلام».

* * *

الفائدة الرابعة

[في الصلاة عليه عند الوعظ بمقاله]

وفضل من يتَّعظ به، وما أعطاه الله تعالى من الثواب بسبب امتثاله، وما لـه من الخير، ومن أعظم المواعظ اتِّباعه في سائر ما يأمر به، واقتفاء آثاره، والبُكاء عند ذكره؛ لمَّا ورد: «من سرَّه اسمي بنى الله تعالى لـه بيتًا في الجنَّة[1]»، «ومَنْ صلَّى عليَّ في كتابٍ لَمْ تزلِ الملائكةُ يستغفرون لـه، ما دام اسمي في ذلك الكتاب[2]».

وفي حديثٍ آخر: «نزلت الملائكةُ تستغفرُ لـه[3]».

وفي حديث آخر: «مَنْ كتبَ عنِّي علمًا وكتب معه صلاةً عليَّ لَمْ يزل أجر ما قُرئ ذلك الكتاب[4]»، «ومَنْ صلَّى عليَّ لَمْ تزل الملائكة جارية لـه بالدعاء، ما دام اسمي في ذلك الكتاب[5]».

وقال بعضهم: من ألفظ بذكره ليس لـه جزاءٌ إلا الجنَّة.

وفي هذه الفائدة كلامٌ يطول شرحه من أمر الامتثال وغيره، وطاعته لأمره، وكل قطرةٍ دمعت من سماع مواعظه كفايةٌ لمن سمعها، ووقايةٌ من النَّار، وأمانٌ من الشيطان.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٣٢)، والقزويني في التدوين (٤/١٠٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (٣/١٤٩).

(٥) تقدم تخريجه بنحوه.

الفائدة الخامسة

[فِي الصلاة عليه ﷺ عند الإفتاء بما قال]

وأجر من أصاب ومن لَمْ يُصب.

وقال النووي عفا الله تعالى عنه فِي الروضة فِي زوائده عَلَى الروضة: يُستحب عند إرادة الإفـتاء أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويسمي الله سبحانه وتعالى، ويحمده، ويصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

وقال السبكي: الصلاة عليه عند كتابة الإفتاء تزيد المفتي قبولاً.

وقال ابن دقيق العيد: المفتي لـه أجرٌ إن أصاب، وإن لَمْ يُصب فله أجرٌ واحدٌ، وإن صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ عند كتابة جواب السؤال ضاعف لـه الأجر، وشهد لـه الخط.

* * *

الفائدة السادسة

[فِي الصلاة عليه عند قراءة الحديث]

وما أعدَّ الله سبحانه وتعالى للمحدِّثين من الثواب الجزيل.

قـال الإمـام البغوي: واجبٌ عَلَى كل مؤمنٍ ذكره ﷺ أو ذكر عنده أن يخشع، ويخـضع، ويتوقَّر، ويسكن من حركته، ويأخذ من هيبته ﷺ وإجلاله، بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدَّب بما أدَّبه الله سبحانه وتعالى به، وكان هذا آداب السلف الـصالح والأئمة والتابعين، وكان مالك ﷺ إذا ذكر النبيَّ ﷺ يتغيَّر لونه حتَّى يصعد ذلك عَلَى جلسائه، فقيل لـه يومًا فِي ذلك. فقال: لو رأيتم ما رأيت لمَّا أنكرتم عليَّ ذلك مما تـرون منِّي، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء إذا سُئل عن حديثٍ لا يزال يبكي حتَّى نرحمه.

وكان أبو حنيفة إذا ذكر النبيَّ ﷺ اصفرَّ وجهه، وتغيَّر لونه، حدَّث أحمد بن حنبل: إلا عَلَى طهارةٍ.

وكان الإمام البخاري لا يفارق الوضوء والأدب فِي سائر حركاته.

وبهذا نالوا شرف الدارين، ولو ذكرنا ذلك لمَا وسعته الدواوين، ولله الحمد.

وكـــان عمـــر بـــن الخطاب ﷺ إذا ذكر النبيَّ ﷺ يبكي حتَّى يقوم الناس من عنده ويتركوه.

وسُئل بعض قراء الحديث: ما أدب المحدِّث؟ فخفض صوته، وخرَّ مغشيًا عليه، فإذا هو ميِّتٌ، وأجر الأدب فِي حقِّه زائدٌ.

والصلاة عليه من المحدِّث يضاعفها الله سبحانه وتعالى إِلَى مائة ضعفٍ إِلَى ما لا نهاية لـــه، والمحدِّث إذا رفع صوته ساعدته الملائكة، وإن الله سبحانه وتعالى يغفر لأهل مجلسٍ سمعـــوا حديـــثه، وإذا قاموا قاموا مغفورًا لهم ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، زاده الله شرفا وكرمًا ومهابةً وتعظيمًا.

وقـــال العلامة نجم الدين الغيطي: أجر الأدب فِي حقِّه زائدٌ، خصوصًا من المحدِّث عنه، وكان شيخنا يتوضأ ولا يتكلَّم، خصوصًا إذا أراد الحديث إلا فِي المجلس إذا استفتح، وكان شيخنا أيضًا يتغيَّر لونه إذا أراد أن يستفتح عفا الله تعالى عنه.

* * *

الفائدة السابعة

[فِي الصلاة عليه ﷺ عند نشر العلم ومحاسنه]

وما أعطى الله تعالى المصلِّي عليه.

قال الإمام البغدادي: من نشر محاسن النبيِّ ﷺ نشر الله تعالى ذكره، وجعل لـــه من المحاسن ما يسود به.

وقـــال عثمان بن عمر: كان سفيان بن سعيد الثوري إذا جلس لنشر محاسن النبيِّ ﷺ يقول عند جلوسه: صلَّى الله وملائكته عَلَى محمَّدٍ وعَلَى أنبياء الله وملائكته، ويقول عند قيامه ما قَالَ عند جلوسه، أخرجه ابن أبي حاتم والنميري.

وقـــال السبكي: الصلاة عليه لكلِّ موضعٍ يُجتمع فِيهِ لذكر الله تعالى جاء فِيْهِ حديثٌ

عن أبي هريرة ﷺ: «إنَّ لله تعالى ملائكةً سيَّارة[(١)]» كما قدَّمنا الحديث.

وكان مالك عند نشر محاسنه يتطيَّب ويتضمَّخ بالمسك والزباد وحسن الملبس.

كان ابن عباس يحمل مجلسه بكل بخورٍ حتَّى تفوح رائحة ذلك المجلس أيَّامًا.

وقـال أبو بكر الصديق ﷺ: «إذا ذكر العَالم رسولَ الله ﷺ ونشرَ محاسنه وصلَّى عليه تهـبُّ ريـحٌ من تحت سدرة المنتهى، تطيب به الملائكة، وتغرد به طيور الجنَّة، وتصلي الولدان، وتفرح الحور العين، وتقول الملأ: ما أحسن ما نشر علينا، فيسمعون النداء: هذا فلانٌ العَالم ذكر النبيَّ محمَّدًا ﷺ، وما كان عليه[(٢)]».

فيا لها من فائدةٍ ما ربح العبد مثلها.

الفائدة الثامنة

[في الصلاة عليه عند ذكره]

وأن عـند ذكره تنـزل الرحمة، وأن كلَّ كلام لا بداء فِيْهِ بذكر الله تعالى وذكره فهو أقطع وممحوق البركة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «كُلُّ كلامٍ لا يُذكر الله تعالى فِيْهِ فيبدأ بـه وبالـصلاة عليَّ فهو أقطعُ وممحوقٌ من كُلِّ بركةٍ[(٣)]» أخرجه الديلمي فِي مسند الفردوس.

والأحاديـث المـشهورة فِي ابتداء الكتب: «كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فِيْهِ بذكر الله تعـالى ثم بالـصلاة عليَّ فهو أقطعُ أبْتَرُ ممحوقٌ من كل بركةٍ[(٤)]»، غير أني لَمْ أره بهذا اللفظ، ورأيت فِي كتاب السخاوي «القول البديع» نقلاً عن الشافعي ﷺ: أنه جلس مع يـونس بـن عبد الأعلَى الصدفِي بالجامع العَمري، فرأى عمودًا من نورٍ، فبكى، وخشع

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أبو يعلَى فِي الإرشاد (١/٤٤٩)، والقزويني فِي التدوين (٢/٢٢٨).

(٤) رواه النسائي فِي الكبرى (٦/١٢٧)، وأحمد (٢/٣٥٩)، وابن ماجه (١/٦١٠)، والبيهقي فِي الكبرى (٣/٢٠٨).

قلبه، فسمع قائلاً يقول: هذا رحمةٌ من الله تعالى ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

وتـــداولت كتاب السخاوي فلم أرَ هذا الخبر عن الشافعي، ورأيت ذلك فِي «محاسن الأخبار».

وكان الإمام الثوري فِي مجلسه يرى النور عِيانًا، فيقول: هذا نور الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ

وكـــان نافـــع يميل القلوب لمجلسه؛ لمَّا يشاهدون من النور، فيقول: هذه الرحمة التي خـــصَّ الله تعـــالى بِهَا من يصلِّي عَلَى نبيه ﷺ، وشرُف، وكرُم، وزاده مهابةً وعزًّا ورفعةً وتعظيمًا.

***

الفائدة التاسعة

[فِي ذكر بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي افتتاح كلِّ كلامٍ]

وهو ما قدَّمنا ذكره فِي الحديث السابق، وأن ذكره سبب سعادة العبد فِي الدارين.

وكان الشافعيُّ يقول: ما عهدت من نفسي فِي مجلسٍ جلسته بغير ذكره.

وقال عاصم: ما رأيت الشرف إلا بذكره فِي افتتاح مجالسي.

وقـــال: من جعل افتتاح مجلسه الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ رفع لـــه من مجلسه إِلَى عنان السماء نورٌ.

وقـــال ابن عباس: الفوز الأعظم افتتاح المجالس بالصلاة عليه ﷺ، وإنها بركةٌ يلقاها العبد، ولها خصائص كثيرةٌ ذكرها الطبراني فِي افتتاح المجالس.

وقال ابن العربي: الفتية الكبرى أعطاها الله تعالى لهذه الأمة افتتاح مجالسهم بالصلاة عليه ﷺ، ومجلسٌ لا يُصلى عليه فِيْهِ حسرةٌ يلقاها العبد.

أحسن من قَالَ هذه الأبيات

مجلـــسٌ فِـــيْهِ لا يُـــصلى علـــيه ... فهـــو نقـــصٌ وحـــسرةٌ وندامَـــه

ونَكـــالٌ مِـــنَ الملائكـــةِ جمعًـــا ... لفـــتورٍ يُـــرى فـــافهم كلامَـــه

نـــبِّهوا قلـــبكم وقولـــوا بعـــزمٍ ... إنَّ ذا العـــرش قـــد أعطـــاه الكـــرامَه

البخـــيلُ البخـــيلُ مَـــنْ لَـــمْ يـــصلِّ ... ســـوف يلقَـــى مِـــن الإلـــه ملامَـــه

وعـــذابًا وشـــدةً ونكـــالاً وعقابًـــا يـــراهُ عـــند التـــزامه

وقال آخر:

مجلـــسٌ فِـــيْهِ لا يُـــصلَّى علـــيه فهـــو نقـــصٌ وحـــسرةٌ وندامَـــه

وصـــلاةٌ بـــلا ســـلامٍ علـــيه عـــند ذي العـــرش ما تساوي قُلامَه

الفائدة العاشرة

[بركة الصلاة عليه ﷺ فِي كلِّ موضعٍ]

يجتمعون فِيْهِ لذكر الله تعالى وكمال الأجور كما قرَّرنا فِي فضل الذكر من الأحاديث، وفـــضل الجهـــر، وهو أفضل الأعمال، وكما راعت العلماء فضل الستر فِي ذكره راعت العلماء فضل الجهر، وهو أفضل الأعمال، وهذه الفائدة للجماعة المجتمعين لذكر الله تعالى أغزر نفعًا وأكثر مما قدَّمناه، وكان السلف والخلف عَلَى هذا، وهذا بابٌ واسع المجال فِي ثـــوابه، وتقريرات العلماء فِي ذلك لا تُعدُّ، وبركة الصلاة ﷺ فِي مواطن الذكر تعينُ عَلَى القَبول، وتفتح للعبد باب الرجاء فِي الله تعالى ببركة الصلاة عليه ﷺ.

وقال النووي: عليكم بمجالسة الذاكرين؛ فإنها نورٌ، وسيلقون الله تعالى بما يسرُّهم، وإن الأذكار بهجة الجماعة المجتمعين للصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي مجالس الذكر ونورٌ.

وقـــال السراج البلقيني: حسن مجالس الأخيار الصلاة عليه ﷺ مع قومٍ نُسبوا إليه، والتجؤوا إليه.

وفوائد هذه الصلاة إذا تأملتها فِي أول الكتاب عرفت مقدار ذلك، ولله الحمد.

***

الفائدة الحادية عشر

[الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الفراغ من الوضوء]

وأن ثواب الصلاة عليه ﷺ فِي عقب الوضوء لا يُحصي ثوابَها العبد، وإذا صلَّى عَلَى النبيِّ عبدٌ عقب وضوئه فُتحت لـــه أبواب الرحمة.

وقال ﷺ: «إذا فرغَ أحدُكم من طهوره فليشهدْ أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا عبدُه

ورسوله، ثم ليصلِّ عليَّ، فإذا قالَ ذلك فُتحت له أبوابُ الرحمة[١]» أخرجه الدارقطني.

وحديث ابن مسعود: «إذا فرغ أحدُكم من طهوره فليقلْ: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، ثم ليصلِّ عليَّ، فإذا كان ذلك فُتحت له أبوابُ الرحمة[٢]».

وفِي روايةٍ «فُتحت له أبوابُ الجنَّة[٣]».

وفِي حديثٍ آخر: «إذا تطهَّر أحدُكم فليذكر اسم الله تعالى عَلَى طهوره؛ فإنه يطهِّر جسده كله، وإنْ لَمْ يذكر أحدُكم اسم الله تعالى عَلَى طهوره لَمْ يُطهَّر إلا ما مرَّ عليه الماء[٤]».

وحديث سعد بن سهل الساعدي: «لا وضوء لمن لَمْ يصلِّ عليَّ، ولا وضوء لمن لَمْ يذكر اسم الله تعالى[٥]»، قَالَ العلماء: كامل الفضيلة.

قَال السخاوي: التسمية عندنا من الفضائل، ولا أعلم من قَالَ بوجوبها، وهو مثل قوله: «لا صلاة لجار المسجد إلا فِي المسجد[٦]»، وقوله: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة[٧]»: أعني كاملة الأجر، وغير ذلك، ومرادنا فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أثناء الوضوء نورٌ يجعله الله تعالى للعبد، وتشهد له قطرات الماء بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

---

(١) رواه البيهقي فِي الكبرى (١/٤٤)، والصيداوي فِي معجم الشيوخ (١/٢٩٢).

(٢) تقدم فِي سابقه بنحوه.

(٣) ذكره السخاوي في البديع (ص١٧٦).

(٤) رواه البيهقي فِي الكبرى (١/٤٤)، والدارقطني فِي السنن (١/٧٣)، والزيلعي فِي نصب الراية (١/٧).

(٥) رواه أبو داود (١/٢٥)، والترمذي (١/٣٨)، وابن ماجه (١/١٣٩)، والدارمي فِي السنن (١/١٨٧)، والدارقطني فِي السنن (١/٧١).

(٦) رواه الحاكم فِي المستدرك (١/٣٧٣)، وابن حبان فِي المجروحين (٢/٩٤)، والشافعي فِي الأم (٧/١٩٥).

(٧) رواه البخاري (١/٢٣٥)، ومسلم (١/٤٩٣).

ونطق لبعض العارفين عقب وضوئه حجرٌ، وقال لـــه: لا تترك ذكر نبيِّك كما كنت تفعل.

وقال اليافعي: ثواب المصلِّي عليه عقب الوضوء يعدل صلاةً، ومن استشكل هذا فقد أنقص حرمته.

وقال بعض العلماء: ما قاله اليافعي فِي الصلاة عليه ﷺ عقب الوضوء أنه بعد الصلاة لعلـــه أراد بِهَـــا ذكر صلاةٍ ليس فيها الصلاة عليه، أو كأنه نظر إِلَى ما يعطي الله تعالى المـــصلِّي علـــيه من الثواب، وقاس ذلك أن عقبِهَا من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مراتٍ أعطـــي ثواب القرآن، والنظر إِلَى ما يعطي الله تعالى من كرمه وسعة فضله لا يقرر لـــه قياسٌ يضبط، والوسعة الإلهية فِي العفو والعطاء والكرم لا حدَّ لها.

وقـــال الحافظ الذهبي: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عقب الوضوء نورٌ، والنطق بالشهادتين مغفـــرةٌ، ومن رفع رأسه إِلَى السماء فِي قوله: أشهد أن لا إله إلا الله غَفَر الله لـــه، ومن نظـــر إِلَى الأرض وأطرق عند قوله: وأشهد أن محمدًا رسول الله لَمْ يرَ شِدة فِي قبره، من قال: ربِّ اغفرْ لي ذنبي ووسِّع لي داري وباركْ لي فِي رزقي وصلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ وآلـــه وصحبه وتابعيه وحزبه سَلم من آفات الدنيا وأهوال الموقف، ووكَّل الله تعالى به ملكًا يَسْتغفِر لـــه، ما دام ذلك الوضوء.

***

الفائدة الثانية عشر

[فِي بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند التيمُّم]

ذكر العلماء فِي ذلك أشياء كثيرةً، منها: شهادة ما تيمَّم به، ومنها: الاهتمام باتِّباع ما أمره الله تعالى به، ومنها: جواز الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي سائر الأعمال، وهي من نعم الله تعالى عَلَى عبيده، ومن أحبَّ من عباده.

وقال النووي العارف: لا يقطع ذكره فِي عملٍ.

وما قررناه لك من الأذكار عَرَّفك فضل الصلاة عليه فِي التيمُّم، وعقبه، وإذا خصصته بالأذكار عرفت ذلك، وهو يؤخذ مما قبله.

الفائدة الثالثة عشر

[بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الغُسل من الجنابة]

شهادة قطرات الماء، وأن الله سبحانه وتعالى يخلق من كل قطرةٍ ملكًا يستغفر لــــه، وقـــرر الجـــلال السيوطي بمن يؤتى أجره مرتين: إذا اغتسل العبد هو وزوجته من الجنابة وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ فِي ابتداء غُسله وانتهائه أعطاه الله تعالى أجرين كاملين، وإن اغتسلا معًا أو اغتسل أحدهما مفردًا أعطاهما الله تعالى من الثواب مثل أُحد.

وذكـــر الحافظ ابن حجر العسقلاني فِي الخصال المكفِّرة للذنوب المتقدِّمة والمتأخِّرة أنها مثل أُحد: أي الصلاة عليه ﷺ.

وقـــال الـــسبكي: يُرجا للمصلي عليه عقب غسله وفِي ابتدائه ثواب الصلاة كاملةً: قِراءتها وذِكرها.

قلـــت: لعـــل الشيخ رأى ثواب المصلِّي عليه أو نظر إِلَى كثرة ثوابه أعطاه الله تعالى لــــه.

***

الفائدة الرابعة عشر

[فِي ذكر بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الحيض]

وأن الله تعـــالى يكفِي بِهَا المرأة أذى الحيض، وفائدة ذلك عفو الله تعالى عن المرأة؛ حـــيث لَمْ يكلِّفها فِي الحيض، وحرَّم عليها الصلاة، ومسَّ المصحف، والذكر: أي آي القـــرآن، وجعل المحيض أذًى، وأمر بالاعتزال فيه، جعل ذكر المرأة عبادةً، والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عبادةً، يدفع الله تعالى بِهَا أذى الحيض، ويرفع لها بِهَا الدرجات.

وذكـــر الغزالي فِي إحيائه فوائد كثيرةً، لا يسعها هذا المقصد، وحاصلها: أن الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ نورٌ فِي جسم المرأة، ودفع أذى المحيض عنها، وسراجٌ فِي القبر، وأمانٌ من الفتـــنة، ووقايةٌ من النَّار، وإذا ذكرت أمهات المؤمنين حُشرت معهم، ولا تخرج من دار الدنيا حتَّى ترى من أحبَّت.

وهذه الفوائد ليست هي فِي غير الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وذكر ذلك العلامة البغدادي والإمام ابن كامل فِي مراتب العبادات من النساء الخيِّرات، ولله الحمد، ولو شرحنا ما قالوا لمَّا وسعه هذا الكتاب.

* * *

الفائدة الخامسة عشر

[فِي فضل ذكر الصلاةِ عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الصلاة]

فقد قرَّرناه لك، وبينَّا ذلك مفصلاً، وقال ﷺ: «إذا مرَّ المصلِّي بالصلاة عليَّ صلَّت عليه الملائكة، واستغفر له كلُّ شيءٍ، حتَّى الحيتانُ فِي الماء[1]»، أو قال: «فِي البحر[2]».

وفِي حديث: «إنَّ الله وملائكته يصلُّون عَلَى النبيِّ[3]».

فوائد كثيرة ذكرناها فِي أوَّل الكتاب، وحديث: «إذا مرَّ أحدُكم بآيةٍ فيها ذكري وصلَّى عليَّ وجبت له الشفاعة، وذكره الله تعالى فيمن عنده، وحلَّ به الرضا الكامل[4]».

* * *

الفائدة السادسة عشر

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ بعد الصلاة]

وأنها سبب القبول، ونورٌ يجعله الله تبارك وتعالى للعبد، وقد قرَّرنا ذلك فِي أوَّل الكتاب، والأحاديث شاهدةٌ بسبب قبول سائر الأعمال بالصلاة عليه ﷺ، ولا شرف

---

(١) رواه الترمذي (٥/٤٨)، وأحمد (٥/١٩٦)، وابن ماجه (١/٨١)، والدارمي (١/١١٠).

(٢) رواه ابن ماجه (١/٨٧)، والبيهقي فِي الشعب (٢/٢٦٣)، والديلمي فِي الفردوس (٤/١٥٨).

(٣) رواه البخاري (٤/١٨٠٢)، والنسائي فِي الكبرى (٦/٤٣٦).

(٤) لم أقف عليه.

للعبد فِي غير الصلاة عليه ﷺ، والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي عقب الصلاة تمحق الذنوب، وتزكِّي الصلاة، وترفع العبد إِلَى أعلَى درج الجنَّة.

وعن أبي بكر بن محمد بن عمر قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد، فجاء الشبليُّ، فقام إليه أبو بكر بن مجاهد يعانقه، وقبَّل بين عينيه، فقلت له: يا سيدي، تفعل بالشبلي هكذا وأنت وجميع مَنْ ببغداد يتصورون، أو قال: يقولون إنه مجنون؟ فقال لي: فعلت به كما رأيت النبيَّ ﷺ فعل به، وذلك أني رأيت رسول الله ﷺ فِي المنام، وقد أقبل الشبليُّ، فقام إليه، وقبَّل بين عينيه، فقلت: يا رسول الله، أتفعل هذا بالشبليِّ؟ فقال: هذا يقرأ بعد صلاته قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩]، ويتبعها بالصلاة عليَّ.

وفِي روايةٍ: «إنَّه لَمْ يصلِّ صلاة فرض إلا ويقرأ الآية المذكورة، ويقول ثلاث مراتٍ: صلَّى الله عليك يا محمَّد». وفِي رواية: «سألت الشبلي، فقال مثلما قال».

وفِي رواية قَالَ له: «فِي غدٍ يدخل عليك رجلٌ من أهل الجنَّة، وهو الشبليُّ فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند إقامة الصلاة».

الفائدة السابعة عشر

[فِي فضل ذكرها عند إقامة الصلاة]

وبركتها فِي إقامة الصلاة ما استدلينا به من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من قَالَ حين يسمع المنادي ينادي: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوة التامَّة والصلاة القائمة صلِّ عَلَى محمَّدٍ وارضَ عنه رِضا لا سَخط بعده استجاب الله تعالى دعوته[1]» رواه أحمد فِي «مسندهِ»، وابن السني فِي «عمل اليوم والليلة».

وروى هذا الحديث البخاري بدون ذكر الصلاة عَلَى النبي ﷺ، ولفظه: «مَنْ قَالَ حين يسمع النِّداء: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ والصلاة القائمة آت سيِّدنا محمدًا الوسيلة

(١) رواه أحمد (٣/٣٣٧)، وذكره العجلوني فِي كشف الخفا (١/٤٨٤).

والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلّت لــه شفاعتي يوم القيامة[(١)]».

***

الفائدة الثامنة عشر

[في الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وفضل ذكرها والتأكيد عليه]

قالــت عائــشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاةَ إلا بطهورٍ وبالصلاة عليّ[(٢)]».

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «لا صلاةَ لمن لا وضوءَ لــه، ولا وضوء لمن لَمْ يذكر اسم الله تعالى عليه، ولا صلاة لمن لَمْ يصلِّ عَلَى نبيِّه ﷺ، ولا صلاة لمن لا يحبُّ الأنصار[(٣)]» أخرجه ابن ماجه.

وعن أبن مسعود الأنصاري البدري ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صلَّى صلاةً لَمْ يصلِّ عليَّ فيها وعَلَى أهل بيتي لَمْ تُقْبَلْ منه[(٤)]» رواه البيهقي فِي شعب الإيمان.

وفِي حديث ذكره البغوي ولَفظه: «لو صليت صلاةً لا تصلِّي فيها عَلَى آل محمَّدٍ ما لها قبولٌ[(٥)]» المصابيح.

عــن فضالة بن عبيد ﷺ:أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو فِي صلاته بمجد الله سبحانه وتعالى، ولم يصلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «عَجل هذا[(٦)]».

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢/١)، وأبو داود (١٤٦/١)، وأحمد (٣٥٤/٣)، وابن ماجه (٢٣٩/١).

(٢) ذكــره الــشوكاني فِي نيل الأوطار (٣٢٢/٢)، وابن حجر فِي تلخيص الحبير (٢٦٢/١)، وابن الملقن فِي خلاصة البدر المنير (١٤٠/١).

(٣) رواه أبو داود (٢٥/١)، وأحمد في المسند (٤١٨/٢)، وابن ماجه (١٤٠/١)، والدارقطني فِي السنن (٧٢/١)، والحاكم فِي المستدرك (٢٤٥/١).

(٤) رواه الدارقطني (٣٥٥/١)، وفِي العلل (١٩٧/٦)، والزيلعي فِي نصب الراية (٤٢٧/١).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) رواه أبو داود (٧٧/٢)، والترمذي (٥١٧/٥)، وأحمد في مسنده (١٨/٦)، وابن خزيمة فِي صحيحه (٣٥١/١).

وفِي حديث ذكره النووي: «دعاء، فقال لــه: إذا صلّى أحدُكم فليبدأ بتمجيد ربِّه ﷻ والثنــاء عليه، ويصلِّ عليَّ، ثم يدعو بعدُ بما شاء[1]» وذكر هذا الحديث السخاوي بقوله: «فقال لــه أو لغيره».

وفِي رواية مسلم: «عَجُلَ هذا» للمصلي، ثم أعلمهم.

وفِــي كــتاب «الشرفين» للسيد السمهودي: «بينما النبي ﷺ قاعدًا إذ دخل رجلٌ، فــصلّى، فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني. فقال لــه: عجلت أيُّها المصلي؛ إذا صليت فقعدت، فاحمد الله سبحانه وتعالى بما هو أهله، ثم صلِّ عليَّ، ثم ادعُه[2]».

وطرق هذا الحديث كثيرةٌ، وتقديم ألفاظه بالزيادة والنقصان.

خَاطبَ كلَّ إنسانٍ بما يليق به، واستدلينا بقوله: أن قبول الأعمال بالصلاة عليه ﷺ، وأن الــصلاة علــيه كمــالٌ للمصلِّي، وردَّ دعائه إذا بخل بالصلاة عليه، ولا يُستجاب؛ لبلادته، وعدم فهمه، وسبب رده إذا بخل بكلام لا تَكلُّف عليه فيه؛ فهو أبخل البخلاء، وذلــك لشدة شفقته بنا، وعلمه بمقامه عند ربِّه ﷻ، وأن الله سبحانه وتعالى يغضب إذا تــرك العــبد ذكــر نبيه، وهذا تحريضٌ لكل كسلان بخيلٍ بالكلام، وأن الله تعالى يمنح المصلِّي عليه من كرمه، ويعطيه، ما لا يعطي السائل الراغب.

وتارك الصلاة عليه أبخل من البخلاء، وأن الله تعالى يقول للمصلِّي عليه: سَلْ تُعطَ، واطلب ما تريد، وأن الله تعالى يقضي بِهَا الحاجات، وتارك الصلاة عليه يمحق الله البركة من يديه، ومن جميع ما يتقلب فيه، وهي من مجربات السلف.

وقال ابن عباس: إني أحبُّ أن أجعل تأويلاتي غالبِهَا الصلاة عليه ﷺ.

ولــو ذكرنا أقوال السلف فِي هذه الفائدة لجاء كتابًا مرغبًا فِي الصلاة عليه ﷺ، وإنها ربح الصلوات الخمس.

***

(١) رواه الطبراني فِي الكبير (١٨/٣٠٨)، وابن خزيمة فِي صحيحه (١/٣٥١)، ومسلم (٢/٦٠٠).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥٢٦)، والنسائي فِي الكبرى (١/٣٨٠)، وابن خزيمة فِي الصحيح (١/٣٥١).

الفائدة التاسعة عشر

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عقب التشهُّد]

وبركة ذلك فِي الصباح والمساء، وأن الله تعالى يكفيْهِ ببركتها شرَّ يومه وليلته، وكان ذكـــر ذلك فِي الفائدة السابعة من باب أولى، ووقت المغرب ووقت الغفلة؛ لأن غالب الــناس يكـــون فِي مأكله أو ما يحتاج إليه من أسباب معيشته، وقيل: من صلَّى المغرب وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ كفاه الله تعالى شرَّ ليلته، ومن صلَّى عليه بعد صلاة الصبح وسَّع الله تعالى عليه، وكفاه شرَّ يومه ورحمه.

وقـــال الجنيد لجميع الطائفة: عليكم بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي هذين الوقتين؛ فإنهما ســاعات الرضا، وكانت الصحابة يُسمع لهم دويٌّ بعد المغرب وبعد صلاة الصبح؛ لمَّا رأوا فِي ذلك من بركة الصلاة عليه ﷺ.

وفِي كون الصلاة عليه عقب التشهد والدعاء بعده: (اللَّهُمَّ إنِّي أسألك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيِّنا محمَّد ﷺ فِي أعلَى جنَّة الخلد) هذا الدعاء المأثور.

ذكر السخاوي فِي مسند أبي بكر الصديق من مسند أبي يعلى من طريقٍ رواه عند عبد الله ابـــن مـــسعود قال: «كنت فِي مسجد النبيِّ ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فجلست وبدأت بسورة النساء، وقرأتها، فلمَّا فرغت بالثناء عَلَى الله تعالى والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، ثُمَّ دعوت لنفسي، فقال رسول ﷺ: سَلْ تُعطَه. ثم قـــال: مـــن أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا فليقرأه كما يقرأه ابن أم عبد. قال: فرجعت إِلَى منـــزلي، فآتاني أبو بكر، فقال: هل تحفظ مما كنت تدعو به شيئًا؟ قلت: نعم؛ اللَّهُمَّ إني أســألك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيِّنا محمَّد ﷺ فِي أعلَى جنَّة الخلد. فأَتَى عمر بن عبد الله؛ ليبشِّره، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنكَّ لسابقٌ بالخير[1]».

وكان طلحة يذكر بعد التشهُّد: «أعبد الله ولا أشرك به شيئًا، الله ربِّي وأنا عبده، ربِّ اجعلـــني مـــن الـــشاكرين، والحمد لله ربِّ العالمين، أدعو الله، وأدعو الرحمن، وأدعوك

---

(١) رواه الترمذي (٢/٤٨٩)، وأحمد في الفضائل (١٥٥٤) بتحقيقنا، والطبراني (٨٤١٧)، وابن حبان فِي الصحيح (١٥/٥٤٣).

بأسمائك الحسنى كلها لا إله إلا أنت سبحانك أن تصلِّي عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّد، كما صليت عَلَى إبراهيم وعَلَى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، والسلام عليه ورحمة الله، ربِّ أسألك رضوانك والجنَّة، ربِّ ارضَ عنِّي، وأرضني، وأدخلني الجنَّة، وعرِّفها إليَّ، ربِّ اغفر لي ذنوبي الكثيرة، ربِّ اغفر لي ذنوبي جميعًا كلِّها، وتبْ عليَّ، وقِني عذاب النَّار، ربِّ ارحم والديَّ كما ربياني صغيرًا، ربِّ اغفرْ لي وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب؛ إنَّك تعلم منقلبهم ومثواهم».

***

الفائدة العشرون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي القُنوت]

فقد وردَ عن الحسن أبي عليٍّ رضي الله تعالى عنهما قال: «عَلَّمني رسول الله ﷺ الدعاء فِي الوتر: اللَّهُمَّ اهْدِني فيمن هديت، وبارِكْ لي فيما أعطيت، وتولَّني فيمن تولَّيت، وقِني شرَّ ما قضيت؛ فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك، إنَّه لا يَذلُّ مَنْ واليت، ولا يعزُّ مَنْ عاديت، تباركت ربَّنا وتعاليت، وصلَّى الله عَلَى النبيِّ محمَّدٍ(١)» أخرجه النسائي.

ويُستحب أن يقول: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وآل محمَّدٍ».

وقال ابن بشكوال: الصلاة عَلَى النبيِّ فِي القُنوت نورٌ فِي الدنيا وهناءٌ وبهجةٌ عَلَى الوجه، وفِي الآخرة نورٌ وأمانٌ، وعند الحساب نورٌ وبرهانٌ ونجاةٌ، وعند الحوض تتلقاه بِهَا الولدان، وعند الصراط تجسم شخصًا يلقي العبد ويجاذيه.

وزاد الحافظ: أن صلاة الصبح أفضل من غيرها بدعاء قنوتها والصلاة عَلَى النبيِّ فيها.

وكان شيخنا البهنسي يراعي حيثية الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وقال: لَمْ أرَ نقلاً يرجح القول بأنها أفضل الصلاة.

---

(١) رواه أبو داود (٦٣/٢)، والترمذي (٣٢٨/٢)، والنسائي فِي الكبرى (٤٥١/١)، وأحمد في المسند (١٩٩/١)، والدارمي فِي السنن (٤٥٢/١).

وقـال النووي: صلاة الصبح زيادةٌ فِي الرزق، وإذا نزل رزق العبد وهو يصلي عَلَى النبيِّ بُورك لــه فيه، ولم نرَ أكثر صلاةً عَلَى النبيِّ ﷺ من المحدِّثين.

***

الفائدة الحادية والعشرون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند القيام من المجلس]

لما ورد عن أبي بكر ﷺ فِي قول ابن عباس: أن ما قام من مجلسٍ إلا ونسمع الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ منه، وكان يقول: هي الشافعة.

وكان عمر إذا قام من مجلسه يجهر بالصلاة عَلَى رسول الله ﷺ، فقيل لــه فِي ذلك. قال: من أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره[(١)].

ورأيــت سائر الأعمال، فلم أرَ فيها أكثر ثوابًا من مجلسٍ يُصلَّى عليه فِيْهِ ﷺ، وأقوال السلف فِي الصلاة عليه عند القيام من المجلس ﷺ.

ولله درُّ من قال:

إنَّ الــصلاةَ عَلَــى الــنبيِّ وآلِــهِ ... عِــندَ القــيامِ مــن المجلــسِ واجــبَة

يَــشْهدُ بِهَــا أهــلُ المكــانِ وربَّما ... ذاك المكــانِ ومــن يكــونُ مجانــبَه

فادَّخــرها فِــي القــيام ذخــرةً ... نعــمَ الــصلاة علــيه خــير مصاحبَه

***

الفائدة الثانية والعشرون

[فِي بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ لحفظ القرآن]

قــال الحــافظ: الصلاة عَلَى رسول الله ﷺ تزيد العبد حفظًا، وتُجوِّد ذهنه، وتزيد فطنته، وتقوِّي إدراكه لكلِّ معنًى خارقٍ بتجارب السلف، وما نُقل نُقل من تنبيه الغافلين

---

(١) رواه البيهقي فِي الشعب (١/٣٨٨)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٤/٣٢٠).

للسمرقندي عن ابن عباس قال: إنَّ القرآن تفلَّت من صدري، فقال النبي ﷺ: ألا أعلِّمك كلماتٍ ينفعك الله تعالى بهنَّ، وتَنفع من علمته. قال: بلى، بأبي أنت وأمي. قال: صلِّ ليلة الجمعة أربع ركعاتٍ، تقرأ فِي الركعة الأولى: بفاتحة الكتاب ويس، وفِي الثانية: بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفِي الثالثة: بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة، وفِي الرابعة: بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهُّد فاحمد الله، واثنِ عليه، وصلِّ عَلَى سائر النبيين، واستغفرْ للمؤمنين، ثم قُلْ: اللَّهُمَّ ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللَّهُمَّ بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا تُرام أسألك بالله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبي حبَّ حفظ كتابك كما علَّمتني، وارزقني أن أتلوه عَلَى النحو الذي يُرضيك، وأسألك أن تنوِّر بالكتاب بصري، وتطلق به لساني، وتفرِّج به كربي، وتشرح به صدري، وتغسل به ذنوبي، وتقوِّيني عَلَى ذلك، وتعينني عليه، فإنه لا يعينني عَلَى الخير غيرُك، ولا يوفِّق له إلا أنت. افعل ذلك ثلاث جمعٍ أو خمس أو سبعة تحفظه بإذن الله، وما أخطأه مؤمنًا قطُّ، فأتَى النبيَّ ﷺ بعد ذلك بسبع جمعٍ، فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبيُّ ﷺ: مؤمنٌ وربِّ الكعبة، عَلم أبا حسن عَلم أبا حسن[1]» قَالَ المنذري: طرق هذا الحديث جيدةٌ.

قال السخاوي: أخبرني غير واحدٍ أنهم جرَّبوا الدعاء به، فوجدوه حقًا، وذكره الجلال السيوطي فِي «الآثار» وفِي «الدر المنثور» بلفظه.

وقال السيد الأرميوني بالأزهر لشيخنا البهنسي: مَنْ كان عنده بلادة ذهنٍ عليه بحفظ هذا والعمل به؛ فإنه من مجربات السلف.

***

(١) رواه الطبراني فِي الكبير (١١/٣٦٨).

الفائدة الثالثة والعشرون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ لطلب القرآن فِي كل مجلسٍ وعند القيام من المجلس]

أفاد عمر بن عثمان قال: «رأيت سفيان بن سعيد الثوري مِرارًا إذا أراد القيام يقول: صلَّى الله وملائكته عَلَى محمَّدٍ وعَلَى أنبياء الله وملائكته» أخرجه ابن أبي حاتم.

وكان يقول: من طلب القرآن يقول: اللَّهُمَّ أعطني كتابك كما أنزلته، وأكرمني به كما أكرمت نبيَّك به، واجعلني من الطالبين لـــه، العاملين به، الآخذين عنك حكم أحكامه، وصـــلَّى الله عَلَى صاحب المقام المقرَّب الذي هبط عليه الوحي، وأُعطي موارد الإلهام، وعَلَى آله وأصحابه العارفين بأحكامه، والتابعين لهم بإحسانٍ إِلَى يوم الدين، ما لازم هذا الذكر عبدٌ إلا زاده الله تعالى من نعمه، وألهمه لطلب كتابه ببركة الصلاة عليه.

ولله درُّ من قال:

روح المجـــالسِ ذكـــرُه وحديـــثُه ... وهــــدًى لكـــلِّ ملـــوذٍ حـــيرانِ
وإذا أُخـــلَّ بذكـــره فِـــي مجلـــسٍ ... فأولـــئك الأمـــواتُ فِـــي الأحـــيانِ
وإذا طلـــبت كـــتابه بكفايـــةٍ ... أو تُلـــــهم القـــــرآن بالإيمـــــانِ
صـــلِّ علـــيه بنـــيةٍ تُعطـــى بِهَـــا ... مـــا قـــد نـــويت بنـــيةِ الإحـــسانِ

***

الفائدة الرابعة والعشرون

[فِي ذكر بركة الصلاة عليه ﷺ عند ختم القرآن]

اعلـــم يا أخي وفَّقك الله تعالى أن الآثار الواردة بهذا قررناها، وأن عند ختم القرآن تنـــزل الرحمة، وحديث ابن مسعود: «مَنْ خَتَمَ القرآن فله دعوةٌ مُستجابةٌ(١)»، والصلاة

(١) رواه سعيد بن منصور فِي سننه (١/١٤٤).

عَلَى النبيِّ ﷺ مطلوبةٌ من العبد، وإذا دعا بِهَا فِي مواطن الإجابة كان أكثر محبَّةً إذا خصَّ نبيَّه بما يحبُّ، وإذا خصَّه بما يحبُّ خصَّه بما يحبُّ، وقولنا: (هو) أعني العالمين، لكن مطلوب منَّا الصلاة عليه ﷺ فِي كل موطنٍ؛ لعزِّنا ومعزَّتنا، ولله الحمد.

ولله درُّ من قال:

صلِّ عَلَى طه النبيِّ وآلهِ ... فِي ختمِكَ القرآن واتبع السلفْ

فيجابُ منك القولَ إن قرَّرت ما ... حقًّا دعوت به ويأتيك الخلفْ

ومن دعوةٍ ملزومةٍ بإجابةٍ ... فأنعمها فِي الخير فاحذرْ أن تقفْ

* * *

الفائدة الخامسة والعشرون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند تفرُّق القوم بعد اجتماعهم]

ذلك أن الله تعالى تكفَّل لمن تبع سنته ولزم ذكره واتَّبع ما جاء به بالخير والعطاء الوافر، وقد تقدَّم حديث: «زيِّنوا مجالسكم بالصلاة عليَّ[(1)]».

وحديث: «ما جلس قومٌ مجلسًا ثُمَّ تفرَّقوا عَلَى غير ذكر الله تعالى.... [(2)]».

وحديث: «ما من جماعةٍ تفرَّقوا عَلَى ذكري إلا وجبت لهم شفاعتي[(3)]» ذكره الطبراني فِي باب مجالسة الإخوان.

وزاد الإمام الطوسي: «وجعل الله تعالى افتراقهم رحمةً، وإن قضى عَلَى أحدٍ منهم حسمت الصلاة عليه شخصًا حسنًا، وجادلت عنه وما ذلك عَلَى الله بعزيزٍ».

* * *

(1) رواه الخطيب فِي التاريخ (٧/٢٠٧)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (٤/٦٩)، وابن حجر فِي لسان الميزان (٢/٢٩٤)، والعجلوني فِي كشف الخفا (١/٥٣٦).

(2) رواه النسائي فِي الكبرى (٦/١٠٩)، وفِي عمل اليوم والليلة (١/٣١٤)، وابن أبي حاتم فِي العلل (٢/١٨٥)، والحاكم فِي المستدرك (١/٦٦٨).

(3) رواه الطبراني فِي الكبير (٨/٧٦١١)، وفِي مسند الشاميين (٤/٣٤٤٥).

الفائدة السادسة والعشرون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند لقاء الإخوان]

وأنها نورٌ يُتحف الله تعالى به المتحابِّين فيه، واستدلَّينا لذلك بما رواه أنس عن النبيِّ ﷺ قال: «ما من عبدين متحابَّين فِي الله تعالى(١)»، وفِي رواية: «ما من مسلمَين يستقبل أحدهما صاحبه(٢)»، وفِي رواية: «يلتقيان، فيتصافحان، ويصليان عَلَى النبي ﷺ إلا لَمْ يتفرقا حتَّى يُغفر لهما ذنوبهما: ما تقدَّم منها وما تأخَّر(٣)».

وقال الفاكهاني عن بعض الفقراء المباركين: أنه أخبره، وقال لـه: رأيت النبيَّ ﷺ فيما يرى النائم، فقلت لـه: يا رسول الله، أنت قلت: «ما من عبدين متحابَّين فِي الله تعالى فيلتقيان، فيصافح أحدهما الآخر». فقال النبيُّ ﷺ: «لم يفترقا حتَّى تُغفر ذنوبهما: ما تقدَّم منها، وما تأخَّر(٤)».

قال الحافظ: والدعاء بين الصلاتين لا يُردُّ، وخاب مجلسٌ لا يُصلى فِيْهِ عليه ﷺ، وهو حسرةٌ يلقاها العبد يوم القيامة.

ولله درُّ من قال:

مجلسٌ فِيْهِ لا يُصلى عليه ... فهو نقصٌ وحسرةٌ وندامه
وصلاةٌ ولا سلامَ عليه ... عند ذي العرش ما تُساوي قُلامه
ومحبِّين عند لُقياه جاؤوا ... بصلاةٍ عليه نالوا كرامه
وأيُّما مسلمين جاؤوا بعهدٍ ... وصلاةٍ عليه يحلُّوا مقامه

---

(١) رواه البخاري فِي التاريخ الكبير (٣/٢٥٢)، والبيهقي فِي الشعب (٦/٤٧١).

(٢) ذكره المباركفوري فِي تحفة الأحوذي (٧/٤٢٩).

(٣) رواه ابن عدي فِي الكامل (٣/١٠٣)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١٠/٢٧٥).

(٤) رواه أبو يعلَى فِي مسنده (٥/٣٣٤).

تتـــساقط عـــنهم جمـــيع الخطايـــا
ويـــرون الـــنبيَّ يـــوم القـــيامـــه

صـــلَّى علـــيه الله ربِّـــي دائمًـــا
ثـــم سَـــلم ثـــم بعثـــه مقـــامـــه

صـــلاةً وســـلامًا دائمـــين مـــؤبَّدَين
ثـــم زادَ شـــرفًا ومهابـــةً وكرامـــه

ثُـــمَّ الآلِ والأصـــحاب جمعًـــا كلُّهم
عـــدد مـــا كان وما يكون وما هو كائنٌ إِلَى يوم القيامـــه

* * *

الفائدة السابعة والعشرون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فيما يعرض للعبد من الحوائج]

فهو موعود: من جعل النبيَّ ﷺ سببًا للوصول فقد اتَّصل.

وقال الحافظ: انظرْ إِلَى أبيك آدم كيف قضى الله تعالى حاجته ببركة توسله به، وإِلَى إبـــراهيم الخلـــيل الأب الثاني لمَّا سأل الله تعالى أن يوصل ذكره معه ومع أمته جعله أبينا بقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٧].

وفِي الأحاديث المتقدِّمة كفايةٌ لمن تأمَّل.

قال ابن عُيينة: ما عرضت لي حاجةٌ وجعلت ذكر النبيِّ ﷺ فِي ضميري إلا قُضيت.

وقال الماوردي: تعسَّرت عليَّ الأمور فِي يومٍ فلم تقضَ لي حاجةٌ، فصلَّيت عَلَى النبيِّ ﷺ عند عصر ذلك اليوم، فقضيت، وقضى الله تعالى عَلَى يدي عشرًا من حاجة الإخوان، فعلمت أن ذلك ببركة الصلاة عليه ﷺ.

وكـــان عمر إذا قضى حاجةً صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أولها وآخرها، والسلف جميعهم كانوا ملازمين ذلك.

* * *

الفائدة الثامنة والعشرون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ لمن اتهم وهو بريءٌ]

ونجّاه الله تعالى ببركة الصلاة عليه فِي زمنه وبعده، من ذلك حكاية أبي الخير البصري كان كثير الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، فأخذه خطر، فاتُّهم به، فلمَّا دخل عَلَى محمد بن سليمان فِي خلافة المعتصم، فأوقفه بين يديه، وأمر أن يُشَّهر، وينادى عليه، وإذا بشخصٍ طيِّب الرائحة مليحٍ طويل القامة ذو هيبةٍ دخل عَلَى محمد بن سليمان نائب الخليفة بالبصرة، سلم عليه، وتكلم معه، وأخذ أبو الخير البصري بيده، فلمَّا خرجا قَالَ لـه: من أنت الذي منَّ الله تعالى عليَّ بك؟! فقال: أنا ثواب صلاتك عَلَى النبيِّ ﷺ، جيئتك فِي هذا الكرب وأنت بريءٌ.

وعن ابن عمر ﷺ قال: جاؤوا برجلٍ إِلَى النبيِّ ﷺ، فشهدوا عليه أنه سرق ناقةً لهم، فأمر به النبي ﷺ أن تُقطع يده، فقال الأعرابي: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّد حتَّى لا يبقى من صلاتك شيءٌ، وسلم عَلَى محمَّد حتَّى لا يبقى من سلامك شيءٌ، وباركْ عَلَى محمَّدٍ حتَّى لا يبقى من بركاتك شيءٌ. فتكلَّمت الناقة، وقالت: يا محمد، إنه بريءٌ من سرقتي. فقال النبي ﷺ: «من يأتيني بالرجل؟». فابتدره سبعون من أهل المسجد، فجاؤوا به، فقال: يا هذا ما قلت آنفًا وأنت مدبرٌ؟ فأخبره بها، فقال النبيُّ ﷺ: «لذلك نظرت إِلَى الملائكة محدِّقين بسكك المدينة حتَّى كادوا يحولون بيني وبينك، ثم قَالَ لـه: لتردن عَلَى الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر[(١)]» أخرجه الديلمي.

***

الفائدة التاسعة والعشرون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وذكرها فِي الأحوال كلِّها وبركتها فِي ذلك كلِّه]

وذكر: من تشفَّع بجاهه ﷺ وتوسَّل بالصلاة عليه بلغ مراده، وأنجح قصده، وهذه من

(١) انظر: مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (١/٣١٩).

المعجزات الباقية عَلَى ممر الدهور والأعوام وتعاقب العصور والأيام.

لو قيل: إن إجابة المتوسلين بجاهه عقب توسلهم تضمن معجزاتٍ كثيرةٍ بعدد التوسلات لكان أحسن، فلا يطمع حينئذٍ فِي عدِّ معجزاته حاصرٌ؛ فإنه لو بلغ ما بلغ منها حاسرٌ قاصرٌ، وإنها لا تضبطها الأقلام، وقد انتدب لها بعض العلماء الأعلام، فبلغت ألفًا، وقسمًا بالله تعالى لو حرر النظر وتأمَّل وأبصر لملأت الدفاتر، وكان فِي ذلك تعبان.

وأخبر به سيدي وشيخي محمد شمس الدين البهنسي عفا الله تعالى عنه: أن ذلك بحسب الفهم، وإلا فالفكر قاصرٌ، ولو كانت بحار الدنيا مِدادًا والأشجار أقلامًا وجميع الخلق كتَّابًا لَمْ يحصروا ذرةً من معجزاته ولا قطرةً من قطراته، زاده الله شرفًا وكرمًا ورفعةً ومهابةً وتعظيمًا.

***

الفائدة الثلاثون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركاتها فِي ذكر ما يعرض للعبد من الحوائج]

قال صاحب الاستعداد: جرت امرأةٌ من الأنصار إِلَى النبيِّ ﷺ، فقالت: يا نبيَّ الله، إن لي إليك حاجةً صلَّى الله عليك، فقال: والذي بعثني بالحق نبيًّا إن الله تعالى قضى حاجتكِ، فبكت، وقالت: ولدي مات، وقد توسَّلت بجنابك الكريم، فأحياه الله.

قال سفيان الثوري: حججت فِي بعض السنين، وإذا بشابٍّ عراقيٍّ لا يرفع قدمًا ولا يضع قدمًا إلا وهو يقول: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّد. فقلت له: أفبعلم القول هذا؟ قال: نعم. ثم قال: من أنت؟ قلت: سفيان الثوري. قَالَ العراقي: قلت: نعم. قال: هل عرفت الله؟ قلت: نعم. قال: كيف عرفته؟ قلت: بأنه يولج الليل فِي النهار، ويولج النهار فِي الليل، ويصوِّر الولد فِي الرحم، قال: يا سفيان، ما عرفت الله تعالى حقَّ معرفته. قلت: كيف تعرفه أنت؟ قال: بفسخ العزم والهمَّة، ونقض العزيمة، هممت، ففسخ همَّتي، وعزمت فنقض عزمي، فعرفت أن لي ربًّا يدبِّر لي. قال: فقلت له: ما سبب صلاتك عَلَى النبيِّ ﷺ؟ قال: كنت حاجًّا ومعي والدتي، فسألتني أن أدخلها البيت، ففعلت،

فوقَعت، وتورَّم بطنها، واسودَّ وجهها، فجلست عندها، وأنا حزين، ورفعت يدي نحو السماء، وقلت: يا ربِّ كذا تفعل بمن دخل بيتك، فإذا بعمامةٍ قد ارتفعت من قِبل أمامة، وإذا بــرجلٍ عليه ثيابٌ بيضٌ دخل البيت، ومرَّ بيده عَلَى وجهها، فابيضَّ، ومرَّ بيده عَلَى بطـنها فابيضَّ، فسكن المرض، ثم مضى ليخرج، فتعلقت بثوبه. فقلت: من أنت الذي فـــرَّجت عني؟ قال: أنا نبيُّك محمَّدٌ ﷺ. قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: لا ترفع قدمًا ولا تضع قدمًا إلا وأنت تُصلِّي عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ ﷺ، ومن تشفَّع بجاهه وتوسَّل بالصلاة عليه بلغ مُراده.

***

الفائدة الحادية والثلاثون إلى الفائدة الثالثة والثلاثين

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فِي التهجُّد، وعند القيام للأولى، وعند المرور بالمساجد]

فمن ذلك ما نقله السخاوي: أن عليَّ بن عبد الله بن عباس كان إذا فَرغ من صلاته باللـــيل حمـــد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم يصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، ويقول: اللَّهُمَّ إنِّي أسألك بأفـــضل مسألتك، وبأحبِّ أسمائك إليك، وأكرمها عليك، وبما مننت به عَلَى نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، واستنقذتنا من الضلالة، وأمرتنا بالصلاة عليه، وجعلت صلاتنا عليه درجةً، وكفَّارةً، ولُطفًا، ومنًّا من عطائك، فأدعوك؛ تعظيمًا لأمرك، واتِّباعًا لوصيَّتك، وتنجيزًا لمَّا دعوت، وما وعدت، بما تحبُّ نبينا ﷺ من الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وما أوجبت عليـــنا فِي آداء حقِّه قبلنا، وسمعنا، وأطعنا، وأمرت العباد بالصلاة عليه فريضةً افترضتها؛ فنـــسألك بجـــلال وجهك، ونور عظمتك أن تصلِّي أنت وملائكتك عَلَى محمَّدٍ عبدك ورســـولك ونبـــيِّك وصفيِّك أفضل ما صلَّيت به عَلَى أحدٍ من خلقك؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ ارفع درجته، وأكرم مقامه، وثقِّل ميزانه، وأجزل ثوابه، وأفلح حجَّته، وأظهر ملته، وأضئ نوره، وأدم من ذريته، وأهل بيته ما تُقرُّ به عينه وعظمه فِي النبيين الذين خلوا من قبله، اللَّهُمَّ اجعلْ محمدًا أكثر الناس تبعًا، وأكثرهـم إزراءً، وأفضلهم كرامةً ونورًا، وأعلاهـم درجـــةً، وأفـــسحهم فِي الجنَّة منـــزلاً، وأفضلهم ثوابًا، وأقربهم مجلسًا، وأثبتهم مقامًا،

وأوصلهم كلامًا، وأنجحهم مسألةً، وأفضلهم لديك نصيبًا، وأعظمهم فيما عندك رغبةً، وأنــزلهُ فِــي غرفة الفردوس من درجات العُلى، اللَّهُمَّ اجعلْ محمدًا أصدق قائلٍ، وأنجح سائلٍ، وأوَّل شافعٍ، وأفضل مُشفَّعٍ، وشفِّعه فِي أمته شفاعةً يغبطه بِهَا الأولون والآخرون، وإذا ميَّزت بين عبادك لفصل القضاء اجعلْ محمدًا فِي الأصدقين قيلاً، والأحسنين عملاً، وفِــي المهتدين سبيلاً، اللَّهُمَّ اجعل نبيَّنا لنا فرطًا، وحوضه لنا موردًا، اللَّهُمَّ احشرْنا فِي زمــرته، واستعملْنا بسنَّته، وتوفَّنا عَلَى ملته، واجعلْنا فِي زمرته وحزبه، اللَّهُمَّ اجعلْ بيننا وبينه نورًا نراه به، واجمعْ بيننا وبينه كما آمنا به ولم نره، ولا تفرِّق بيننا وبينه حتَّى تُدخلنا مدخلــه، وتجعلنا من رفقائه مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفــيقًا، اللَّهُــمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ نور الهدى، والقائد إِلَى الخير، والداعي إِلَى الرشد، نبيِّ الــرحمة، وإمام المتَّقين، ورسول ربِّ العالمين، كما بلَّغ رسالاتك، وتلا آياتك، ونصح لعــبادك، وأقــام حــدودك، ووفَّى بعهدك، وأنفذ حكمك، وأمر بطاعتك، ونهى عن معاصــيك، ووالى أولياءك الذين تحبُّ أن توالیهم، وعادى عدوَّك بما تحبُّ أن يعادى به عدوُّك، وصلَّى الله عَلَى محمَّدٍ وآله، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى جسده فِي الأجساد، وعَلَى روحه فِي الأرواح، وعَلَــى موقفه فِي المواقف، وعَلَى مَشهده فِي المشاهد، وعَلَى ذكره إذا ذكر، صلاةً منَّا عليه[(١)].

الفائدة الرابعة والثلاثون: فِي بركة ذكرها بعد التهجد، وبعد المرور بالمساجد

وبــركة ذكــرها بعد التهجُّد، وبعد مرور المساجد، لمَّا ورد: من قَالَ بعد تهجُّده: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّد عبدك ونبيِّك ورسولك النبيِّ الأميِّ عدد ما خلقت وما رزقت وما كان وما يكون فِي مُلكك» كانت لــه براءةٌ من النَّار، وأعطاه الله تعالى ما سأل، وأظنه من قول السلف، وهو حسنٌ جيِّدٌ لمَّا فيه، ولم أر لــه نقلاً أعوِّل عليه فيه.

ومــن مرَّ بمسجد، وقال بعد مروره: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى من جاءنا بالكتاب» وقاه الله تعالى ما يخشاه، وكفاه، وأعطاه.

***

(١) انظر: القول البديع للسخاوي (ص١٨٧).

الفائدة الخامسة والثلاثون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند رؤية المساجد]

أخـــرج إسماعيل القاضي عن فاطمة ابنة النبيِّ ﷺ رضي الله تعالى عنها قالت: «كان الـــنبيُّ ﷺ إذا دخـــل المسجد صلَّى عَلَى محمَّد وسلَّم، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافـــتحْ لي أبواب رحمتك، وإذا خَرَجَ صلَّى عَلَى محمَّدٍ وسلَّم، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافتحْ لي أبواب فضلك» وأخرجه أحمد بن حنبل فِي كتاب «الزهد»[(١)].

وقال بعضهم: من مرَّ بمسجد، وقال عند رؤيته: «اللَّهُمَّ هذا بيتٌ من بيوتك لَمْ ترضه لأحدٍ غيرك، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى نبيِّك الكامل الفاتح الخاتم، خاصِّ خواصِّ العالم، مُظهر سرِّ الوجـــود، وقابض زمام أنبيائك، الشاهد بكتابك، الدالِّ عليك، اللَّهُمَّ اجزه عنَّا أفضل ما جزيت نبيًّا عن أمته» كان ذلك وقايةً لـــه.

***

الفائدة السادسة والثلاثون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند دخول المسجد]

أخـــرج البيهقي عن أُسيد الساعديُّ، وبدأ السخاوي بقوله عن أبي حميد فأوصله إِلَى أُســـيد الساعدي رضي الله تعالى عنهما قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إذا دخلَ أحدُكم إِلَى المـــسجد فليـــسلم عَلَى النبيِّ ﷺ، ثم ليقلْ: اللَّهُمَّ افتحْ لي أبواب رحمتك، وإذا خَرَجَ من المسجد فليسلم عَلَى النبيِّ ﷺ، ثم ليقلْ: اللَّهُمَّ افتحْ لي أبواب فضلك[(٢)]» أخرجه الطبراني والبيهقي فِي الدعاء.

ولابن السنِّي فِي «عمل اليوم والليلة»: كان النبيُّ ﷺ إذا دخل المسجد قال: بسم الله،

(١) رواه القاضي في فضل الصلاة (٨٢) بتحقيقنا.

(٢) رواه الطبراني فِي الأوسط (٢٢/٦)، وأبو يعلَى فِي مسنده (٣٧٨/١).

اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّد، وإذا أخرج قَالَ مثل ذلك(١).

وفِي حديثٍ آخر: كان يقول عند دخوله: اللَّهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك، وعند خروجه: اللَّهُمَّ اعصمني من الشيطان الرجيم(٢).

وقال بعض العلماء: من صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ عند دخوله المسجد أَمِنَ من كيد الشيطان.

وقال الجنيد: إذا صلَّى العبد عَلَى النبيِّ ﷺ واستعاذ من الشيطان كفاه الله تعالى ما أهمَّه(٣).

* * *

الفائدة السابعة والثلاثون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند خروجه من المسجد]

وذكر: من قَالَ عند خروجه من المسجد: (اللَّهُمَّ احفظني من الشيطان) حُفظ من وقته، وإن مَنْ بدأ بالصلاة عليه يُحفظ.

وفِي حديث: من قَالَ عند خروجه: (اللَّهُمَّ اعصمني من الشيطان) عُصم منه، ومن قَالَ عند خروجه: بسم الله دخلنا، وبسم الله خرجنا، وعَلَى الله توكَّلنا(٤).

وكانت الصحابة يقولون: بسم الله دخلنا، وبسم الله خرجنا، وكانوا يتعوَّذون من همزات الشياطين(٥).

* * *

(١) ذكره السيوطي فِي الجامع الصغير (١/٣٨)، وابن حجر فِي لسان الميزان (٢/٣١٦)، والمناوي فِي فيض القدير (١/٣٣٦)، والشوكاني فِي نيل الأوطار (٢/١٦٣).

(٢) رواه النسائي فِي الكبرى (٦/٢٧)، وابن ماجه (١/٢٥٤).

(٣) انظر: كتابنا الجنيد سيد الطائفتين (ص٢٢٤).

(٤) رواه الديلمي فِي الفردوس (١/٢٨٠).

(٥) انظر: القول البديع (ص١٨٨).

الفائدة الثامنة والثلاثون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها بعد إجابة المؤذِّن]

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلُّوا عليَّ؛ فإن من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بهَا عشرًا، ثم تسألوا الله تعالى لِي الوسيلة؛ فإنها منزلةٌ فِي الجنَّة، لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لِي الوسيلة حلَّت لـه الشفاعة[(١)]» رواه مسلم.

قال بعض الشرَّاح: معنى حلَّت: أي وجبت، أو استحقت.

والوسيلة: هو ما يُتقرَّب به إِلَى الملك أو الكبير، يقال: توسَّلت: أي تقرَّبت؛ لأن الواصل إِلَى تلك المنزلة لـه قرب من الله تعالى، وقيل: الوسيلة: هو المقام المحمود، فقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩].

والمقام هو: ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل: هو شهادته عَلَى أمته بالإجابة من تصديقٍ أو تكذيبٍ؛ لأن الله تعالى أعطاه لواء الحمد يوم القيامة، وقيل: هو أن يجلسه الله ﷻ عَلَى العرش، وقيل: عَلَى الكرسي، وقيل: هو الشفاعة؛ لأنه مقامٌ يحمده به الأولون والآخرون، وأقوال العلماء تختلف فِي هذا.

فإن قيل: ما فائدة طلب الوسيلة لـه مع قوله: وأرجو أن أكون أنا هو؟! ورجاءه عليه الصلاة والسلام لا يخيب.

الجواب: إن طلبنا أيامًا لـه ثمرةٌ عائدةٌ علينا بامتثال ما أمرنا به فِي جهته الكريمة، وهذا نحو صلاتنا وسلامنا عليه، مع أنه غُفر لـه ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، ومن ثم سؤال الوسيلة يتأكَّد أمره ويتأكَّد الاعتناء به؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «سلُوا الله لِي الوسيلة[(٢)]».

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨/١)، وأبو داود (١٤٤/١)، والترمذي (٥٨٦/٥)، والنسائي فِي الكبرى (١/ ٥١٠)، وأحمد (١٦٨/٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٨/١)، والترمذي (٥٨٦/٥).

[فائدة في الصلاة عليه بعد الأذان]

أحـــدث المؤذِّنـــون الصلاة والسلام عَلَى رسول الله ﷺ عقب الفرائض الخمس، إلاَّ الـــصبح والجمعـــة؛ فإنَّهم يقدِّمون ذلك فيها عَلَى الأذان، وأما المغرب فإنَّهم لا يفعلونه أصـــلاً لـــضيق وقتها، وكان ابتداء ذلك فِي أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفـــر يوسف بن أيوب وأمره، وأما ما قبل ذلك فإنه لمَّا قُتل الحاكم بن المعز وأمرت أختـــه بـــنت الملـــك أن يسلم عَلَى ولده الظاهر فسلم بما صورته: (السلام عَلَى الإمام الظاهر)، واستمر السلام عَلَى الخلفاء بعده خلفًا بعد سلف إِلَى أن أبطله الصلاح المذكور فِي أول شعبان فِي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، أمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا فِـــي الأذان لكل صلاةٍ بعد الفراغ منه: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله عدة مرات، لأن رجلاً من الفقراء المعتقدين سمع فِي ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الأخيرة الصلاة عَلَى الـــنبيِّ ﷺ، وأعجـــبه ذلك، وقال لأصحابه: تحبُّون أن تعملوا هذا فِي كل أذان؟ فبات وأصـــبح، وقد زعم أنه رأى النبيَّ ﷺ فِي منامه يأمره أن يقول: النجم الطنبري المحتسب يأمـــر المـــؤذنين أن يصلوا عليه عقب كل أذانٍ فُضَّ إليه، فسُرَّ بهذه الرؤيا وأمر بذلك، فاستمر إِلَى يومنا؛ فإن صحَّ ذلك فلعله يكون بهذا التاريخ، وكان أمر الصلاح بذلك فِي ليلة الجمعة خاصَّة، والله تعالى أعلم.

وقـــد اخـــتلف فِي ذلك: هل هو مستحبٌّ أو مكروهٌ أو بدعةٌ أو مشروعٌ؟ فاستدلَّ الأوَّل بقوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ [الحج:٧٧]، ومعلومٌ أن الصلاة والسلام عليه ﷺ مـــن أجلِّ القرب، لا سيما وقد توارث الإخبار بالحثِّ عَلَى ذلك، مع ما جاء فِي فضل الـــدعاء عقب الأذان، وفِي الثلث الأخير من الليل، وحديث التجلِّي، وقول الله سبحانه وتعالى: «هل من طالب ...»(١) إِلَى غير ذلك من الأدعية المأثورة فِي فضل الثُلث الأخير إِلَى قرب الفجر، والصواب أنه بدعةٌ حسنةٌ يُؤجر فاعله بحسن نيةٍ.

وقـــد نُقل عن ابن سهل من المالكية فِي كتابه «الأحكام» حكاية الخلاف فِي تسبيح المـــؤذنين فِي الليل خصوصًا فِي الثلث الأخير منه، ووجه من منع ذلك أنه يزعج النوام،

(١) رواه اللالكائي فِي اعتقاد أهل السنة (٤٣٧/٣).

وقد جعل الله تعالى الليل سكنًا انتهى.

قال هذا السخاوي، وفِي هذا انظر، والله الموفق[١]، وذكر الجلال السيوطي تاريخًا خلاف هذا فِي كتابه «الأوائل[٢]»، ولسنا بصدد هذا.

الفائدة التاسعة والثلاثون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي يوم الجمعة وليلتها]

قال الشافعي ﷺ: أُحب كثرة الصلاة عَلَى النبي ﷺ فِي يوم الجمعة وليلتها استحبابًا، وقال ﷺ: «من صلَّى عليَّ فِي يوم الجمعة ألف مرةٍ لَمْ يمت حتَّى يرى مقعده فِي الجنَّة[٣]»، وجمع بعضهم أربعين حديثًا، وللجلال السيوطي فِي خصائص الجمعة ويومها مائة فائدة.

وفِي «الجامع الصغير»: «من صلَّى عليَّ فِي يوم الجمعة مائة صلاةٍ غُفر له ذنب مائة عام[٤]».

وحديث: «من صلَّى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرةً غُفرت له ذنوب مائة عامٍ[٥]».

وحديث؛ «من صلَّى عليَّ يوم الجمعة كانت له شفاعةٌ عندي يوم القيامة[٦]»، والأحاديث فِي هذا المعنى كثيرةٌ، ولله الحمد.

الفائدة الأربعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الخطبة والعيدين]

قال ابن عباس: يجعل الله تبارك وتعالى للخطيب فِي يوم الجمعة ثوابًا بعدد كلٍّ من

---

(١) انظر: البديع (ص١٩٥).

(٢) انظر: الوسائل (ص٢٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في الجامع (١/٢٠٩).

(٥) رواه الديلمي فِي الفردوس (٢/٤٠٨)، والخطيب فِي التاريخ (٣/٤٨٩).

(٦) في الجامع (١/٨٠١).

سمعه، وصلَّى عَلَى النبي ﷺ؛ لأن جمع القوم متعلِّقٌ به، وإن الخطيب يسأل عن خطبته وما قصد بها، وما يكفر مقاصده فِي تحسين الكلام وغيره إلا الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

قال الشيخ: وإن قصد شيئًا فِي نفسه لا يكفِّر ذلك القصيد إلا الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

وقـــال البغوي: إن الخطباء أمناء عَلَى كلامهم، يتساءلون عن مقاصدهم حرفًا حرفًا، وما يقبل الله تعالى خطيبٌ إلا بصلاته عَلَى رسول الله ﷺ فِي الجمعة والعيدين.

* * *

الفائدة الحادية والأربعون

[بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي ليلة الجمعة]

وهـــي لـــيلةٌ يتجلَّى الله تبارك وتعالى فيها من مغربِهَا إِلَى وقت الصبح، وقد قدَّمنا فوائدها فِي أول الكتاب، ولا بأس بذكر شيءٍ منها.

قـــال الغـــزالي فِي «الإحياء»: ليلة الجمعة ليلة الزينة، يتجلَّى الله ﷻ من مغربِهَا إِلَى صـــبحها، يقول: «هل من طالبٍ؟ هل من راغبٍ؟ هل من سائلٍ؟» تزيَّن فِيْهِ الجنان، فإذا كـــان صـــبح الجمعة خرجت الولدان ومعهم الآلات، فيقفون عَلَى مقاصيرهم ودورهم وقصورهم، وينادون الحور: يا أمة محمد ﷺ هذا يوم عيدٍ، وهبه الله سبحانه وتعالى لكم، وجمَّلكـــم به؛ فاستعملوا فِيْهِ الخيرات، ثم يزفون ليلة الجمعة عَلى الجنان، ثم يأتون به إِلَى ساق العرش، وينادون: أي يا رب، فيقول الله تبارك وتعالى لـــه:

اشهد لمن قامك، وزكِّ من زكَّاك، وعزتي وجلالي أنا وليُّ أحبابي؛ ما من عبدٍ قامك احتـــسابًا إلا وجبت لـــه الجنَّة، أنت الشاهد لمن صلَّى عَلَى نبيِّه وجعل يومك احتسابًا، وجعلـــه عيدًا، وأشغل نفسه بذكري، وأشغل فكره بما هو صائرٌ إليه، طُوبى لمن جعله لي (سبع مراتٍ)، ثم يلف تحت ساق العرش إِلَى يوم البعث.

ومـــن غريب ما أخبر به الحافظ ابن حجر: أن عبدًا كان يحضره فيرى الناس لـــه نـــورًا من فوقه ومن تحته وعن يمينه ويساره ومن خلفه وأمامه، فقال لـــه الشيخ: الناس تحبُّك وتسألك الدعاء. فقال لـــه: يا سيدي ببركة صلاتي عَلَى النبيِّ ﷺ ليلة الجمعة، وقد كفـــاني الله تعالى شرَّ من أرادني بسوءٍ، ومن بغى عليَّ ردَّ الله تعالى بغيه عليه، ووالَى من

والاني، وعــادى من عاداني، ومما بقي للشيخ ما أنعم الله تعالى عليه به حتَّى خرَّ مغشيًّا علــيه، فلمَّا أفاق من غشيته، وهو يقرأ سورة الضحى إِلَى آخرها، وصار يكرر: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الــضحى:١١] وهو يبكي، وكرَّر آخرالسورة الشريفة إِلَى أن غاب عن الوجود، فلمَّا أفاق ودَّع الشيخ، وسأله الدعاء، فانتظره كالعادة، فلم يأتِ، فعزم عَلَــى المــسير لــه، فلمَّا كان الليل رآه يتبختر فِي الجنَّة، وعليه حُلَّةٌ من سندسٍ وأنواع حلل الجنَّة تناديه، فقال لــه: ما أنت صبيح العبد، قال: نعم يا سيدي، لو رأى المصلُّون عَلَى النبيِّ ﷺ ليلة الجمعة ما لهم من الثواب لقطعت أوصالهم فِي طلب هذا النعيم، بشِّرهم أن لهــم ملكًا لا يفنى، ونعيمًا لا ينقطع، وعيشًا رغدًا، يُسقون من رحيقٍ مختومٍ، ختامه مــسك، وفِي ذلك فلينافس المتنافسون، فأفاق الشيخ وهو يصلي عَلَى النبيِّ ﷺ، وأخبر جماعته بذلك.

شعر فِي المعنى:

حدِّث بما شِئتَ فِي فضلِ الصلاةِ عَلَى ... طــه الــنبيِّ الــذي قَــدْ عَــزَّ واشتهرَا
فإنَّــه شمــس فــضل الأنــام لـــه ... شـــفاعةٌ نالهـــا قـــومٌ لهـــم ذِكـــرَا
ومَـــنْ يـــصلِّي علـــيهِ صلاةً واحدةً ... صـــلى علـــيه إلهـــي غيرهـــا عـــشرَا
هـــذا هـــو الفـــوز فِي دار النعيم به ... يـــنالُ أعلَـــى العلَـــى مـــن فازَ وافتخرَا

***

الفائدة الثانية والأربعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فِي يوم السبت وليلته]

روى حذيفــة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة عليَّ فِي يوم السبت؛ فإن الـــيهود تُكثـــر مـــن سبِّي فيه، فمن صلَّى عليَّ فِيْه مائة مرةٍ فقد أعتق نفسه من النَّار وحلَّت لـــه الشفاعة، فيشفع يوم القيامة فيمن أحبَّ[1]»، وكان بعضهم يلازم الصلاة

(١) ذكره السخاوي (ص١٠٢).

عَلَى النبيِّ ﷺ ليلة السبت، ويُهدي ثواب ذلك للأموات، ويزورهم صبحة السبت، وكان بعض أهل الكشف يرى أرواح الموتى عَلَى قبورهم إِلَى طلوع الشمس فيقولون: ما رأينا فِي الهدايا مثل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، إنَّا لنتبشر بِهَا ونُسرُّ كما يسرُّ أحدكم بالهديَّة من عند أهله.

***

الفائدة الثالثة والأربعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فِي يوم الأحد وليلته]

قَالَ ﷺ: ((عليكم بمخالفة الروم فِي يوم الأحد. قالوا: يا رسول الله، وفِي أيِّ شيءٍ نخالف الروم؟ قال: فِي كل يومٍ يدخلون كنائسهم ويعيدون الصلبان ويسبُّوني، فمن صلَّى الصبح فِي يوم الأحد وقعد يسبِّح الله تعالى إِلَى أن تطلع الشمس ثم صلَّى ركعتين مما فتح الله عليه ثم صلَّى عليَّ سبع مراتٍ واستغفر لأبويه ولنفسه وللمؤمنين غفر الله له ولأبويه، وإن دعا استجاب له، وإن سأله خيرًا أعطاه إيَّاه[1])).

ومن فضائل الصلاة عَلَى النبي ﷺ ليلة الأحد: أنها تزيد البركة فِي الرزق، وأنه يومٌ مفردٌ وليلةٌ مفردةٌ، فِيْهِ تنزل الملائكة، وينادون: يا خلق الله، صلُّوا عَلَى نبيِّكم، وانشروا محاسن فضله؛ فإن الله تعالى يحبُّ من أحبَّه، ويذكر من ذكره، ولم أرَ له سندًا، واستحسنت ذلك عَلَى ما ذكره السخاوي فِي فضل ليلة الأحد من كتاب ((السراج الواضح))[2].

ونقل بعض العلماء عن القرطبي: أنه قال: هذا حديثٌ موضوعٌ، وفِي آخره آثار الوضع عليه لائحةٌ، فجزاه الله تعالى خيرًا حيث أبذل النصيحة، وبيَّن الموضوع من غيره، فهو خادم السُّنَّة، وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وأسأل الله تعالى الإقالة من وضع البنان، وما جرى به القلم، وما يوجب الندم؛ فإن عثرات اللسان توجب

---

(١) ذكره السخاوي (ص٢٠١).

(٢) ذكره السخاوي (ص٢٠١).

الحرمان، ولله الحمد.

***

الفائدة الرابعة والأربعون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وذكر بركتها فِي ليلة الإثنين]

ويوم الإثنين يوم مولده ﷺ وليلته ويوم وفاته ويوم معجزاته، «من صلَّى عليَّ فِيْهِ وفِي ليلته ولم يلغُ كتب الله تعالى لـــه براءةً من النَّار، وبراءةً من النفاق، وكُتب مجاهدًا[١]» قاله ابن رجب فِي كتاب «النور».

وذكـــر الجـــلال السيوطي أنه يومٌ مباركٌ وُلِدَ فيه، من صلَّى عليه فِيْهِ ناله خيرٌ كثيرٌ، وليلته ليلة البشارة، ويوم الإثنين عَتق عم النبيِّ ﷺ الجارية التي بَشَّرت بولادته ﷺ، فكيف لا يعتق الله المُصلي عليه؟!

وذكر: «من مات وهو يصلي عليه ليلة الإثنين أعتقه الله ﷻ[٢]».

وأَلحق يوم الإثنين بليلته، وقد رأيت مائة حديثٍ فِي فضل يوم الإثنين وليلته، فحذفت ذلك لعدم الاطِّلاع عليه؛ لأنني ما رأيت فِيْهِ نقلاً عن حفَّاظ الأثر، فتحقق ذلك.

***

الفائدة الخامسة والأربعون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وذكرها فِي يوم الثلاثاء وليلته]

ذكـــر القرطبي هذا الحديث من طريق جعفر بن محمد: عن ابن جابر قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مـــن صـــلَّى ليلة الثلاثاء بعد العتمة أربع ركعات قبل أن يُوتر، يقرأ فِي كل ركعةٍ الحمد لله مرةً، وقل هو الله أحد ثلاث مراتٍ، وقل أعوذ برب الفلق مرةً، وقل أعـــوذ بـــربِّ الناس مرةً، فإذا فرغ استغفر الله خمسين مرةً يبعثه الله ﷻ يوم القيامة

(١) ذكره السخاوي (ص٢٠١).

(٢) ذكره السخاوي (ص٢٠١).

ووجهه يتلألأ نورًا، ومن داوم الصلاة عليه يوم الثلاثاء كفاه الله عَجَلَّ شرَّ الأعداء[(١)]».

* * *

الفائدة السادسة والأربعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فِي الاستسقاء]

قَالَ النووي فِي شرح مسلم: ما استسقى قومٌ وصلُّوا عَلَى النبيِّ ﷺ إلا سقاهم الله تعالى الغيث ببركة الصلاة عليه ﷺ، والدعاء المأثور عنه فِي صلاة الاستسقاء وغير ذلك مما قررناه وأقاويل السلف والخلف فِي الاستسقاء لا تنحصر، والصلاة عليه ﷺ تدفع القضاء، وتردُّ البلاء، وتنزل الغيث، وهي من المجرِّبات[(٢)].

* * *

الفائدة السابعة والأربعون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الكسوف]

لما ورد أنه آية يُخوِّف الله تعالى به، والخسوف كذلك، والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي هذه المواطن ضامنة الإجابة، يعطى بِهَا القائل الأجر الكامل فِي كل ما يؤمله ويرجوه.

* * *

الفائدة الثامنة والأربعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فِي أثناء تكبيرات العيدين]

استدلَّ الشافعي بوجوبِهَا بأن كلَّ عبادةٍ افتقرت إِلَى ذكر الله تعالى افتقرت إِلَى ذكر رسوله، ووافقه أحمد، وقال مالك وأحمد: يصحُّ بدونها، وهو وجهٌ فِي مذهب أحمد بن

(١) انظر: البديع (ص٢٠٢).

(٢) في شرح مسلم (١٢٣/٤).

حنبل، ثم اختلف فِي وجوبِهَا فِي الثانية أيضًا، ومذهب الشافعي الوجوب فيها بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤].

قال ابن عباس فِي «تفسيره»: لا يُذكر إلا ذُكر معه.

وقال قتادة: رفع الله تعالى ذكره فِي الدنيا والآخرة، والجمعة والعيدين من خصائصه، ونحن ملزومون بذكره فِي سائر ما نرجو الإجابة به، وفِي كلِّ ثناءٍ ودعاءٍ وختمٍ وغير ذلك، ومن انقطع إِلَى الله تعالى فِي يوم العيد بعد خروج الخطيب والناس وصلى عَلَى النبيِّ ﷺ ودعا الله ﷻ أعطاه كل ما سأل، وهي من مجرَّبات السلف، وكانت الصحابة يتوسلون به فِي الخُطب والأعياد، وجاءت التابعون بعدهم والسلف والخلف، فنالوا ببركته خيرًا كثيرًا.

قال ابن القيم: إن الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ كان ذكرها عند الصحابة والتابعين أمرًا مشهورًا فِي الخطب معروفًا عندهم، وأما وجُوبِهَا فلم نرَ فِيْهِ دليلاً يجب المصير إِلَى مثله انتهى.

قال السخاوي: وقرأت فِي مصنف المجد البغوي: ويمكن أن يقال: إنما اعتمد الشافعي فِيْهِ عَلَى نصِّ الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فإنه لَمْ يُنقل عن أحدٍ منهم ولا ممن بعدهم خطبةٌ فِي أمر مهمٍّ فضلاً عن الجمعة إلا بُدئ فيها بالحمد والصلاةُ عَلَى النبيِّ ﷺ، وكان السلف يسمُّون الخطبة بغير الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ البتر.

* * *

الفائدة التاسعة والأربعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها فِي صلاة الجنازة]

وأنها شفاعةٌ للميت ودعاءٌ، ويجعلها الله تبارك تعالى لــه نورًا ووسيلةً.

وقال القاضي إسماعيل فِي كتاب بسنده عن معمر عن الزهري: أنه سمع أبا أُمامة يحدِّث سعيد بن المسيب، قال: إن السنَّة فِي الصلاة عَلَى الجنازة أن تقرأ بفاتحة الكتاب، وتصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، ثم تدعو للميت حتَّى تفرغ، ولا تقرأ إلا مرةً واحدةً، والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ بعد التكبيرة الثانية، والتسليم بعد الرابعة، وأن الصلاة شفاعةٌ، والصلاة عَلَى النبيِّ

فـــيها رجاء الإجابة، وأنها مغفرةٌ للميت، وقراطها مثل أُحد، وأجر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فيها لا يُكيَّف.

***

الفائدة الخمسون

[في ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها إذا دخل الميِّت في قبره]

وكان ابن مسعود إذا صلَّى عَلَى ميِّتٍ وقف عَلَى قبره ودعا، وقال: اللَّهُمَّ هذا عبدك وابن عبدك أنت خلقته، وأنت هديته للإسلام، وأنت قبضت روحه، وأنت أعلم بسريرته وعلانيته، جئناك شفعاء فيه، اللَّهُمَّ إنَّا نستجيرك، ونحتمي بجوارك، فإنَّك ذو وفاء، وذو رحمة، أعذه من فتنة القبر، وعذاب جهنَّم، اللَّهُمَّ نوِّر لـــه قبره، وألحقه بنبيِّه، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَـــى محمَّـــد وآل محمَّد، وباركْ عَلَى محمَّد وآل محمَّد، كما باركت عَلَى إبْراهيم وآل إبـــراهيم؛ إنَّـــك حمـــيدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى أسلافنا وأفراطنا، اللَّهُمَّ اغفرْ للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ لقِّنه حجَّته، وثبِّته عَلَى الدين الخالص؛ إنَّك عَلَى ما تشاء قديرٌ، ثم ينصرف.

وقـــيل: إن: «رسول الله ﷺ كان يقف عَلَى القبر، ويقول إذا هالوا عليه التراب: اللَّهُـــمَّ إنَّه نزل بك وأنت خير منـــزولٍ به، اللَّهُمَّ إنَّه نزل بك صاحبنا، وخلف الدنيا وراء ظهره، ونعم المنـــزول به! اللَّهُمَّ ثبِّتْ عند المسألة منطقه، ولا تسأله في قبره ما لا طاقـــة لـــه به، اللَّهُمَّ نوِّر لـــه في قبره، وألحقه بنبيه ﷺ[1]» أخرجه أبو ذر الهروي والنميري.

وكـــان السلف يقرؤون عنده، ويصلُّون عَلَى النبيِّ ﷺ، فيرون علامة الإجابة إما نورًا يرونه وإلا يرون الميت في صورةٍ حسنة، وغير ذلك مما لا حصر لـــه ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

***

(١) رواه البزار في مسنده (٢/١٢٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٤٤).

الفائدة الحادية والخمسون

[فِي ذكر فضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي شهر رجب]

فمـــا ورد فيها شيءٌ، وفِي موضوعات ابن الجوزي أحاديث كثيرةٌ منها: ما من أحدٍ يصوم أوَّل خميس من رجب ثم يصلِّي فيها بين العشاء والعتمة يعني ليلة الجمعة وسَمُّوها صـــلاة الرغائب، ومن صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ غفرت ذنوبه ولو كانت عدد القطر إِلَى غير ذلك.

وبالجملة إن شهر رجب تصبُّ فِيْهِ الرحمة، وإن الله تعالى عظَّمه جاهليةً وإسلامًا، وإنه فـــردٌ، وهو شهر الله الأصمُّ الأصبُّ، الأصمُّ من قعقعة السلاح، الأصبُّ من الرحمة، وفِيْهِ ليلة الإسراء، وهو شهرٌ شريفٌ، تُضاعف فِيْهِ الحسنات والأعمال، والصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِيْهِ من بابٍ أولى، وكان بعضهم يقول: اللَّهُمَّ هذا شهرك، وقد قرنت اسمك باسم نبيِّك، فـــلا تذكر إلا ويُذكر معك، اللَّهُمَّ اغفرْ لي ذنوبي، ووسِّع عليَّ رزقي، واملأ قلبي إيمانًا، واجعلني من حزبك، ووسِّع عليَّ وعَلَى أمَّة محمَّدٍ ﷺ؛ إنَّك عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ.

قال: كنت أفعل هذا فِي شهر رجب فما رأيت ضيقًا أبدًا.

* * *

الفائدة الثانية والخمسون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي شهر شعبان]

وأنه شهر الصلاة عليه، قَالَ ﷺ: «من صلَّى عليَّ فِي شهر شعبان كلَّ يومٍ سبعمائة مرةٍ وكَّل الله به ملائكةً يُوصلونها إليه[1]».

وروي عـــن طاوس اليماني أنه قال: سألت الحسن بن عليٍّ ﷺ عن ليلة الصَّلِّ يعني: لـــيلة النـــصف من شعبان وعن العمل فيها؟ قال: أنا أجعلها ثلاثًا، فثلثٌ أُصَلِّي فِيْهِ عَلَى جدِّي النبيِّ ﷺ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى؛ حيث يقول:

---

(١) انظر: البديع (ص٢٠٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وثلثٌ أستغفر الله تعالى مثنى مثنى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، وثلثٌ أركع فيْهِ وأسجد؛ ائتمارًا لقوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق:١٩]، فقلت: وما ثواب ذلك؟ قال: سمعت أبي يقول: قَالَ النبي ﷺ: «من أحيى ليلة الصل كُتِبَ من المقرَّبين: يعني الذين مدحهم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة:٨٨] [(١)]».

***

الفائدة الثالثة والخمسون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند رؤية الكعبة]

فمن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه خطب الناس بمكة، فقال: «إذا أقدم الرجل منكم حاجًّا فليَطُف بالبيت سبعًا، وليُصَلِّ عند المقام ركعتين، ثم ليبدأ بالصفا، فليكبِّرْ سبع تكبيرات، بين كل تكبيرتين حمد الله تعالى وثناءٌ عليه وصلاةً عَلَى النبيِّ ﷺ، ومسألةٌ لنفسك، وعَلَى المروة مثل ذلك[(٢)]» أخرجه البيهقي.

وإذا رأى الكعبة قال: «اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى نبيٍّ استقبلك، وآته اللواء المعقود والحوض المورود، وشفِّعه فينا، واجعلْ هذه الكعبة لنا قبلةً وأمانًا، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى أزكى مخلوقاتك وأعلاها، وارضَ عن الصحابة والتابعين[(٣)]»، من قَالَ ذلك غفر الله تعالى ذنبه.

***

(١) انظر: البديع (ص٢٠٨).

(٢) رواه البيهقي فِي الكبرى (٥/٩٤)، وابن أبي شيبة فِي المصنف (٣/٣٧١)، وابن سعد فِي الطبقات (٦/١٢٧).

(٣) ذكره العجلوني فِي كشف الخفا (١/٢٠٩) بنحوه.

الفائدة الرابعة والخمسون

[في الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكره فوق الصفا والمروة]

روي أن ابن عمر كان يكبِّر عَلَى الصفا ثلاثًا، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، لـــه الملك، وله الحمد، وهو عَلَى كل شيءٍ قديرٌ، ثم يصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، ثم يدعو، ويطيل القيام والدعاء، ثم يفعل عَلَى مروة مثل ذلك. أخرجه البيهقي[(١)].

وعن ابن عمر أنه كان يكبِّر عَلَى الصفا ثلاثًا، ويصلِّي عَلَى النبي ﷺ، ويدعو، ويقول: ما فعل عبدٌ مثل هذا إلا غفر الله تعالى لـــه ذنبه ببركة الصلاة عَلَى النبي ﷺ[(٢)].

الفائدة الخامسة والخمسون

[في ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند الفراغ من التلبية]

لما ورد عن علي بن أبي طالب ﷺ وابن مسعود ﷺ قالا: قَالَ رسول الله ﷺ: «ليس في الموقف بعرفة قولٌ ولا عملٌ أفضل من الدعاء[(٣)]».

وأول مـــن ينظـــر الله إليه صاحب هذا القول إذا وقف بعرفة، فيستقبل البيت الحرام بوجهه ويبسط يديه هيئة الداعي، ويكبِّر ثلاثًا، ويلبِّي ثلاثًا، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، لـــه الملك، وله الحمد، يحيي ويميت بيده الخير، يقول ذلك مائة مرةٍ، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، أشهد أنَّ الله عَلَى كل شيءٍ قديرٌ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، يقول ذلك مائة مرةٍ، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظـــيم، أشـــهد أنَّ الله عَلَـــى كل شيءٍ قديرٌ، ثم يعوذ من الشيطان الرجيم؛ إن الله هو الـــسميع العلـــيم، يقول ذلك ثلاث مراتٍ، ويبدأ في كل مرةٍ ببسم الله الرحمن الرحيم، ويختـــتم في كل مرةٍ بآمين، ثم يقرأ: قل هو الله أحد مائة مرةٍ، ثم يقول: بسم الله الرحمن الـــرحيم، ثم يصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، وصفة الصلاة عليه هو أن يقول: صلاة الله وملائكته

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٥/١٤٩)، ومالك في الموطأ (١/٤٠٧).

(٢) انظر: البديع (ص٢٠٩).

(٣) انظر: البديع (ص٢٠٩).

عَلَــى النبيِّ الأميِّ وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ثم يدعو لنفسه، ويجتهد فِي الدعاء لوالديه ولقرابته ولإخوانه فِي الله تعالى من المؤمنين والمؤمنات، فإذا فرغ من دعائه عاد فِي مقالة هذا بقوله ثلاثًا، لا يكون لــه فِي الموقف قولٌ ولا عملٌ حتَّى يمسي غير هذا، فــإذا أمسى باهى الله تعالى به الملائكة، يقول: انظروا إِلَى عبدي، استقبل بيتي فكبَّرني، ولــبَّاني، وسبَّحني، وحمَّدني، وهلَّلني، وقرأ بأحبِّ السور إليَّ، وصلَّى عَلَى نبيِّي، أُشهدكم أني قد غفرت لــه، وقبلت عمله، ولو شفع فِي أهل الموقف شفَّعته فيهم.

وزاد الــسخاوي: أُشهدكم أني قد قبلت عمله، وأوجبت لــه أجره، وشفَّعته فيمن يــشفع لـــه، ولـــو شفع فِي أهل الموقف شفَّعته فيهم. رواه أبو يوسف الجصاص فِي «فوائده»، وأخرجه أبو منصور فِي «جامع الدعاء الصحيح».

وقـــال الـــسخاوي: قلـــت: هـــذا عجيبٌ، وبالله التوفيق، ذكره ابن الجوزي فِي «الموضوعات»، ولسنا بصدد هذا.

ولو ذكرنا طرق كل حديثٍ، وما أوَّلته العلماء عليه لمَّا وسعه هذا الكتاب، ولله الحمد فيما نرجوه من بركة نبينا ﷺ، ونسأل الله تعالى حسن المقاصد بفضله.

***

الفائدة السادسة والخمسون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها يقول: عند استلام الحجر الأسود]

وأنــه شاهد، وذلك أن عمر بن الخطاب: لمَّا استلمه وقبَّله ﷺ، وقال: «لولا قبَّلك رسول الله ﷺ ما قبَّلتك[1]»، وكان عثمان يقبِّله ويقول: صلَّى الله وملائكة وأنبياءه ورسله عَلَــى نــبيٍّ قبَّلك، اللَّهُمَّ اجعله خير شاهدٍ[2]، وفِي الحديث: إن الكعبة شاهدةٌ، والحجر الأسود شاهدٌ؛ إنه يعرف من يستلمه، ويشهد لــه[3].

(١) رواه البخاري (٢/٥٨٣)، ومسلم (٢/٩٢٥)، وأبو داود (٢/١٧٥)، والنسائي فِي الكبرى (٢/ ٤٠٠)، وأحمد (١/٤٦)، وابن ماجه (٢/٩٨١).

(٢) ذكره العجلوني فِي كشف الخفا (٢/٣٥، ٣٦).

(٣) رواه ابن حبان (٩/٢٥).

وقال ابن رجب فِي «اللطائف»: إن النبي ﷺ قال: «استشهدوه؛ فإنَّه خير شاهدٍ[1]»، ولم أرَ غير هذا.

وقال الإمام القاشاني: من صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ عند استلام الحجر غفر الله تعالى له ذنوبه، ومَحَا عنه ما كان عليه من الصغائر، وإن الحجر شاهدٌ لمن استلمه[2] نقلته بهذا اللفظ، وقد استحسنته، ونسأل الله ﷻ العفو بمنِّه وكرمِهِ.

***

الفائدة السابعة والخمسون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الملتزم وما فِيْهِ من الثواب]

روي عن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ما لَمْ أقف عَلَى إسناده: أنه صلى فِي الملتزم بين الباب والحجر، ثم دعا، ثم قال: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى آدم بديع فطرتك، وبكر حجَّتك، ولسان قدرتك، والخليفة من بسيطتك، وعبدٌ لك، ومستعيذٌ بذمتك من متن عقوبتك، وساحب شعر رأسه؛ تذلُّلاً فِي حرمك؛ لعزَّتك، وصلِّ عَلَى ابنه الخالص من صفوتك، القائد الأمين عَلَى مكنون سريرتك، بما أوليته من نعمتك ومعونتك، وعَلَى من بينهما من النبيين والصدِّيقين والمكرمين، وأسألك اللَّهُمَّ حاجتي التي بيني وبينك، لا يعلمها أحدٌ دونك، اللَّهُمَّ زكِّ عملي، وبلِّغني أملي، وتوِّجني بما توَّجت به العارفين بك، وارحم من مضى من أمة نبيِّك، واغفر لمن بقي، حتَّى تقوم قيامته؛ إنَّك عَلَى كل شيءٍ قديرٌ.

قال: ما قالها عبدٌ إلا غفر ذنبه، وجرَّبها السلف من بعده.

وقال السخاوي فِي هذا الدعاء كلامًا كثيرًا.

وزاد النووي: الصلاة عَلَى النبي بعد الدعاء المأثور تسرع إجابة الدعاء، ويكون له ما طلب ببركته ﷺ، وشرُف، وكرُم.

---

(١) انظر: لطائف المعارف (ص٢٣٢).

(٢) رواه أحمد (١/٢٤٧)، وابن خزيمة فِي صحيحه (٤/٢٢٠)، وعبد الرزاق فِي مصنفه (٥/٣٩).

الفائدة الثامنة والخمسون

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عشيَّة عرفة]

مع الذكر الوارد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يقف بالموقف عشيَّة عرفة فيقرأ بأمِّ القرآن فاتحة الكتاب مائة مرةٍ وقل هو الله أحد مائة مرةٍ ويقول:

اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ كما صلَّيت عَلَى إبراهيم وآل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيد مائة مرةً ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه مائة مرةٍ، وفِي قولٍ ذكره السخاوي يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه لـه الملك وله الحمد بيده الخير يحيي ويميت وهو عَلَى كل شيءٍ قديرٌ مائة مرةٍ إلاَّ قَالَ الله ﷻ وتبارك وتعالى: يا ملائكتي ما جزاء عبدي هذا؟ سبَّحني وهلَّلني ونسَّبني وأثنى عليَّ وصلَّى عَلَى نبيِّي، اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لـه، وشفَّعته فِي نفسه، ولو سألني عبدي أن أشفِّعه فِي أهل الموقف شفَّعته[1]» أخرجه الديلمي فِي «مسند الفردوس» والبيهقي فِي «شعب الإيمان».

***

الفائدة التاسعة والخمسون

فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند مسجد الخيف]

عن عبد الله بن أبي بكر قال: «كنَّا بالخيف وعندنا عبد الله بن عتبة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ، ودعا بدعواتٍ، ثم قام، وصلَّى بنا، ثم عاد إِلَى ما كان عليه، ودعا، وقال: اللَّهُمَّ ائت نبيِّك خير ما آتيت، وأعطه خير ما أعطيت، وانشر لـه اللواء المعقود، وأعطه المقام المحمود، وأنزله المنزل المقرَّب، واجزه أفضل ما جزيت نبيًّا عن أمته، وكنْ لنا منعمًا بما أنعمت به عَلَى أحبابك؛ إنَّك عَلَى كل شيءٍ قديرٌ، أجزل

(١) رواه الديلمي فِي الفردوس (٤/١٥)، والبيهقي فِي الشعب (٣/٤٦٣).

الله تعالى ثوابه، وعجَّل لــه ما طلب[(١)]» أخرجه إسماعيل القاضي وغيره من طريق مالك.

وقــال الــسخاوي غير هذا، ولم أرَ هذه الصلاة فيما نقله، ولفظ ما فِي كتابه: عن عــبدالله بــن بكر قال: «كنا بالخيف وجاء عبد الله بن عتبة، فحمد الله سبحانه وتعالى، وأثنى عليه، وصلى عَلَى النبي ﷺ، ودعا بدعوات، ثم قام، فصلى بنا[(٢)]» أخرجه إسماعيل القاضي.

* * *

الفائدة الستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند رؤية المدينة المطهَّرة]

وعن حاتم بن وردان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجِّه البريد إِلَى الشام قاصدًا إِلَى المدينة؛ ليقرئ النبيَّ ﷺ عنه السلام. أخرجه البيهقي فِي «الشعب»[(٣)].

ويستحبُّ لقاصد المدينة الشريفة إذا وقع بصره عَلَى معاهد المدينة وحرمها ونخيلها وأماكنها الإكثار من الصلاة عليه ﷺ، والتسليم عليه، ولزوم الأدب، وإطراق رأسه، وكلما قــرب مـــن المدينة وعمرانها زاد فِي ذلك، ويستحضر عظيم عرضاتها، وتبجيل منازلها وبــيوتها؛ فإن مواطنها عمرت بالوحي، وكثر فيها ترداد أبي الفتوح: جبريل، وأبي النجا: ميكائــيل، واشــتملت تُربتها عَلَى سيِّد البشر ﷺ، وانتشر عنها من دين الله ﷻ وسنن رسوله ما انتشر، فهي مشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، وليملأ قلــبه مـــن هيبـــته وتعظيمه وإجلاله ومحبَّته كأنه يراه، ويشاهده محققًا أنه يسمع كلامه، ويساعده فِي الشدائد، وليجتنبْ الخصام، والخوض فيما لا ينبغي من الفعل والكلام؛ تأديبًا لأجله.

وقال النووي: الأدب فِي هذه المواطن واجبٌ عَلَى كلِّ مسلمٍ؛ فإنها مشاهد الخير.

وقـــال الجـــلال السيوطي: يستحبُّ لمن مرَّ بمنـــزلٍ نزله رسول الله ﷺ أو موضعٍ

(١) رواه القاضي (٧٨) بتحقيقنا.

(٢) رواه القاضي في فضل الصلاة (٩٠) بتحقيقنا.

(٣) رواه البيهقي فِي الشعب (٣/٤٩١).

جلس فِيْهِ أن يصلِّي ويسلم عليه، ويستأنس به، ويراعي حرمته ﷺ وتعظيمه وتوقيره وإجلاله، ورأيت فيما ذكرت من هذه المواطن مؤلَّفًا ذُكِر فِيْهِ مواقف المدينة الشريفة، وأماكن التعبُّدات، وأتبع المواطن التي جلس فيها.

وذكر السيد السمهودي صاحب «الشرفين» فِي المدينة الشريفة مؤلَّفًا بمفردِه أطلعني عليه ولده عفا الله تعالى عنه.

وذكر شيخ الإسلام الدمياطي فضل المدينة وعمارتها، وزاد عن الأزرقي أقوالاً فِي كتاب «فضل الحرمين الشريفين: مكة والمدينة»، ورأيت لبعض العلماء «فضل المساجد الثلاث»، وغير ذلك مما لا يخفى عَلَى أهل الفضل، ولله الحمد.

* * *

الفائدة الحادية والستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند ذكر التوبة من الذنب وفتح باب الرجاء]

وينبغي لمن لازم ذكرها عدم العود ووقوع الشرط: أي شرط التوبة ببركة الصلاة عليه ﷺ، فمن ذلك ما روي عن أبي سليمان الداراني قال: من أراد أن يسأل الله تعالى حاجةً فليبدأْ بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، ويسأل حاجته، ويختم بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ؛ فإنه يقبل الدعاء، وهو أكرم من أن يردَّ ما بينهما، ومن تاب مخلصًا فليصلِّ ركعتين، ويدعُ الله تعالى، ويصلِّ عَلَى نبيه ﷺ، ويطلب حاجته، ويقصد التوبة، ويطلب من الله تعالى؛ فإن الله تعالى يتوب عليه، وإذا داوم عَلَى ذلك صحَّت له التوبة(١).

والصلاة عَلَى النبي ﷺ مُعينة للعبد، وفِي كتاب «التوَّابين» عن ابن عباس: من كثُرَت خطاياه وأراد التوبة فليأتِ خاضعًا مطرق الرأس، ويسأل الله تعالى التوبة ويصلِّ عَلَى نبيه ﷺ؛ فإن الله تعالى يقضي حاجته، ويُبلْغه مقصوده، ويُرضي عنه خصماه، ويزيد فِي رزقه، وصفة ذلك: يصلِّي ركعتين بنيَّة صلاة التوبة، يقرأ فِي الركعة الأولى: فاتحة الكتاب وإذا

(١) ذكره القرطبي فِي التفسير (١٤/٢٣٥).

جاء نصر الله، وفِي الثانية: فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص، ويقول إذا فرغ من صلاته: اللَّهُـــمَّ إني أســـألك يا مُنـــزل الكتاب، ومُتحِف الأحباب، ومهوِّن الأمور الصعاب أن تصلِّي عَلَى خِيرتك من خلقك، خير أنبياءك، وملاذ أصفيائك، وذخيرة أحبابك، أفضل الخلائق، ومعدن الحقائق، واسطة عقد النبيين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين، وإمام المتَّقين، مظهر سرَّ الجود الجزئي والكلي، وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي أن ترزقني توبةً، تبت بِهَا عَلَى آدم أبي البشر وولده داود، والتائبين من أمة نبيِّك، وتستُرني بما سترتهم، وتوفقني بما وفقتهم، وترضِّني عن خصمائي من حيث لا أعلم؛ إنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنـــت عَلَـــى كل شيءٍ قدير»[(١)]. ذكره ابن رجب فِي «وظائفه»، والمرزبان فِي «فضل التائبين».

ولم أر لـــــه سندًا غير أني استحسنت هذه الألفاظ وبركة الصلاة عَلَى النبي ﷺ، فإن الله تعالى لا يخيِّب أهل المقاصد، وذكر بعضهم أن لـــه تأثيرًا فِي التائب، وينفع التوَّابين، والله تعالى أعلم.

* * *

الفائدة الثانية والستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عنه استحسان الشيء الحسن]

مـــثل الزوجة والولد وما أشبه ذلك، وكذلك المال والدنيا: كالملبس وغيره وما أكل من النفائس، وكل ما استحسنه الشخص عَلَى أيِّ صورةٍ من أي شيءٍ كان؛ فإن الصلاة عَلَـــى النبيِّ ﷺ تُعينه عَلَى أيِّ حالةٍ، ويجعل الله تعالى فِيْهِ الحسن ويزيِّنه، ورأيت فِي بعض الكتب قَالَ ﷺ: «ما ذُكرت عَلَى شيءٍ استحسنه العبد إلاَّ حسَّنه الله وزيَّنه، ومن صلَّى علـــيَّ فِـــي طعامه وشرابه كان لـــه شفاءً، ومن صلَّى عليَّ عند لبس ثوبه كان ذلك الثوب شاهدًا لـــه إِلَى يوم القيامة وكانت تلك الشهادة مكتوبةً عند الله[(٢)]».

(١) انظر: وظائف رمضان لابن رجب (ص٢٨).

(٢) انظر: البديع (ص٢٢٨).

وهذه الأشياء كلها شاهدٌ بِهَا الكتاب والسنة، وذِكر هذه الأسباب واسع المجال.

وقـــال أبو بكر الصديق: ما استحسنت شيئًا إلاَّ وذكرت رسول الله ﷺ، ووجدت البركة فِي ذلك[١].

وكان عمر بن الخطاب يذكر النبيَّ ﷺ فِي كل شيءٍ استحسنه، ويصلِّي عَلَي النبي ﷺ فِي بدئه وختامه[٢].

وقال السخاوي من كلام شيخ الشيوخ بحماه فِي ملخص قصيدة:

عقْـــدٌ تفاحَـــل عَقْـــد صَـــبْرِي ... بِلِـــينِ خِـــصْرٍ يَكَـــادُ يُعْقَـــدْ

فَمَـــنْ رَأى الوشـــاحُ مـــنه ... حَقًّـــا يُـــصَلِّي عَلَـــى محمَّـــدْ

***

الفائدة الثالثة والستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند نهيق الحمير]

روى الطبراني وابن السنِّي فِي «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي رافع:

«لا ينهق الحمار حتَّى يرى شيطانًا أو يتمثَّل لــه شيطانٌ، وإذا كان كذلك فاذكروا الله وصلُّوا عليَّ[٣]».

قـــال القاضـــي عياض: فائدة ذلك أن العبد يلتجئ إِلَى الله تعالى فِي دفع ذلك؛ لمَّا يخشى من شرِّ الشيطان وشرِّ وسوسته.

وقـــال الجلال السيوطي: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ نورٌ، وسِرُّها نورانيٌّ، والشيطان نارٌ، وطـــريقه مَظلمةٌ، وفائدته: التعوُّذ من شرِّ ظلمته، والخوض فِي نور الصلاة رحمةٌ، وهذا ملحظٌ حسنٌ.

***

(١) انظر: البديع (ص٢٢٨).

(٢) انظر: البديع (ص٢٢٨).

(٣) ذكره ابن حجر فِي فتح الباري (٦/٣٥٣)، والمباركفوري فِي تحفة الأحوذي (٩/٣٠٠).

الفائدة الرابعة والستون

[فِي ذكر النبيِّ ﷺ وبركتها عند النسيان]

وأنها تذكِّر العبد؛ لحديث: (من خاف النسيان) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رســول الله ﷺ: ((إذا نسيتم شيئًا فصلُّوا عليَّ تَذْكروه إن شاء الله تعالى[١])) أخرجه أبو موسى.

وعن عثمان بن أبي حرب الباهلي، عن النبي ﷺ قال:

((مــن أراد أن يحــدِّث بحديث نسيه فليصلِّ عليَّ؛ فإن فِي صلاته عليَّ خلفًا من حديثه، وعسى أن يُذَكِّره الله تعالى[٢])) أخرجه الديلمي.

وفِي ((الجامع الصغير)): ((من هَمَّ بأمرٍ شاور فِيْهِ وفَّقه الله تعالى لرشد أمره، ومن أراد أن يحدِّث فِي شيءٍ ونسي وفَّقه الله تعالى لنسيانه، ومن خاف عَلَى نفسه النسيان فليكثر الصلاة عليَّ[٣])) حديث عن أبي هريرة.

الفائدة الخامسة والستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند أكل الفجل]

ما رواه مجاشع بن عمرو، عن أبي بكر بن حفص عن سعيد بن المسيب قال: من أكل الفجــل فسرَّه ألا يوجد فِيْهِ رائحةٌ فليذكر النبيَّ ﷺ عند أوَّل قطمةٍ، وكان بعضهم كثير الصلاة عليه، فلا يجد للفجل رائحةً.

وقال ابن المنكدر: الصلاة عليه تزيل الهموم خلا عن الفجل وغيره وهي من مجرَّبات السلف.

***

(١) قَالَ السخاوي فِي ((القول البديع)) (ص٢٢٧): ((أخرجه أبو موسى المديني بسندٍ ضعيف)).

(٢) انظر: البديع (ص٢٢٩).

(٣) انظر: البديع (ص٢٢٨).

الفائدة السادسة والستون

[في ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند العطاس]

فمن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((من عطس فقال: الحمد لله عَلَى كل حالٍ ما كان من حالٍ وصلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ وعَلَى أهل بيته خَرَجَ من منخره الأيسر طائرٌ يقول: اللَّهُمَّ اغفر لقائلها[1])).

وعن ابن عباس مرفوعًا مثله إِلَى قوله: (الأيسر)، وقال بعده: ((طيرًا أكبر من الذباب وأصغر من الجراد يرفرف تحت العرش يقول: اللَّهُمَّ اغفر لقائله[2])).

وفِي رواية ذكرها القزويني فِي العطاس من حديث أبي سعيد الخدري: ((من عطس فقال: الحمد لله عَلَى كل حالٍ ما كان من حالٍ وصلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمَّد وعَلَى أهل بيته خَرَجَ من منخره الأيسر طائرٌ يقول: اللَّهُمَّ اغفر لقائلها[3])) هذا الحديث رواه الديلمي فِي ((مسند الفردوس))، والطبراني فِي ((معجمه)).

ونقل ابن العربي: أنها تدفع الزكاة، وتمنع الحرارة ببركة ذكره.

وذكر ابن الجوزي: أن بعض الصالحين عطس أربع مراتٍ، فقال لـه آخر: عافاك الله فِي الرابعة، وهو يصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، فشُفِي لوقته.

وأفاد مولانا الشيخ شمس الدين محمد المغربي المالكي حفظه الله تعالى: أن ابن القاسم كره الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الذبح فلا يقول: بسم الله وصلَّى الله عَلَى رسول الله ﷺ، وعند العطاس فلا يقول: الحمد لله وصلَّى الله عَلَى رسول الله، وزيد عَلَى الموضعين عند الجماع، وعند العثرة، والتعجب، وإشهار البيع، وقضاء الحاجة، ذكر ذلك ابن ناجي، وزاد بعضهم مواضع الأقذار، ونظَّمها بعض متأخري الأندلسيين فقال:

ذبحٌ عطاسٌ أو جماعٌ عثرةٌ　　وتعجُّبٌ أو شهرةٌ لمبيعِ

---

(١) رواه ابن عدي فِي الكامل (٦/٢٥٥)، والخطيب فِي التاريخ (٨/٢٨)، وذكره الذهبي فِي السير (٨/٢٧)، وفِي الميزان (٦/٣١٣) بنحوه.

(٢) انظر: القول البديع (ص٢٢٥).

(٣) انظر: القول البديع (ص٢٢٧).

أو حاجـةُ الإنـسانِ فاعلم عندها كـرهوا الـصلاةَ عَلَـى أجـلٍ شفيعِ

وزيـد عليها اثنان، وهما: الحمام والأكل، وأضاف إليها مواضع الأقذار، وتمم بِهَا البيـتين السابقين العلامة الشمس الشيخ شمس الدين النتائي، قَالَ القسطلاني أفاد بإملائه حفظ الله تعالى هذا البيت قَالَ فيه:

وكـذلك الحمـام وأكـلٌ مثله ومواضـع الأقـذار للتـرفيعِ

وفِـي «طـبقات الـصوفية»: أن بعض السادة اعتراه عطاسٌ حتَّى كادت أعضاؤه تتفصص من كثرة ما اعتراه من العطاس، فصلَّى عَلَى النبي ﷺ، فأزاله الله تعالى من وقته.

قـال شيخ الإسلام: ولا يرد هذا قول القائل: الاقتصار عَلَى ما ورد من غير زيادةٍ أفـضل دون تكـرارها؛ فإن عبد الله بن عمر قَالَ للذي عطس بجنبه حين قَالَ الحمد لله والـسلام عَلَـى رسول الله: وأنا أقول الحمد لله، والسلام عَلَى رسول الله، اللَّهُمَّ اغفرْ وارحمْ.

ونقـل اليافعـي فِي «روض الرياحين» عن بعض السلف أنه قال: إذا شَمَّت العبد العـاطس ناداه ملك: أصلحك الله وهداك، فإن صلَّى عَلَى محمَّد قَالَ ذلك الملك: اللَّهُمَّ ارحمْ عبدك، واغفرْ لـه، وتجاوزْ عن سيِّئاته، وإن العبد إن صلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ بعد قول الحمد لله وبعد تشميت من شمته عقب عطاسه تساقطت عنه الذنوب.

وذكر النسفِي كلامًا خلاف ذلك.

وقـال أبـو جعفـر الطحاوي: إن الصلاة عليه ﷺ فِي كل موطنٍ تمحق الخطايا، وتهدمها، والحمد لله وحده.

* * *

الفائدة السابعة والستون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند خدَر الرِّجل]

فروى ابن السُّنِّي قال: كنَّا عند ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، فخدرت رجله، فقال لـه رجلٌ: اذكر أحبَّ الناس إليك، فقال: يا محمَّد، صلَّى الله عليك وسلَّم. فكأنما نشط

من عقال[1].

وفي «السنن» للبيهقي قال: خدرت رِجْل رَجُلٌ عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فقال له: اذكر أحبَّ الناس إليك، فقال: محمَّدٌ ﷺ. فذهب خدره[2].

وهي من مجرَّبات مشايخنا عفا الله تعالى عنهم.

وكان البهنسي رضي الله تعالى عنه يخبر أصحابه بذلك، وأخذ الشيخ كريم الدين الخلوتي هذه الكيفية: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى عين أعيان خلقك النبي الكامل الفاتح الخاتم، صلاةً تعافِي بِهَا جسمي، ويفوق بِهَا عملي، ويكثر بِهَا فهمي، وتكون من قسمي فِي كل ما أتقلب به، يا الله، يا الله، يا الله، يا ربِّ، يا ذا الجلال والإكرام، يذهب خدره ويراه.

***

الفائدة الثامنة والستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند طنين الأذن]

فمن ذلك ما ورد عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إذا طَنَّت أُذُن أحدكم فليصلِّ عليَّ، ويقول: ذكر الله بخير من ذكرني[3]» رواه الطبراني.

وفِي رواية: «إذا طَنَّت أذن أحدكم فليذكرني، وليصلِّ عليَّ، وليقل: ذكر الله من ذكرني بخيرٍ[4]».

***

(1) رواه البخاري فِي الأدب المفرد (1/335).

(2) ذكره المناوي فِي فيض القدير (1/399).

(3) رواه الطبراني فِي الكبير (1/321)، وفِي الأوسط (9/92)، وفِي الصغير (2/245)، والبزار فِي مسنده (9/328)، والديلمي فِي الفردوس (1/332).

(4) رواه ابن عدي فِي الكامل (6/113)، والروياني فِي مسنده (1/473).

الفائدة التاسعة والستون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أوَّل الدعاء وأوسطه وآخره]

أجمع العلماء عَلَى استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ. ذكره النووي.

وقال الشافعي: اجعلْ صلاتك عليه فِي أوَّل دعائك وأوسطه وآخره، وانشر بثنائك عليه مقايس مفاخره، فبذلك يكون دعاؤك مستجابًا.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا تجعلوني كقدح الراكب. قيل: وما قدح الراكب؟ قال: إن المسافر إذا فرغ من حاجته صبَّ فِي قدحه ماءً، فإن كان لـه إليه حاجةً توضأ منه أو شربه، وإلاَّ أراقه، اجعلوني فِي أوَّل الدعاء وأوسطه وآخره[(١)])) رواه البيهقي فِي ((شعبه)).

وعن عبد الله بن بشر ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الدعاءُ كله محجوبٌ حتَّى يكون أوَّله ثناءً عَلَى الله ﷻ، وصلاةً عَلَى نبيِّه، ثم يدعو، فيستجاب لـه[(٢)])).

رواه النسائي.

ومن كتاب القضاعي: ((صلاتُكم عليَّ مجوزةٌ لدعائكم[(٣)]))، ((وكلُّ دعاءٍ محجوبٍ حتَّى يصلَّى عليَّ[(٤)])).

كذا فِي ((الكوكب المنير)): ((الدعاء يكون بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيءٌ حتَّى يُصلَّى عليَّ[(٥)])).

---

(١) رواه البيهقي فِي الشعب (٢/٢١٦)، والخلال فِي السنة (١/٢٢٥)، والديلمي فِي الفردوس (٥/٥٧).

(٢) رواه ابن طاهر القيسراني فِي تذكرة الحفاظ (٣/١٠٢٦)، وذكره الذهبي فِي السير (١٧/١١٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الطبراني فِي الأوسط (١/٢٢٠)، والديلمي فِي الفردوس (٣/٢٥٥)، والبيهقي فِي شعب الإيمان (٢/٢١٦).

(٥) ذكره المناوي فِي فيض القدير (٣/٥٤٣).

«الدعاء يُحجب عن السماء، ولا يصعد منه شيءٌ حتَّى يصلِّي عليَّ[1]» المصابيح.

«ما من دعاءٍ إلاّ وبينه وبين السماء حجابٌ حتَّى يُصلِّي عليَّ، فإذا صلَّى عليَّ انخرق ذلك الحجاب، وصعد ذلك الدعاء ببركة الصلاة عليَّ[2]».

ثمرات الأوراق: «ما من دعوةٍ لا يُصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ فيها إلاّ كانت معلقةً بين السماء والأرض[3]».

وروينا عن عطاء أن للدعاء أركانًا وأجنحةً وأسبابًا وأوقاتًا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار فِي السماوات، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه نجح، فأركانه: حضور القلب، والرقة، والاستكانة، والخضوع، وتعلُّق القلب بالله ﷻ، وقطعه من الأسباب، وأجنحة الصدق ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

واعلم أن الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أوَّل الدعاء نورٌ، وفِي أوسطه بهجةٌ، وفِي آخره ارتقاءٌ.

وقال فِي «الكواكب السيَّارة»: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أوَّل الدعاء إجابةٌ، وفِي أوسطه ذخيرةٌ، وفِي آخره فوزٌ ونجاةٌ انتهى.

الفائدة السبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عندما يأتي الطاعون]

فيزيله الله تعالى بذكره.

نقل السخاوي: أن خطيبًا بوردان كان من الصالحين وأخبر ابن أبي حجلة أنه تلقَّى ذلك بالقَبول، وأنه جعل فِي كلِّ حين يقوم، ويقول: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ صلاةً تعصمنا من الأهوال والآفات، وتطهِّرنا بِهَا من جميع السيئات، ثم استدلَّ عَلَى أصل المسألة بأمورٍ خمسة:

أحدها: قوله فِي الحديث: «إذًا تكفى همَّك[4]» وقد سبق.

---

(١) ذكره المناوي فِي فيض القدير (٣/٥٤٣).

(٢) رواه الديلمي فِي الفردوس (٤/٤٧).

(٣) انظر: القول البديع (ص٢٤١).

(٤) رواه الترمذي (٤/٦٣٦)، وذكره ابن كثير فِي التفسير (٣/٥١١).

ثانيها: قوله فِي قصة الناقة المسروقة: «نجوت من عذاب الدنيا والآخرة[١]».

ثالثها: أن الصلاة من الله تعالى رحمةٌ، وأما الطاعون فهو وإن كان فِي حق المؤمنين شهادةٌ ورحمةٌ فقد كان فِي الأصل رجزًا وعذابًا، والمرحمة والعذاب ضدان؛ فلا يجتمعان.

رابعها: قوله فِي الحديث المتقدم فِي أوّل الكتاب: «أنجاكم من أهوالها ومواطنها يوم القيامة أكثركم عليَّ صلاةً فِي الدنيا[٢]»، وأن الصلاة عليه ﷺ تدفع بلاء الآخرة، وتنجي قائلها يوم القيامة عند الكرب فِي الصراط وغير ذلك، فدفعهما للطاعون من باب أولى، وأن الطاعون من أهوال الدنيا، وقد نجّى الله تعالى المصلين عليه ببركة الصلاة عليه ﷺ.

خامسها: أن المدينة لا يدخلها الطاعون ببركته ﷺ، ولا يدخلها الدجَّال، وكل ذلك بسببه وبركة الصلاة عليه ﷺ.

وذكر الجلال السيوطي فِي كتابه «الماعون فِي أحكام الطاعون»: أن من لزم الصلاة عليه ﷺ ينجيه الله ﷻ ببركته.

وقال النووي: يدركه الله تعالى بلطفه ببركة الصلاة عليه ﷺ، وهذا أجزأ سندٍ فيه، إلا الرجاء والاعتقاد، وأن بركة الصلاة عليه ﷺ أعلَى من ذلك، ولله الحمد والمنَّة.

الفائدة الحادية والسبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند قبره الشريف]

قال النووي: ينبغي لمن دخل المسجد الشريف أنْ يصلِّي فِي الروضة الشريفة ركعتين، ثم يأتي القبر الشريف من ناحية قبلته، فيقف عند محاذاة تمام أربعة أذرعٍ من رأس القبر بعيدًا منه ويقف ويجعل القنديل عَلَى رأسه والمسمار الذي فِي حائط الحجرة الشريفة مضروب فِي رخامة حمراء محاذية القنديل، فمن قابل المسمار كان مواجهًا وجه النبيِّ ﷺ، وهو مسمارٌ من فضة، ويقف ناظرًا إِلَى أسفل ما يستقبله بنفسه من جدار القبر الشريف، غاضَّ الطَّرف فِي مقام الخشوع والإطراق والإجلال، ثم يسلم عَلَى النبيِّ ﷺ بقوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبيَّ الله، السلام عليك يا خيرة الله،

---

(١) البديع (ص٢٢٠).

(٢) تقدم تخريجه.

السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيِّين، السلام عليك يا رسول ربِّ العالمين، السلام عليك يا قائد الغرِّ المحجَّلين، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك وعَلَى أهل بيتك الطاهرين، السلام عليك وعَلَى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعَلَى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعَلَى سائر الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين، جزاك الله عنَّا يا رسول الله أفضل ما جازى نبيًّا عن قومه ورسولاً عن أمَّته، صلَّى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك الغافلون، وصلَّى الله عليك فِي الأولين، وصلَّى الله عليك فِي الآخرين أفضل وأطيب وأكمل ما صلَّى عَلَى أحد من الخلق أجمعين، كما أنقذنا بك من الضلالة، وبصَّرنا بك من العمى والجهالة، أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلَّغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت فِي الله حقَّ جهاده، اللَّهُمَّ آته نهاية ما يؤمله الآملون، ثم يدعو لنفسه بما أحبَّ. وهذا ذكره السخاوي فِي «قوله البديع».

الفائدة الثانية والسبعون

[فِي ذكر بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند وداعه ورؤية آثاره الشريفة]

قال النووي فِي «مناسكه الكبرى»: وإذا أراد الوداع يودِّعه بما قدَّمنا ذكره، ويسند إليه: السلام عليك، صلَّى الله وملائكته وأنبياؤه عليك يا رسول الله، استودَعَك محبٌّ من أحبابك، متوجِّهٌ بك، مشتغلٌ بمحبَّتك، وذاكرٌ لك فِي جميع المواطن، راغبٌ فيما جئت بـه مـن الكتاب العزيز، وما قلت من أخبارك، جزاك الله عنَّا خير السلام عليك وعَلَى صاحبيك؛ فإن الله تعالى يجيب من فعل هذا. قاله النووي.

الفائدة الثالثة والسبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند رؤية مواطئ أقدامه ومواقفه الشريفة]

بدليل ما أخرجه البخاري فِي صحيحه من حديث عبد الله مولى أسماء: أنه كان يسمع

أسماء رضي الله تعالى عنها تقول كلما مرَّت بالحجون: صلَّى الله عَلَى رسوله، لقد نزلنا معه ها هنا ونحن خفاف الحقائب. . وتبكي[١]».

وكان الصديق إذا مرَّ بأثر مواطن أقدامه يصلِّي عليه مع الملإ من الصحابة[٢]، ذكر ذلك الطبراني فِي «معجمه».

وفِي كتاب «الدر النفيس» لابن عبد الحكم: الصلاة عليه ﷺ فِي موضع مواطن أقدامه من باب أولى؛ فإنها شاهدةٌ، ولها فضلٌ عَلَى غيرها، وهذا نظرٌ خارقٌ.

وقال اللخمي من المالكية: رأيت رجلاً كان يصلِّي عليه كثيرًا فِي كلِّ موطنٍ، فرئي فِي المنام يتبختر فِي الجنَّة، فقال لـه: بِمَ نلت؟ فقال: شهدت لي مواطئ أقدامه، وإنها أكثر نفعًا وأزيد أجرًا.

وأظن هذا من الخشوع الذي يحصل للعبد عند رؤية مواطن أقدامه وآثاره الشريفة ﷺ

وقال صاحب المصباح: زيارة الصالحين ومواطن بدر ومواطن أقدامه يشفعون فِي زائرهم، ويعرفون من تأدَّب عندهم، وإن شهدا بدرًا زارهم ملأٌ من الصحابة، وإن الزائر المتأدب ينتفع بزيارتهم، ذكر ذلك ملأٌ من العلماء.

وانتفع من حيثية الزائر هو أن يتذكر ما كانوا عليه، وما يهدى لهم من القرآن، وما يحصل لهم من الثواب ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، ووظائف الخير فِي هذه المواطن والصلاة عليه خير الوظائف انتهى.

* * *

الفائدة الرابعة والسبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الذبيحة وبركتها]

عن إمامنا الشافعي هذا وقال فِي «الأم» والتسمية فِي الذبيحة: بسم الله، وما زاد عَلَى ذلك من ذكر الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري (٢/٦٣٧)، ومسلم (٢/٩٠٨)، وأبو نعيم فِي الحلية (٣/٣٣٤).

(٢) لم أقف عليه.

قَالَ السخاوي: الزيادة خيرٌ، ولا يكره مع التسمية عَلَى الذبيحة أن يقول: صلَّى الله عَلَــى محمَّــدٍ، وأحبُّ أن يكثر الصلاة عليه ﷺ فِي سائر الحالات؛ لأن ذكر رسول الله بالصلاة عليه إيمانٌ وعبادةٌ، يؤجر عليها العبد.

قَالَ السخاوي: وممن كره الصلاة عليه فِي هذا الموطن أصحاب أبي حنيفة ذكر أن صاحب المحيط قَالَ ذلك، وقال فيه: إن فِي ذلك إيهام الإهلاك لغير ذكر الله تعالى انتهى.

وكره ابن حبيب من المالكية ذكر الصلاة عليه عند الذبح، ونقل أصبغ عن ابن القاسم قــال: مواصفات لا يذكر فيها إلا الله تعالى: الذبيحة والعطاس، فلا نقل فيهما بعد ذكر الله: محمَّد رسول الله، واختلف أصحاب أحمد، فكرهها القاضي وأصحابه، ولهم فِي هذا أقوال ليس نحن بصددها، وما قلنا هذا إلا لتمام فائدة العلم بهذه المسألة فلا حرج ولا إثم فِي الصلاة عليه ﷺ.

قَالَ الحليمي: كما يتقرَّب العبد إِلَى الله ﷻ بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الصلاة كذلك يتقرَّب بِهَا عند الذبح، وليس ذلك إشراكًا؛ لأنه لا يقال: بسم الله واسم رسول الله، وإنما يقال: بسم الله، وصلَّى الله عَلَى محمَّد، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ عبدك ورسولك.

وقــال الفخر الرازي: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الذبح بركةٌ فيما يذبح، ويجعل الله تعالى فِي الذبيحة البركة، وإن كانت واجبةً كان أجرها أكثر.

وقــال الذهبي: الصلاة على النبيِّ ﷺ عند الذبح بركةٌ فيما أحله الله تعالى، والمقاصد الحسنة لا إشراك فيها، وإنما الإشراك أن يقول: باسم الله واسم رسول الله انتهى(١).

* * *

الفائدة الخامسة والسبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند عقد البيع]

فقــد قــالَ الأردبيلــي فِي «الأنوار»: إنه لو قَالَ المشتري: بسم الله، والحمد لله، والصلاة عَلَى رسول الله قبل البيع صحَّ.

---

(١) انظر: البديع (ص٢١٤).

وقال الغزالي: ليس هذا من مصالح العقد ولا من مقتضياته، ولا من مستحباته، وهو معنًى حسنٌ إذا أَتَى به العبد بعد قبول البيع.

وقال السخاوي: وليس لنا دليلٌ عَلَى استحباب الصلاة عليه عند البيع سوى عموم الروايات فِي قوله: «...كل أمرٍ ذي بالٍ[1]»، وبالله التوفيق.

وقال ابن القطان: إذا عاقد وأَتَى بشروط البيع وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ بنيَّة البركة فِي بيعه قَالَ خيرًا كثيرًا وربحًا زائدًا باعتقاده.

وقال الجلال السيوطي: الحكم الشرعيُّ إذا تعاطاه العبد وعمل بشرطه، وصلَّى عَلَى النبي ﷺ بعد إتمام الشروط حصلت له البركة بهذه النية والقصد، وعَلَى كل حالٍ ثواب الصلاة عليه من حيثية جهة العمل والبركة فِي التعاطي حاصلةٌ فِي جميع ما يتقلَّب ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ انتهى.

* * *

الفائدة السادسة والسبعون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند كتابه الوصيَّة]

ذكر ذلك بعض المتأخرين، واستدل بما نقل ابن دينار عن الحسن البصري أنه لمَّا حضرت أبو بكر الوفاة قال: اكتبوا وصيَّتي. فكتب الكاتب: هذا ما أوصى به أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ عند الموت. فقال: كتبي عند الموت: أبح هذا، واكتب هذا ما أوصى به نقيع الحبشي مولى رسول الله ﷺ، وهو يشهد أن الله ﷻ ربُّه، وأن محمدًا ﷺ نبيُّه، وأن الإسلام دينه، والكعبة قبلته، وأنه يرجو من الله تعالى ما يرجو المعترفون بتوحيده، والمقرون بربوبيته، وذكر الوصية.

وكتب الواسطي فِي وصيته: هذا ما أوصى به أحمد بن محمد الواسطي، كان يشهد بوحدانية الله تعالى وبرسالة رسول الله ﷺ سالكًا عَلَى قدمه الصحابة والتابعين، ثم كتب ما أوصى به، ورأيت أن الحسن البصري لمَّا احتضر كتب مثل ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال الحافظ الذهبي: أمر أن يكتب وهو عَلَى حياض الموت: هذه وصيةٌ من الحسن البصري، الشاهد لله تعالى أنه واحدٌ أحدٌ، وأن محمدًا ﷺ جاء بالبينات والهدى إِلَى جميع الإخوان والأصحاب إِلَى تمام وصيته.

وكتب السراج الكوفي فِي وصيته: عبدٌ أقرَّ لله تعالى بربوبيته، واعترف لنبيِّه برسالته، وصلَّى عليه وعَلَى آله وصحابته، ثم كتب ما أوصى به، وهذا آخر شاهدٍ يؤيِّد هذه الفوائد.

* * *

الفائدة السابعة والسبعون

[فِي بركة ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند التزويج]

قال النووي فِي «الأذكار[(١)]» فِي ذكر ذلك: يستحب أن يبدأ الخاطب بالحمد لله والثناء عليه والصلاة عَلَى رسوله ﷺ، ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله، راغبًا فِي فتاتكم فلانة، أو فِي كريمتكم بنت فلانٍ، ويذكر ما شاء، وإن طلبوا منه مهرًا توافق معهم.

وقال إمام الحرمين: الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي الخطبة تزوجها، وإن قضيت حاجتها كانت زوجةً مباركةً.

وفِي كتاب «الإمداد» قَالَ الغساني: كان فِي بني الوحيد جارية خطبهَا رجلٌ من بني طيِّئ، وكان المخزومي ورفاعة المدركي والإمام الغساني وجماعةٌ من التابعين فصلَّى الخاطب ركعتين، وبسط يديه، وحمد الله ﷻ، وأثنى عليه، وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ، وطلب العروس، فأجابوا أهلها، فقال رفاعة المدركي: ما أبركها من عروسٍ ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، فكان الأمر كما قال، وكان من ذريتها من جاءت بيونس بن عبد الأعلى الصدفي، ذكره صاحب كتاب «الآداب» فِي الباب الحادي عشر فِي المكرمات من البنات، وذكر والدة عمر بن عبد العزيز، ووالدة الإمام الشافعي، وذلك ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، وزاده شرفًا وكرمًا ومهابةً وتعظيمًا، وذكر مائة كريمةٍ تزوجتها الصحابة والتابعون بالصلاة عليه ﷺ.

---

(١) فِي (ص١٢١).

الفائدة الثامنة والسبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند إرادة السفر]

لأيِّ شيءٍ أراد، فمن ذلك:

قال ابن عباس: اتفق رأي الصحابة فِي سفرهم وطلب حاجاتهم المهمة ونتاج مقاصدهم بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أول ما يطلبون السفر، وكان السلف والخلف عَلَى هذا يكثرون من الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي أسفارهم، وفِي طلب مقاصدهم، فيرون الغنيمة والفوائد ببركة الصلاة عليه ﷺ، وشرُف، وكرُم.

الفائدة التاسعة والسبعون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند إرادة النوم]

فمن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من أوى إِلَى فراشه ثُمَّ قرأ: تبارك الذي بيده الملك، ثم قال: اللَّهُمَّ ربَّ الحِلِّ والحرام، وربَّ الركن والمقام، وربَّ المشعر الحرام، بحقِّ كلِّ آيةٍ أنزلتها فِي شهر رمضان بلِّغ روح محمَّد تحيةً وسلامًا أربع مرات، وكَّل الله به ملكين حتَّى يأتيا محمدًا، فيقولا له: إن فلانًا بن فلان يقرئك السلام ورحمة الله. فأقول له: عَلَى فلان بن فلان منِّي السلام ورحمة الله وبركاته[1]» أخرجه الديلمي فِي «مسند الفردوس».

الفائدة الثمانون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند ركوب الدابَّة]

فمن ذلك حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «من قَالَ إذا ركب دابَّةً: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ، سبحانه ليس له سميٌّ، سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنَّا له مقرنين، وإنَّا إِلَى ربِّنا لمنقلبون، والحمد لله ربِّ العالمين،

(١) رواه أبو الشيخ فِي طبقات المحدثين (٣/٤٣٤).

وصلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ وعليه السلام، قالت الدابَّة: بارك الله فيك من مؤمنٍ، خففت عـن ظهـري، وأطعـت ربَّـك، وأحسنت إِلَى نفسك، بارك الله فِي سفرك وأنجح حاجتك[1]» أخرجه الطبراني فِي الدعاء.

الفائدة الحادية والثمانون

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها لمن قلَّ نومه]

ذكـر ابـن بشكوال عن عبدروس الرازي أنه وصف الإنسان قليل نومه، فقال: إذا أردت أن تنام فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠] إِلَى آخر السورة، وقل: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى عبدك ونبيِّك وحبيبك صلاةً يطمئن بِهَا فكري، ويهدأ بِهَا روعي، ويزول بِهَا قلقي، وارزقني؛ إنَّك عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ، فزال قلقه ونام.

قلـت: وهـي مـن مجـرَّبات السلف والخلف، وقد وقفت عَلَى هذه العشر فوائد فجمعـتها، ورأيت أن من أراد السفر وصلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ كان سفره مباركًا، وذكر هذا الـدعاء: اللَّهُـمَّ إنِّـي أتوسَّل إليك بك وببركة نبيِّك ﷺ أن تجعل سفري هذا مباركًا، وتحفظـني فِيْهِ من كيد كل كائدٍ، ومكر كل ماكرٍ: من قائمٍ وقاعد يرصدني أو يطلبني، اللَّهُـمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ النبيِّ الكامل المليح الوجه الكثير الأنوار؛ فإن سفره يكون مباركًا، ولا يرى فِيْهِ سوءًا أبدًا.

وهذه العشر فوائد:

الفائدة الأولى

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند الخروج إِلَى السوق]

ومـا لـه من الأجر والانصراف من دعوةٍ، فمن ذلك ما نُقل عن البغدادي أنه قال: كـان ابن عباس كثير الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ فِي سائر المواطن، وما رأيته ترك الصلاة عليه

---

(١) في دعاء الطبراني (١/٢٤٧).

فِي حاجةٍ ولا مأدبةٍ ولا ختانٍ ولا جنازةٍ وغير ذلك، وفِي سائر أشغاله وخطراته وخطواته، نقله القاضي تاج الدين البغدادي.

وكان عبد الله بن مسعود مشتغلاً بالصلاة عليه ﷺ فِي سائر المواطن، وكان إذا خَرَجَ إِلَى السوق يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، لـه الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو عَلَى كل شيءٍ قديرٌ، وصلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ خاتم النبيين، وإمام المتَّقين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين، يا عباد الله وحِّدوا الله. رواه ابن عطاء وابن أبي جمرة فِي كتابه «بهجة النفوس».

الفائدة الثانية

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند دخول المنزل]

ذكر أبو السعود المفتي فِي تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٦١] قال: إن لَمْ يكن فِي البيت أحدٌ فقل: السلام عَلَى النبيِّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعَلَى عباد الله الصالحين، السلام عَلَى أهل البيت ورحمة الله وبركاته.

قال السخاوي: وجاء عن ابن عباس أن المراد بالبيوت هنا: المساجد(١).

وقال النخعي: إن لَمْ يكن فِي البيت أحدٌ فقل: السلام عَلَى رسول الله، وإن كان فِيْه أحدٌ فقل: السلام علينا وعَلَى عباد الله الصالحين.

الفائدة الثالثة

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند افتتاح الرسائل(٢)]

فمن ذلك ما روي عن حماد بن سلمة عن مكاتبة المسلمين كانت فِي الصدر الأول: مـن فلان بن فلان إِلَى فلان بن فلان، أما بعد: فسلام الله عليك، فإني أحمد الله الذي لا

---

(١) انظر: القول البديع (ص٢١٨).

(٢) انظر: القول البديع (ص٢١٩).

إله إلا هو، وأسأله أن يصلِّي عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ ويذكر ما شاء.

قال النووي: وقد أحدث الزنادقة هذه المكاتبات التي أوَّلها: أطال الله بقاءك، واصطلحوا عَلَى ألفاظ يقدِّمونها، وتركوا ما كان عليه السلف، فالأمر لله تعالى.

وفي كتاب «الأوائل»: إن أول من صدَّر الرسائل بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ هارون الرشيد، وذكر النووي النهي عن لفظة: أطال الله بقاءك، وزخرفة الكلام بالسجع.

الفائدة الرابعة

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركة ذكرها عند البسملة]

قال الإمام الغزالي فِي «منهاج العابدين»: هي من سُنَّة الخلفاء الراشدين، التي أمر بِهَا سيِّد المرسلين ﷺ، وكان معاوية وغالب بني أمية يكتبونها بالتبعية، وإنها بركةٌ ومباركةٌ استحسنوها(١).

الفائدة الخامسة

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الهمِّ والكَرب]

فمن ذلك ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ عسر عليه شيءٌ فليُكثر من الصلاة عليَّ؛ فإنها تحلُّ العُقد وتفرِّج الكرب(٢)» رواه الطبراني.

وعن عليِّ بن أبي طالب ﷺ: أنه كان إذا لحقه كربٌ قام وتوضَّأ، وصلَّى ركعتين، وقال فِي دبر صلاته: اللَّهُمَّ أنت ثقتي فِي كل كربٍ، وأنت رجائي فِي كل شدةٍ، وأنت لي فِي كل أمرٍ نزل بي ثقةٌ وعدةٌ، فكم من كربٍ قد يضعف عنه الفؤاد، وتقل فِيْهِ الحيلة، ورغب عنه الصديق، ويشمت به العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، ففرَّجته، وكشفته، فأنت صاحب كل حاجةٍ، ووليُّ كل نعمةٍ، وأنت الذي حفظت الغلام بصلاح أبويه، فاحفظني بما حفظته به، ولا تجعلني فتنةً للقوم الظالمين، اللَّهُمَّ إنِّي أسألك بكل اسمٍ هو

(١) انظر: القول البديع (ص٢١٩).

(٢) انظر: القول البديع (ص٢١٩).

لك، سميته فِي كتابك، أو أعلمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فِي علم الغيب عندك، وأسألك بالاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي إذا سُئِلت به كان حقًا عليك أن تجيب أن تصلِّي عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آل محمَّدٍ، وأسألك أن تقضي حاجتي، وتسأل حاجتك[1].

الفائدة السادسة

[عند إلمام الفقر والحاجة وخوف وقوع ذلك]

ودفع ذلك كله بالصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، روى سمرة وسهل بن سعد ﷺ: أن من خاف وقوع الفقر والفاقة قال: اللَّهُمَّ بك أدرأ فِي نحور أعدائي، وما نزل بي من الفقر، يا غنيُّ يـا فتَّاح، يا باسط، يا جوَّاد، يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى خيرتك من خلقك، ونخبة عبادك، وصفوة أهل ودادك، اللَّهُمَّ إنَّك تعلم ما نزل بي من الفقر والحاجة والفاقة، وأنا خائف وقوع ذلك، اللَّهُمَّ أمِّنا ببركة نبيك، وأدخلنا فِي كنفه، واجمعنا عليه، وشفِّعه فيـنا، وصـلِّ عليه وعَلَى آله وأصحابه وأهل بيته الطاهرين، ما دام الديموم، وازهرَّت الـنجوم، وأضـاء النهار، يا الله، يا الله، يا الله، ويسأل ما شاء؛ فإنها من المجرَّبات، ذكره الغوث فِي «كشف الشدائد».

الفائدة السابعة

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الغرق]

حكى الفاكهاني فِي كتابه «الفجر المنير» قال: أخبرني الشيخ الصالح موسى العزيز: أنه ركب فِي مركب البحر المالح، قال: فلمَّا سرنا فيه، قامت علينا ريحٌ، تسمَّى الإقلابية، قلَّ من ينجو منها من الغرق، فنمت، فرأيت النبي ﷺ، وهو يقول لي: قل لأهل المركب يقـول ألـف مـرةٍ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّد صلاةً تُنجينا بِهَا من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بِهَا جميع الحاجات، وتطهِّرنا بِهَا من جميع السيئات، وترفعنا بِهَا عندك أعلَى الـدرجات، وتبلغـنا بِهَا أقصى الغايات من جميع الخيرات فِي المحيا وبعد الممات. قال:

(١) رواه الطبري فِي التاريخ (٣/٣١٨)، وذكره الذهبي فِي السير (٣/٣٠١).

فاستيقظت، وأخبرت أهل المركب بالرؤيا، فصلَّينا نحو ثلاثمائةٍ، ففرَّج الله تعالى عنَّا، وأسكن عنَّا الريح ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

قال الإسنوي: من قالها فِي كل مهمٍّ ونازلةٍ وبليَّةٍ ألف مرةٍ فرَّج الله تعالى عنه، وأدرك مأموله(١).

الفائدة الثامنة

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عقب الذنب وبركتها فِي تكفير الذنوب]

لما ورد عنه ﷺ أنه قال: «صلّوا عليَّ؛ فإنَّ الصلاةَ كفَّارةٌ لكم(٢)»، وفِي حديث أنس: «كفَّارةٌ لذنوبكم(٣)»، وعن أبي هريرة: «زكاةٌ لكم(٤)».

الفائدة التاسعة

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند الحاجة]

قال الغزالي: إن العبد إذا ذكر الله ﷻ فِي السرَّاء ونزل به ضرٌّ قالت الملائكة: صوتًا معروفًا اشفعوا له إِلَى ربِّه، أمِّنوا عَلَى دعائه، فليكشف الله تعالى عنه، ويقضي حاجته.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: «من كان له إِلَى الله حاجةٌ فليصمْ نهار الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا كان يوم الجمعة تطهَّر وراح إِلَى المسجد، فتصدَّق بصدقةٍ قلَّت أو كثُرت، فإذا صلَّى الجمعة قال: اللَّهُمَّ إنِّي أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، الذي ملأت عظمته السماوات والأرض، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت القلوب من خشيته أن تصلِّي

(١) انظر: القول البديع (ص٢١٩).

(٢) أخرجه ابن شاهين فِي (الترغيب) (١٩)، وذكره ابن القيم فِي جلاء الأفهام (ص١٣٤).

(٣) انظر: مسالك الحنفا (ص٣٩٨).

(٤) تقدم تخريجه.

عَلَى محمد ﷺ، وأن تقضي حاجتي، وهي كذا وكذا؛ فإنه يُستجاب له إن شاء الله تعالى، وكان يقول: لا تعلموه سفهاءكم؛ لأن لا يدعو به أحدٌ فِي مأثمٍ أو قطيعة رحمٍ» رواه أبو موسى المديني[١].

الفائدة العاشرة

[فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند العمى]

قال الإمام العالم عبد العظيم المنذري فِي رسالته «زوال الظمأ فِي ذكر من استغاث برسول الله ﷺ فِي الشدة والعمى»: بلغني أن رجلاً ضرير البصر أَتَى النبي ﷺ، فقال: ادعُ لي أن يعافني. فقال: «إن شئت أخَّرت ذلك؛ فهو خير لك، وإن شئت دعوت الله». فقال: ادعُ الله. فأمره النبي ﷺ أن يتوضَّأ، ويصلِّي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء، وهو: اللَّهُمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ ﷺ، نبيِّ الرحمة أن تُغيثني مما حلَّ بِي؛ إنَّك عَلَى كلِّ شيءٍ قدير[٢]، ففعل ذلك فنوَّر الله تعالى بصره.

وفِي لفظ السخاوي: عن ابن حنيف: فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويدعو الله تعالى بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ إنِّي أتوجه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرحمة، يا محمد، إنِّي أتوجه بك إِلَى ربي فِي حاجتي هذه، فتقضيها لي، اللَّهُمَّ شفِّعه فيَّ، وذكِّرني ديني.

وفِي لفظٍ آخر عن عثمان بن حنيف: أنه سمع النبي ﷺ، وسبب ذلك أنه جاء رجلٌ ضريرٌ فشكى إليه ذهاب بصره، وقال: يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شقَّ عليَّ، فقال: ائت الميضأة، فتوضأ، ثم صلِّ ركعتين، ثم قل: اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيك محمد ﷺ نبيِّ الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إِلَى ربِّي، فتجلى لي عن بصري، اللَّهُمَّ شفِّعه فيَّ، وشفِّعني فِي نفسي، قَالَ عثمان: فوالله ما تفرَّقنا ولا طال بنا الحديث حتَّى دخل الرجل، وكأنه لَمْ يكن به ضرٌّ قط ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ[٣].

(١) انظر: القول البديع (ص٢٢٨).

(٢) رواه أحمد (١٣٨/٤)، وابن خزيمة فِي صحيحه (٢٢٥/٢)، والحاكم فِي المستدرك (٤٥٨/١).

(٣) رواه الطبراني فِي الكبير (٣٠/٩)، وفِي الصغير (٣٠٦/١)، والحاكم فِي المستدرك (٧٠٧/١).

ومن المستغيثين به أن: رجلاً شكا المرض ووجع العينين، فقال: قمْ، وتوضأ، وصلِّ ركعتين، وقل: اللَّهُمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد ﷺ أن تقضي حاجتي، اللَّهُمَّ صلِّ عليه عدد من طلب وعدد من رغب وعدد ما كانَ وما يكون، وأوصلني وما سألتك ببركته يا غياث المستغيثين، وصلِّ الله عَلَى محمَّدٍ وعَلَى آله وأصحابه وذريته وأنصاره وتابعيه وحزبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وسلامٌ عَلَى المرسلين، والحمد لله رب العالمين. ففعل الرجل ذلك، فكأنه حُلَّ من عقال[1].

ومن غريب ما حكاه الإمام الذهبي قال: كان بجواري رجلٌ ضريرٌ، وكان كثير الصلاة، وكان يتردد إليَّ، فسألته: يا فلان ما تدعو أن يزيل ما بك؟ فقال: ما أقول؟ فقلت له: صلِّ عَلَى النبي ﷺ، وادعو؛ فإنه لا يخيِّبك. فتوضأ من ساعته، وجاء إِلَى منزله، فوالله ما خَرَجَ منه إلا جيِّد البصر حديد النظر، وجاءني مستبشرًا، وحلف أنه لا يقطع ذكر النبيِّ ﷺ فِي جميع حركاته وأموره وتوجهاته، وليس ذلك ببعيدٍ عَلَى الله ﷻ.

ومن محاسن فوائد الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ: أن رجلاً من البصرة حجَّ بأولاده وجماعته، فلمَّا قرب من مكة انتقل بالوفاة، فوجدوه ميِّتًا، وانقلب وجهه وجه حمارٍ، فتنافسوا عليه، وكانوا الفضيحة إذا غسَّلوه أو أظهروا الناس عَلَى أمره، وكانوا يعهدون منه الدين والخير، وكان له ولدٌ، فدخل عليه وهو يبكي، فلمَّا أراد الخروج من عنده وإذا برجلٍ جميل الصورة يلوح النور من وجهه قد دخل عليه ومسح عَلَى وجهه فزالت تلك الصورة وعاد وجهه لمَّا كان عليه، وازداد نورًا، فأخذ بديله، وقلت له: من أنت؟ قال: أنا نبيُّك محمد بن عبد الله، كان والدك كثير الصلاة عليَّ، لكنه كان مُرائيًا، وإن الله ختم فِي كتابه أن المرائي يمسخ الله عَلَى صورته وجهه وجه حمار فِي دار الدنيا أو فِي الآخرة، فشفعت فيه، فجاءه ما ترى ببركة صلاته عليَّ، وإن أهل الدياثة[2] لا يشمُّون للجنَّة رائحةً، وإن تابوا ودخلوا الجنَّة يرسل الله عليهم زكامًا، فأفاق وهو يصلي عَلَى النبيِّ ﷺ، وَآلَى عَلَى نفسه لا يقطع الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) الدِّياثة: يُقال: رجلٌ ديُّوث: أي يديِّث نفسه عَلَى أهله، فلا يبالي ما يُنال منهم، أي الذي لا يغار عَلَى عرضه.

ولم أرَ لهذه الكيفية روايةً غير المناسبة لما حكاه السخاوي فِي كتابه، فنقله عمَّا حكاه عــن الشيخ حفص أبو عمر بن الحسن السمرقندي فيما رواه عن بعض مشايخه عن أبيه قــال: سمعت رجلاً بالحرم وهو كثير الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ حيث كان من الحرم والبيت وعــرفة ومِنى، فقلت: أيُّها الرجل إن لكل مقامٍ مقالاً، فما بالك لا تشتغل بالدعاء، ولا بالتطوع ولا بالصلاة سوى أنك تصلي عَلَى النبي ﷺ؟! فقال: إنِّي خرجت من خراسان حاجًّا إِلَى هذا البيت، وكان والدي معي، فلمَّا بلغنا الكوفة اعتلَّ والدي، وقويت به العلة، فمات، فلمَّا مات غطيت وجهه بإزار، ثم غبت عنه، وجئت إليه، فكشفت وجهه لأراه فــإذا صورته كصورة حمارٍ، فحين رأيت ذلك عظُم عندي وتشوشت بسببه، وخرجت حــزينًا، وقلــت لنفــسي: كيف أُظهر للناس هذا الحال الذي صار فيه؟! وقعدت عنده مهمــومًا، فأخذتني سِنةٌ من النوم، فنمت، فبينما أنا نائم إذ رأيت فِي منامي كأنَّ رجلاً دخل علينا وجاء إليَّ عند والدي، وكشف عن وجهه، ونظر إليه، ثم غطَّاه، ثم قَالَ لي: ما هذا الغمُّ العظيم الذي أنت فيه؟! فقلت: كيف لا أغتمُّ وقد صار والدي بهذه المحنة! فقال: أبــشر؛ فإن الله قد أزال عن والدك هذه المحنة. قال: ثم كشفت الغطاء عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع، فقلت للرجل: من أنت؟ فقد كان قدومك مباركًا، فقال: أنا المصطفى. فلمَّــا قَــالَ ذلك فرحت فرحًا عظيمًا، وأخذت بطرف رِدائه، فلففته عَلَى يدي، وقلت لــه: بحقِّ الله يا سيدي يا رسول الله ألا ما أخبرتني بالقصة، فقال: إن والدك أكل الربا، ومن حكم الله ﷻ أن من أكل الربا يحوِّل الله تعالى وجهه عند الموت كصورة حمارٍ، إمَّا فِي الدنيا، وإمَّا فِي الآخرة، ولكن كان من عادة والدك أنه يصلِّي عليَّ فِي كل ليلةٍ قبل أن يــضطجع عَلَى فراشه مائة مرةٍ، فلمَّا عرفت لــه هذه المحنة من أكل الربا جاءني الملك الــذي يعرض عليَّ أعمال أمَّتي، فأخبرني بحال والدك، فسألت الله، فشفَّعني فيه. قال: فاســتيقظت، وكــشفت عــن وجهه، وإذا هو كالقمر ليلة البدر، فحمدت الله تعالى، وشكرته، وجهزته، ودفنته، وجلست عند قبره ساعةً، وإذا بهاتفٍ يقول لي: تعرف هذه العناية التي حفت والدك كان سببها؟ قلت: لا. قال: سببهَا الصلاة والسلام عَلَى رسول الله ﷺ. فقال لــه: لازمها عَلَى أيِّ حالةٍ كنت، وفِي أيِّ مكانٍ كنت.

والحكايــات فِي هذا المعنى كثيرةٌ، لو استمرت الكتابة عَلَى مدى الدهور والأعوام وتعاقب العصور والأيام لَمْ يحصروا ذرةً، ولم يبلغوا من قطرات فضله قطرةً، ولو قيل إن

إجابات المتوسلين بجاهه عقب توسلهم تتضمن معجزاتٍ كثيرةً بعد التوسلات لكان أحسن، فلا يطمع حينئذٍ فِي عدِّ معجزاته أحدٌ، ولو ملأ الدفاتر؛ فإنه لو بلغ ما بلغ منها فإنَّه خاسرٌ قاصرٌ، وقد انتدب لها بعض العلماء الأعلام فبلغت ألفًا، وايم الله لو أمعن النظر لزاد منها آلافًا، وعدَّ لي بعض الإخوان ألف معجزةٍ وقعت له مع النبيِّ ﷺ: من شفاعاتٍ وعناياتٍ ببركة الصلاة عليه، زاده الله شرفًا وكرمًا ومهابةً ورفعةً وتعظيمًا، فإذا كانت هذه اتفاقات وقعت لرجلٍ من أتباعه أكرمه الله تعالى بهذه الألف وما زاد عليه الوصف، وإن عدَّ الفقير ما أكرمه الله تعالى من النعم بسببه لمكث السنين والدهور والأشهر، والعبد إذا حسب عليه وانتسب إليه لا يعترض عليه فيما قال، ولو شطح واستطال وجال فيما جال فِيْهِ الأبطال فإن الرجال ما تُعرف إلاَّ فِي ذلك الحال، ولله الحمد عَلَى كل حالٍ، فإني من بعض خدَّام هذه الأعتاب، اللائذ بهذا الجناب.

وكان شيخنا أبو الحسن يراه كثيرًا، زادت مرائيه عن المائة والثلاثين مرةٍ، وكان يراه وهو يصلِّي عليه صلاة الروح، وأعطاه وهو يصلِّي عليه علامةً فِي إصبعه الشاهد، وكنا نراها كالحزمة فِي إصبعه، وقال له فِي مرة: الموعد فِي الموقف، فإن لَمْ ترَني فعند الحوض، فإن لَمْ يتيسَّر فباب الجنَّة.

وفِي هذه المواطن إشاراتٌ خفيَّةٌ، ذكرتها فِي حل رموز دقائق السادة الصوفية.

ومن نعم الله تعالى عَلَى الفقير أني سألته الشفاعة ويدي فِي يده الشريفة، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، فوعدني، وقال لي: اصبر ثلاث مراتٍ، وفِي مرةٍ أخرى رأيته جالسًا وأنا واقفٌ بين يديه لمَّا أساوي جلسته، فتعجب من ذلك، وقلت: يا رسول الله، هل صحَّ أنكم جئتم إلَى مصر؟ فقال: أرسلنا إليها، ومن حين خرجنا من مكة ما عدنا إلا عام الفتح.

ومن مزيد نعمة الله تعالى عليَّ وكرمه أن أخينا فِي الله تعالى الشيخ موسى رأى النبيَّ ﷺ، وسأله الدعاء، فقال: قلْ له لفلان فأعاد عليه القول، فقال له: إني أخيه، فقال له: بما وصل؟ فقال: بكثرة صلاته عليَّ فِي الأماكن المهجورة، فأعاد عليه القول، فقال: كيف لا أحبُّ رجلاً يُحيي الليل بذكرنا فِي الأماكن الخربة المهجورة، فأفاق باكيًا، وأخبرني بما رأى، فسررت بهذه البشارة.

ومن نعم الله تعالى ما أخبرني به أخي فِي الله تعالى الشيخ مصطفى أنه رآه ﷺ، وقال

لـــــه: بـــشِّر فلانًا أن الله زواه عن أهل الدنيا، فحمدت الله تعالى عَلَى هذه النعمة، ولم يتيسَّر لي بعد هذه البشارة اجتماعٌ بأحدٍ من أهل الدنيا.

ومـــن كرمه ﷺ أن بعض الإخوان قَالَ لـــه: قل لفلان يبشِّر جماعته أن المصلين عليَّ يأتـــون عَلَى نُجُبٍ(١) من نورٍ، يجلسون فِي ميدانٍ من نورٍ، والخلق فِي كرب الحساب، فعرفت الإشارة، وأرجو الله تبارك وتعالى أن يحقِّقها، ولو ذكرت ما حقَّني الله تعالى من مـــزيد فضله لطال الحضر، ومع ذلك لا أدري ما يفعل الله تعالى بي؛ لعجزي، وضعفي، وزيادة كسلي، وقصوري، والعاجز والضعيف ما لـــه سوى الطيف، ومواهب الله تعالى قِـــسمٌ، وإني أخـــاف الله تعالى، وأخشاه، وأسأله ألا يفضحني يوم لقائه، ويتفضل عليَّ بجوده وإحسانه؛ فإنَّه مقلِّب القلوب، ومغيِّر الأحوال، فلا أمان لي حتَّى تخرج الروح من الجـــسد، والعبد الفقير ليس لـــه عَلَى معاتبته جَلد، وليس لـــه طاقةٌ بنارٍ زاد لهيبها، ولا بجماعـــةٍ اشـــتدَّ تعذيبها، وسألتك بالله أيُّها الناظر فِي هذا الكتاب دعوة أخٍ مسعِف من الأحـــباب، فإن الفقير فِي باب رجائه قد تاب، ومن شدة خوفه قد ذاب، ومن خوف فـــضيحته قـــد شاب، وهو يسأل الله تعالى الإقاله مما اكتسبه من الخطايا والذنوب، وأن يـــستره عـــنه، ويتوب ويجود عليه بستر سائر العيوب، فإنه يعلم الغيب، ويستر العيب، وصـــلَّى الله عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ فِي الأول والآخر والباطن والظاهر؛ فإنه عالم بما كان وما يكـــون، سُـــبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ عَلَى المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) النجب: هي عتاق الإبل التي يسابقون عليها، ومفردها نجيب.

الباب الثالث

[فِي محاسن أسمائه ﷺ]

وذكـــر ما فِي الكتاب من معانٍ وألفاظٍ قرَّرها المحدِّثون والحفَّاظ فِي محاسن ألفاظهم، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فمن محاسن أسمائه ﷺ: محمد وأحمد، هذين الاسمين ما تَسمَّى بهما أحدٌ قبل زمانه.

فأما أحمد: فقد بشَّر به عيسى عليه السلام.

وأمـــا محمد: فلم يتَّسم به أحدٌ من العرب ولا غيرهم إِلَى قرب مولده، وللعلماء فِي ذلك أقوالٌ، ولسنا بصدد هذا.

وقال بعضهم: أسماؤه الشريفة تسعةٌ وتسعون اسمًا، عدد الأسماء الحسنى.

وأفاد السخاوي: أربعمائة وثلاثون اسمًا، وأفاد بعضهم: ثلاثمائة اسم، وشرح ألفاظها، واستخرج لها معانيَ، وجمع بعضهم ألف اسمٍ لله تعالى، وأتبعها بألف اسمٍ لـــه ﷺ، وأتى لكل اسمٍ بدليلٍ من القرآن الشريف، منها ما هو صريحٌ وكناية.

ولو تداولنا هذه الأقوال لطال الشرح، وها أنا أُبيِّن لك ذلك(١).

فصل فِي أسماء النبيِّ ﷺ

محمد، أحمد، طه، يس، المزمِّل، المدثِّر، النبيُّ الأميُّ، الأبرُّ بالله، الأبطحيُّ، الزمزميُّ، أتقى الناس، الأتقى به، الأتقى لله، أجود الناس، الأحد، أحسن الناس، الآخذ بالحجزات، الأول، الآخر، الأمين، الصادق، آخذ الصدقات، أحيد أمتي عن النَّار، الأخشى لله، أُذُن خير، الآمر بالخير، الناهي عن المنكر، أرجح الناس عقلاً، أرحم الناس بالعيال، البشرى، الواسط، الواسع، الواضح، الواعد، الواعظ، أشجع الناس، الأصدق فِي الله، أطيب الناس

---

(١) انظر: عقد الزبرجد في شرح اسمه محمد للأحمدي، وإبداء الخفا شرح أسماء المصطفى للحرالي، فخر الأبرار لما تضمنه اسم محمد من الأسرار للخليلي، والنهجة السوية شرح الأسماء النبوية للسيوطي، أسماء الرسول لابن فارس، وتذكرة المحبين للرصاع، جميعها بتحقيقنا، تحت قيد الطبع.

ريحًا، الطيب، الأعز، الأعلم بالله، أكثر الأنبياء تبعًا، أكرم الناس، الوَرِع، الوسيلة، الوفي، المولى، وليُّ الفضل، أكرم ولدِ آدم، إمام الخير كله، قائد الخير كله، ولي الأمر كله، إمام الخير، إمام الرسل، إمام المتقين، إمام النبيين، الإمام الآمر، الآمن، أمين أمته، أمنة أصحابه، أنعم الله به، أوَّل شافعٍ، أول مُشفَّع، وأول المسلمين، أول المؤمنين، صاحب البرهان، القائد، الناجز، الناشئ، الناشر، الناصب، الناصح، الناصر، الناطق، نبيُّ الأحمر، نبيُّ الأسود، نبيُّ التوبة، نبيُّ الرحمة، نبيُّ الزحمة، النبيُّ الصالح، نبيُّ المرحمة، نبيُّ الملحمة، نبيُّ الملاحم، النبيُّ، النجم الثاقب، النجم الزاهر، النذير، النسيب، البشير، البصير، بُشرى عيسى، بُشرى موسى، بشير آدم، بشير الملائكة، البليغ، باب البيِّنة، باب القيامة، باب الله، النعمة، نعمة الله، النقيب، النقيُّ، النور، الهادي، الهاشميُّ، الميسِّر، المؤيَّد، الوليُّ، المؤمن، الموقَّر، الموحَى إليه، المؤتَى جوامع الكَلِم، المؤتَمن، المهيمن، المهدي، المهتدي، المهاجر، المنير، المنيب، التالي للكتاب، التذكرة، التقيُّ، التِّهاميُّ، ثاني اثنين، ثابت الحجَّة، ثالث ثلاثةٍ، المؤيِّد، المؤمن، المولي من شاء، الموتر، المؤتَمِن، أعطاه الله جوامع الكلم، المنصور، المنصف، المختار، المنزَّل عليه، المنذر، المنتصر، المنادى، ملقى القرآن، مانع الأعداء، الممنوع عن كل خاطرٍ، وذو الملاحمي، المكِّي، المكين، المكفى، المكرَّم، المقيم، القيِّم، المعضود عليه، المقفى، وقيل: بزيادة تاء بعد القاف، مقيم السنة بعد الفترة، المقدس، المقتفِي يعني: اقتفى النبيين بالعصمة، المقتصد، المفضَّل، الفاضل، المفضال، الفضل، معلم أمته، المعلم، المعلي، المظفَّر، العزيز، المعصوم، المعطي، المعقب، المُصلح، المصلَّى عليه، المتصرف، المصناع، المطهِّر، المطهَّر، المطَّلع، المطيع، الجبار: معناه كثير الهيبة والجلال، المُجد، الجواد، الخاتم، الحاشر، الحافظ، الحاكم بما أراه الله، الحامد، الحامل لواء الحمد، الحبيب، حبيب الرحمن، حبيب الله، الحجازي، الحجَّة عَلَى سائر العباد، الحجَّة البالغة، حرز الأعين، الحرمي، الحريص عَلَى الإيمان، الحفيظ، الحق، الحكيم، الحليم، حمَّاد، حمطايا، أو قال: حمياطا من: حم عسق، الحميد، الحنيف، خاتم النبيين، المستقيم، المسرَى به، المسعود، المسلم، السالم، المشاور، المسرد، المشفَّع، المشفوع، المشهود، المشير، المصارع، المصافح، الصادق، المصدق، المصدوق، المصطفى، الخازن لمال الله، الخاشع، الخاضع، الخالص، الخبير، خطيب الأنبياء، الخليل، المنبت، المجتبى، المجير، المحرص، المحرم، المحفوظ، المحلل، المحمود، المخيَّر،

المختار، المخلص، المدني، مدينة العلم المذكر، المذكور، المرتضى، المرسل، المرتل، المرفع الدرجات، المربِّي، المزكِّى، المزيل، المستغفر، المسبِّح، المستغني، الكامل في جميع أموره، الكريم، تنديده كهيعص، اللسان، الماجد، الماحي[1]، ماذماذ، المأمون، المانح، ماء معين، المبارك، المبتهل، المبشِّر، المبعوث، المبلِّغ، المسبِّح، المبيِّن، المتبتِّل، المتبسِّم، المتربِّص، المترجِّم، المتضرِّع، المتلو عليه، المتهجِّد، المتوسط، المتوكِّل، المتوسِّل، المنيب، فضل الله، فواتح النور، القسم، الباقي، القاضي، القانت، قائد الخير، قائد الغرِّ المحجَّلين، القائل، القائم، القتَّال، القتول، قثم القثوم، قدم الصدق، القرشيُّ،

(١) قال الحرالي في إبداء الخفا شرح أسماء المصطفى (ص١٣) بتحقيقنا: المحو: ذهاب آثار الكتابة، والكتاب مبدأ رسم الفتور، والكنايات كلها في الصور، ومداد الصور رسم الكتاب، ورسم الكتاب ميدأ العدِّ، والعدُّ ناشئ في الحدِّ، والحدُّ حدُّ الإحاطة، وكلُّ حجابٍ ساترٍ وكتابٍ محضٍ فهو ﷺ بما أثبت أحمديته في الباطنات وأبدت محمديته في البادئات ماحٍ لكليَّة الثُّبت منح على مثل الرسم، كما قال ﷺ حين قيل له: ((أين كان الله قبلَ أن يخلقَ السماوات والأرض؟ فقال: في عماءٍ ليس فوقه هواءٌ، وليس تحته هواءٌ، فمحى الرسوم ورفع الحدود))، فكان بذلك ﷺ هو الماحي الذي محا ما لم يكن، وأبقى ما لم يزل، ولما كان محو صور الأشياء بمرادها إلى ما هي منه من الماء فكانت البحار ماحيةٌ لأدران الأشياء، مستهلكةٌ لأوصافها، مقدسة لمجتنباتها بما هي عائدة إليها، وكانت البحار ماحيةٌ لما دونها كان اسمه ﷺ في البحار الماحي، فهو الماحي لكل ماحٍ، الناظر للكون بعد كونه بمآربه، الناظر إليه قبل كونه حين هو في عماء، فهو الماحي الأكمل كما هو الأحمد الأتم، والمحمد الأحوط، وبهذا الاسم الذي هو الماحي هو منتهى العود الذي هو معنى الفتح المبين، الذي يرد من غاية الإبراء إلى غاية المعاد، إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معادٍ، فكما كان أول البدء الكتب كما قال ﷺ: ((كان الله ولا شيء معه))، وكتب في الذكر كل شيءٍ كان نهاية لمح محو ذلك الكتاب مطالعةً وتحققًا.

فهو ﷺ رسول المحو الآتي على كلِّ مكتوبٍ يقينًا، كما هو رسول الإثبات الآخذ بكلِّ علمٍ ثبتًا وعلمًا ما لم تكن تعلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه:١١٤]، فهو رسول الثبت في الثبت، ورسول المحو في المحو، فهو الماحي لكليَّة الكفر من بداية كفر الأديان إلى نهاية كفر العيان، المضمون في قوله ﷺ: ((ونترك من يكفرك))، فكان بهذا الجمع للثبت الحمديِّ والإذهاب المحمدي كما له ﷺ المنتهى إلى غايةٍ ليس وراءها نهايةٌ، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢]، فكان في محوه هلاك كلِّ هالكٍ، وفناء كلِّ فانٍ، فكان في جمعه لذلك جلاء بقاء وجه ربِّه ذي الجلال والإكرام، وتبارك اسم ربِّه كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسم رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

القريب، المعمر، القيِّم: ومعناه الجامع الكامل، وصوابه بالمثلثة بدل الياء، كما قاله عياض.

قال في ذلك السخاوي: الكافِي كافة الناس، العال، خير البريَّة، خير خلق الله، راكب البعير، راكب الجمل، الراضع، الراضي، الراغب، الرافع، راكب البراق، صاحب المقام المحمود، صاحب الوسيلة، صاحب المعجزات، ذو القوَّة، ذو الصراط المستقيم، ذو الخُلق العظيم، صاحب الحوض المورود، الذاكر، الذكر، المذكور، دعوة النبيين، دعوة إبراهيم، دار الحكمة، الداعي إِلَى الله، خِيرة الله، خيرة هذه الأمة، خير الناس، خير العالمين، طراز الرحمة، راكب النجيب، رحمةٌ للأمَّة، رحمةٌ مُهداةٌ، الرحيم، الرسول، رسول الراحة، رسول الرحمة، رسول الله، رسول الملاحم، رسول المحبِّين، الرشيد، الرفيع، الذكر الحكيم، الرقيب، روح الحق، الضحَّاك، الظاهر بالظاء المعجمة، الضحوك، طاب الطاب، الطائر، الطبيب، طسم، طس، العابد، العادل، العاقب، العامل، العالم، الحامي، عبد الله، العبد، العدل، العربي، العروة الوثقى، العزيز، العظيم، العفو، العفيف، العليم، العلي، العلامة، روح القدس، الرؤوف، الزاهد، زعيم الأنبياء، الزكي، زين من فِي القيامة، الغالب، الغني بالله، الغيث، الفاتح، البارقليط، وقيل بالياء كما تقدَّم، الخارق، الفتَّاح، الفجر، المفرط، الفصيح، السابق للخيرات، سائق العرب، الساجد، سبيل الله، السراج، السعيد، السميع، السلام، سيد ولد آدم، سيد المرسلين، سيد الناس، سيف الله المسلول، الصفوح، الصفوة، الصفي، صراط الذين أنعمت عليهم، الصادق، الصبور، الصدق، صراط المستقيم، الصادع بما أُمر، المصداق، الحق، الفاتق، الراتق، صاحب الميز، صاحب النعلين، صاحب الهراوة، صاحب الوسيلة، صاحب المنبر، صاحب الخير، صاحب المغنم، صاحب المعراج، صاحب اللواء المعقود، صاحب المقام المحمود، صاحب المدينة، صاحب الكرامات، صاحب المحشر، صاحب الكوثر، صاحب التاج، صاحب اللواء، الناجي، صاحب المخصوصات، صاحب قول لا إله إلا الله، صاحب القضيب، صاحب الكثيب، صاحب الفضيلة، صاحب العلامات الباهرات، صاحب القضيب الأصفر، صاحب العطايا، صاحب السرايا، محل الزوايا، صاحب الجلال، صاحب الكمال، صاحب السلطان، صاحب السيف، صاحب الشرح، صاحب الشفاعة الكبرى، صاحب السجود للربِّ المحمود، صاحب الدرجة العالية الرفيعة، صاحب الحوض الموردود الأكبر، صاحب الخطيم، صاحب الحجة القاطعة، صاحب الجهاد، صاحب التاج المحمود، صاحب الآيات،

صــاحب المعجزات، صاحب الحجة البالغة، الصابر، الصاحب، المانع، الدافع، الشارع، الشافع بالعموم، الخاص برتبة الخواص، درة الغواص، الشاكر، الشاهد، الشمس، الشهيد، القمــر، المنير، اللاحق بالآيات، المستحق الثبات، يزيل البأس، المقدام، تحفة الأحباب، مــساعد الــسابقين، عــبد البر، عبد الباري، الستر المطلوب، سبيل التابعين، الممهِّد، المسدَّد، الرشاد، الرشيد، المشارك فِي سائر الأعمال، المبلغ سائر الآمال، محلُّ الطلاسم، مــبطل الإقــسام والعزائم، ضارب الأمثال، الوهَّاب، الفتَّاك، النسَّاك، المسَّاك، صاحب المناسك.

فهــذه خمسمائة اسمٍ من أسمائه ﷺ، كل اسمٍ لــه دليلٌ من القرآن الشريف، أو من لفظه الشريف(١).

[فوائد لشراح أسماء النبي ﷺ]

وقــد شرح بعض العلماء الألف اسمٍ المذكورة فِي كتابٍ سماه: «مراتب الأسماء فِي ذكر ما خصَّ الله ﷻ به نبيه محمَّدًا ﷺ من الأسماء».

وجعلها عشرة أبوابٍ، ورتَّبهَا عَلَى مراتب، كل بابٍ عشرة فصولٍ، كل فصل خمس مراتب، كل مرتبة اسمين من أسمائه، وذكر لكل اسمٍ خاصَّةً ومنفعةً إِلَى غير ذلك.

وقد أفاد عفا الله تعالى عنه، وأجاد، وبلغ المراد، وقد أعطاه الله تعالى القول الحسن، وله فِي الآخرة ما لــه أحسن، والأعمال بالنِّيات.

قــوله (النبي): يُهمز ولا يهمز فِي هذه أخذه من النبأ الذي هو: الخبر؛ لأن النبيَّ ﷺ مخبِــر عــن الله تعالى، ومن لَمْ يهمز احتمل أن يكون من النبوة وهي: الارتفاع لارتفاع منــزلته عند الله تعالى، أو من ارتفاع النبي عَلَى التسهيل.

وأما الرسالة ففعال لمن أرسل إليه، وهو اختصاص النبي بخطاب التبليغ، فإن قيل لك: الألف واللام فِي النبي من أي قسمٍ، فقيل: هي للغلبة، كقولك: قرأت الكتاب العزيز هذا هــو اللائق بِهَا فِي هذا المكان، ويحتمل أن تكون للعهد، وإذا تأمَّل المتأمِّل المنصِف ما

(١) انظر: عقد الزبرجد في شرح اسمه محمد للأحمدي، وإبداء الخفا شرح أسماء المصطفى للحرالي، فخر الأبرار لما تضمنه اسم محمد من الأسرار للخليلي، والنهجة السوية شرح الأسماء النبوية للسيوطي، أسماء الرسول لابن فارس، وتذكرة المحبين للرصاع، جميعها بتحقيقنا، تحت قيد الطبع.

قدَّمناه من جميل أثره، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله، وحلمه، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، وفضل الصلاة عليه، وشرف أسمائه عَرف عَظيم قدره عند ربِّـــه جلَّ جلاله، سماه الله فِي كتابه: محمد وأحمد، ضمن اسميه ثناءه، وطوى أثناء ذكره عظيم شكره.

فأمَّا اسمه أحمد: فأفعل مبالغةٌ من صفة الحمد.

ومحمـــد: ففعل مبالغةٌ من كثرة الحمد، فهو أجلُّ من حَمد، وأفضل من حَمد، وأكثر الـــناس حَمدًا، فهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة؛ ليتمَّ لـــــه كمال الحمد، ويشتهر فِي تلك العرصات بصفات الحمد، ويبعثه ربُّه مقامًا محمودًا كما وعده، يحمده فِيْهِ الأولون والآخرون بشفاعته لهم، ويُفتح عليه من المحامد، كما قال: ما لم يعط غيره، وسمَّى أُمته فِي كتاب أنبيائه: الحامدين، فحقيقٌ أن يسمَّى أحمد ومحمدًا، وفِي هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبديع آياته، فمن آخر وهو أن الله جلَّ اسمه أن يسمَّى بهما أحدٌ قبل زمانه.

أما أحمد الذي أَتَى فِي الكتب وبُشِّرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمَّى به أحـــدٌ غـــيره، ولا يدعو بهما مدعوٌّ قبله، ﷺ، وشرُف، وكرُم، وزاده مهابةً وعزًّا ورفعةً وتعظيمًا[(١)].

(١) قال الشيخ الحرالي: ولما كان مدلول السماء مطلق العلوِّ تحقَّق اسمه بالأحمديَّة في علوِّ السماء إلى غيب العلا، وكان أحقَّ بمعنى السموِّ الغائب لما تشير إليه زيادته التي هي الهمزة المشيرة للألف الذي يشير إلى مطلق الأمر من وراء كلِّ حدٍّ وغيبٍ، فكان اسمه فيما إلى الغيب والإطلاق أحمد، وهو بما هو غيبٌ سارٍ في كلِّ غيبٍ؛ إذ غيب كلِّ شيءٍ وباطنه سماءٌ، وبذلك يكون ظاهره زمنه، فلذلك عمَّت نبوته وشَملت دعوته، وكان رسول الله ﷺ لكلِّ ما ربُّه الله، والله ربُّ كلِّ شيءٍ، فأحمد رسولٌ لكلِّ شيءٍ، وبذلك ينبئ ﷺ عن التمام، الكونُ به في وجده العليِّ في قوله: ((وكلنا لك عبدٌ)) يستتبع في وصله هذا؛ لتكون الجامعة لعبدانيته كل شيءٍ هو منه، ومنه كل شيءٍ، وبذلك الأحمدية القائمة على كلِّ شيءٍ في خصوص ذاته، هو حجَّة الله على الخلائق أجمعين، ومنه مفشى هذا الاسم؛ فنبوته بالأحمدية سابقةٌ دائمةٌ، بادئةٌ في الختم، حقيقةٌ في البدء، وبمعنى منه: كان نبيًّا وآدم عليه السلام بين الماء والطين، فهو بالأحمدية نبيُّ العقل في ذات العقل، ونبيُّ الروح في ذات روحه، ونبيُّ النفس في ذات نفسها، ونبيُّ الجسم في ذات جسمه، ونبيُّ الليل في ذات ليله، ونبيُّ النهار في ذات نهاريته، ونبيُّ النور في ذاتية نوريته، ونبيُّ كلِّ حجابٍ في ذات حجابيته، ونبيُّ

الماحي: الذي يمحو الله تعالى به الكفر.

الحاشر: الذي يُحشر الناس عَلَى قدمه، بقوله: «يُحشر الناسُ عَلَى قدمي: أي عَلَى زماني وعهدي[١]»، المراد بعهده: شريعته، وما جاء به.

طه: معناه: يا طائر، يا هادي.

العاقب: عقب غيره من الأنبياء[٢].

شهيدًا: لتكونوا شهداء عَلَى الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا شاهدًا بالحقٍّ لجميع أُمته.

يس: معناه: يا سيِّد، حكاه السلمي عن الواسطي: رسول الرحمة لسائر أمته، بقوله: «أنا رسول الرحمة رسول الراحة[٣]».

كلٍّ شيءٍ في خصوص ذاته، تقوم به منه عليه حجَّة الرسالة الأحمدية في كلٍّ لون، وفي كلٍّ عالم، وفي كلٍّ ما أنبأ عنه اسمٌ مجهولٌ هو بدءه، وبأحمديته تتوجه عليه حجَّته. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح:٨، ٩].

(١) وقال الشيخ الحرالي: العقب: بالتخفيف الذي منه التعقيب، المضاعف: هو الإتيان على عقب الشيء، والعقب: آخر القدم، فالعاقب آتٍ عقب كلٍّ شيءٍ، بتعقبه بما يظهر خبره ويستوفى حسابه، فما بقي من المتعقب عليه وفَّاه، فالمعقِّب يحفظ الوافي ويستوفي الباقي، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، ولأن إنفاذ الأحكام آتية عقيب الأعمال وكان موقع الأحكام في التعقبات حدودًا وكانت الحدود نارًا مطهِّرةً عاجلها في الدنيا وانتهاؤها في البرزخ ومتمِّمها في المحشر إلى منتهى الجزاء كان اسمه ﷺ في النار العاقب، فهو آتٍ عقب ما استوفيته النار، فيكون لمحه أكمل تخليصًا وأتَمَّ وفاءً، فيعقبها بالشفاعة فيما أبقى تعقبها، فإذا جاء العاقب بحرمة شفاعته خمدت وسكنت، كما ورد أن قومًا من حملة القرآن يدخلون النار فينسيهم ذكر محمد ﷺ حتى يذكرهم به بإراءتهم جبريل عليه السلام، فيذكرونه، فتخمد عنهم النار وتنزوي عنهم، فتتلافاهم شفاعته عقب ما أصابهم، فهو معقِّب المعقبات، وعاقب كلٍّ آت، في عقب بما هو آخر في الأواخر، كما هو في الابتداءات أوَّل في الأوائل، ومما هو عقبه نبوة كلٍّ نبيٍّ؛ لظهور نبوته عقب كلٍّ نبوةٍ، فكان بذلك العاقب الذي لا يكون بعده نبيٌّ، فهو عاقبٌ في كل تتبُّعٍ واستقراءٍ يوفيه أمره، ويعقب بشرعته وشفاعته وجوده.

(٢) واه البخاري (١/٣٩)، وفي التاريخ الكبير (٧/١٠)، والطبراني في الكبير (١٩/٣٩٠).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١/١٠٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٥).

وبقوله: «أنا الذي لا كدَّ عليَّ ولا عَلَى أمَّتي، رسول الله من علامات الساعة الكبرى[(١)]».

وقوله: «وأنا المقتفي، قفيت النبيين، يعني: جئت من بعدهم، وأنا قثم بالثاء المثلثة[(٢)]».

راجح زائد: مقيم؛ لقول داود: «اللَّهُمَّ ابعث لنا محمدًا مُقيم السنة بعد الفترة، مُظهر الحق، بشرعه السنة، يتوب الله تعالى ببركته عَلَى التائبين المتوسلين به[(٣)]».

نبيُّ التوبة: الذي بشَّرت به الأنبياء من آدم إِلَى زمنه.

نبيُّ الملحمة: من خُلقه وصفته وثناء الله تعالى عَلَى أمته بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧]، ويروى الحديث: «الرحمة والمرحمة».

قال القاضي: وكلٌّ صحيحٌ إن شاء الله تعالى.

ومعنى المقفَى: معنى نبي الرحمة التي لا نَصب بعدها.

العاقب: ذكرنا معناه: النبيُّ الرؤوف، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

وقال فِي صفة أمته: «أمة مرحومة[(٤)]» رحمة لأمته.

رحمة العالمين: رحيمًا بهم ومترحمًا، مستغفرًا لهم، أمر أمته بالتراحم، وأثنى عليه: «إنَّ الله تعالى يحبُّ من عباده الرحماء[(٥)]»، وقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من فِي الأرض يرحمكم من فِي السماء[(٦)]».

النور، والسراج، والمنير، والمنذر، والنذير، والبشير، والمبشر، والشاهد، والشهيد،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره السيوطي فِي تنوير الحوالك (١/٢٦٣).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه أبو داود (٤/١٠٥)، وأحمد (٤/٤١٠)، والبيهقي فِي الشعب (١/٣٤٢).

(٥) رواه البخاري (١/٤٣١)، ومسلم (٢/٦٣٥).

(٦) رواه البخاري فِي الكنى (١/٦٤)، وفِي التاريخ الكبير (٧/١٩٤)، وأبو داود (٤/٢٨٥)، والترمذي (٤/٣٢٣)، وأحمد (٢/١٦٠).

والحـــق، المبين، وخاتم النبيين، والرؤوف الرحيم، وقدم الصدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، والنبي الأمي، وداعي الله، فهذه سبعةٌ وعشرون معانيها ظاهرة: النور الذي أضاء لسائر الناس.

السراج: عَلَى سائر الوجود.

المنير: الذي لا يخفى عَلَى أحد.

المنذر: يحذِّرُهم العذاب.

النذير: لمن جاءه بالكفاية، وقيل: يعلم من جاءه بالنذارة، ويخبره بما يلقى من بأس الله. البشير: بكل قولٍ يسرُّ من أخبره به.

المبـــشِّر: بالجنَّة، الشاهد عَلَى ما جاءه من الكتاب، وقيل: لمَّا جاءه، وقيل بما جاءه يميزه بأحسن بيان.

الشهيد: عَلَى ما يشاهد من ظواهر الأمور فِي حقِّه عليه السلام عَلَى ما يطَّلع مع كماله عَلَى خفايا الأحكام الباطنة المغيبة عن غيره.

المبدئ: الظاهر لسائر الناس بلا ريب، فِيْهِ الحقُّ، فلا يحجُّه أحد.

خاتم النبيين: فلا نبيَّ بعده.

الرؤوف الرقيق القلب بالشفقة لجميع خلق الله تعالى.

الرحيم: مسدِّد كل فاقةٍ، ولم يحمل أحدًا من أمته عَلَى غير الطاقة.

قدم صدق: فِي جميع حركاته، وفِي المواهب فيما جاء به، وما خصَّه.

رحمة للعالمين: من سائر المخلوقات.

رحمة الله: لكل مؤمنٍ بالرحمة، ولكل منافقٍ بالستر، وللأعداء برفع العذاب، وما كان عَلَى الأمم.

العروة الوثقى: شريعته التي مَنْ تَمسك بِهَا نجا.

الصراط: فِي اتِّباعه؛ لأنه عين الذي أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قاله: ابن جماعة.

النجم الثاقب: القاطع الخارق لسائر الأعداء.

الكريم: الذي لا يساويه أحدٌ فِي كرمه، وقد سَمَّاه الله تعالى كريمًا؛ لقول الله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

النبيء: بالهمز: الخبير بما يقول ظاهرًا وباطنًا، وقيل: النبيء الذي يُنبئ عمَّا دقَّ معناه وَما خفِي وغاب.

الأمي: الذي لا يكتب، قاله: الحافظ المنذري.

حجَّة الله عَلَى أعدائه: وفِي نطق الحروف له كفايةٌ، لقد أعطاه الله تعالى معرفة كل شيءٍ خفِي علينا.

وقال الحافظ الدمياطي: الأمِّيُّ عندهم بما يرون من علل العداوة.

وقال القسطلاني: الظاهر بعدم الاطِّلاع عندهم عَلَى كتابه الخط والرقم والرسم.

المصطفى: فِي أوصافٍ كثيرةٍ وسماتٍ جليلةٍ، جرى ذكرها فِي الكتب المتقدمة، وكتب أنبيائه، وأحاديث رسله، وإطلاق الأمة، شافيًا كافيًا(١).

المجتبى: الذي اصطفاه الله وارتضاه، وقيل: خاص خواص أنبيائه.

الحبيب: المخصوص بالقرب اللائق بجنابه الكريم.

---

(١) قال الشيخ الحرالي: الاصطفاء: افتعال من الصفوة أنبأ عن استخلاص الصفاوة بترتيبٍ وتدريجٍ وتنزيلٍ وتطويرٍ، وأن الله سبحانه أودع نور محمد ﷺ كل الغيب من مدد الكائنات، فأبداه في الخلق الآدمي بما آدم صفوة جميع المخلوقات، الجامع لظاهر الخلق وباطن الأمر، فكان بنور محمد ﷺ نطق كل ناطقٍ، وحس كل حاسٍ، وعقل كل ذي عقلٍ، عقل بما كل نورٍ من نوره، وكل وجودٍ من وجوده، فلم يزل يترقى نوره في الخلق الآدمي ترقيًا واستخلاصًا، صفاؤه من صفاؤه إلى المخصوص بالصلاة عليه إبراهيم خليل الرحمن، ثم لم يزل يستخلص الله له مترقيات الصور ومتعاليات الأمر إلى أن أبدى الله له في أشرف البقاع صورة لا تشبه الصور ولا يشبهها الصور، كان ﷺ لا تتحيز صورته إلى مقدارٍ مخصوصٍ، فكان يماشي الطويل فيُرى لا يزيد عليه، ويماشي الربعَة فيُرى لا يزيد عليه، ويلحظه كل ذي حظٍ فيرى من صورته قدر ما له عنده من الجلالة، وبقدر ما انطوى عليه ضميره من المحبة، ولم يكن لشخصيته ظلٌ فصفت جسمانيته في الجسمانيات إلى حدٍّ ليس وراء صفوتها صفاوة، كما صفت نفسانيته في النفسانيات فما انتصر لنفسه قط، فشمله الاصطفاء ظاهرًا وباطنًا، وآيات ما كان يبدي استصفاء جسمانيته على جميع الجسمانيات كثيره نحو كونه لا ينزل عليه الذباب؛ لصفائه عما لأجله، أنزل الذباب على الخلق الذي أظهر به قهرهم وضعف استنصارهم لأنفسهم، ولذلك لبدر رسول الله ﷺ رأسه بالعسل لأمنته أن ينزل عليه شيءٌ من الذباب.

وقال عبد الوهاب بن الصايغ: المقرَّب بمقامٍ مخصوصٍ لائقٍ به.

أبو القاسم: القاسم ولده، والحبيب أعلَى درجةً من الخليل.

وقال بعضهم: الحبيب الذي لا حبيب أقرب منه.

وقال آخرون: أعلَى المحبين الذين أحبهم لعلو مكانتهم.

ورسول ربِّ العالمين: القائم بما أنزله عليه، وقيل: مبلِّغ ما جاء به من الرسالة لسائر المخلوقات.

وقال آخرون: لكل ما عَلَى الأرض وما تحتها.

وقال آخرون: البشر والجن والإنس والملائكة.

وقيل: الإنس والجن؛ لأن الملائكة قائمون بالوظائف.

الشفيع: المقبول شفاعته.

الشافع: المفرد بالعموم.

الرحيم: من عظم إحسانه ورقة قلبه فِي امتنانه.

المشفَّع: فِي سائر المخلوقات بالشفاعات المخصوصة.

مالك القيامة: لا يحكم فيها غيره، ذو الحكمة، من استغنى بنفسه عن كل أحدٍ من الخلق، فلا يذل ويخضع لغير سيده فِي جميع توجهاته.

وقيل: من خضع وذلَّ فِي قربه وعزِّه وعلوِّ مجده، فانقاد كل شيءٍ لعظمته وعلوِّ مكانه عند سيِّده.

المصفَّى: من تنزه عن كبائر الذنوب، ولزم الإنابة، وفِي حقِّه المنزَّه عن الكبائر والصغائر، المعصوم عن كل ما يخطر من النقائص، المصلح من وقع بصره عليه، فلا يضرُّه ذنبٌ، وقيل: المصلح بين أمته فِي سائر حالاتها.

وقال السبكي: المصلح بين النبيين فِي مقاماتهم، ولعل الشيخ رأى أن من وقع بصره عليه لا يضرُّه ذنبٌ، وإن وقع فِيْه تاب وندم، فتكلم بهذا لمَّا رأى من عظيم شأنه، أو رأى هذا اللفظ معنًى قويًّا لا تدركه.

الطاهر: فِي جميع أنفاسه وتحققاته.

وقال آخرون: الطاهر ظاهرًا وباطنًا فِي الفكر والذكر والعمل، وما يتعلق بهذه المقامات، كقوله للأعرابي: «أن تحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى[1]»، وهذه المعاني يحير فيها المتأمل الذائق لمعانيها، فلذَّ به، وتوجه فِي الدنيا والآخرة أن السلامة لـه فِي الدنيا والآخرة.

وسمَّاه السلام؛ لتعدد سلامه؛ لأنه سلم القدم بجلاله وجماله عن مشابهة أمثاله فِي جميع أقواله وأعماله، فلا كمال فِي سائر خلق الله يساوي كماله، السلام فِي حقه ﷺ.

والأمان الذي سلم من المصائب، واحتمل المقاضب، وسلَّمه الله تعالى من المعاطب، والسلام هو الأمن الذي من الله تعالى لديه.

وقال آخرون: الحفظ الذي تولاه الله لـه، فلا حرس لـه من بعده أقامه عليه هو الأمن لـه من المخاوف، ويسد طرقها عن كل خائفٍ.

وقيل: آمنت به أمته، فكلٌّ منهم مؤمنٌ، والأمن مشتقٌّ منه، والمؤمن الذي أمَّن سائر أتباعه من سائر البشر، وأمَّن أمته؛ فلا يلحقها ما لحق الأمم السالفة، وهم لـه خير خلفٍ آمنين، والأمان مشتقٌّ منه؛ لأنه نورٌ.

وتكلم العلماء فِيْه أنه نورٌ وهدايةٌ، ولهم فِي ذلك أقوالٌ كثيرةٌ.

المهيمن: فِي اطِّلاعه عَلَى البواطن كالظواهر بما أطلعه الله تعالى عليه من فيض علمه الباهر، وقال بعضهم: من استيلاؤه قاهر، وحفظه باهر.

الصادق: فِي مرباه عند سائر العشائر، وفِي قوله من حين وضع إِلَى أن لقي الله تعالى، فلا يعدل عليه ما يتلمَّحه الباصر.

الهادي: فِي آياته ومعجزاته وبراهينه، وما جاء به من قدم الصدق.

سيد ولد آدم: إِلَى خير ملةٍ جاء بها، وأفضل كتاب جاءه، سيد المرسلين الثلاثمائة وثلاثة عشر باتفاق العلماء، فلا سيادة عَلَى غير سيادته وسيادة دينه، ولا سيادة لأمةٍ عَلَى أمته؛ فهم سادات الأمم، وهو سيد ولد آدم.

إمام المتقين: من خُصَّ بالتقوى من سائر المخلوقات، وهو إمامهم باتفاقٍ، ودخل فِي هذا كل نبيٍّ ووليٍّ وصالحٍ وملكٍ وغيره.

---

(١) رواه أحمد (٣٨٧/١)، والبيهقي فِي الشعب (١٤٢/٦).

قائـــد الغرِّ المحجَّلين: أمته الغرُّ المحجلون من آثار الوضوء بدليل الأحاديث المشهورة، فهو قائدهم وملكهم وحائزٌ بهم، وهو خير حزبٍ.

حبيب ربِّ العالمين: المفرد بمحبته.

حبيب الله: الجامع لأنواع المحبَّة.

حبيب الرحمن: الجامع بخلَّته لكل خُلَّةٍ، فلا خليل غيره، ولا حبيب سواه.

وقال بعضهم: انفرد بالخلَّة والمحبَّة.

صاحب الحوض المورود: الذي ترد عليه سائر الأنبياء.

العزيـــز: عـــند ســـيِّده؛ فلا نظير لـــه، ولا يوصل إليه، ولا يعوَّل فِي الضرورات والمهمات إلاَّ عليه.

الوهاب: من أكثر من التفضُّل ومنَّ بأنواع المنن والرغائب.

وقال بعضهم: الوهاب: من دامت صنوف مواهبه من غير عوضٍ بأجرٍ ولا عائدٍ.

المعلم: بسائر ما أنزل عليه، وما أودع فِي صدره من غير استفادة معلم مثله يعلِّمه، ومعلوماته ما لها من نفادٍ.

وقال الحافظ: الذي لا يُقاس شيءٌ من علمه بعلم غيره من سائر المخلوقات. صاحب الشفاعة الكبرى: لعرض الحساب.

صاحب المقام: الذي لـــه، ضبطتها العلماء[1].

(١) قال الحرالي: اسمه ﷺ صاحب المقام المحمود أي: صاحب الشيء المختصُّ به، المنفرد بكليَّته، والمقام: موضع القيام، والقيام: الاستقلال في الأمر، والمحمود: الواقع عليه الحمد من الحامدين، فاختصَّ النبي ﷺ بهذا الاسم بما ينجلي معناه، فجلا معنى الحمد ومقامه المحمود، وذلك أن الله ﷻ أبدى الباديات سوى نورٍ، ثم نـــزَّلها أرواحًا، ثم نـــزَّلها أنفسًا، ثم نـــزَّلها أجسامًا، وأجرى في كلٍّ تنـــزيلٍ سرًّا، وجعل فيما هو إلى الأظهر من الأجسام والأنفس لباس تفاوت حجب به سوى ما ألبسه التفاوت، وستر لباس التفاوت بلبس الافتراق، وأجرى حكم المدح والذم على لبس الافتراق، وأجرى حكم التفصيل والتخيير على لباس التفاوت، وأخفى من وراء اللبس واللباس عُرى السواء، التي ما يرى فيها من تفاوتٍ، فمن جعل منظره لبس الافتراق لم ينفكُّ عن منـــزل مدحٍ أو ذمٍّ، بما هو نازلٌ في مسدول الافتراق، وعلى حكم ذلك أجرى سبحانه في خلقه حكم التعاند والتقابل والتضاد، كلُّ فريقٍ ضدٌّ لما يقابله، ومن مستبصره لباس التفاوت لم ينفكُّ =

صاحب الوسيلة: قَالَ الجزولي فِي الحصن الحصين: قال: ((سلُوا الله لي الوسيلةَ؛ فإنَّها أعلَى درجةٍ فِي الجنَّة[١])).

وفِي حديث أبي هريرة: ((الوسيلةُ أعلَى درجةٍ فِي الجنَّة[٢])).

وفِي حديث آخر: ((سلُوا الله لي الوسيلةَ؛ فإنَّها منزلةٌ فِي الجنَّة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة[٣])).

الدرجة العالية الرفيعة فِي أعلَى عليِّين، وقيل: الرفيق الأعلى.

وقيل: الفردوس الأعلى.

وقال فِي الحديث: ((هو مقام لَمْ يعط لغيره[٤])).

وفِي الحديث: ((وأرجو أن أكون هو[٥])).

صاحب الفضيلة: جميع فضل خصَّه به: أي الفضيلة التي لا يساويني فيها أحدٌ، التي خصَّني الله بها، ورفعني عن النبيين بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]: أي أولو العزم، وهو أعلاهم فضلاً ودرجةً وتوسُّلاً؛ فوسائله زائدةٌ، ودرجاته زاكيةٌ، وفضائله لا تنحصر.

صاحب التاج: المراد به العمامة.

عن لسان تفضيلٍ وتخييرٍ، بما هو متحيزٌ إلى حين لباس التفاوت، ومن جعل مرآه عُرى السواء فلم يحجبه لباس التفاوت ولا غطاء عليه لبس الافتراق لم يكد يخرج عن لسان حمد الله في الكل إلا عن حكمٍ من الله، يلجئه إليه، ويلزمه به، وذلك اللزوم لذلك المرئي السواء في عريته وفي لباس تفاوته وفي لبس افتراقه هو المقام المحمود الذي لا يزال صاحب الحمد ناظرًا إليه، طالبًا بحكمه طلبًا عامًّا إلا أن يصرفه الحكم، قال ﷺ: ((تحابُّوا بروح الله بينكم)).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره المناوي فِي فيض القدير (٣٦٨/١)، وابن كثير فِي تفسيره (٥١٤/٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

قال النووي: حين بعث لَمْ يكن للعرب تيجان، ولم يكن لهم إلاَّ العمائم.

وقال القاضي عياض: العمائم تيجان العرب.

صاحب المعراج: وقد قررنا معاريجه، وما اتفق لـــه فِي ليلة الإسراء والمعراج.

صاحب اللواء: لواء الحمد الذي ينشر لـــه.

صاحب القضيب[1]: قَالَ القاضي عياض: معنى صاحب القضيب: أي السيف، قال: معه قضيبٌ من حديدٍ يقاتل به وأمته كذلك، وقد يحمل عَلَى أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه، وهو الآن عند الخلفاء، وقع ذلك مفسرًا فِي الإنجيل.

راكب الناقة العضباء: وقيل: الناقة التي يعطيها الله تعالى لـــه فِي زيارة حضيرة القدس ليس لها نظير فِي نياق الجنَّة، سنمها يفوح منه المسك الأذفر، كفلها كأنه الياقوتة، عنقها متوَّج بالعقيان أبهج من الزرافة فِي تلوُّن بدنها، وقيل: غير ذلك، وكأنه وقف لتقريرٍ آخر.

صاحب الهراوة: الهراوة التي وصف بِهَا فِي اللغة: العصا.

قـــال القاضي: وأراها والله أعلم العصا المذكورة فِي حديث الحوض: «أذودُ النَّاس بعصاي لأهل اليمن[2]».

صـــاحب البراق: دابة لونها أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند

---

(١) قال الشيخ الحرالي: لما كان ﷺ راعيًا للخلق سابقًا لجميع الكون إلى مواردهم من أقدار ربهم ذائدهم عمَّا حقُّهم الحمية منه كان ﷺ لا يكاد ينفكُّ عن أن تكون في يده إشارةً تشير إلى رعاية أصناف من يرعاه من له طواعيةٌ كطواعية الغنم، أو إباءٌ كإباء الإبل، وما بين ذلك مما يقبل الرفق أو مما لا ينفكُّ إلا بالقهر، فكان ﷺ صاحب القضيب يرعى به أهل الطواعية من الخلق، وصاحب الهراوة يسوق بها أهل الأنفة من الملوك، وصاحب السيف يقدُّ ويقطُّ به من لا تزيده الحياة إلا شرًّا، فيناله رحمة الله التي بُعث بها على يديه، بالاكتفاء من شرِّه بما وقع منه دون مزيد بمهله إليه، وصاحب القوس يرمي به عن بُعد من نظره النفاذ، ولجأ إلى الفرار؛ ليكون ﷺ نائلاً برحمته الفضل المبتدأ على مراتب دنوِّهم، وليكفَّ برحمة قطع المزيد من الشرِّ المتباعدين على قدر تفاوت تباعدهم، بما هو رسول الله إلى النَّاس كافَّةً وإلى الثقلين وإلى جميع الخلق، فله فيما يُسأل، بيده إشارةٌ يظهر أثرها في الوقت وفيما بعده في يومه إلى يوم القيامة، فهو برعاية أهل الطواعية صاحب القضيب.

(٢) رواه مسلم (١٧٩٩/٤)، وأحمد (٢٨٠/٥)، وابن حبان (٣٦٨/١٤).

مُنتهى طرفيه.

صاحب النجيب: الذي يركبه فِي الموقف، وقيل: فِي العرض، وقيل: نجيبة غير ناقته المذكورة، والجمع بين ذلك أوّلته العلماء بتقريرٍ حسنٍ يطول.

صاحب الحجَّة البالغة القاطعة: صاحب السلطان المراد به: القوة والشدة فِي الطاعة لــه، حتَّى الزبانية يأمرهم الله تعالى بعدم مخالفته، كما ورد.

قــال صــاحب الروض الزاهر: سلطان الأنبياء محمد فِي الدنيا والآخرة، فِي الدنيا أعطاه الرعب مسيرة شهرٍ، وكبت أعداءه، وما سار لقومٍ إلاَّ خافوا سلطانه، وعلموا أن لــيس لــه مقاومٌ، وبشَّر أمته بذلك، فخصَّ الله تعالى به كل عادلٍ، وكانت الخلفاء من بعده حتَّى مَلَّكهم الله تعالى الأرض، وكان ما كان من سلطانه إِلَى يوم القيامة، وسلطانه فِي الآخرة يطول شرحه.

صاحب الخاتم: قَالَ القاضي عياض: الخاتم: الذي ختم به الأنبياء.

قــال الحريــري: بكسر التاء المثناه الفوقية(الخاتم): ختم به أنبياءه؛ فلا نبي بعده، وبنصب التاء: أحسن الأنبياء خُلُقًا وخَلْقًا.

قال صاحب الصحاح: صاحب العلامة التي بين كتفيه، صاحب الغمامة أظلته، وهو ابن خمس سنينٍ.

صاحب البرهان: القرآن العظيم.

صاحب النعلين: فِي ليلة الإسراء، وقيل: غير ذلك.

المتوكل[1]: لأمته، وقيل: للأنبياء.

---

(١) وقال الحرالي: التوكل: تفعل من كلة الأمر إلى من يستقل به، وذلك يقع بحسب العلم بتحقيق الأمر والثقة فيه، ووجه تحقيق العلم بذلك أن الله سبحانه هو القائم بالخلق والأمر، بيده النفع والضر، الطَّبيب لما أدوى، الشافعي لما أبلى، المؤمن مما أخاف منه، الرازق لما خلق، ولما جعل تعالى في خلقه وأمره حكمه تسبيب وتصيير، استند بعض الخلق لبعضٍ في جلب نفع أو دفع ضُرٍّ، فقطعهم ذلك عن كلة الأمر إلى ربهم بما حجبهم من حكمته عن ثقتهم فيها بمُجريها، وكان مما وظفه على أهل التسبيب والحكمة وقع الحساب والعقاب، وكان مما خففه عن أهل الكلة لله في كلية حكمته من نفعها وضرها رفع الحساب والعتاب، والعلو عن محال أهل العقاب كما قال النبي ﷺ: ((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حسابٍ))، ثم وصفهم بأنهم لا يكتوون ثقة =

وقيل: المتوكل للمتقين فِي جميع الأحوال والحالات ﷺ.

المختار: من سائر البشر ﷺ.

مقيم الشرع: كما ورد أنه سأل الله تعالى ألا يقطع سنته، وفِي قول: ((سنَّتي مقيمةٌ قائمةٌ ثابتةٌ[١])) ﷺ.

روح القدس: وهو معنى: البارقليط فِي الإنجيل، وقال ثعلب: البارقليط: الذي يفرِّق بين الحقِّ والباطل.

ومن أسمائه فِي الكتب السالفة: (ماذ ماذ) معناه: طيب طيب، **حمياطا**: فِي سِفر آدم: الشرف الكامل، ويسمَّى بالسريانية: النحمنا الفاتح: أعني الفاتح بيده جميع الأشياء، واسمه أيضًا فِي التوراة: أحيد، وقال بعضهم: (أحد) بغير ياء، وأخبرني بعض أهل التوراة بجزم الدال المهملة، وأنها: جيم، ليس بحاء، فلم أثق بقوله، ولم أدرِ ما معناها.

قال القاضي عياض: وكانت كنيته المشهورة (أبا القاسم).

وروي عن أنس أنه قال: لمَّا ولد لـه إبراهيم جاء جبريل عليه السلام، فقال لـه: ((السلام عليك يا أبا إبراهيم[٢])).

الحميد: معناه: المحمود؛ لأنه حمد نفسه، وحمده عباده، ويكون أيضًا بمعنى الحامد لنفسه والأعمال والطاعات، وجمعت لـه أنواع المحامد، وشقَّ لنبيه من اسمه الشريف أسماءً كثيرةً معناها: أن محمدًا من حمد، وأحمد بمعنى: أكبر من حمد، وأجلُّ من حمد، وقد أشار إِلَى هذا حسان بن ثابت بقوله:

بأن مُبْليهِمْ هو مُعافيهم واكتفى بكلمته النافذة عن حكمته المعالجة. قيل لأبي بكر رضي الله عنه: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رأيته، فقالوا له: وما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعالٌ لما أريد، فمن استشف الحكمة عن مجريها توكل، ومن حجبته عن مجريها بفعلٍ وتعملٍ ضلّ. ولما كان ﷺ أكمل خلق الله فيما هو من فضاء كلمة الله كما قال تعالى: ﴿النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [الأعراف:١٥٨]. كان ﷺ الأكمل توكلاً، قال ﷺ: ((الثقة كنـزي)).

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الحاكم فِي المستدرك (٢/٦٦٠)، وابن أبي عاصم فِي الآحاد والمثاني (٥/٤٤٩)، وابن سعد فِي الطبقات (١/١٣٥).

وشــقَّ لـــه مـــن اسمـــه لِيُجِلَّه فَـــذُو العــرشِ محمــودٌ وهــذا محمدٌ

الرؤوف: وهما بمعنًى متقاربٍ، وسماه فِي كتابه بذلك فقال تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

الحـــق: معنى الحق: الموجود، والمتحقق أمره، وسمى النبي ﷺ بذلك فِي كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الزخرف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونس:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ [الأنعام: ٥] قيل: محمد، وقيل: القرآن الشريف، ومعناه هنا: ضد الباطل، والمتحقق صدقه وأمره.

المـــبين: البـــيِّن أمـــره ونهيه، وهو بمعنى: بان وأبان بمعنى المبيِّن لعباده أمر دينهم ومعادهم.

وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩].

والمبين: البيِّن أمره ورسالته، والمبين عن الله ﷻ ما بعثه به، كما قَالَ تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:٤٤].

الـــنور: معناه: ذو النور: أي الذي أعطاه خالقه هذا النور، فنوَّر السماوات والأرض بنور وجوده، ونوَّر قلوب المؤمنين للهداية باتباعه، وسماه نورًا فِي محلات: أي فِي مواطن، فقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ [المائدة:١٥].

السراج: سمي بذلك؛ لوضوح أمره وبيان نبوَّته، وتنوير قلوب المذنبين والعارفين بما جاء به.

المنير: الظاهر الذي لاحقًا عليه.

الكريم: معناه: الكثير الخير، وقيل: المفضَّل بالكرم.

الزائد: عن سائر المخلوقات.

الفاضل: بفضائل جمعت فيه، وخصائص خصَّه الله تعالى بها.

المفـــضَّل: لعلـــوِّ قدره، يقدم باطِّلاع سرِّه فوق المفضول، والفاضل بفراسةٍ ليس

للعاملين عنها بحث إدراك.

الفصل بين العالمين: بما يراه من بواطن الأحكام.

العفو: فلا يقابل صاحب جنية بجنيته، ولا يعاقب بسيئةٍ صاحبها.

العلي: الذي علت رتبته فِي السؤدد والكمال فوق ذوي الأقدار.

ذوالجلال الأكرم: هذا الاسم وارد فِي الحديث بقوله ﷺ: «أنا أكرم ولد آدم[١]».

ومعاني الاسم صحيحةٌ فِي حقِّه ﷺ.

العظيم: ومعناه: العبد الجليل الشأن الذي كل شيء دونه، فما يطلب من مولاه شيئًا إلا ناله، وله الخلق العظيم الموصوف بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

ومن أسمائه تعالى: الجبَّار، والجبار معناه: من لا يخرج أحدٌ عن قبضته، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته.

وسُمِّي النبيُّ ﷺ فِي كتاب داود: بجبار، فقال: تقلد أيُّها الجبَّار سيفك؛ فإن ناموسك وشـرائعك مقـرونةٌ بهيبة يمينك، ومعناه فِي حق النبي ﷺ: إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، أو لقهر أعدائه، ولعلو منـزلته عَلَى البشر، وعلو خطره، ونفى عنه فِي القرآن جبريَّة التكبُّر التي لا تليق به، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾[ق:٤٥].

الجبَّار: معناه المصلح.

وقال بعضهم: هيبةٌ رحمانيَّةٌ، عزَّ بها، فخضع فِي مقام جبروته من غير مفازعةٍ، فكان هـو المصلح بهيبة الخضوع والارتقاء، فخرقت هيبة القلوب، وقطَّعت الأوصال، وفتت الأكباد، فما نال هيبة أحدٌ من المخلوقات مثله، فهو المقدَّم المهاب.

وقـال بعضـهم: غلبت عليه الرحمة السابقة، فبطنت هيبة الجبار، فذلَّ لديه بما وصل إليه، وخضع، فذكره المولى بما فِيه بقوله تعالى: «وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ».

ولـذلك قَالَ القاضي عياض فِي كتابه: ومن أسمائه تعالى: الجبَّار، ومعناه: المصلح، وقيل: المتكبِّر، وسمي النبي ﷺ فِي كتاب داود: بجبَّار، فقال: تقلَّد أيُّها الجبَّار سيفك؛ فإن

(١) رواه الترمذي (٥/٥٨٥)، والدارمي فِي السنن (١/٣٩)، والخلال فِي السنة (١/٢٠٨)، والديلمي فِي الفردوس (١/٤٧).

ناموسك وشرائعك مقرونةٌ بهيبة يمينك، ومعناه فِي حق النبي ﷺ إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، ولقهر أعدائه، ولعلو منزلته عَلَى البشر، وعلو خطره، ونفى عنه فِي القرآن جبريَّة التكبُّر التي لا تليق به، فقال تعالى: ((وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ)) انتهى كلام القاضي عياض عفا الله تعالى عنه.

فما أحسن تدقيقه وتكرار كلام القسطلاني قدَّمناه عَلَى كلام القاضي عياض للكنة تعرفها أهل الأثر، وكلام الحفاظ ابن حجر وابن جماعته وشرح الهمزية فِي ذلك لأننا جمعنا كلام الخصائص فِي هذا المعنى للجلال السيوطي، وزيادة الألفاظ تُنبِّه العارف.

الفاتح: من تَوخذ بلاد الأعداء بإعانته، ويفتح دين الله تعالى بهدايته، ويكشف كل مشكلٍ بمعرفته.

القابض: عَلَى أعدائه بشدة القبض وقوة الدين فِي الحرب واللقاء، وهو وأصحابه لقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، فلا يخشون فِي الله لومة لائمٍ، يرون الجنَّة خير غنيمة.

الباسط: يده من غير مسكٍ عَلَى الدنيا.

وقال بعضهم: لمَّا علم أن الله سبحانه وتعالى زوى الدنيا عن أنبيائه وأحبابه فكان لا إمساك له بِهَا ولا تعلق.

وقال أهل التحقيق: الباسط كل جود حققه به مولاه، فلا تلتذُّ الأرواح والأشباح بغير ذكره.

وقال آخرون: الباسط فِي حقه بعدم التفاته، وكرمه الذي لا يُقاس.

المعزُّ: بالإسعاد من اتَّبعه وقام بدينه الذي أنزله الله تعالى عليه، فكل محبٍّ له مرفوعٌ بالسعادة، قريب من الله تعالى.

المذلُّ: بدين الله ﷻ من استمد بهديه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] بتيسير أسباب العزَّة، وهي: الاستقامة المحمدية الأزلية، والذلة كالعلم بلا عملٍ، والجهل بلا علم، والقناعة بطلبٍ، والحرص برغبةٍ، والعفَّة بشهوةٍ، والشهرة بدناءة، والشجاعة بلا التفات، والجبن بفتورٍ، والكثرة والقلة، ومثال ذلك أن العالم بلا عملٍ وإن عزه العلم قليلاً ذله دهرًا طويلاً، فافهم ذلك، واطلب الاستقامة المحمدية تحصل لك السابقة الأزليَّة.

وقال بعضهم: مذلٌ كلٍ من عاداه، ومن شُبِّه بقومٍ ولم يساوَ أقرانه كان ذلك التشبُّه خـزيًا لـه؛ لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، وفِـي الخبر: الذليل من فهم وعلم وعمل بخلاف ما يعلم، وورد أن: «أقوامًا يذلُّهم الله تعالى بفهمهم وعلمهم ينفقون ولا ينتفعون[١]»؛ فهو مُذلٌ من لَمْ يتمسَّك به.

الخبير: وهو من أسماء الله تعالى، ومعناه: المطَّلع بكنه الشيء، العالم بحقيقته، وقيل: معناه المخبر، وقال الله تعالى: ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان:٥٩].

قال القاضي أبو بكر بن المعلى: المأمور بالسؤال غير النبيِّ ﷺ، والمسؤول الخبير هو النبيُّ ﷺ.

وقال الحافظ: السائل النبيُّ ﷺ، والمسؤول الله ﷻ؛ فالنبيُّ خبيرٌ بالوجهين المذكورين.

قيل: لأنه عالم عَلَى غاية من العلم بما أعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته بخبرٍ لأمته بما أذن لـه فِي إعلامهم به.

الْفَتَّاح: وهو من أسمائه تعالى، ومعناه: الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمتعلق من أمورهم عليه، أو يفتح قلوبهم وبصائرهم؛ لمعرفة الحق، ويكون أيضًا بمعنى الناصـر كقـوله تعـالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩]: أي إن تستنـصروا فقـد جاءكم النصر، وقيل: معناه مُبتدئ الفتح والنصر، وسمى الله تعالى نبيه محمـدًا بالفاتح فِي حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع عن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة.

وفِيهِ من قول النبيِّ ﷺ فِي ثنائه عَلَى ربِّه، وتقدير مراتبه: «ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا[٢]».

فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحقِّ والإيمان بالله تعالى، أو الناصر للحق، والمبتدئ لهداية الأمة، أو المبدئ المقدَّم فِي الأنبياء والخاتم لهم، كما قَالَ ﷺ: «كنت أوَّل الأنبياء فِي الخلق وآخرهم فِي البعث[٣]».

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبري فِي تفسيره (٨/١٥)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٦٩/١).

(٣) رواه الطبري فِي تفسيره (١٢٥/٢١)، والديلمي فِي الفردوس (٢٨٢/٣)، وابن عدي فِي الكامل =

الشكور: وهو من أسماء الله تعالى، معناه: المثيب عَلَى العمل القليل، وقيل: المثني عَلَى المطيعين، ووصف بذلك نوحًا بقوله تعالى: ﴿عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء:٣]: أي معترفًا بنعم ربِّه، مثنيًا عليه، فِي الحديث، أعني البخاري ومسلم.

وزاد الإشبيليُّ فِي لفظه: «مجاهدًا نفسي فِي الزيادة»، ذكر ذلك عَلَى الجامع؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، ووصف النبي ﷺ نفسه بذلك بقوله: «أفلا أكون عبدًا شكورًا[(١)]»، العالم بما علَّمه الله تعالى بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَم وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:١١٣].

عالم الغيب: بالنسبة إلينا بما أظهره الله تعالى عليه من علم الساعة، وما يكون فِي البرزخ، وما يكون فِي المحشر وغير ذلك، وذلك بقوله تعالى: ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]؛ فهو أمين غيبه المكتوم، وغيب الله تعالى علم كونيٌّ، دبَّره بحكمته، لا يطَّلع عليه غيره، ومن أظهره عَلَى شيءٍ ارتضاه بدليل القرآن الشريف فهو عالم بما يظهره الله تعالى عليه فِي وقته وبما يعلمه به يوجبه، وبما أجراه له من خفِي سرِّه، وهذا غاية شرفه عَلَى سائر الخلق.

عن الحسن: أَتَى رجلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فذكر له أنه طرح بنية له فِي وادي كذا وكذا فانطلق معه إِلَى الوادي، وناداها باسمها: «يا فلانة، أجيبي بإذن الله تعالى». فخرجت وهي تقول: لبيك وسعديك صلَّى الله عليك، فقال لها: «إن أبويك قد أسلما، فإن أحببت أن أردَّك عليهما». فقالت: لا حاجة لي فيهما؛ وجدت الله تعالى خيرًا لي منهما[(٢)].

وعن أنس: أن شابًا من الأنصار توفي وله أمٌّ عجوز عمياء، فسجيناه وعزَّيناها، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم. فقالت: اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني هاجرت إِلَى نبيك رجاء أن تعينني عَلَى كل شدةٍ، فلا تحمِّلني هذه المصيبة، فما برحنا حتَّى كشفنا الثوب عن وجهه

=

(٣/٤٩)، وابن سعد فِي الطبقات (١/١٤٩).

(١) رواه البخاري (١/٣٨٠)، ومسلم (٤/٢١٧١)، والترمذي (٢/٢٦٨)، وأحمد (٤/٢٥١).

(٢) لم أقف عليه.

فطعم وأطعمناه[١]، ذكره صاحب المشارق.

وفي غريب الحديث عن النعمان بن بشير: أن زيد بن حارثة خرَّ ميّتًا في بعض أزقة المدينة، فرفع، وشجي؛ إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: انصتوا، فحسر عن وجهه، فقال: محمَّدٌ رسول الله، النبيُّ الأميُّ خاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قَالَ صدق صدق، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم عاد ميّتًا كما كان[٢].

فسبحان القادر، لا إله إلا هو.

وعن أبي قتادة: أن الناس شكوا إِلَى النبي ﷺ العطش فِي بعض أسفاره، فدعا بالميضأة، فجعلها فِي ضبنه، ثم التقم فمَّها فالله أعلم، نفث فيها، فشرب الناس، حتَّى رووا، وملؤوا كل إناءٍ معهم، فخيِّل إليَّ أنها كما أخذتها منِّي، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً[٣].

قال الخطابي: فِي غريب الحديث: الضبن ما بين الكشح والإبط.

ومن أسمائه: البارقليط فِي الإنجيل.

وقال ثعلب: البارقليط الذي يفرِّق بين الحقِّ والباطل.

ومن أسمائه فِي الكتب السالفة: (ماذ ماذ) ومعناه: طيب طيب، وحمطايا، والخاتم، ويسمى بالسريانية: مشقَّح والمنحمنا.

وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب: قَالَ للنبيِّ ﷺ وهو رفيقه بذي المجاز: عطشت وليس عندي ماءٌ، فنزل النبيُّ ﷺ، وضرب بقدمه الأرض، فخرج الماء، فقال: «اشرب يا عماه». فشرب الماء وهو يصلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، فنطق موضع قدميه، فتعجب أبو طالب من كلام الماء ونطقِه[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي فِي العلل (٢/٨٤٦)، وفِي صفوة الصفوة (٢/٧٣).

(٢) ذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٥/١٨٠).

(٣) رواه أحمد (٥/٣٠٢)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (١/٣٢١) بنحوه.

(٤) ذكره ابن حجر فِي الإصابة (٣/٥١١).

ومن غريب ما ذكره ابن فورك:

أنه ﷺ سار فِي غزوة الطائف ليلاً وهو وسِنٌ، فاعترضته سدرةٌ، فانفرجت له نصفين حتَّى سار من بينهما، وبقيت عَلَى ساقين إِلَى وقتنا هذا، وهي هناك معروفةٌ مُعظَّمة يصلَّى عَلَى النبي ﷺ عندها.

وروى سفينة مولى رسول الله ﷺ أن: سفينته تكسَّرت به، فخرج إِلَى جزيرة، فإذا الأسد. فقلت: أنا مولى رسول الله ﷺ.

فجعل يغمزني بمنكبيه حتَّى أقامني عَلَى الطريق.

وكنت كلما صليت عَلَى النبيِّ ﷺ يسمعني ويقف، وتنحدر دموعه عَلَى خدَّيه(١).

العلامة: المشار إليه فِي كل علم سئل عنه، وقيل: الفائق عَلَى أقرانه وعلماء زمانه، وفِي حقه ﷺ إظهار ما فاق به عَلَى كل علامةٍ فيما جاء به وما أعطاه العلام من أسمائه تعالى.

قال القاضي: أسماؤه تعالى: العليم، والعلام، والعالم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩].

وعلَّام: كفعال فِي غاية البلاغة، فلمَّا كان علامة كل عصرٍ، فزاده بلاغة اسمه الشريف بهذا النعت اللطيف الذي لا يشارك فِيْهِ بدليل الكتاب والسنة، ولا ينسب له غيب الله تعالى، ولا كل غيبٍ لَمْ يطَّلع عليه، ولا ما يصحُّ النقل عنه، ولا نقول إلا ما تواترت به الأدلة؛ لأنه حاوي كل شرفٍ، وقد أحسن صاحب البردة بقوله فِي قصيدته هذين البيتين:

وانسبُ إِلَى ذاته ما شئت مِنْ شَرفٍ ... وانسبْ إِلَى قدره ما شئتَ من عِظَمِ

فإنَّ فضلَ رسول اللهِ ليس له ... حدٌّ فيعرى عنه ناطقٌ بِفَمِ

الأوَّل: أوَّل الأنبياء فِي الخلق بدليل قوله ﷺ: «كنت أوَّل الأنبياء فِي الخلق وآخرهم فِي البعث(٢)».

---

(١) رواه البيهقي فِي الاعتقاد (٣١٦/١)، والروياني فِي مسنده (٤٣٦/١)، وابن عدي فِي الكامل في الضعفاء (٥٢/٢)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٣٦٦/٩).

(٢) تقدم تخريجه.

الآخر: بقوله: «لا نبي بعدي[1]»، وبقوله: «أنا آخرُ الأنبياء وخاتمُها[2]».

ومن أسمائه تعالى: الأول والآخر، ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها، والباقي بعد فنائها، وتحقيقه أنه ليس لــه أوَّلٌ ولا آخر.

صــاحب الميثاق: أي العهد الأول، وفسر هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب:٧]، فقدَّم محمدًا ﷺ فِي أخذ الميثاق.

فإن قيل: ما الحكمة فِي تقديم محمَّدٍ، وقد تقدم ذكر النبيين قبله؟!

الجــواب عن ذلك: أنه عين الأنبياء فِي التقدُّم، وكان شاهد النبيين، ونوح أول أولي العــزم، وكــان الجمــع يحتاج لشاهد، فأشهده عَلَى النبيِّين وعَلَى نوح، وكان هو أوَّل الميــثاق؛ لشهادته، وعين العارفين؛ لأوليته، وبداية أولي العزم فِي ميثاقه السابق فِي جميع الأحــوال لقــوله: «أنــا سابق النبيِّين، وسائقهم ودليلهم، أوَّل شافعٍ، وأوَّل مشفَّعٍ، آخرالرسل[3]».

لمــا وقع لعمر بن الخطاب ﷺ فِي السنة الثانية من الهجرة فِي الحديث الطويل: عمر فخــر هذه الأمة، وساق كلامًا يطول، منه قوله: «نحن الآخرون السابقون، ونبيُّنا أوَّل شافعٍ، وأوَّل مشفَّعٍ، وآخرالرسل[4]».

وقــوله ﷺ: « أنا أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض، وأول من يدخل الجنَّة، وأول شافعٍ، وأول مشفَّعٍ[5]».

وهــو خاتم النبيين وآخر الرسل ﷺ، ومن أسمائه: القوي فِي النبوة، والعزم، والجهاد، ومجاهــدة النفس، وزهد الدنيا، ومنع لذة النوم، والتخلق بالأخلاق الرحمانيَّة والرحموتيَّة، وغــير ذلك من خصائصه مما لَمْ يشارك فِيْهِ لشدة قوته فِي هذه المجاهدات، وصبره عَلَى عــدم المألوفات، وإن فعل نادرًا تشريعًا، فأي قوَّةٍ تصل لغيره، وقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ

(١) رواه البخاري (٣/١٢٧٣)، ومسلم (٣/١٤٧١).

(٢) ذكره القنوجي فِي أبجد العلوم (٢/١٠).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه أبو داود (٤/٢١٨)، وأحمد (٢/٥٤٠)، وابن حبان فِي الصحيح (١٤/١٣٥).

عِندَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:٢٠]، قيل: محمَّد ﷺ، وقيل: جبريل العَلَيْهِ.

ومن أسمائه تعالى: القوي، وذو القوة المتين، ومعناه: القادر الصادق لصدق فِي جميع حركاته، وشهادة أهل عصره من جميع سادات العشائر.

قال ابن إسحاق: سموه بالصادق الأمين وهو ابن سبع سنينٍ، وظللته الغمام وهو ابن خمس سنين.

المصدوق: نقل ابن جماعة والحافظ الدمياطي: أن قريشًا كانوا يذكرون محمدًا بكل خيرٍ، ويسمونه الصادق المصدوق.

وقال القاضي عياض عفا الله تعالى عنه: ورد فِي الحديث اسمه العَلَيْهِ بالصادق المصدوق.

ومن أسمائه تعالى: الصادق فِي الحديث المأثور.

الولي: قَالَ ﷺ: «أنا وليُّ كلِّ مؤمنٍ(١)»، وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة:٥٥].

المولى: قَالَ ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه(٢)».

ومن أسمائه تعالى: الوليُّ والمولى، ومعناهما: القاصر: أي الذي قصر كل شيءٍ عن الوصول إليه، فطالبه رحيمٌ مدهوشٌ، وفِي حقِّه سيادة لائقة بجانب مولويته وولايته، ومنها قول سليمان: مولاي رسول الله، وقول ابن عوف وفِي غالب الأحاديث: حدثني مولاي، وقالت نساؤه: مولاي العفو، وصف الله تعالى بِهَا نبيَّه فِي القرآن الشريف والتوراة، وأمره بالعفو بقوله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقد سأله جبريل عن قوله: (خذ العفو)، قال: أن تعفو عمَّن ظلمك.

الصفوح: موصوفٌ فِي التوارة والإنجيل فِي الحديث المشهور فِي صفته ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولكن يعفو ويصفح.

---

(١) رواه النسائي فِي الكبرى (١٣٠/٥)، وفِي الفضائل (١٥/١)، وابن عدي فِي الكامل (٣٤٩/٦)، والطبراني فِي الكبير (١٦٦/٥).

(٢) رواه الترمذي (٦٣٣/٥)، والنسائي فِي الكبرى (٤٥/٥)، وأحمد (٨٤/١)، وابن ماجه (٤٥/١)، والحاكم فِي المستدرك (١١٨/٣).

صاحب الصفح: الذي لا عتاب معه.

ومن أسمائه تعالى: العفو، الصفوح، الطاهر.

قال في تفسير: طه: أي يا طاهر يا هادي.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

وهذه أسماؤه: الطاهر، والهادي، وطه، وهو هادي الناس وداعيهم.

ومن أسمائه: الهادي، وهو يعني: توفيق الله ﷻ لمن أراد من عباده، ويعني: الدلالة والدعاء، المؤمن، المهيمن، الأمين، المطاع، أمين، الشاهد، الحافظ، وهذه السبعة أسماء له ﷺ، وفيها من أسماء الله تعالى: المؤمن، المهيمن.

وقيل: هما بمعنًى واحدٍ، فمعنى: المؤمن في حقِّه تعالى: المصدق: وعده عباده، والمصدق قوله الحق، والمصدق لعباده المؤمنين ورسله، وقيل: الموحِّد نفسه، وقيل: المؤمن من أمَّن من شاء من عباده في الدنيا من ظلم الشرك والنفاق، وقيل: المؤمن في ظلِّه المؤمنين في الآخرة، والمذنبين من عذابه بعفوه.

وقيل: المهيمن بمعنى الأمين يصغر منه، فقلبت الهمزة هاءً، وقد قيل قولهم في الدعاء: آمين إنه اسمٌ من أسمائه تعالى، ومعناه: معنى المؤمن، وقيل: المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ، والنبيُّ ﷺ أمينٌ ومهيمنٌ ومؤمنٌ، وقد سماه الله تعالى أمينًا.

فقال تعالى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١]، وكان ﷺ يعرف بالأمين، وشهرته قبل النبوة وبعدها، وسماه العباس في شعره: مهيمنًا في قوله:

ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندق علياء تحتها النطقُ

قيل المراد: يا أيُّها المهيمن.

قاله الإمام أبو القاسم القشيري.

وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١]: أي يصدق.

وقال: «أنا أمنةٌ لأصحابي[1]»، فهذا بمعنى: المؤمن الرفيع الذكر بدليل الحديث «شرح

---

(١) رواه البزار في مسنده (٨/١٠٤)، والخلال في السنة (٢/٤٨٤)، والبيهقي في الاعتقاد (١/٣١٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١/١٩٠).

«شرح الله صدري، ورفع ذكري، وأعطاني ما تقرُّ به عيني[(١)]»، ولما أنزل الله ﷻ عليه: ﴿أَلم نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١] إِلَى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] أوحى الله تعالى إليه: «أرضيت يا محمد، فقال: يا أخي يا جبريل أُمَّتي، فقال له: قد غفر الله تعالى لمسيئهم إذا ندم، ولمقصِّرهم إذا أدرك، وجعل لهم مع العسر يسرًا[(٢)]».

الرقيب: عَلَى ما يصدر منه من غير نقصٍ ولا خللٍ، معصوم، وقيل: الرقيب من يحرس القوم من غير غفلةٍ.

روح الحق: سمي جبريل عليه السلام بالروح، ومحمداً ﷺ روح الحق من غير خللٍ ولا ميلٍ، وقيل: روح الحق: سرُّ الله المودع من البينات والآيات.

الضحاك: بشارته وحسن سيرته، ضحكه التبسُّم، ومشيه الهوينا، وقال له حمزة والعباس: نراك الضحَّاك، ما نرى لك كدرًا فِي قولٍ، ما أكثر بشاراتك، وإنك لعَلَى خلقٍ عظيمٍ[(٣)]، ما اغتاظ أبدًا غير مرتين فِي عمره لله تعالى، وما داما غير لحظةٍ، وكان إذا دخل عَلَى نسائه يفرحن به؛ لمَّا يرون منه من مؤاخاتهنَّ ومواصلتهنَّ، وتبسمه معهن، ورفقه بهن.

الظاهر: بالظاهر بالظاء المعجمة لإعزاز دين الله تعالى، وقيل الظاهر بنوره، يسبق نوره الأنوار، وقيل: الظاهر لجميع الخلق.

وقال ابن سيِّد الناس: الظاهر بالشريعة، والباطن بالحقيقة، وقيل: المخبر بالأمور الباطنيَّة.

الضحوك: القليل الغضب، كما قررنا طاب طاب فِي التوراة أعني: الذي ليس فِي الأنبياء مثله، تسبقه الأنوار، ونور الأنبياء الذي يتشفعون به من نوره.

الطبيب: الكثير الحِكم والمداواة.

وقال اللخمي: كان طبُّ النبي ﷺ يفوق طبَّ الحكماء.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

وقال الحافظ: الطبيب الحاذق الذي يخبر كل إنسانٍ بما يوافق مزاجه، وطبُّه عليه الصلاة والسلام لا علاج فيه، وكان يخبر كل أحدٍ بما يوافقه.

الطَّيب: فِي قوله وعمله، وما كان فيه.

القدوس: المنزَّه عن النقائص البشرية، فلا يطرأ عليه ما يطرأ عليهم، بل هو المطهَّر فِي سائر أقواله وأفعاله، وسمي المسجد الأقصى بيت المقدس؛ لأنه يُتطهَّر فِيْهِ من الذنوب، ومنه الوادي المقدس وروح القدس، ووقع فِي كتب الأنبياء عليهم السلام فِي أسمائه: المقدِس بكسر الدال المهملة المشددة: أي التطهير من الذنوب، كما قَالَ تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، وهو الذي يُتطهر به من الذنوب، ويتنزه باتِّباعه عنها كما قَالَ تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة:٢]، وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، أو يكون مقدسًا بمعنى: متطهِّر من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة.

العزيز: ومعناه الذي لا نظير له فِي خلق الله تعالى، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون:٨]: أي الامتناع وجلالة القدر، وقد وصف نفسه بالبشارة، فقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة:٢١].

طسم: هذا الاسم الشريف توَّجه الله تعالى به.

قال بعض المفسرين: هو اسم الله الأعظم.

وقال البوني: فِي أوائل السور الشريفة هذه الحروف المقطعة قَالَ بعضهم: اسمه الشريف فالطاء طهارة، والسين سلامة دينه، والميم دوام ملكه، وفِي الحديث «أنا طسم الذي كمَّل الله تعالى شرفي[١]».

وقال القاشاني: طسم كيس وطه.

طس: قَالَ صاحب الحكم: محمد طس الحكمة، وحم الرحمة، ونبي الرحمة العابد، قالت عائشة: «ما رأيت أكثر قيامًا من رسول الله ﷺ[٢]».

وقال ابن عباس: «كان يتهجَّد الليل كله حتَّى أنزل الله تعالى عليه: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

قَلِيلاً*نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً*أَوْ زِدْ﴾ [المزمل:٢، ٣، ٤]».

وفِي الحديث: «أوحى الله تعالى إليه: أن ارفق بنفسك؛ فإنَّك عزيزٌ عندي[١]»، وقالت لــه عائشة: أتفعل هذا؟ وقد غفر الله تعالى لك فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا[٢]».

العــادل: فِي أحكامه، قَالَ عمر: «ما رأيت أحسن نظامًا من حكمه، ولا أرفق فِي الأحكام، ليس بالفظٍ فِي لفظه، ولا الغليظ فِي رده، بقلبه ينصف الناس، آمنٌ[٣]».

كما جاء: «العربيُّ فِي لغته[٤]».

وقــال ﷺ: «حــبُّوا العــرب لثلاثٍ: أنا عربيٌّ، والقرآن عربيٌّ، وكلام أهل الجنَّة عــربيٌّ[٥]»، وقال أيضًا: «العرب سادات العشائر[٦]»، وفِي الحديث: «لا يبغض العرب إلا منافقٌ[٧]»، وألَّف بعضهم كتابًا سماه: «بلوغ الأرب فِي محبة العرب».

العروة الوثقى: التي لا تتغير.

وقال آخرون: فيما جاء به من الآيات البينات.

وقال بعضهم: فِي ملته، وقد أحسن من قال: هو العروة الوثقى لكل مؤملٍ.

الــزاهد: ما بلغ الأنبياء ذرةً من زهده فِي الدنيا، ولا مدَّ عينيه لزينتها، ولا لمَّا فيها، ولا أخذ ما يكفيه، قطُّ ما جلس عَلَى مائدةٍ وملأ جوفه، ولا استحسن لبسًا، وكان يرقِّع الثوب، ويجود بما عليه، ودعا بذلك لمن تبعه، وقام بسنَّته، وقال: «اللَّهُمَّ سلم من اتَّبعني من كل بدعةٍ، وملِّكه زمام نفسه[٨]».

زعيم الأنبياء: المشار إليه فيما يقوله.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه الطبراني فِي الأوسط (٦٩/٩)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٥٣/١٠).

(٦) ذكره القاري فِي المصنوع (١٢٣/١)، والعجلوني فِي كشف الخفا (٧٥/٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي فِي العلل (٢٩٥/١)، والهيثمي فِي مجمع الزوائد (٥٣/١٠).

(٨) لم أقف عليه.

وقال الطوسي: عارفهم، وقال الحافظ: أزكاها وأنبأهم وأعرفهم وأخبرهم.

الزكيُّ الزائد: مأخوذٌ من الزكو، وقيل: النمو والربح، وإذا زكي ونما وربح زاد؛ فهو زاكٍ عَلَى سائر النبيين بما أعطاه الله تعالى.

زيــن من فِي القيامة: لمَّا ورد: «أنا زينُ القيامة(١)»، وفِي قول ابن عباس: زين الله تعــالى بــه الجنَّة؛ فهو زينها: أحسنها، وهو كذلك أحسن النبيين، وأبهى ما زيَّن القيامة، وزين من فيها.

الغالب: بشريعته وملته القائمة، وقيل: الغالب لأعدائه القاهر.

وقال ابن أبي العلا: سماه الله تعالى النبي الغالب فلا يُقهر أبدًا.

وقــال ابن عباس: محمد الغالب القاهر المنصور، فلا يجاريه أحدٌ إلا كباه الله تعالى، ولما أرسل رسل الحبشة قَالَ لهم: «أنا النبيُّ الغالب، وأمَّتي الغالبة، وأنتم الأعلون؛ فلا يُنتصر عليكم(٢)»، قَالَ عمر: فوالله ما قصدنا شيئًا إلا كنَّا غالبين وأعداؤنا مغلوبين.

فِــي قــوله تعــالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣] المراد: محمدٌ وأصحابه، وقيل: الملائكة فِي يوم بدر، وقيل: غير ذلك.

الغنــي بــالله: والغنى بالله هو التخلِّي والتجريد عمَّا سوى الله تعالى، والنبي ﷺ أغنى الأغنــياء، وأسعد السعداء، وعين الشهداء، جمع الله تعالى لــه أنواع المعارف، ولنا فِي ذلــك دقيقةٌ: لمَّا وقف فِي قليب بدر نادى قريشًا: «قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا، ثم نــادى كــل واحــدٍ باسمه، فقال الصديق: يا نبيَّ الله، هل يسمعون؟! فقال: إنهم لأسمع منكم(٣)».

وفِــي حديث: «لستم بأسمع منهم، نحن الأغنياء بالله تعالى، العارفون به، الدالُّون عليه، لو كشف الله تعالى لك يا أبا بكر لسمعت جوابهم(٤)»، قَالَ ذلك الطبراني، وساقه

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الطبراني فِي الكبير (١٠/١٦٠)، وابن أبي عاصم فِي السنة (٢/٤٢٨)، وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٦/٩١).

(٤) تقدم فِي سابقه بنحوه.

الحافظ الذهبي، ولم أر هذا اللفظ فِي الصحيحين، وذكره فِي الحسان، وذكره الطبراني فِي معجمه، وابن حنبل فِي كتاب الزهد، ورأيته فِي كتاب السنة والسنن لأبي داود الغيث بما رواه مالك فِي الموطأ عن معاذ بن جبل فِي قصة غزوة تبوك، وأنهم وردوا العين، وهي تبضُّ بشيءٍ من الماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم حتَّى اجتمع فِي شيءٍ، ثم غسل رسول الله ﷺ فِيْهِ وجهه ويديه وأعاده، فجرت ماءً كثيرًا، فأسقي الناس(١).

قال فِي حديث ابن إسحاق: «فانخرق من الماء ما لـه حسٌّ كحسِّ الصواعق، ثم قال: يوشك يا معاذ إن طال بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملأ جنابه(٢)».

وفِي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم فِي قصة الحديبية، وهم أربعة عشر مائةً، وبئرها لا تروي خمسين شاةً، فنزحناها، فلم تنزل منها قطرةٌ، فقعد رسول الله ﷺ عَلَى حافتها، قَالَ البزار: «أتى بدلوٍ منها، فبصق ودعا»، وفِي الصحيحين قَالَ سلمة: فإما دعاء وإما بصق فيها فجاشت، وأرووا أنفسهم وركابهم(٣)، وفِي غير هاتين الروايتين من طريق ابن شهاب فِي الحديبية: فأخرج سهمًا من كنانته، فوضع فِي قعر قليب ليس فيها ماءٌ، فروى الناس حتَّى ضربوا بعطن(٤)، وفِي طريق غيره هذه: فجاءه سلمة، فقال يا نبيَّ الله: هذا غيث عمَّ الجيش، فقال: أنا الغيث لأمتي يا سلمة، سيجعل الله لي رجالاً من أتباعي يكونون كالغيث يدفع الله بهم البلاء(٥).

الفاتح والفتح المبين: الفاتح لمكَّة، وأزال عنها الأصنام والأزلام، والفتح المبين الظاهر بما أجري لـه من الفتوحات عَلَى يديه ويدي أمته، وبهذا المعنى أخبارٌ كثيرة العدد.

الفارق: بين كل ملَّةٍ، وقيل: الذي نسخت ملته سائر الملل.

وقال بعضهم: فارق أهل البغي، وفرَّق بينهم، وقال: «من يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٤/٤)، وأحمد (٢٣٧/٥)، والطبراني فِي الكبير (٥٧/٢٠).

(٢) رواه الطبري فِي تاريخه (١٨٦/٢)، وذكره ابن هشام فِي السيرة النبوية (٢٠٩/٥).

(٣) رواه البخاري (١٥٢٥/٤)، وذكره ابن حجر فِي فتح الباري (٤٤٢/٧).

(٤) رواه البخاري (٩٧٤/٢)، ومسلم (٢٣٠٠/٤)، وأحمد (٣٢٣/٤).

(٥) لم أقف عليه.

يُقبل منه(١)»؛ فهو الفارق والدافع لكل معاندٍ.

الفجـر المنير: المـنير الواضح، وقال الحافظ: سورة القدر ثلاثون كلمةً، الكلمة السابعة والعشرون هي: ليلة القدر وسلام هي حتَّى مطلع الفجر بنصب اللام وخفضها، فالفجر هو المطلع ما نراه، قاله النقاش.

وقال قتادة: هي ليلة القدر فِي الغالب، والفجر صاحبهَا الذي أُنزلت عليه، سماه الله تعالى فجرًا؛ لظهور ضيائه وبهائه.

الفصيح: الذي أعجز الفصحاء والبلغاء فيما جاء به، وتكلم مع أصحابه بعض الأيام، فقام مالك وعمر بن سُبيع وابن داود أكابر قريش وسادات بني كندة، فناداهم: ما بكم يا بني هاشم، أقسم قسمًا ما وطئ الغبرة، ولا ولدت النساء أفصح من محمدٍ، فهو أصدقكُم بهجةً، وأفصحكم منطقًا، وأعلاكم حسبًا، وأكرمكم أبًا وأمًّا(٢).

وسـاق ابـن عباس فِي الحديث الطويل كلامًا، وفِي آخره: «لما خلق الله تعالى آدم أهبطني فِي صلبه إِلَى الأرض، وجعلني فِي صلب نوح فِي السفينة، وقذف بي فِي النَّار فِي صلب إبراهيم، ثم لَمْ يزل ينقلني فِي الأصلاب الكريمة إِلَى الأرحام الطاهرة حتَّى أخرجني بـين أبـوين لَـمْ يلتقيا عَلَى سفاحٍ قطُّ، وجعلني فصيحًا، وأعطاني الرعب، وحُلت لِي الغـنائم»، وحدَّث بما أنعم الله عليه به حتَّى ضجَّت قريش، وقامت أكابر العشائر إليه، وقبَّلوه، وقالوا لـه: يا محمد، فضلك لا يخفى، وذكرك الأعلى، وأنت الشمس الزاهرة، وسيد الدنيا والآخرة(٣)، قَالَ ذلك صاحب الحقائق.

وما أحسن ما قَالَ فِي ذلك عمه العباس بن عبد المطلب:

مِـنْ قـبلها طِـبتَ فِي الظِّلالِ وفِي ... مـستودعٍ حـيث يُخـصفُ الورقُ
ثم هـبطتَ الـبلادَ لا بـشر ... أنـت لا مـضغةً ولا علـقُ
بـل نطفـةٌ تـركبُ الـسفين وقد ... ألجـم نـسرًا وأهلـه الغـرقُ
تُـنقلُ مـن صـلبٍ إِلَـى رحـمٍ ... إذا مـضى عـالم بـدا طـبقُ
أفـصح مـن سـادَ مـتَّفقٌ ... بالفـصاحة فـصيحها العـبقُ

(١) رواه البخاري (١/٢٧)، وأحمد (٢/٣٦٢)، وعبد الله بن أحمد فِي السنة (١/١٢٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

السابق بالخيرات: فيما ورد فِي الجمع بين الصحيحين: أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه، فقال: اليوم أدركت ثأري من محمد، فلمَّا اختلط الناس آتاه من خلفه، ورفع سيفه ليصبَّه عليه، قال: فلمَّا دنوت منه ارتقع إليَّ شواظٌ من نار أسرع من البرق، فوليت هاربًا، وأحسَّ بي النبي ﷺ، فدعاني، فوضع يده عَلَى صدري وهو أبغض الخلق إليَّ، فما رفعها إلا وهو أحبُّ الخلق إلي، وقال لي: ادنُ، فقاتل، فتقدمت أمامه أضرب بسيفِي وأقيه بنفسي، فخطر لي خاطرٌ، فقال لي: تأدَّب أنا السابق بالخيرات، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر:٣٢].

فتحققتُ كلام النبي ﷺ، وقلت فِي نفسي: عسى أكون منهم، فقال: إن شاء الله، فكان ما قَالَ إن شاء الله تعالى(١).

وها أنا أنبِّهك يا أخي لذرةٍ من معجزاته الباهرة، وما جمع الله تعالى لـه من المعارف والعلوم، وخصَّه به من الاطِّلاع عَلَى جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده، ومصالح أُمته، وما كان فِي الأمم قبله، وقَصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إِلَى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم، وسرد أنباءهم، وأيام الله تعالى فيهم، وصفات أعيانهم، وصفات آبائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم، وحكم حكمائهم، ومحاجَّة كل أمَّةٍ من الكَفرة، ومعرفته كل فرقةٍ من الكتابيين بما فِي كتبهم، وإعلامهم بأسرارهم ومخبئات علومهم، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيَّروه إِلَى الاحتواء عَلَى لغات العرب، وغريب ألفاظ فرقها، والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كَلِمها إِلَى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البيِّنة؛ لتقريب التفهُّم للغامض، والتبيين للمشكل إِلَى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فِيْهِ ولا تخاذل مع اشتمال شريعته عَلَى محاسن الأخلاق ومحاسن الأدب، وكل شيءٍ مستحسنٌ مفصَّلٌ لَمْ ينكر منه ملحدٌ ذو عقلٍ سليمٍ شيئًا إلاَّ من جهة الخذلان، بل كل جاحدٍ لـه وكافرٍ من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوَّبه واستحسنه دون طلب إقامة برهانٍ عليه، ثم ما أحلَّ لهم من الطيبات، وحرم عليهم من الخبائث، وصان به أنفسهم وأعراضهم.

(١) لم أقف عليه.

الساجد: المداوم عَلَى السجود؛ لمَّا ورد عن عائشة أنها قالت له: أنت النبيُّ الساجد فقال: «يا حميراء، أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ، ومن صلَّى عليَّ فِي سجوده لَمْ تزل الملائكة تصلِّي عليه[(١)]».

سبيل الله: فِي سائر التقرُّبات والتوسُّلات.

وقال: سبيل الله لذكره.

لمَّا ورد: «أنا سبيل الله، الداعي إليه، من صلَّى عليَّ نجا وفاز، السعيد فِي الدنيا والآخرة، فلا سعيد مثله[(٢)]».

وقيل: السعيد المفرد بالسعادة السابقة، وقيل: السعيد لتوليه أسباب السعادة.

محل الطلاسم: التي طلسمت بِهَا القلوب، ومحلُّ رموز العزائم، وقال معاذ: محل الطلاسم التي طلسمت القلوب، وقال عبد الله بن رواحة: من أراد حَلَّ طلسم قلبه: أي يزيل ظلمته فليكثر من الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ.

والطلسم: العزيمة التي أخفت سائر الأشياء، ففكَّ رمزها بحله، والقصد فِي ذلك جلاء ما عَلَى قلب العبد ببركة الصلاة عليه ﷺ.

مبطل الإقسام والعزائم: ومسترقِّين السمع والسحر المغيِّر، وما كان فِي الجاهلية، وما فعلته الحكماء من رصد الكواكب، والسحر المفرط كتغيُّر الخِلقة رفعه الله تعالى وحجب ذلك، وقطعه، مثل إظهار البحار والسفن، وغير ذلك أبطله الله تعالى عن أمته؛ فلا تأثير فيما ذكرنا ببركته.

وما نقل عن العلماء: أن السحر له تأثيرٌ عظيمٌ فِي الأجسام، وما وقع له فإنه صحيح وباتفاق العلماء ما ذكر فيما وقع له ﷺ مع اليهودية، فليس من هذه الحيثيَّة، وليس هو مثل تغيير الخلقة واستراق السمع، ورصد الكواكب، وما صفَّده الحكماء من حكمتهم وشماثيلهم وعجائب أرصادهم أبطله الله جلَّ وعلا، مثل عمل أفلاطون وجالينوس وبلنياس، وغيرهم مما يطول شرحه، وإنما تأثير السحر فِي الأبدان إما لتأثير الأسماء، وإما لتمكن الشيطان من الأجسام.

---

(١) رواه العقيلي فِي الضعفاء (١/١٥٦)، وابن عدي فِي الكامل (٢/٥٩)، وذكره المناوي فِي فيض القدير (١/٣٧٢)، وابن حجر فِي لسان الميزان (٢/١١).

(٢) لم أقف عليه.

ضارب الأمثال فِي حديثه: فما فاته لغة قومٍ، ولا مثل قومٍ إلا ضربه لهم، وضرب الله لــه الأمــثال فِــي كتابه العزيز، وبيَّن لــه كل شيءٍ، وأظهر شريعته بضرب الأمثال القاصمة القاطعة.

الأطــيط: قَــالَ ابن الأثير: الأطيط صوت الأكتاف، وأطيط الإبل أصواتها وحنينها، وذلك لمَّا فيها من كثرة الملائكة، وكما أن الفتى إذا ثَقل حصل منه أطيطٌ.

ومنه حديث: «العرش عَلَى منكب إسرافيل، وإنه ليئِطُّ أطيط الرحل الجديد»، وقيل: لأطيطه فِي سجدة الشفاعة الكبرى، وأنه ليئِطُّ فِي محامده إِلَى ربِّه.

وقــال الحريري: أطوط الرجل بصوته: أي بكلامه الذي تميل إليه القلوب، وتشتاقه الــنفوس، وهــذا غاية البلاغة فِي حقِّه ﷺ، ومحاسن ألفاظه ومحامده وطيب نغمته عَلَى صــوت داود عليه الصلاة والسلام، لمَّا ورد فِي حضيرة القدس، وفِي القاموس: أطئت السماء: أي صوتت، وحقَّ لها أن تئط: أي تصوِّت، وذلك لمَّا فيها من كثرة الملائكة.

الأخــوف: لقــوله ﷺ: «لو تعلمون ما علمتُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا[(١)]» المعــنى: امتنع قلة ضحككم وكثرة بكائكم لامتناع علمكم بالذي أعلم، وقدَّم الضحك عَلَــى الــبكاء لكونه من المسرة: أي لو تعلمون ما أعلم من الهائلات والعقبات الخطيرة وتفاصيل أهوال يوم القيامة وانكشف لكم الحجاب فإذا رأيتم ما أرى فتبكوا كثيرًا، فإذا غفلــتم عن ذلك زمنًا يسيرًا ضحكتم قليلاً، أخرجه البخاري فِي كتاب الرقائق، وقوله لبعض أصحابه: «لو دمتم عَلَى ما أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة[(٢)]»، وفِي حديث «لــصافحتم الملائكة[(٣)]»، وفِي قوله: «لنفسك عليك حقٌّ، ولزوجك حقٌّ[(٤)]» وكل هذا ظاهرٌ، بيِّن فِيْهِ علوَّ مقامه الشريف، وما خُصَّ به انتهى.

وخــرَّج الحــافظ المــنذري من طريقٍ أخرى: «إنِّي أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا

---

(١) رواه البخاري (١/٣٥٤)، ومسلم (١/٣٢٠)، والترمذي (٤/٥٥٦)، والنسائي فِي الكبرى (١/٤٠٥)، وأحمد (٢/٣١٢)، وابن ماجه (٢/١٤٠٢).

(٢) رواه مــسلم (٤/٢١٠٩)، والتــرمذي (٤/٦٦٦)، وأحمد (٢/٣٠٤)، وابن ماجه (٢/١٤١٦)، وابن حبان (١٦/٣٩٦).

(٣) رواه البيهقي فِي الشعب (٥/٤١٠).

(٤) رواه أحمد فِي المسند (٢/٢٠٠).

تسمعون[١]» يريد أن الله تعالى خصَّه بعلم لَمْ يخصّ به أحدًا غيره، ولعل منه ما رآه فِي النَّار ليلة الإسراء.

وقال الحافظ ابن حجر: هو ما رآه فِي مقامه الأعلَى من النَّار وقباحة منظرها فِي ليلة الإسراء من حيث إن الله تعالى كشف لـه عنها، ورأى عقوبات أهلها، وقوله فِي مقامه: أي فيما كُشف لـه وهو فِي أعلَى العَلَى إلَى ما رآه فِي الدرك الأسفل من النَّار وقباحة منظرها والأهوال وغير ذلك، وهو فِي مقامه ما انحلَّ عنه؛ فهو أثبت النبيين وأخوفهم ﷺ متكلِّف الأنواع من العبادات والرياضات، والخيرات، ومكارم أخلاقه التي هي كالريح المرسلة، وكرم يده، وضجيج نسائه منه لمَّا رأينه فِي هذا الاجتهاد، قلن لـه: أتتكلف هذا؟! وقد غفر الله تعالى لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا[٢]».

قال الحافظ: هو استفهامٌ عَلَى طريق الإشفاق، وما أحسن هذا الجواب.

المعنى: فإذا أكرمني الله ﷻ بغفرانه أفلا أكون شكورًا لإحسانه، وقوله (شكورًا) دليلٌ عَلَى علوِّ همته ﷺ.

وقد أثبت الله تعالى هذه الصفة لقليلٍ من عباده بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وهو ﷺ خلاصة هذا القليل، فلا نظير لـه.

فائدة

قال السنوسي فِي قوله: (وقد غفر الله لك) ليس معناه أن هناك ذنبًا متقدِّمًا وذنبًا متأخرًا؛ لمَّا عُلم من وجوب عصمة الأنبياء عمومًا، وعصمته ﷺ خصوصًا، وأقرب ما يؤول أن المراد هنا وفِي سورة الفتح: المغفرة اللغوية؛ وهي الستر، وتكون العبارة من باب الأخذ بالأطراف للدلالة عَلَى الإحاطة، كقوله: قرأت القرآن أوَّله وآخره: أي أحطت بطرفيْهِ اللذان هما محل النسيان والإهمال، فكيف بالوسط؛ فالمعنى أن الستر أحاط بالذنب: أي فلم يصل إليه ﷺ، فستر عنه: أي منهم عنه أوله وآخره، فالغفران للأنبياء هو العصمة.

(١) رواه الترمذي (٤/٥٥٦)، وأحمد (٥/١٧٣).

(٢) تقدم تخريجه.

العاقل: الكامل العقل.

وقال ابن جماعة: الذي أصل دينه العقل كله.

وقال الحافظ: رأس ماله العقل.

وقال بعضهم: العاقل العارف؛ لمَّا ورد عن عليٍّ ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنَّته: أي طريقته، فقال: «المعرفةُ رأس مالي، والعقلُ أصلُ دينِي وأساسي، والشوقُ مركبِي، وذكر الله ﷻ أُنسي، والثِّقةُ كَنزي، والحزَنُ رفيقِي، والعلم سلاحِي، والصبرُ ردائي، والرضا غنيمتِي، والفقرُ فخرِي، والزهدُ معرفتِي، واليقينُ قوتِي، والصدقُ شفيعي، والطاعةُ حسبِي، والجهادُ خُلقي، وقرَّةُ عينِي فِي الصلاة، وشوقي إِلَى ربِّي[1]».

هذا الحديث فِيْهِ سبعة عشر اسمًا من أسمائه ﷺ، وهو صاحب المعرفة، صاحب العقل، صاحب الحبِّ كله، صاحب الشوق، الكنز الأكبر، صاحب الأسف؛ وهو الحزن، صاحب العَلم الأخضر، الصبر كله، الرضا، ملك الفقر، صاحب الزهد، اليقين، الصدق، صاحب الطاعة، صاحب الجهاد، صاحب الصلاة.

فهذه سبعة عشر اسمًا ذكرها الحافظ عبد الغني ﷺ، بقوله: من أسمائه صاحب المعرفة، وقال فِي الحديث: (المعرفة رأس مالي): أي المعرفة بالله تعالى قدَّمها، وجعلها رأس ماله؛ إنها أول واجبٍ عَلَى المكلف، وفِي الحديث: «أنا صاحبُ المعرفة، المتحقِّق بأنواعها[2]»، فسائر أنواعها مأخوذةٌ منه وعنه، وهو خلاصة النبيين ﷺ، (صاحب العقل) الكامل الذي كل شيء دونه، وقوله فِي الحديث: (العقل أصل ديني) جعله أصلاً لتوقُّف الكلِّ عليه.

وقال القاشاني: الذي كل عقل منه، والعقل سرٌّ نورانيٌّ، يدرك به الموهبة عَلَى قدر ما أعطاه الله تبارك وتعالى، والعقل يزيد وينقص، يزيد بزيادة الإيمان، وينقص بنقصه، وعقله ﷺ سرٌّ جمع الله تعالى فِيْهِ سائر المعقولات؛ فلا يُدرك شيءٌ إلا منه وبه؛ لأنه واسطة السرِّ المكنون.

الحب كله له: لأنه أساسه وبابه، فهو حبّ الله تعالى، وعزيز الله تعالى، حب الله

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

تعالى الذي يتوصل به إليه، وعزيز الله تعالى الذي هو عزيزٌ عليه، وقوله:((الحب أساسي)): أي حـــبُّ الله تعالى، وإنما جعله أساسًا؛ لأنه الباعث عَلَى الموصول إِلَى المحبوب، وقولنا: (الحب كله) لشدة محبَّته كقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

صـــاحب الشوق: إجماعًا باتفاق العلماء؛ لقوله: ((من لَمْ يكن شوقه منِّي فليس لـــه شوق"[١])).

وفِي معنى قوله ﷺ: ((الشوق مركبي))؛ لأنه الباعث عَلَى المسير إِلَى الشوق إليه.

وقال عمر بن عبد العزيز: كل شوقٍ تعلق به ارتقى به صاحبه، ومن لَمْ يتمسك بهذا الشوق ليس لـــه قدم الأنس بالله تعالى؛ لأن الله ﷻ قرن اسمه باسمه، فلا يُذكر إلا ويُذكر معه، فأنس العبد بالله تعالى فِي ذكره ﷺ.

وقـــال العارفون وأهل القدم: ما ذكرنا الله تعالى وذكرنا النبي ﷺ معه إلا استأنسنا بذكره.

وقال الحسن البصري: من محاسن أسمائه الأنس بالله ﷻ؛ لأن حقيقة الأنس ذكره مع الله تعالى فِي سائر العبادات وتوجهات العبد.

الكنـــــز الأكبر: الأنبياء كنوز أتباعهم، وأمَّته أكبر أمم الأنبياء وأكثر، وهو الكنـــز الأكبر؛ لمَّا عنده وما فِيهِ من الثقة بالله ﷻ بقوله عليه الصلاة والسلام: (الثقة كنـــزي): أي التوكُّل عَلَى الله تعالى، فهو سيِّد المتوكِّلين.

صاحب الأسف: الذي لا خلل فيه؛ لشدة خوفه وحزنه مراقبته، وفِي حقٍّ غيره يحزن ويتأســـف عَلَى ما فات، ولا يعلم ما هو آتٍ، وفِي حقه قد علم مقامه، فكل خيرٍ منه؛ لأن سائر الأعمال مندرجةٌ فِي أعماله، فما فات أجره فِي عملٍ مضى، ولا عمل بقي من مبتدأ الدنيا إِلَى قيام الساعة.

وقوله: (الحزن رفيقي) كان متواصل الأحزان، كثير الخشية، سريع الدمعة، ولما سُئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن ذلك قالت: ((صاحب الأسف، حتَّى كان لا يفارقه فقلنا: يا أم المؤمنين أسفه عَلَى ماذا؟ قالت: عَلَى أمته، وما يكون لهم، ويحزن عَلَى هذه العصابة ويسأل الله تعالى لهم، ثم بكت وقالت: كله رحمةٌ[٢])).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

قال ابن سيِّد الناس: حضر ذلك ملأٌ فِي السنة الحادية والعشرين من الهجرة عَلَى صاحبِهَا أفضل الصلاة والسلام صاحب المقام الأخضر، قيل إنه نشر عَلَى رأسه فِي بعض غزواته، والمعلم الأفخر، وأشار إِلَى ذلك بقوله: (العلم سلاحي) سماه سلاحًا؛ لأنه إِلَى الذبِّ عن دين الله ﷻ جعل ذلك سلاحًا، وهو برهانٌ قاطعٌ لإزالة الشبهات.

الصبر كله: بقوله: (الصبر ردائي) سماه رداءً لإحاطته به إحاطة الرداء بالمتردِّي، ولا ينافِيْه ما ورد: (والصبر ضياءٌ)؛ لأنه المتردي بالنور.

الرضا: لعدم غضبه، ولقوله عليه الصلاة والسلام: (والرضا غنيمتي) تفسيره حديثٌ آخر: «رضيت بالله ربًّا[1]».

مَلك الفقر: إِلَى الله تعالى بقوة زُهده والتجائه، فهو سلطانٌ لكل متخلقٍ به بعدم تلفت لوجود الموجود وعدمه، ولذلك قال: (الفقر فخري): أي الافتقار إِلَى الله تعالى بالتجائي إليه، والغنى به عمَّا سواه، وأيُّ فخرٍ أعظم من ذلك؟.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: حديث: (الفقر فخري) لا أصل لـه، ومعناه: أنه فِي مقام العبودية؛ فالعبد عاجزٌ أبدًا.

قال الجلال السيوطي: العبد عاجزٌ أبدًا بالنسبة إِلَى فقر النبيِّ ﷺ، والنبيُّ ﷺ عاجزٌ مع كمال رتبته وشدة فقره لربِّه والتجائه لـه، فتشرفه بالله تعالى وفخره به لا بالفقر المنسوب، وأما العجز المستفاد منه فهو الشاغل عن العبادات، وعن إقامة الحدود وإضاعة الشريعة والسنة، فلا ملك للفقر سواه؛ لأنه المتجرد الأعظم.

صاحب الزهد: لقوله ﷺ «الزهد حرفتي[2]».

قال الجويري: الحرفة بالكسر: الصناعة، والمعنى عَلَى هذا (الزهد شغلي).

وفِي اللآلئ يقال للرجل المنقوص الحظ الذي لا ينمو، وقيل: الذي لا يرغب فِي المال.

وفِي حديث سيِّدنا عمر ﷺ: «فحرفة أحدِكم أشدُّ عليه من عيلة اليقين[3]»، لقوله:

(١) رواه مسلم (١/٢٩٠)، وأبو داود (٢/٨٧)، والترمذي (٥/٤٦٥)، والنسائي فِي الكبرى (١/٥١١)، وأحمد (٤/٣٣٧)، وابن ماجه (١/٢٣٨).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

فكل يقينٍ لا يكون به ليس بيقينٍ[١]».

وقال ابن عباس: اليقين بالله تعالى هو ﷺ، واليقين من حيث اعتقاده، وفِي قوله: (اليقين قوتي): بالتاء علم أن لا رازق إلا الله تعالى، ومن يتيقن ذلك رزقه الله تعالى من حيث لا يحتسب، وفِي معنى: ذكر من رزقه الله تعالى اليقين فلا يلتفت للأسباب.

الصدق: سماه الله تعالى به، وسُمي القرآن صدقًا ومصدِّقًا، وسماه الله تعالى صدقًا وصدِّيقًا وصادقًا، وقوله: (الصدق شفيعي)؛ لأن الاعتراف بالحق، وقوله: «الصدقُ داعٍ لإطفاء الغضب، وهو الباعث عَلَى العفو[٢]» فكان هو بمثابة الشفيع لطالبه، وفِي حقه ﷺ شمول عنايةٍ هو متخلقٌ بها، فلبسته، فكان هو الاسم لها.

صاحب الطاعة: فِي جميع توجهاته وحالاته؛ لقوله ﷺ: «الطاعة حسبي»: أي تكفيني.

صاحب الجهاد: بقوله عليه الصلاة والسلام: «الجهاد خُلقي».

قال الشارح: لأنه نبي الجهاد صاحب الصلاة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «قرَّةُ عيني فِي الصلاة[٣]»؛ لأنه إذا أدَّاها حصل لــه سكونٌ وطمأنينةٌ، وإنما أفردها بهذا الحكم من دون سائر التكاليف لتكرارها فِي اليوم والليلة بخلاف غيرها من العبادات، وقوله: (وشوقي إِلَى ربي)؛ لأن ما فِي قلبه إلا هو.

قال السخاوي: هذا الحديث موضوعٌ، ورأيت من شرحه.

وقال بعض أهل الأثر: جُمع فِي هذا الكلام عدة أحاديث صحيحة، وما نرى لها سندًا.

وقال الحافظ: ما نقل عن عليٍّ هذا، وألفاظه كثيرة المعاني، دالَّةٌ عَلَى ألفاظ النبوَّة، شاهدةٌ لأهل السنَّة.

وقال السيد الأرميوني: جميع الموضوع وجميع ألفاظها قويةٌ لها نورٌ، وقد يسَّر الله تعالى من فضله بما يسَّره من معاني أسمائه الشريفة، ختمت بِهَا هذا الباب فيما ذكرناه من ذكر أسمائه الشريفة التي أوصله الله تعالى بِهَا مع أسمائه، وذلك أن الله ﷻ وتبارك وتعالى

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه النسائي فِي الكبرى (٥/٢٨٠)، وأحمد (٣/١٢٨)، والحاكم فِي المستدرك (٢/١٧٤).

لا يُشبهه شيء ولا يشبَّه به، وأن ما جاء مما أطلقه الشرع عَلَى الخالق وعَلَى المخلوق فلا تشابه بينهما فِي المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، كما أن ذاته لا تشبه صفات المخلوقين؛ إذ صفاتهم لا تنفكُّ عن الأغراض والأعراض، وهو تعالى منزَّهٌ عن ذلك، بل لَمْ يزل بصفاته وأسمائه، وكفى فِي هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، سبحانه لا إله إلا هو تبارك.

ولله درُّ من قَالَ من العلماء العارفين المحققين: التوحيد إثبات ذاتٍ غير مشبهة للذوات ولا معطلة للصفات.

وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله تعالى بيانًا، فقال: ليس كذاته ذاتٌ، ولا كاسمه اسمٌ، ولا كفعله فعلٌ، ولا كصفته صفةٌ، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجلَّت الذات القديمة أن تكون لها صفةٌ حديثةٌ، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفةٌ قديمةٌ، وهذا كله مذهب أهل السنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم.

وقد فسَّر أبو القاسم القشيري قول الواسطي فِي رسالته، وزاد شيخ الإسلام الشيخ زكريا وقال: كلام الواسطي يشتمل عَلَى جمع مسائل التوحيد.

وأفاد أبو القاسم القشيري ببيانه فِي رسالته بقوله: وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات، وهي بوجودها مستغنيةٌ؟! وكيف يشبه فعله فعل الخلق، وهو لغير جلب أنسٍ أو دفع نقصٍ حصل ولا بخواطر وأعرض وُجد، ولا بمباشرة ومعالجة ظهر، وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه؟!

وقال الإمام الجويني: من اطمأنَّ إِلَى موجودٍ انتهى إليه فكره، فهو مشبهٌ، ومن اطمأنَّ إِلَى النفي المحض فهو معطِّلٌ، وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراك حقيقته فهو موحِّدٌ.

وقال شيخ الإسلام فِي شرح الرسالة: قَالَ بعض مشايخنا: ما توهمتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فهو محدثٌ لكم.

وقال ذو النون المصري: حقيقة التوحيد أن تعلم قدرة الله ﷻ فِي الأشياء بلا علاج، وصنعته لها بلا مزاج، وعلمه كل شيءٍ صنعه، ولا علة لصنعه، وما تُصور فِي وهمك فالله تبارك وتعالى بخلافه، فاعرف هذه المعاني، وانصر الحق، واسأل الله تعالى القبول فيما قلنا، وما نقول، وحسبنا الله، وكفى، وسلامٌ عَلَى عباده الذين اصطفى.

قال القاضي عياض: هذا كلامٌ عجيبٌ نفيسٌ، تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، والثاني: تفسير لقوله تعالى: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، والثالث: تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

ثبتنا الله تعالى وإيَّاك عَلَى التوحيد والإثبات والتنزيه، وجنَّبنا طُرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه، وقد أحسن بعض الفضلاء فِي كلامه وبديع نظامه حيث نظم هذه المقصورة الدريدية حيث قَالَ من محاسن ألفاظه:

محاسنُ أسماءِ خيرِ الورى ... نِعْمَ الورَى والقِرى والذُّرَى
محمدٌ أحمدٌ أسماؤه ... وطه وليس فيما روَى
ومُزَّمِّل ثم مُدثِّر ... عَلَّمَهُ اللهَ شديدُ القُوَى
مُقامٌ لدَى سِدرةِ المُنتهى ... ومن ذا إليه حقيقًا انتهى
مود مود بإنجيلهِ ... وطابَ بتوراته المصطفَى
نبيٌّ هداهُ إله السماءِ ... فأوحى إليه بما قد دَرى
لأن كَلم الله موسى النبيَّ ... عَلَى جبلِ الطُّورِ يوم النِّدا
فإنَّ النبيَّ سُمِّي قاسمٌ ... وحاشرٌ ماحي نبيُّ النِّدى
أبو القاسم الفرد غوثًا لنا ... مغيثٌ بنا عالم قد وفا
جيء بالرسالةِ فِي عالم ... رجاه الندا نبيٌّ سما
وإن كان نوحُ نَجا سالمًا ... عَلَى الفُلكِ فِي البحرِ لمَّا جَرَى
فإنَّ النبيَّ نَجا سَالمًا ... إِلَى الليلِ فِي الغارِ لمَّا دَجى
وإن كان هودٌ دعا ربَّهُ ... فأهلكَ بالريحِ مَنْ قد طَغَى
فإنَّ النبيَّ رمى بالحصاةِ ... فلينهزمْ القومُ لمَّا رَمى
وإن كانَ فِي صالحٍ آيةٌ ... لأهلِ مدينِ وادي القُرى
بإخراجهِ لهم ناقةً ... لديها فصلٌ سريع الخُطا
فما ذاك أعجب من حفنة ... قليلٍ من الرِّجلِ عمَّ الملا
وإن كان لوطٌ دعا ربَّهُ ... عَلَى القومِ فاستوصلوا بالبَلا
فإنَّ النبيَّ ببدرٍ دعا ... عَلَى المشركين بسيفِ الفَنا

ونــاداه جــبريلُ مــن جنــبه ... يبــشِّرك لبــيك سَــل ما تشَا
وإن كــان الــنَّار قــد أضرمت ... لــيومِ الخلــيلِ بأمــرٍ أَتَــى
ونُــودِيت الــنَّار مِــنْ فــوقها ... ســلامٌ ســلامٌ بهــذا قَــضَى
فــإنَّ الــنبيَّ وأصــحابه ... لقــد هــزَّهُ الطَّــودِ أعني حِرَا
فــناداهُ: اســكنْ بِــنا يــا حراء ... عــلاك الــنبيُّ وأهــل التُّقــى
وإنْ كــانَ يوســفُ فِــي حُسنه ... لأبهــى مِــنَ البدر حين استوى
وإنْ كــان يــونسُ قــد ضــمَّه ... فمُّ الحوتِ فِي البحر لمَّا احتوى
فتقديــسه يــا عظــيم الــرجا ... وتــسبيحه يــا سمــيع الــدُّعا
فــنجَّاه بالفــضلِ مــن بطــنه ... وذلــك لطفًــا بــه واعتــنا
فــإنَّ العُــداةِ أرادوا الــنبيَّ ... فــنجَّاه ربِّــي بغــار الــنَّجا
وإن كــان موســى سقى قومه ... عــيونًا من الماء بضرب العصا
فَمِــنْ كَــفٍّ أحمــدَ فُجِّــرتْ ... عــيونٌ مــن المــاء يوم الظَّما
وإن كــان لهــارون مــن قــبله ... حُيــي بالــوَزارة والاصــطفا
فــإنَّ الأخــوة قــد نالهــا ... علــيٌّ بــلا شــكٍّ يوم الإخا
وإن كــان داود وقــد ســبَّحت ... لَدَيــهِ الجِــبَالُ وطَــير الهَــوَى
ففِــي كَــفٍّ أحمــد قد سبَّحت ... يــنقذ بــيس ربِّي صغارَ الحصا
وإن كانــت الجــنُّ قــد نالهــا ... ســليمان والــريح تجري رخا
فمــن غُــدُوِّهَا قــباله ... وشــهرٌ رَواحٌ إِلَــى حيث شا
فــإنَّ الــنبيَّ حــوت كفُّــه ... عــنان الــبراقِ دجى إذ سَرَى
علــيه الرســولُ ســرى ليلــته ... مــن المــسجدين إِلَى المُرتقَى
لقــد كــان بالقــربِ مــن ربِّهِ ... كَمَــا قَــابَ قوســين لمَّا دنَى
وإنْ كــان يحــيى بكــت عينه ... مــن الخــوف بأحبٍّ ذاك البكا
فــإنَّ الــنبيَّ بكــت عيــنهُ ... فأعطــى بــذلك جزيل العَطَا
وإن مــريم أحــصنت فَــرْجَها ... فَجــاءت بعيسى كَبدر الدُّجى
فقــد أحــسنت فاطمــةُ بعدها ... فجــاءت بــسبطيْ نــبيٍّ هُدَى

وَزوَّجهـا الله سـبحانه ... علـيًّا بـلا شكٍّ دون امتـرا
وإن كـان مـن ماتَ يُحيي لَكُمْ ... مـن القـبرِ مِنْ بَعدِ طُولِ البِلا
فيجيـبه عيـسى بقـدرةِ مـن ... يُمـيت ويُحيـي أهـل الـدُّنا
فـإنَّ الـذراعَ وقـد سَمَّهـا ... يهـودُ لأحمـدَ حـين القِرى
فـنادتهُ إنِّـي لمـسمومةٌ ... فـلا تَـأْكُلني وُقـيتَ الرَّدَى
تَـسوَّغها أكلـةٌ ثم قَـالَ ... لهـم قـد وُقَيـتم عظيمَ الأذى
فمَـنْ مِـثْلُ أحمـدَ فيمن مَضى ... مـن الرُّسـلِ فِي سالفِ الأنبيا
لـه الحـوضُ لا شكَّ نجا به ... ويدعـو إلَـى وِرْدِه الأولـيا
شـفاعتهُ عمَّـت المذنـبينَ ... وفِـي الخطَّـائين وكـلِّ العُصا
ويُعطـى مُحمـدٌ مـن ربـه ... ويُعطـى ويعطـون كـلَّ المُنى
ويُـبدي الإلـه لكـم وجهـهُ ... كمـا رواهُ الـذي قـد روى
ويُعطـى لـواءَ الحمدِ مُسْتَعْجِلاً ... ويُدعَـى علـيٌّ لحمـل اللـوا
يـناديهِ طـه بأسمائـه ... رفـيعٌ مكـينٌ نـبيٌّ أَتَـى
رقـيبٌ وروحٌ ومَـنحَا كَفَـى ... وطاهـرٌ طـيب طـيب دحا
وطـس طـسم حـامٍ لـنا ... ومـن ذا يَعـد لـرمل الحصا
هـو العـالم العامـلُ المرتقـي ... هـو الفائـزُ الـراجحُ المرتقَى
وعـبدٌ تقـيٌّ وفِـي وفَـى ... وعـروةٌ وثقـى نـبيٌّ الـسُّقا
وغـيثٌ وغـوثٌ غـياثٌ غثا ... نـبيٌّ زُلفـى نـبيٌّ الرِّضـا
سـراجٌ مـضيءٌ أضـاء الـسنا ... وطـاب الثـناء لـه والثـنا
وفـاتحٌ فـتَّاح فجـرٌ فجـاء ... فجـيحٌ نَجـيحٌ مـنيرٌ أضـا
قـويٌ قـوي بالقـوى فاحتوى ... عَلَـى كـل نـوعٍ بما قد سما
وعلاَّمـةُ الدهـرِ عالمهـا ... شـهيدٌ كـبيرٌ جلـيلٌ جـلا
خلـيلٌ خَـلا حبـيبٌ جـلا ... وليٌّ وَلَـي بالرضـا والعُلـى
جمـيعُ الـورى تحـت أقدامـه ... لـه قـدمٌ قد حَمَى واحتَما
وإنِّـي بـه لائـذٌ لائـذٌ ... بـه فِـي النـبأِ والنـبأِ من نَبَا

سَـمَا فِـي السماءِ ساميًا عاليًا وفِـي كـلِّ قطرٍ وفوقَ السما
وأعلَـى العلَـى قـد عَلا زاكيًا وفـوقَ الـزكاءِ بالزّكاء والذّكا
وقـد ضَـبطتُ جمـيع ألفاظِهِ لحفّـاظٍ نطـق بلفـظٍ بَـدا
فِـي كلمـاتٍ زهـت أزهـت وأبهـرت الـصادم الأصـلدا
وحيَّـرتَ العـارفَ العـالم القـائمَ بالحـقِّ طُـرق الهُدَى
أغـنى العـالم الكـل بحـرُه ومـن خـيره جَبَر من قد أَتَى
وإنِّـي مُهـدي لـه مَدحـةً لـدرٍّ ثمـين لـه قـد نما
هـي البكـرُ عذراءُ فِي خِدرِهَا دريديـة صَـاغها مـن قمـا
رقـت بِهَـا كـل نـوعٍ أَتَـى ورقمـي ورسمـي بـأمِّ القُرَى
وأهديـتها خـير مـن قد هدى لأرجـو القَـبول بِهَـا والرِّضا
وقـصدي أنِّـي عَلَـى بَابِـهِ هـو الـبابُ حقًـا إذَا مَا بَدَا
وأهْـدِي لـه تحفـةً جَمَّـةً لَـنَا جـنَّةٌ فِـي نهـارِ القَضَا
وهـي جـنَّةٌ فَاحَـتْ أزْهَارُهَا وأطْـيَارُهَا غَـرَّدَتْ بالـصدَا
وأهـدي صـلاةً إلَـى أحمـدَ تـروح مَـسَاءً وتغدو ضُحى
ولـلآلِ والـصحبِ مَـعَ تابعٍ وتَـابعهم بالـذي ارتـضى
بـتعدادِ رمـل الفـلا دائمًـا لهـا نـسمات الهـنا والعَلَـى

جـزى الله تعالى ناظم هذه الأبيات أحسن الجزاء الفذ، أَتَى بالمعاني الدقيقة وأسمائه الطيـبة، ومعجزاته الباهرة، وآياته الخافية والظاهرة، وإذا تأملها العالم الفاهم عرف معاني كلماتها، وهبَّت عليه نسماتها، وقسمًا بالله تعالى لو أقامت المدَّاح نصف معجزاته ومكارم أخلاقه دهر الداهرين ما وصفوا قطرةً من قطراته.

[فائدة لسيدنا عبد الحق ابن سبعين قدس سره]

وقـد خـتمت هذا الباب بفائدةٍ جليلةٍ ذكرها ابن سبعين: من كتب أربع آياتٍ من القـرآن وأربعـة أسماءٍ من أسمائه ﷺ وأربعةً من أسماء الله ﷻ وتبارك وتعالى وأربعةً من الملائكـة وأربعـة من الصحابة وأربعة من الأنبياء وحملها ودخل عَلَى ظالم كُفِي شرَّه، وكانت لـه قبولاً، ولها شرحٌ طويلٌ غايتها أنها تقضي إحدى وسبعين حاجةً، ولها دائرة.

الباب الرابع

[فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وكيفياتها]

فهـــي ثلاثـــةٌ وثلاثـــون كيفيةً فِي الصلاة عليه ﷺ، وكل كيفيةٍ لها معنًى، وثوابهَا لا ينحـــصر، وفضلها غزيرٌ، لا تسعه الكتب والدواوين، وها أنا أختصر لك اختصارًا كليًّا عَلَى قليلٍ من كثيرٍ من بعض معاني كلماتها إن شاء الله تعالى.

الكيفية الأولى

[صلاة إبراهيم: أي المذكور فيها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام]

وهـــي صـــلاةٌ لا يـــنقطع مددها، زائدٌ عدد ثوابهَا كما قررنا، وإنَّ الله تعالى وجميع ملائكته يصلُّون عَلَى النبيِّ ﷺ دائمًا أبدًا، وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاةٌ واحدةٌ مـــن الله تعـــالى، وأنَّى لهم بذلك، وقد قدَّمنا فِي المقدمة أنه إذا قيل للعارف: أيُّما أحبُّ إلـــيك: أن تكـــون أعمال جميع الخلق فِي صحيفتك؟ أو صلاةً من الله تعالى؟ لمَّا اختار العـــارف غير الصلاة من الله تعالى، فما ظنُّك بمن يصلِّي عليه ربُّنا وجميع ملائكته عَلَى الدوام والاستمرار! فكيف يحسن للمؤمن ألا يُكثر من الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ أو يغفل عن ذلك؟.

فإن قلت: إذا كان الله ﷻ قد صلَّى عَلَى نبيِّه وهو كذلك، فما فائدة طلب الحاصل واتخاذ الموجود؟!

قلـــت: صلاتنا عليه عبادةً وزيادة حسناتٍ فِي أعمالنا، وتربِّي البركات المشوبة فِي أرزاقنا[1].

[نكتةٌ بديعةٌ]

النبيُّ ﷺ أحبُّ الخلق إِلَى الله تعالى عَلَى الإطلاق، وأعزُّ الخلق عنده باتِّفاقٍ، ونحن إنما

---

(١) انظر: مسالك الحنفا للقسطلاني (ص٤٣٧).

نذكــره عليه الصلاة والسلام بأذكار الله لــه، فكأنه فِي الحقيقة هو الذاكر، ومن أحبَّ شيئًا أكثر مِنْ ذِكرِه.

[بديعة]

الحــقُّ تــبارك وتعالى أمرنا بالصلاة عليه لمحبَّته فينا، ومتَّعنا بعطائه الجزيل دون سائر الأمم؛ لاعتنائه بنا؛ فعليك يا أخي بإخلاص النيَّة، وإظهار المحبة، وتصوغ العقيدة، وطلب الأجر، والمداومة عَلَى الطاعة؛ فإن نبينا محمَّدًا ﷺ قد أنقذنا الله تعالى به من الهلكة، ونوَّلنا الله تعالى به كل خيرٍ وبركةٍ، ونحن كالمشكاة أوَّلنا يشفع فِي آخرنا، وآخرنا يترجم عن أوَّلنا، وهذا كله ببركة الصلاة عليه ﷺ.

[فائدة]

النبوَّة اختصاص العبد بكلام الله تعالى، واطِّلاعه عَلَى وحيه، محتملاً للرسالة وعدمها، فالرسالة أخصُّ من النبوَّة، كما أن الرسول أخصّ من النبيِّ عند الجمهور، ولأهل اللغة فِي هذا كلامٌ ومقاصد قررها المجد اللغوي.

[فائدة]

ما الحكمة فِي أن الله تعالى صلَّى عليه بأشرف أسمائه وأعظمها وبواسم الذات؟!

الجواب: دلَّنا بذلك عَلَى علوِّ منــزلته وشرفه، وثناء ملائكته عليه لعلوِّ هيبته، ودليل الآية الشريفة عطف جميع الملائكة عليه بصيغة الإضافة الدالَّة عَلَى العموم، وعدد الملائكة لا يحــصيه إلا الله تبارك وتعالى؛ فإن الملك كله ظاهرٌ باطنٌ أقطار العالم البشري، والعالم البــشري مــوكَّلٌ بــه ملائكةٌ لا تُحصى، وملائكة الله ﷻ أنواعٌ متعددةٌ، وإن أصناف الملائكة الموكَّلون بالأرض وأهلها لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، ولذلك أمرنا النبي ﷺ لا نــستدبر القبلة ولا نستقبلها ببولٍ ولا غائطٍ؛ إكرامًا للمصلِّين؛ لأن الإنسان موكَّلٌ به ملائكــةٌ فِــي الصلاة، وملائكةٌ فِي المجالس، وملائكةٌ فِي الأكل إِلَى غير ذلك، ومنهم ملائكــةٌ موكَّلــون فِي البحر، ومنهم ملائكةٌ موكلون بالهواء فيما بين السماء والأرض، ومنهم السيَّاحون الذين يتتقون مجالس الذكر كما هو فِي الصحيح، فإذا وجدوا مجلسًا فِيْهِ ذكــر قعــدوا معهــم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتَّى يملأ منهم ما بين السماء

والأرض، ومـــنهم الذين ينقلون الصلاة عَلَى النبي ﷺ من عند من يصلِّي عليه ﷺ، ومنهم من يبلِّغه عن المصلِّي عليه باسمه، ومنهم أهل الدواوين لأرباب الوظائف: أي أهل الزوايا، يكتبون أسماءهم، فإذا انقطع أحدٌ منهم لضرورةٍ دعوا لـــه، أو لخيرٍ سألوا الله تعالى إعانته علـــيه، وإذا انقطـــع لغير ذلك سألوا الله تعالى لـــه التوبة ثلاث مراتٍ، ويتأسَّفون عَلَى فـــراقه، ويُعلمون النبي ﷺ بغيابه، يقولون: إن فلانًا انقطع عن جماعته، وهذا مقـــرَّرٌ أنه عارفٌ بأحوال أمته، يعرف كل واحدٍ بحاله، فلا تكن يا أخي من أهل الفتور والكسل، فقد كان بعضهم إذا همَّ بكلمةٍ يقول: أخاف أن يراها النبيُّ ﷺ ليلة الإسراء.

منهم خزنة الجنَّة، ومنهم خزنة النَّار، ومنهم حملة العرش.

ومنهم الموكَّلون بالحجب.

ومـــنهم موكَّلـــون بالمطر، حتَّى أنه ورد: «**لا تنـــزل قطرةٌ من السماء إلا ومعها ملكٌ**[(١)]».

ومـــنهم موكَّلـــون بالأرحام وخلق النطف، ومنهم موكَّلون بخلق النبات وتصريف الـــرياح، ومنهم موكَّلون بجري الأفلاك وسريانها والنجوم، ومنهم موكَّلون بالسفن فِي حركاتها، ومنهم حفظةٌ عَلَى أعمال العباد، ومنهم موكَّلون ببني آدم، يحفظونه من أمر الله تعالى، ولو ذكرنا وظائفهم لطال الشرح وما نحن بصدد هذا.

وبالجملـــة: فإنهم عامرون المُلك كله؛ إذ ليس فِي العالم موضع شبرٍ إلا وهو معمورٌ بالملائكـــة المقربين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فجميع هؤلاء وكـــل من يصدق عليه ملكٌ، دلَّ ظاهر الآية عَلَى أنهم يصلُّون عَلَى النبيِّ ﷺ أينما كانوا وحيـــثما كانوا فِي وظائفهم، فاعرف هذا، واعلم أنه مقدَّم عَلَى سائر الأنبياء والمرسلين، كمـــا أن القرآن الذي أُنزل عليه أشرف الكتب المنـــزَّلة، وأمته أشرف الأمم، وأعلاها، وأفضلها، وأغلاها.

[الدعاء مقيد بالصلاة عليه]

اعلـــم يـــا أخـــي أن الدعاء موقوفٌ حتَّى يُصلَّى عليه، وذَكر البخاري فِي «الأدب

---

(١) رواه الطبري فِي التفسير (٢٧/١٣٢)، وذكره ابن كثير فِي التفسير (٤/٣٠٥).

المفرد)): ((الدعاء كله محجوبٌ حتَّى يكون لــه ثناءٌ عَلَى الله ﷻ، وصلاةٌ عَلَى رسول الله ﷺ))[١]، وأبخــل البخلاء من سمع بذكره ولم يصلِّ عليه، وفِي حديث: ((البخيل كلُّ البخـــيل))[٢] فوائد كثيرةٌ وتحذيرٌ وزجرٌ ووعيدٌ لمن سمع بذكره ولم يصلِّ عليه، وأعظم حسرةٍ يلقاها العبد عند خروج روحه بتغافله عن الصلاة عليه ﷺ.

وقال إمام الحرمين: قَالَ بعض الطلبة لشيخه: كنت أسمعكم وأنتم تصلون عَلَى النبي ﷺ وأنـــا نائم، فطرده من مجلسه، واستعاذ بالله تعالى من شدة بخله بالكلام، وكان يحذِّر أصحابه منه.

وقـــال الغزالي فِي ((الإحياء)): سمع بعض المؤذنين بذكره وهو ساكت، فقالوا لـــه: صـــلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ نبيِّك. فقال: أنا أُصلِّي عليه طول ليلتي، فخرس، وتجذم، وأبرص، وأقعد، وكان حسن الصوت، فتأسَّفوا عليه، وقالوا فِي آخر قصته: وأمره إِلَى الله تعالى.

فالحـــذر الحذر يا أخي أن تكسل عن الصلاة عليه ﷺ؛ فقد نقل فِي كتاب ((القربة)) ابن بشكوال بسنده المتَّصل إِلَى محمد بن عمر بن يونس اليماني قال: كنت بصنعاء اليمن فرأيت رجلاً والناس مجتمعون عليه، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا رجلٌ كان يؤمُّ بنا فِي شهر رمـــضان، فكان حسن الصوت بالقرآن، فلمَّا بلغ أن الله وملائكته يصلُّون عَلَى النبيِّ ما وصل آخرها إلا وقد خرس، وتجذم، وتبرَّص، وأُقعد، فهذا مكانه.

وســـاق الـــسخاوي هـــذه القـــصة بعيـــنها إِلَى قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحـــزاب:٥٦] فخرس، وتجذَّم، وأُبرص، وأُقعد.

وقال بعض من ساق هذه القصة: لا يعلمون لـــه خبرًا غير هذا.

وقـــال اليافعـــي: كان عندنا رجلٌ كثير العبادة، فسألناه يومًا عن ذنبٍ فعله، فبكى، وقـــال: كان بجواري رجلٌ كثير العبادة، وكان يكسل عن صلاته عَلَى النبيِّ ﷺ، وكان كاتبًا، فخرس لسانه، وصمَّت آذانه، فسألته عن ذلك فلم يعي، فكتبته لـــه، فكتب لي: هذا سببه كسلي وفتوري عند سماع ذكره ﷺ وأنا نائبٌ، والحمد لله الذي عجَّل عقوبتي فِي الدنيا.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي فِي الشعب (٢/٢١٣)، وذكره المباركفوري فِي تحفة الأحوذي (٩/٣٧٣).

وبالجملة: هذا تحذيرٌ عظيمٌ، وفِي قوله: (أبخل البخلاء) أقوى بلاغٍ، إذا تأمَّله العارف شيخنا رحمة الله تعالى عليه لا يدع الإخوان ينامون عند استعمال الوظيفة فِي الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ؛ لأنهم كانوا يجعلونها آخر الليل، وأفاد رحمه الله تعالى أن الملائكة تستبشر بالمصلِّين عليه، ويرغِّبهم فِي ذلك، وكان لا يدع نائمًا فِي وقت وظيفة الصلاة عليه أبدًا، وما أحسن قول القائل عفا الله تعالى عنه:

أَيَا مَنْ أَتَى ذنبًا وقارفَ زَلَّةً ... وَمَنْ يَرْتَجي الرُحمى مِنَ اللهِ والقُربى
مقاصد صلاة الله فِي كلِّ ساعة ... عَلَى خيرِ مبعوثٍ وأكرم مَنْ نبا
فَيَكْفِيكَ ربُّك كُلَّ همٍّ تخافُهُ ... ويكفِيكَ ذنبًا حيث أعظِمْ بِهِ ذنبَا
ومَن لَمْ يكُن يفعَلُ فإنَّ دُعَاءهُ ... يَجِد قَبْل أَن يرقَا إِلَى ربِّهِ حَجبَا

وأنشد الحافظ الحسيني لنفسه يقول:

ألا أيُّها الراجي المثوبةَ والأجرا ... وتكفيرَ ذنبٍ سالفٍ أثقلَ الظَّهرا
عليكَ بإكثار الصلاة مواظبًا ... عَلَى أحمد الهادي شفيعِ الورَى
وأفضل خلق اللهِ مِنْ نسلِ آدمَ ... وأزكاهم فرعًا وأشرفهم فجرَا
فقد صحَّ أنَّ الله جلَّ جلاله ... يصلِّي عَلَى من قالها مرةً عشرَا
عليه صلاةُ الله ما جنت الدُّجى ... وأطلعت الأفلاك من أُفقها فجرَا

[فائدة وتنبيه]

يتنبَّه لها العاقل الذائق أن الله تعالى وسع كل شيءٍ رحمةً وعلمًا، وأن رحمته وسعت كل شيءٍ، وأنها سبقت غضبه، وهذه المراتب الثلاث من خصائصه، ومما أنعم الله تعالى به عليه أنه وسع جميع النبيين، وزادهم بسطةً فِي العلم والجسم، ووسعته لا يسعها أحدٌ منهم، وما غضب إلا النادر؛ لأن رحمته ﷺ سبقت غضبه فِي جميع تقلباته وحالاته، وهذه من خفايا الأسرار التي أودعها الله تعالى فيه، وخلق الله تعالى موافق عليه خلقه، قَالَ ذلك فِي «دقائق الأسرار وخفايا الأفكار» ابن واصل.

وقال الإمام البغدادي والقاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن نصر فِي حديثٍ رواه الطبراني ونقله القاشاني من طرق ومالك فِي موطأه عن زيد بن حبان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من قال: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمَّدٍ وأنزله المنزل المقرَّب عندك يوم القيامة

وجبت لــه شفاعتي[١]».

قَالَ الحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي الشافعي: هذا الحديث من الصحيحين نــصٌ علــيه الــبخاري فِي «الأدب المفرد»، وفيْه دليل إثبات الشفاعة لنبيِّنا ﷺ؛ لأنها المنــزل المقــرَّب عند الله ﷻ يوم القيامة، وأنكرها المعتزلة وهم جديرون بحرماتها، إلا الــشفاعة العظمى التي فِي تعجيل الحساب التي يحمده فيها الأولون والآخرون؛ فإنهم لا ينكرونها، ولا خالف فِي ذلك أحدٌ منهم ولا غيرهم.

واعلم أيُّها المتأمِّل أن نبينا ﷺ لــه شفاعاتٌ كثيرةٌ يوم القيامة غير هذه.

منها: شفاعته لأهل الكبائر من أمته، ومنها شفاعته لأهل المراتب.

ومنها: شفاعته لقوم استوجبوا النَّار فلا يدخلوها.

ومنها: شفاعته فِي إدخال قومٍ الجنَّة بغير حسابٍ.

ومــنها: شــفاعته لعمِّــه أبي طالب فِي التخفيف عنه، والله تعالى أعلم بحال أبويه، والصحيح أنهما من أهل الجنَّة، ذكره الجلال السيوطي فِي تأليفٍ بعينه، وهذا من آدابه فِي حقِّ آبائه.

وقــد جاء أن البيت يشفع يوم القيامة فِي زوَّاره، وأن الأنبياء تشفع، والعلماء تشفع، والصالحين تشفع، والملائكة والإخوان تشفع، والمتحابِّين فِي الله يشفعون، والجيران فِي جيرانهــم مــن أهــل الصَّلاح يشفعون، ويقبل الله تعالى شهادتهم، والمؤمنين يشفعون ويُــشفَّعون، وأهــل القــرآن كذلك، وأدلة أهل السنة فِي إثبات الشفاعة أوسع من أن تُحــصى، وما أنكرت القدرية ذلك إلا تقريعًا لهم، وأيَّد الله تعالى أهل السنة عليهم، وما نحــن بــصدد هذا عافانا الله تعالى من اعتقادهم، ومتَّعنا باعتقاد أهل السنة، ولو بسطنا الكــلام فِي التحذير من ترك الصلاة عليه ﷺ لمَّا وسعه هذا الكتاب، وإن الأعمال نتيجةٌ من الله ﷻ، وسبب قبولها الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وهذه الثلاثة والثلاثون.

[كيفية الموعود بها]

الصلاة الأولى

قدَّمــنا اسم ذكرها، وهي صلاة التشهُّد، وتسمَّى عند العارفين صلاة القربى، أمر بِهَا

---

(١) تقدم تخريجه.

نبيِّه ﷺ، وفِي ذلك كلام لا تسعه الدواوين.

(اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ) تقدَّم شرح هذا فِي المقدمة، ونحن نتوسَّل به بما صلَّى الله عليه به جلَّ ذكره.

وعَلَى آل محمد: آل محمَّدٍ كل تقيٍّ ومؤمنٍ إِلَى يوم القيامة.

وقال بعض العارفين: آل محمد: أهل بيته من بني هاشم ومَنْ عمل بسنَّته.

وللعلماءِ فِي أول كتبهم أقوالٌ كثيرةٌ لا تُسمع ما نحن بصدده.

(كما صلَّيت عَلَى إبراهيم): أي كما أعطيت إبراهيم وأكرمته بهذه الكرامة، استجبتَ دعـوته، وجعلـته أبـا الأنبياء، وأعطيته الخلَّة، وأسكنت من ذريته بوادٍ غير ذي زرعٍ، فهرعت الناس إليهم، وحميته من الخزي فِي الدنيا والآخرة.

وعـدَّ بعض العلماء خمسين فائدةً من خصائصه، وذكر سيِّدنا إسماعيل جدَّه، وأن الله تعالى أوصله بما لَمْ يوصل نبيًّا قبله إِلَى ما لا نهاية لـه، فالتوسُّل بهذه الخصائص حاصلٌ لنا.

(وعَلَـى آل إبـراهيم): من لدن إسماعيل إِلَى عيسى، وهم بنو إسرائيل صلوات الله عليهم، ذكرهم الحجري مائتي نبيٍّ، وقال البغوي: سبعون نبيًّا، وقال الجلال السيوطي: من حيثية الثواب جميع هذه المقاصد، وأسبابِهَا حاصلٌ لهذه الأمة.

(وبـارِكْ عَلَـى محمَّدٍ): فِي جميع ما أعطيته، وأوصلته من عوائد جميلك من البركة الـشاملة؛ حيث جعلت الصلاة بعشرة أمثالها، وتضاعفها إِلَى مائة وإِلَى سبعمائة، وغير ذلك مما دلَّ به الكتاب العزيز من مواهب الله تعالى.

(وعَلَـى آل محمد): من آل بيته وذريته وجماعته، ومن انتسب إليه من أهل طاعتك، ومـن أجاب دعوتك، وعزَّ مقدار نبيِّك محمَّد، ومن أعطيته المراتب من السلف والخلف داخـل فِي هذا النعت، وفِي بركته كما قررنا: إذا قَالَ المصلِّي فِي صلاته: السلام علينا وعَلَى عباد الله الصالحين، دعا لـه كل عبدٍ صالحٍ[1]؛ فاعرف هذا باختصار.

(كمـا باركـت عَلَـى إبراهيم): وأعطيته وخصصته ومتَّعته ببناء بيتك، وذكرك، وتوحيدك.

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٠١)، ومسلم (١/٣٠١).

(وعَلَى آل إبراهيم): من لدن إسماعيل إِلَى عيسى وذريته: إسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وغيرهم صلوات الله عليهم، والبركة التي خصَّ بِهَا أنبيائه، وهي القناعة[١].

وورد أن: «القناعةُ حظُّ الأنبياء[٢]»، وفِي رواية: «قسَّم الله تعالى لأنبيائه القناعة[٣]»، وفِي رواية: «قسم الأنبياء» بكسر القاف المعجمة وفتح السين المهملة، ومعنى ذلك: البركة فِي ترك طلب الدنيا، وما أوَّله العلماء رضي الله تعالى عنهم أن البركة فِي آل إبراهيم كثرة عددهم، وأن الله تعالى يعطي المصلِّي عليه من البركة بعدد آل إبراهيم، وأعدَّ بعض العلماء لهذه الكيفية مقاصد كثيرةً، وثوابًا يطول شرحه، واستشهد بقوله: (فِي العالمين)، والعالمين: بالفتح جميع العالم، والعالم ما سوى الله ﷻ: أي نطلب منك يا الله أن تجود علينا بهذا الثواب وهذه النعم وهذا العدد، وألَّف بعض الصالحين فِي عدد العالمين وسعة فضل الله تعالى وجوده مؤلفًا، ولعمري إن كلَّ إنسانٍ قاصرٌ عن هذا المعنى، وفضلُ الله تعالى واسعٌ، وحيثيات هذه الصلاة الشريفة لا تنحصر ولا تنضبط مقاصدها، والله تعالى المنعم بجوده، وكان بعض مشايخنا إذا صلَّى عَلَى النبي ﷺ بهذه الكيفية ووصل إِلَى قوله (فِي العالمين) يقول: يا الله إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

والحمد والمجد لله تعالى: صفتان من صفاته ﷻ؛ إذ الحمد لله هو: الثناء عليه، وفِي حديث الشفاعة معناه: هو ما يلهم الله تبارك وتعالى نبيِّه بمحامد لم تُحصَ: أي بكيفية ثناءٍ عَلَى الله تعالى يجريها عَلَى لسانه، والمجد أعلَى وأرفع من حيثية العلوّ إِلَى الذي لا يشارك فيه، وإن كان ثواب الحمد أكثر، وثواب المجد أعلَى رتبةً، ولأجل ذلك ختمت هذه الصلاة بهذين الاسمين العظيمين.

وقال الحسن بن يسار البصري: إن لله تعالى ملائكةً تتلقى هذه الصلاة من العبد إذا نطق بها، فتكتبهَا فِي قراطيس من ذهبٍ بأقلام الفضة، ويصعدون بها، ولها نورٌ إِلَى أن يَصِلوا إِلَى ساق العرش، فيقول الله تبارك وتعالى وهو أعلم: يا ملائكتي من أين جئتم؟

---

(١) انظر: مسالك الحنفا (ص٤٦١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

فيقولون: يا ربنا أنت تعلم أن فلانًا صلَّى عَلَى نبيِّك محمَّد بصلاةٍ أمرت بها، وذكر فيها خليلك إبراهيم، وسألك بركة آله وآل محمَّدٍ. فيقول الله جلَّ ذكره: هي لي وجزاؤه عليَّ الجنَّة، امضوا، واعلموا حبيبي محمدًا يتصرف فيها. فيأتون الملائكة النبيَّ ﷺ بتلك الصحيفة المكتوب فيها هذه الصلاة الشريفة، فيختم عليها بخاتمه الشريف، ويقول: دعوها تحت ساق عرش ربِّي إِلَى يوم اللقاء، وهذا لا يكون فِي غير هذه الكيفية.

وزاد بعض العارفين توسُّلاً عَلَى ذلك بقول: (عدد خلقك): أي عدد جميع ما خلقت من سائر مخلوقاتك: من جنٍّ، وإنسٍ، ووحشٍ، وطيرٍ، وما فِي البحار، وجميع ملائكتك، ومَنْ أنطقته بتوحيدك، وهذا لا يتحصر عدده.

(ورضا نفسك) رضا الله تبارك وتعالى داخلٌ فِيْهِ جميع الأعمال الصالحة، والتجارات الرابحة بجميع ما أنزلته فِي كتبك المنزَّلة.

(وزنة عرشك) قَالَ بعض العارفين: هذه مبالغةٌ فِي الطلب؛ إذ وزن العرش لا يعلمه إلا الله ﷻ، وقدرة الله ﷻ لا يعجزها شيءٌ، وكرمه لا يكيَّف، وكان شيخنا عفا الله تعالى عنه يسمع من واحدٍ من جماعته يقول: (وزينة عرشك)، ولا يعترضه، فاعترضه الفقير فقال: تأدَّب (زينة العرش) ذكر الله تعالى وتوحيده.

ورد أن: لله تعالى ملائكةٌ آخذون بالعرش، يصلُّون عَلَى نبيِّه، يخرج من أفواههم أنوارٌ لا يعلمها إلا الله تعالى، وأن لله تعالى ملائكةٌ حافُّون بالعرش، وملائكة تحت ساق العرش، يزيِّن الله تعالى بذكرهم العرش.

ومعنى سؤال هذا العبد وطلبه من الله تعالى ورغبته فيما زيَّن الله تعالى به عرشه من أنواع ذكره، وقد قرر بعض العلماء أن لا مانع من كرم الله تعالى، وله أن يعطيه من حُلَل الجنَّة، وزينتها بدل ما قصد، ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر عَلَى قلب بشرٍ؛ لأن زينة عرش الله تعالى ذكره، ولها شاهد فِي كتاب الله تعالى معناه: (أن الله تعالى حبَّب إلينا الإيمان وزيَّنه فِي قلوبِنَا).

وقال بعض المفسرين: زيَّنه فِي قلوبنا بالأعمال الصالحة، وثواب الأعمال العطاء.

وقال بعضهم: زيَّنه بالنور، ففهمت إشارة الشيخ عفا الله تعالى عنه.

وقال بعض العارفين: زيَّن الله تعالى قلبي بجميع حُلَل الجنَّة: أي الزهد فِي الدنيا، وزخرفها إذا ذكرت ما فِي الجنَّة من النعيم الدائم، فما أحسن مثل هذا العارف.

وقال بعضهم: ما رأيت نعيمًا فِي هذه الدار ومددت بصري إليه.

وبهـــذا أوصى الله تعالى نبيَّنا بقوله تعالى: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ ﴾[الحجر:٨٨]، فما شهد ﷺ زينة الدنيا منذ وُلد إِلَى وفاته، وفِي هذا القدر كفايةٌ لمن تأمَّل.

وفِـــي قوله (مداد كلماتك): مداد كلمات الله تعالى لا تحصيه الأقلام، ولا تضبطه الدفاتر، وفِي قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف:١٠٩] هذا أعظم شاهدٍ لهذا الطلب، ودليله أن ثواب هذه الصلاة لا تقدر الخلق جميعًا تحصر ذرةً منه.

(كلمـــا ذكـــرك الذاكرون) من جميع ما خلقت من سائر مخلوقاتك: من صامت، وناطق، ولنا شاهدٌ فِي كتابه العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُـــونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء:٤٤] فهذا الثواب لا يحصيه إلا الله تعالى، وأوسع فِي معنى هذا صاحب كتاب «الشرف» عفا الله تعالى عنه، وذكر حيثية الأعمـــال، وشرف هذه الصلاة، وفضلها عَلَى غيرها، وأن المصلِّي عليه بهذه الصلاة لا يموت حتَّى يرى مقعده فِي الجنَّة.

وذكـــر بعضهم: أن الله ﷻ يعطي المصلِّي عَلَى نبيِّه المتوسِّل بهذه الكيفية ثواب كل ذكرٍ توسل به العبد إليه، وهذا خيرٌ كثيرٌ، وفضل الله تعالى واسعٌ، أوسع من كل كرمٍ قدَّره العبد، وضبط لـــه ضابطٌ.

(وغفل عن ذكرك الغافلون) اللَّهُمَّ إني أسألك بعدد خلقك أجمعين ذاكرًا وغير ذاكرٍ، مستيقظٍ، وغافلٍ، والأول أوجه؛ لأن كل ذاكرٍ يبلغ ثوابه إِلَى ما لا يحصيه إلا الله تعالى، والغافل ليس لـــه ثوابٌ.

وقال بعضهم: عدد ما ذكره الذاكرون: أي عدد ما ذكر نبيَّك ذاكرٌ وغفل عن ذكره غافلٌ.

قال شيخنا البهنسي عفا الله تعالى عنه: هو الراجح؛ لأن الغفلة معناها التَّرك.

وقال بعضهم: الغفلة ضد الذكر، والترك عدم الميل بالكلية.

وقـــال الحريري: فلانٌ يقظٌ لا غافلٍ؛ لأن الغفلة النوم، وإن الإنسان إذا قام من نومه استيقظ فلانٌ.

والكلام فِي هذا المعنى ليس نحن بصدده، واتفقت العلماء عَلَى أن هذه الكيفية أفضل الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وثوابهَا كثيرٌ، والعامل بِهَا ليس بينه وبين الجنَّة إلا خروج الروح.

الكيفية الثانية

ذكر بعض العلماء أنها تعدل مائتي صلاة، وأن ثوابها عند الله كثيرٌ، كما قرَّرنا، وهي هذه: «اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ السابقُ للخلقِ نورُه قَبْل خلقِ المخلوقاتِ».

قال كعب الأحبار: كان نورُ مُحَمَّدٍ تحت ساق العرش سبعين ألف سنة، يسبِّح الله تعالى بكلِّ اللغات، ويصلِّي على نفسه الشريفة، فنوره سابقٌ بِهَذَا الوصف، ورحمةٌ للعالمين ظهوره: أي ظهر رحمةً للعالمين: من جميع ما خلق: من مؤمنٍ، وكافرٍ، أمَّن الله تعالى به الكافر والظالم والطاغي من المسخ والطرد، ومن كلٍّ ما كان يحصل للأمم السالفة؛ فظهوره على كلِّ حالٍ رحمةٌ لجميع المخلوقات، ويحصل للمصلِّي على النبيِّ ﷺ ثوابًا جزيلاً عدد من مضى من خلقك إِلَى يومنا هَذَا، وقيل من مضى من خلقك قَبْل خلق السماوات والأرض، ومن بقي منهم إِلَى قيام الساعة، ومن سعد منهم من أهل السعادة السابقة، ومن شقي: أي عدد من شقي خلقته وسعيدًا اصطفيته صلاةً لا غاية لها فِي الحصر، ولا انتهاء فِي تعيين المدة من السنين والدهور، ولا أمد زمانًا نكيِّفه ونحصيه، ولا انقضاء أشياء متعيِّنًا غضبه صلاةً تستغرق العدَّ الذي لا نطيق حصره ولا ضبطه، وتحيط بالحمد الذي ما نوفِي ذرةً من شرطه، صلاتك التي صلَّيتها عليه التي لا يحصي ثوابها إلا جميع خلقك أجمعين: من إنسٍ، وجنٍّ، وملائكةٍ، وغير ذَلِك صلاةً دائمةً بدوام مُلك الله، يزيد ثوابها ما دامت السماوات والأرض إِلَى قيام الساعة، إِلَى العرض، إِلَى اللقاء، إِلَى دخول الجنَّة، باقيةً ببقاء عزِّك الذي وهبته لأوليائك وأهل محبَّتك، وأسكنته فِي قلوبهم، وحبَّبت لهم الإيمان، وكرَّهت إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

وقال بعضهم: عزَّ الله تعالى سرَّ وهبه لأصفِيائه من الخواصِّ، استقر ثوابه فِي لذيذ خطابهم، فغرقوا فِي آدابهم، فلا نفاد لهم عنه

ومن هَذَا قال مؤلف هذه الكيفِية الثانية: لا نفاد لها، ولا انقطاع فِي دوام المحبَّة والاجتماع، وكان أستاذنا رحمه الله تعالى يستغرق فِي هذه الكيفِية استغراقًا كليًّا، وكان

أخونا فِي الله تعالى الشيخ نامر الدين النحَّاس عفا الله تعالى عنه يخبرنا بالعجائب مِمَّا يشاهد من فضلها وثوابها لا يُحصى، وأخبرني الشيخ صالح عفا الله تعالى عنه: أن ثواب هذه الصلاة لا يقرره عارفٌ؛ لعجزه عن ضبط ثوابٍ قرَّره الشارع، ولعدة أنواع الملائكة الذين وكلَّهم الله تعالى بهذه الصلاة، ومع عجزنا وفقرنا وفاقتنا عن معرفة ذَلِك لزمنا الأعتاب، وطلبنا الآداب، وادَّخرنا ذَلِك ليوم الحساب، وقد رأيت فِيه أحاسن المحاسن: أن من ادَّخر عند الله ﷻ صلاةً واحدةً بقلبٍ خاشعٍ كان مع الخاشعين، وأسكنه الله تعالى فِي أعلى عليين، وأعطاه سبعين حورًا من الحور العين، وإن كان محبًّا متأدِّبًا حُشر فِي زمرة الشهداء وكتب من الشهداء، وأسكنه الله تعالى فِي مُلكٍ لا نفاد له ولا زوال مع السعداء ببركته ﷺ؛ فإنه ورد عنه فِي الصحيحين: أنه قال: «مَنْ أحبَّنَا أحببنَاهُ[1]».

وفِي حديثٍ آخر: «مَنْ تقرَّب إِلَى الله تعالى بمحبَّتِي كان فِي محبَّتِي، وإنْ ماتَ مُحِبًّا لي كان شهيدًا، وحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ[2]».

وقد أحسن أبو النَّوَّاس حيث قال شعر:

وَلَقَدْ كُنَّا رَوَيْنَا ... عَنْ سعيدٍ عَنْ قَتَادَه
عَنْ سعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ... أَنَّ سَعدَ بْنَ عبادَه
وَعَنِ الشَّعْبِيِّ والشَّعْبِيُّ ... شيخٌ ذُو جلادَه
أَنَّ مَنْ مَاتَ مُحِبًّا ... فَلَهُ أَجْرُ الشَّهَادَه

حشرنا الله تعالى فِي زمرته، وأماتنا على محبَّته، وجعلنا من حزبه بمنِّه وفضله، وأن هذه الصلاة أحسن جامعها بقوله: (لا تعادلها دون علمك؛ لأنك تعلم قدر نبيِّك، ولا يعلم قدره غيرك، اصطفيته، وتوَّجته، واخترته حبيبًا مقرَّبًا، وجعلت له العزَّ الذي لا ينقطع دهر الداهرين، وجعلته أعلى عبادك الصالحين، اللَّهُمَّ صَلِّ عليه وعلى آله، كذَلِك طلبنا منك ورغبنا أن يكون لهم من الصلاة والوصلة والنعمة والخير ما قدَّمنا ذكره، والحمد لله على ذَلِك الرجاء الذي أملناه فِيك، فبلَّغتنا إياه، لا نُحصي ثناءً عليك).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٥/٣)، والديلمي في الفردوس (٣٧٧/٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٩٧/٥)، والعقيلي في الضعفاء (١٧٥/٢) بنحوه.

(٢) حديث كشفي ذكره الصوفية.

الكيفية الثالثة

وهي هذه: «اللَّهُمَّ صلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آله وصحبه، وسَلِّم ملء السماوات: من ملائكتك، ومن عجائب قدرتك، وما فِي الأرض: من الجنِّ، والإنس، والطير، والوحش، والهوامِّ، والبحار، وعدد ما نبت فِي الأرض، وما بينهما: من سُكَّان الهويَّة، وسكَّان الغمام، وسكان السحاب، وما فِي ذَلِك من العجائب التي خلقتها، وأَجْرِ لطفَك فِي أمورنا كلِّها ببركته؛ إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ، والمسلمين أجمعين يا ربَّ العالمين» تقدَّم ذكر ما يناسب هَذَا.

الكيفية الرابعة

وهي هذه: «اللَّهُمَّ يا ربِّ صلِّ على مُحَمَّدٍ، وعلى آل مُحَمَّدٍ، وعلى أصحاب مُحَمَّدٍ، وعلى أزواج مُحَمَّدٍ، وعلى ذُرِّيَّة مُحَمَّدٍ، وإخوان مُحَمَّدٍ ﷺ، ما هو أهله من جميع ما جاءنا به من الأعمال الصالحة، وأهَّلته به، وأوصلته من المقامات وكمال الرياضات فِي مزيد إحسانك ومواهب فضلك».

الكيفية الخامسة

«اللَّهُمَّ صَلِّ ألفَ صلاةٍ وألف سلامٍ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، من صلاتك التي أمرتنا بها، التي ثوابها لا يُحصى».

وهَذَا الذي جمع هذه الكيفية طلب ثوابًا جزيلاً أخذ بدليل ما يسَّره الله تعالى له، ناظرًا إِلَى عطاء الله تعالى، وما وهب لعباده.

وها أنا أضرب مثلاً: «مَنْ قَرَأَ سورةَ الإخلاصِ ثلاثَ مرَّاتٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ القرآنَ[(١)]».

وهَذَا من فضل الله تعالى؛ إذ جعل لمن يحفظ القرآن ويحفظ هذه السورة الشريفة هَذَا الثواب العظيم؛ إذ يسَّر لأناسٍ ألف مرةٍ وألفي مرةٍ وثلاثة آلاف مرةٍ فِي ليلةٍ واحدةٍ، وهي كألف ختمةٍ، فمن أجزل الله تعالى هَذَا العطاء كيف يقصِّر فِي العمل، وليس ذَلِك

---

(١) رواه الرافعي في التدوين (٣/٣٢٧)، وذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٠١)، وابن حجر في لسان الميزان (١/١٤٨).

كمن رتَّل القرآن من أوَّله إِلَى آخرهِ فِي ليلةٍ واحدةٍ، أو تدبَّر فِي آيةٍ طول ليلته، وهَذَا إذا طلب من الله تعالى ثواب ألف صلاةٍ وألف سلامٍ فِي كلمتين ودخل فِي باب الرجاء حاشا أن يخيِّبه.

فانظر يا أخي إِلَى عطاء الملوك، ولله المثل الأعلى، وما ذَلِك على الله ببعيدٍ؛ حيث إنه توسَّل إليه بنبيِّه مُحَمَّدٍ صاحب الفضيلة والهدي.

الفضيلة والوسيلة: قدَّمنا ذكرهما فِي الأحاديث، والهدي: هو القرآن الشريف الذي أنزله.

وقال بعضهم: الآيات البيِّنات هدي مُحَمَّد، والهدي مشتقٌّ من الهداية، وفِي هَذَا الكلام سرٌّ تفهمه العلماء، والاختصار بلاغٌ لمن تدبَّر.

الكيفية السادسة

«اللَّهُمَّ صلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الحبيبِ الأعظمِ، الذي اصطفيته وأحببته وزدته على مقام الخلق، واتخذته حبيبًا مقرَّبًا».

هذه الكيفية زائدٌ ثوابها؛ لما فِيها من ذكر صفاته وخلقه، وأنه حبيب الله تعالى، الشفيع عند الله تعالى فِي سائر ما يريد، وله الشفاعة العظمى، وشفاعاتٌ كثيرةٌ كما قرَّرنا سابقًا.

الرؤوف: بخلق الله تعالى، ذكره الله تعالى رؤوفًا رحيمًا.

وكان الشوني عفا الله تعالى عنه يقول: هذه صلاة الشفاعة.

وكان الشيخ أبو الحسن عفا الله تعالى عنه يقول: نور هذه الكيفية ظاهرٌ.

الرحيم: من أسماء الله جلَّ ذكره، خصَّه الله تعالى به.

وقال صاحب العناية: الرحيم مُحَمَّدٌ الذي خصَّه الله تعالى بالرحمة، وأرسله رحمةً، وأنزل الله تعالى ببركته الغيث، وهو رحمةٌ، وله رحماتٌ، خصَّه الله تعالى بها، ذكرها القاضي عياض فِي «الشفا»، والإمام البارزي وغيرهم من العلماء.

البشير: لأمته بما جاء به من الهدى والكتاب، والبشارة جامعةٌ لكلِّ بشرى جاءته بكل خيرٍ، وفِي هَذَا الاسم الشريف خصائص ومعانٍ ذكرها فِي «المواهب» القسطلاني.

النذير: الذي أنذر قومه وحذَّرهم من كل ما يغضب الله تعالى، وأمرهم أن يجتنبوه.

السراج الوهَّاج: المضيء المنير على سائر الناس.

وقال بعض العلماء: الذي يقتبس منه كل نورٍ.

وقال بعضهم: الذي مَحا به الشرك، وأضاء به الحق، وظهر به النور، سمَّاه الله تعالى نورًا وسراجًا وقمرًا منيرًا، وهذه الأسماء تدلُّنا على زيادة شرفه وعظيم قدره البيِّن الواضح الظاهر لجميع خلق الله تعالى.

وألَّف بعضهم مؤلفًا فِي هذه الكيفية، وهي اثنا عشر اسمًا من أسمائه:

النبيُّ قَبْل آدم: وذَلِك بقوله ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وآدمُ بَيْنَ الماءِ والطِّينِ، وكُنْتُ نَبِيًّا ولا آدمُ ولا ماءٌ ولا طينٌ[1]»، وقد تقدَّم ما معنى النبوة والرسالة واسم النبيِّ، وفِيما ذكرنا كفايةٌ.

الأمِّيُّ: الذي لا يقرأ الخط ولا يكتبه؛ بل كان ينطق له، وفِي روايةٍ: أنَّه كتب، والصحيح أنه أملى الكتَّاب، وأخذه، ونظر فِيه، فنطقت له أحرفه، وجاءه كتابٌ، فنطق له قَبْل أن يفتحه بحضرة الملإ من أصحابه، وقال: «إنِّي نبيٌّ أمِّيٌّ[2]»، ومعجزاته حيَّرت الكُتَّاب، وهَذَا يسيرٌ.

قولٌ من محاسن أقواله وأفعاله: (وعلى آله وصحبه وسلِّم): أي وسلِّمنا من الآفات والعاهات والبلايا؛ لأننا نطلب الأمان به كما طَلَبتْ آله وصحبه.

والسلام: هو الأمْنُ، وكأنه يطلب الأمن للآل والأصحاب، ويتوسَّل بهم، ويطلب أن يعطيهم الله تعالى ثوابًا مثل ثواب هذه الأسماء الشريفة، التي تهيِّج القلوب وتجذبها، ويودُّ العارف ألا يستغرق وقتًا بغير ذكره ﷺ.

وكان شيخنا عفا الله تعالى عنه يقول: هذه الكيفِية بهَذَا الوصف ينجِّي الله تعالى قائلها من كلِّ همٍّ وغمٍّ وشدةٍ وحزنٍ، وهي من المجربات لدفع الشدائد.

(عدد معلوماتك): كلها، التي لا يعلمها غيرك، ولا يطَّلع عليها سواك.

(ومداد كلماتك): كما قرَّرنا فِي صلاة إبراهيم.

(كلَّما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون): كما قدَّمنا (ذكرك) أو (ذكره

---

(١) ذكره القاري في المصنوع (١/١٤٢)، والمناوي في فيض القدير (٥/٥٤)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/٥٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/١٦٩).

(٢) حديث ذكره الصوفية.

الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون)[١].

الكيفية السابعة

«اللَّهُــمَّ صَلِّ وسلِّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، النبيِّ الكامل فِي جميع أموره ومقاصده، المعصوم من الكبائر والصغائر، الفاتح بإذن ربِّه الأرض، ومنقذ أهلها من كلِّ كربٍ، الخــاتمِ لجمــيع الأنبياء»، كما قرَّرنا فِي فضل الصلاة عليه، حاء الرحمة يشير إِلَى اسمه الــشريف مُحَمَّدٍ، وميم الملك، فهو ملكُ الأنبياء وخطيبهم، وخطيب الملائكة وإمامهم فِــي لــيلة الإسراء، وهو رحمة الله تعالى فِي الأرض والسماء، ودال الدوام، خاصية هذه الأحرف الثلاث لدوام المحبَّة تكتب فِي خاتم مع مزوجات الخاتم الغزالي، وهي (يدوح).

ذكــر ذَلِك البوني فِي «شمس المعارف[٢]»، وهذه الكيفية إذا لازمها بعد كلِّ صلاةٍ أحبَّه الناس، وكان لــه قبول عندهم.

قال البوني: هي من المجربات.

(صلاةً دائمةً بدوام ملكك، لا تنقطع أبدًا، باقيةً ببقاء عزِّك على طول المدى، لا تعادلها دون علمك يا ربَّ العالمين، وعلى آله وصحبه كذَلِك):

أي اللَّهُـــمَّ إني أسألك أن تعطيهم مثل ثواب هذه الصلاة بفضلك ومنِّك، والحمد لله على ذَلِك العطاء الجزيل والنعم التي قسمتها من فيض فضلك.

قـــال بعض الصالحين: لازمت هذه الصلاة فِي عقب الصلوات وكان عليَّ دينٌ فما مضى عليَّ عامٌ حَتَّى قضيت ذَلِك الدَّين ببركة هذه الصلاة، وربحت رِبحًا زائدًا بفضل الله تعالى.

الكيفية الثامنة

«اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، النبيِّ المليح الخصال المحمودة المذكورة فِي القــرآن»، وإن أراد بذَلِك ملاحة وجهه فهو مليح الوجه كامل الخصال، وملاحته مُتَّفَقٌ عليها فِي جميع الأحوال.

---

(١) انظر: مسالك الحنفا (ص٥٣٦)، والقول البديع (ص٥٦).

(٢) انظر: شمس المعارف الكبرى طبعة الهند، وكذلك الصغرى (بتحقيقنا) بيروت.

صاحب المقام الأعلى: الذي خصَّه به ليلة الإسراء؛ حيث وصل إِلَى بيت المقدس، وركـب البراق، وصلّى بالأنبياء، واخترق الحُجُب، وكان فِي قربه كقاب قوسين أو أدنى من ربِّه جلَّ وعلا إِلَى غير ذَلِك من علوِّ مقامه ورفعته على الخلق أجمعين.

واللسان الفصيح: الذي نطق بالحكمة، وحدَّث أصحابه بالغرائب والعجائب، وجاء بالقرآن الذي أعجز الفصحاء، وحيَّر البلغاء إِلَى غير ذَلِك.

(وصـلَّى الله وسلَّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صاحب القدِّ الرجيح): أي الراجح عن جميع الخلـق من الطور البشري، وغيره من عاشره وخالطه من كل جنسٍ كما قرَّرنا أنه يرجح عن جميع العالم بما أعطاه الله تعالى.

والعـالم بالفـتح: ما سِوى الله تعالى، فهو راجحٌ ورجيح القدِّ، مرجوح عين أعيان الوجـود العلـوي والـسفلي، وكلامـنا لأهل المعاني الذين يعرفون الفرق بين الراجح والمـرجوح والـرجيح، ويدرون اللغة، وهَذَا بابه فِي الصحاح والقاموس، وقال: إني ما رأيت أرجح من رسول الله ﷺ قَدًّا، ما مشى مع أحدٍ إلا زاد عليه، وما تكلَّم مع أحدٍ إلا حجَّه ورجح عليه، وقال لـه: واصل.

وقال كعب بن زهير: مرحبًا بالرحيم الفائض البنان، النبيه، الزائد الإحسان، خير من فاض، وزاد، ورجح، مظهر الوبيرة، وقائم النميرة، وسيد العشيرة، وحاكم الخبيرة.

وقال ابن هشام: جيِّد البصيرة.

وهَـذَا كـلامٌ أوَّله ابن سيِّد الناس فِي «سيرته الكبرى»(١)، وما اطَّلعت على قوله المرجوح، وما أدركت معناه.

وقـال بعض السادة: فائدة هذه الصلاة أنها راجحةٌ فِي الأعمال، زائدةٌ فِي الميزان، مُبلِّغَةٌ للآمال، مُذكِّرة للإنسان، وصلِّ وسلم وبارك على سَيِّدِنَا مُحَمَّد.

صـاحب الـنطق الفصيح: أي المنطق الذي زادت فصاحته وظهرت ينابيع حكمته ومعرفته، ما نطق به من كل منطقٍ لـه معانٍ جَمَّةٌ، كثيرة المعاني.

(وصـلِّ وسـلِّمْ وَبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الذي نطق لـه الجريح): أراد جريح الفـؤاد، والجـريح الـذي جاءه وقال لـه: يا نبيَّ الله، إني جريح الفؤاد، مقروحٌ على

(١) وهي عيون الأثر.

الأحباب، وقد جئتك، وأنا على حالةٍ فِي سكرة الموت، فمسَّ بيده الشريفة فؤاده، فزال ما كان به[1].

ذكـر تلـك القصة صاحب كتاب «المستغيثين بالله تعالى»، وفِي كتاب «مصباح الظلام فِي المستغيثين بخير الأنام» دقيقةٌ: لما جاءه الجريح ومسَّ بيده ذَلِك الجرح زال، ولم يُصِبْهُ ألمُ ولا ولده.

قال البصري: الجريح خلاف المجروح، وهَذَا لأهل الأثر.

وذكـر صـاحب الحلية: أنه مرَّ بمجروحٍ فِي قليب بدر ناداه، وقد كان أيست منه الـصحابة، فلما كلَّمه نطق، وكان فِي لسانه ثقلٌ، وعاش إحدى وثمانين سنةً، وقُتِل فِي وقعة صفين، فقالوا لعائشة: مات الجريح، فبكت، وقالت: مجروح الجسد جريح الباطن، وتفكَّرت ما كان من رسول الله ﷺ، ذكر ذَلِك صاحب الفتوحات.

وسأل بعض الفُقهاء فقيرًا من أهل المجلس عن هذه الكيفية ما معنى الجريح؟ وما هَذَا الكـلام الواهـي الذي لا معنى لـه؟ ووبَّخه، فبكى، وقال: لا أغيِّر هذه الصلاة، وجاء الفقـير، فقلت لـه: ليس لنا إلا الاعتقاد فِيما ألَّفه صاحب هذه الكيفِية، وما نحن أهل جـدال، فمكثنا غير قليلٍ حَتَّى جاء ذَلِك الفقيه مُعتذرًا، وقال لـه: (كرِّر هذه الصلاة). فكررها، فبكى، وسأله المسامحة، ولم يعلمه بالخبر، وما عرفت لـه سببًا.

واعتـرض بعض الفقهاء شيخنا أبا الحسن عفا الله تعالى عنه فِي معنى ذَلِك، فقال: لا تـسألني، واسأل جامعها، وإذا أردت ذَلِك فانظر فِي كتب اللغة، فإن لم تجده فَكِلْهُ إِلَى معنًـى حـسنٍ، ولا تعترضه؛ فإن الفقير ما حمله على هَذَا غير الاعتقاد والاختلاط بهذه الطائفـة، ولله الحمد، وصلِّ وسلِّم وباركْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الذي نطق فِي كفِّهِ الرمل والحصى بالتسبيح، نعم نطق فِي كفِّهِ الحصى فِي مواطن كثيرة، وردَّتها الأحاديث والأدلة القاطعة.

وأما الرمل فما أثَّر فِيه قدمه الشريفة، وما ذَلِك ببعيدٍ أنه نطق فِي كفِّهِ الرمل والحصى.

وقال عبد الله بن عمر: سمعت رجلاً يقول: لا، والذي سبَّح الرمل والحصى فِي كفِّهِ. فالـتفتُّ إليه، فقال: أحطت بجميع ما وقع لرسول الله ﷺ؟! فقلت: لا، وإنما قال: «مَنْ

---

(١) انظر: مصباح الظلام (ص٦٤).

كَانَ حالفًا فَلْيَحْلِفْ بالله ﷻ[1]»، فقال: يا ابن عمر، إن الذي أرسل مُحَمَّدًا لا نعرف غيره، ولا نحلف إلا به، والذي نطق الرمل والحصى فِي كفِّه كان ببني النضير، فسمع له نطق كما ننطق نحن، ولم أجد لذَلِك نقلاً غير الاعتقاد من حاشية المصابيح.

(وصلِّ وسلِّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الذي بَشَّرَ به عيسى المسيح، بَشَّرَ الأنصارَ ومَنْ آمن به) ذكر ذَلِك صاحب كتاب «البِشَر بخير البشر»، وشرح ألفاظًا فِي الإنجيل ليس هَذَا محلها، وذَلِك بدليل القرآن الشريف قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

(وصلِّ وسلِّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الذي أقام السطيح وهو ابن سبع سنين).

وقال الحافظ المنذري: أقام السطيح الذي بُشِّر به، وهو غير سطيح الكاهن، وقيل كان راهبًا، ومعجزاته لا تُعدُّ ولا تُحصى.

(وصلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ، الذي أبرأ الكسيح) أراد به الْمُقْعَد الذي لا يقدر يقوم، وهي من بعض معجزاته، وما خصَّه الله تعالى به.

(وصلِّ وسلِّم على سَيِّدِنَا كلَّما طار طائرٌ وهبَّ ريحٌ): أي دائمًا أبدًا، آناء الليل وأطراف النهار؛ لأن أوقات الليل والنهار لا تنقطع منها هبوب الريح ولا جولان الطير، وإن سكنت الريح ونام الطير نادرًا.

قال بعضهم: شبهوه بالمداومة؛ لأنه إن امتنع من أرضٍ هبَّ فِي أُخرى.

ومراد مؤلف هذه الكيفِية المداومة؛ بدليل ما فِي الحديث الشريف: «إنَّ فلانًا لا يضع العصا عن عاتقه، وصحَّ أنه يأكل ويشرب وينام ويقوم[2]» فافهم ذَلِك.

الكيفية التاسعة

«اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وأصحابه»

آله: أهل بيته إِلَى يوم القيامة.

وأصحابه: جمعٌ من صحبه.

(١) رواه البخاري (٢/٩٥١)، ومسلم (٣/١٢٦٧)، وأحمد في المسند (٢/٢٠).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/٣٩٩)، والنووي في شرح مسلم (١٥/٥٦).

واتفقت العلماء على أن كل من اجتمع به ورآه فِي حياته يعدُّ من أصحابه.

وقال بعضهم: كلٌ من اجتمع به ولو لحظةً.

والمراد بذَلِك: من اجتمع به مؤمنًا ومات مؤمنًا يعدُّ من أصحابه.

(عـــدد إنعام الله الكريم وأفضاله): المراد بذَلِك: جميع ما أنعم الله تعالى به من سائر النعم، وأخطؤوا من فتح الألف.

وقال بعضهم: لا خطأ عليه؛ فإن مراده بذَلِك عدد جميع الأنعام التي خلقها الله تعالى، والإنعـــام بالكسر أبلغ وأكثر ثوابًا؛ لأنها تجمع الحبوب والحصى وقطرات المياه ومثاقيل الذر والنبات، وسائر ما جعله الله تعالى لخلقه من المنافع، وتفضَّل به من نعمٍ بمنِّه وكرمه، وهَذَا لا يتقرَّر كيفِية ضبطه ما خلقه وتفضَّل به على مخلوقاته.

وقـــال القاشـــاني: إن قست فاضل وفاضل وفاضل جمعهن أفاضل، وإن قِست: أي جمعت فضل وفضل وفضل كانت تفضلات، وجمعهن أفضال، وإن جنحت للفرق فانظر إلَـــى فاضـــل ومفـــضال وفاعل وفعال تجد المعنى ظاهرًا، وتقرير ذَلِك فِي اللغة واسعٌ، والأفضال أعمُّ من الفضل فِي المبالغة، وقصد مؤلف هذه الكيفِية زيادة الثواب، والأعمال بالنيات.

(اللَّهُـــمَّ صلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، المليح الوجه باتِّفاق) وإن حُسن يوسف الصدِّيق شـــطرٌ من حُسنهِ، وجلاله غلب نور جماله، وكان الطَّيْكِلاً من شدة هيبتهِ لا يقدر أحدٌ من الصحابة يتلمَّح لـــه، والأدلة قاطعةٌ على عدم تمكُّن جميع أصحابه من رؤية وجهه، وانظر رحمك الله تعالى لقول الصدِّيق: «عجيبٌ شيبُكَ[1]» حيث ما عدَّ شعراته على الحقيقة من شدة هيبته، واختلاف أصحابه فِي ذَلِك، ولله تعالى درُّ ابن الفارض فِي كلامه يقول:

بجمـــالِ حُجبتـــهِ بجـــلالٍ هـــامَ واســـتعذبَ العـــذاب هناكَ

وإذا ميَّزت كلام الصحابة وتأمَّلته تجده أعظم ملوك الدنيا والآخرة والجنَّة وما فِيها، بـــيده وحوزه وتصرفه، وما أقطعه لا ينقص أبدًا: أي بالجملة صباحة وجهه وملاحته لا تُقاس، قرر بعض العلماء فِيها مؤلفًا، وقرر الجمال والبهاء والسناء والضياء، وما أعطاه الله تعالى من أنواع الكمالات، وخصَّه به، ولله درُّ صاحب البردة فِي قوله:

(١) لم أقف عليه.

فـإنَ فضلَ رسولِ اللهِ لَيْسَ لـه حَـدٌّ فيعْـرِبُ عَـنْهُ نَاطِـقٌ بفَمِ

(الكثير الأنوار) ولم يقل الكثير النور، وهَذَا من غاية البلاغة؛ لأن الأنبياء من نورهِ، والأولياء من نوره، وكل نور أتى من عملٍ صالحٍ من نوره؛ فأنواره لا تُحصى، وهو كثير الأنـوار، كمـا قرَّرت العلماء، واتفقوا على أن كل عملٍ صالحٍ من آدم إِلَى قيام الساعة داخلٌ فِي هديه ﷺ، وله ثوابه، وكل نورٍ وجَّه الله تعالى كأنبيائه وأوليائه من نوره؛ لكمال فـضله عند الله تعالى، وعلوِّ رتبته، والكلام فِي هَذَا المعنى يملأ الدفاتر، ويعجز عنه كل حاصـرٍ، وما لنا إلا العجز والتقصير، وهَذَا نادرٌ من كثيرٍ لا يُدرك، بعيدٌ عن كلٍ ما فِيه رِيـبةٌ، مثل كلام أهل الإفك، وكلام النصارى فِي حقِّ عيسى ابن مريم، واليهود فِي حق العُزير، وغير ذَلِك من جهَّال قريش؛ حيث نسبوه إِلَى السحر، ورموه بالجنون، وغير ذَلِك من أقاويلهم الباطلة وتأويلاتهم الكاذبة الفاسدة، وهَذَا بابٌ واسعٌ.

المختار: من أعلى قبيلة، من أعزِّ عنصرٍ، من خيار سادات العشائر، والشاهد فِي ذَلِك قـوله ﷺ: «فَأَنَا خيارٌ مِنْ خِيَارٍ[1]»، والأحاديث فِي هَذَا المعنى كثيرةٌ، ذكرها صاحب «الشفا».

وفِي «المواهب اللدنية» المختار: من خيار القبائل، النبي الذي خصَّه الله تعالى بالنبوة قَبْل خلق المخلوقات، يقول ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا ولا آدمُ ولا ماءٌ ولا طينٌ[2]».

وقوله أيضًا ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وآدمُ منجدلٌ فِي طِينَتِه[3]».

الأمِّيُّ: الذي لا يقرأ ولا يكتب.

وقال كعب: ما أنزل الله تعالى كتابًا إلا وفِيه ذكر مُحَمَّدٍ ﷺ، وصِفته النبيُّ الأمِّيُّ.

وكـان شـيخنا يقول: النبي السلطان النور المبين، السلطان على جميع الأنبياء، النور الواضح المبين، المبيِّن للناس الهداية ببيانه وسلطانه وفتحه المبين.

(وعلـى أهل الجنَّة أجمعين) تقدَّم ذكر الآل والأصحاب أجمعين، أراد به نشر الذكر بقوله: (آل مُحَمَّدٍ)، كل تقيٍّ، والصحيح المعتمد أنه بنو آدم من قرابته، وقرابته من بني

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٢٤٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره ابن حجر في تعجيل المنفعة (١/١٥٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/١٦٩).

عبد المطلب.

(حق قدره ومقداره العظيم) حقَّ قدره لا نقدر عليه، ولا نبلغ وصفه، ومقداره العظيم الذي فضَّله الله تعالى به، وخصَّه.

(اللَّهُمَّ صلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد عبدِك الذي جمعت به شتات النفوس) ذكره الله تعالى بالعبودية فِي نيف وعشرين محلاً فِي القرآن العظيم.

وجمع الجلال السيوطي مائة وثمانين محلاً من صريح وكناية.

وبالجملة: إنَّ القرآن العظيم كله خطابٌ لــه، والعبودية من أشرف أسمائه ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

جمع به شتات النفوس المشتتة الغريبة عن الطاعة، اجتمعت على الخير، وتآلفت عليه، والمــراد بالنفوس: النفيسة التي تنافست بالأعمال الصالحة، والشتات: التمزُّق التي كانت فِيه فزكَّاها، وجمع شتاتها.

وكان شيخنا يحب هذه الكيفِية؛ لما تضمنت من ذكر أخلاقه الشريفة ﷺ، ووصول الخــير إِلَى المصلِّي عليه بهذه الكيفِية، ومن بركتها أن ما اجتمع جماعةٌ وكرروا ذكره بهذه الصلاة إلا جمع الله تعالى شتاتهم، وأزال ظلمة قلوبهم، وتولاهم بالأُلفة والمحبة.

وقــال القزويني: من كتبها فِي (كاغد[1]) وأذابه بالماء، وسقاه للمتباغضين تآلفت قلوبهم.

وكان شيخنا عفا الله عنه إذا تكلَّم بين امرأةٍ وزوجها فِي صلحٍ يعقد على أصابعه بهذه الــصلاة عشر مراتٍ، يبدأ من أصابع يده اليمنى بالخنصر، ويختم من أصابع يده اليسرى بالإبهام، ويفتح يده، وينفخ فِيها، وهو يقرأ فِي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩] ثلاث مراتٍ، وهي من المجرَّبات.

(ونبيِّك الذي حُلت به ظلام القلوب) العبودية أخصُّ من النبوَّة، والنبوَّة أعمُّ؛ ولهذَا لمــا خيَّره الله تعالى اختار أن يكون نبيًّا عبدًا، ففاز بالنبوة والعبودية والملك، والمراد به: أنــه زهد الدنيا ورفضها، ولم يرضَ أن يكون ملكًا فِيها، توَّجهُ الله تعالى بالعبودية التي لم يخــص بها أحدًا سواه، وكمَّله بالنبوَّة، وشرَّفه بالرسالة ﷺ، وإذا حققت هذه الخصائص

(١) نوع من أنواع الجلد.

عـرفت الفرق فِي خيرته وما اختاره، وكيف دلَّه جبريل عليه السلام، وعرفت الزهد والقناعة، ومعنى إدراكه: المختصُّ به، المميز به على سائر الأنبياء ﷺ.

(وحبيبك الذي اخترته على كلِّ حبيبٍ) المحبَّة أعلى مراتب النبيين والصدِّيقين بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، والمحبة قوةٌ يلقيها الله تعالى على من أحبَّه، وشدة يقينٍ يشهده المحبُّ، وأنه شهد أن الأنبياء أشدُّ بلاءً، وإذا أحبَّ الله تعالى عبدًا ابـتلاه، وتلقَّى الشدائد بالرضا، وعين الرضا عين اليقين، ولهَذَا شهد الله تعالى لأصحاب نبيه أنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].

فانظـر رحمك الله تعالى مقام المحبَّة ما أعلاه، وهذه الكيفية من لازمها حصلت لـه العناية، وفتح الله تعالى لـه باب الشهادة والسلام.

الكيفية العاشرة

«اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الذي جاء بالحقِّ المبين».

الحـقُّ المبين: القرآن، وما جاء فيه أن الموت حقُّ اليقين، وأن الميزان حقٌّ، وعذاب القبر حقٌّ، والصراط حقٌّ، والجنَّة والنَّار حقٌّ، ووعد الله تعالى حقٌّ، ومعجزاته جميعًا حقٌّ، وأنه ﷺ الحقُّ المبين، بيَّنه الله تعالى، وأظهره، وآياته البيِّنات شاهدةٌ لـه بما جاء به، وبعلوِّ شرفه، وبكمال آياته ومعجزاته ﷺ.

(وأرسـلته رحمـةً للعـالمين) جمع عالم من إنسٍ وجنٍّ، وقيل جمع عوالم العلوي والـسفلي، والمراد: جميع العوالم من الملائكة وجميع أجناس الجان، والشياطين، والإنس، والجن، وعموم الرحمة أن الله ﷻ رفع عن أهل الأرض المسخ والخسف إلا ما جاءت به الأخبار فِي أشراط الساعة الكبرى، ونزول العذاب، وقلب المدائن، وإرسال الريح العقيم، والطوفان، وما عذب به الأمم السالفة، وجعل أمته وسطًا شاهدةً على الأمم ولهم، وهَذَا عين رأفته ومحبَّته ومنِّه ولطفه بنا، ونجاةً للهالكين من النَّار، وعذابه وعذاب القبر وعذاب الفقـر، وغـير ذَلـك مما يطول شرحه، ونقمةً على الكافرين، بالرعب والقتال وهيبة الإسلام، وما يلقون من عذاب النَّار وهول الموقف.

(وصلاحًا للمؤمنين) بالأدعية المأثورة، والتوسل، وهدي القرآن، وما يلقيه الله تعالى

لأحـــبابه؛ لما ورد: «الدعاءُ سلاحُ المؤمنِ يرقِّي العبد[(١)]»، أو قال: يبلغ به العبد أعلى منــــزلةً فِي الجنَّة.

(وقائد الغرِّ المحجَّلين) المراد بالغرِّ المحجَّلين: أمته يوم القيامة من آثار الوضوء، قائدهم دلـــيلهم، وقيل: إمامهم إِلَى جنان النعيم، الجنان: جمع جنَّة، والمراد بذَلِك: جمع الثمانية والنعيم الذي يتلذذون به، وقيل: جنة نعيم.

(وعلى آله وصحبه أجمعين) كما ذكرنا فِي الأوَّل.

(كلَّما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون).

الكيفية الحادية عشرة

«اللَّهُمَّ صلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد، الذي ملأت قلبه من جلالك»: أي ملأت قلبه من هيبتك، ومشاهدة آياتك وعظيم سلطانك؛ ولِهَذَا ورد: أن الهيبة فِي الخوف، والجلال فِي الخشية، وإذا ملأ الله تعالى القلب جلالاً كان ذَلِك من كمال الطاعة.

وذكر الحافظ ابن حجر: الجلال فِي حقِّه ﷺ عنايةٌ حُفَّت بالهيبة.

وقال ابن جماعة: الجلال فِي حقِّه ﷺ نعت هيبةٍ، لا يدركها غيره.

(وعينـــيه مـــن جمالك): أي ما شاهده من عظيم جمال سُرَادقات عرشه، وقيل: ما شـــاهده فِـــي الحجـــب حين دنا فتدلَّى، وقيل: ملأ الله تعالى عينيه ووجهه بهاءً وجمالاً وجلالاً، إِلَى غير ذَلِك مما شرَّفه الله تعالى به وفضَّله.

(وأذنـــيه من خطابك) الذي فضَّلته به، وأودعت فِيه من بدائع أسرارك ما افتخر به على سائر النبيين حقيقةً، فحصل لـــه التواضع الذي تَمَّ به شرفه، والزهد الذي ما وصل أحدٌ من الكُمَّل مثله، والملكة فِي الأشياء كلها والملك والسلطان والرتبة الغاية.

(وعلى آله وصحبه كذَلِك): أي نسألك أن تتفضَّل على آله ومحبِّيه بما وعدت: من الخـــير، والرحمة، والعلم، والآيات التي وهبتها لنبيهم، بما استدلينا عليه من مواهبك التي منحته بها، وأوصلته يا ذا الجلال والإكرام، والحمد لله على ذَلِك العطاء الجزيل الذي وهبته

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٦٦٩/١)، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٤/١)، وابن عدي في الكامل (١٧٢/٦).

لنا ببركة نبيِّك يا ربَّ العالمين.

الكيفية الثانية عشرة

((اللَّهـــمَّ صـــلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد عددَ ما أحاطَ بِهِ علمُك مِنْ سائرِ ما يكونُ فِي ملكك)) والإحاطة لا يقدِّرها عقلٌ، ولاَ يسعُها فكرٌ، ولاَ تُقتدر بالإفهام، عجزتْ البلغاء والفصحاء والعارفون عن حقيقة علمه.

(المحيط بالأسماء) ومرادنا به: العطاء بعدد ما أحاط به علم الله تعالى؛ حيث إن لا علم لنا إلا ما علَّمنا، وأراد بذَلِك غاية المبالغة فِي نعته ﷺ.

(وجـــرى بـــه قلمك) فِي اللوح المحفوظ بكل ما أودعته به من العلوم، ونفذ به فِي خلقك حكمك بما هو كائنٌ وما يكون يا ربَّ العالمين.

الكيفية الثالثة عشرة

((اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد، الذي خلقته سعيدًا من القِدَم قَبْل مخلوقاتك ممـــا لا نطَّلـــع عليه من مكنون علمكَ المكتوم))، وقيل: ((وسلِّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّد، أفضل من مشى على القدم المأمور به من العبادات الوهبيَّة والكسبيَّة)).

وقيل: القدم: الذي جاء به، وبلَّغه.

وقيل: القدم البشري الذي يمشي عليه.

وقـــيل: أراد به كمال رتبة قدمه الشريف؛ فهو أفضل من مشى على أي قدمٍ قرَّرناه؛ لما خصَّه الله تعالى به من المواهب الإلهية فِي العبادات الكسبيَّة، قام حَتَّى تورَّمت قدماه.

وهَذَا كلامٌ يطول شرحه إن قررناه؛ فعليك بالكتب المطولة.

(وصلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد، الذي حكم بالحقِّ وما ظلم) هذه الصيغة ذكر فِيها جمـــيع ما جاء به من الأحكام التي لا تنحرف ولا تتغيَّر ولا تتبدَّل: كالقرآن العظيم وما نطق به من الحكمة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤، ٥].

قال أبو حنيفة: المراد بشديد القُوى: جبريل.

وقال الزهري: علَّمه جبريل لشدة قوَّته فِيما تلقاه من الآيات.

وقال قتادة: علَّمه جبريل عليه السلام الإنصاف؛ فاتَّصف به؛ فما ظلم أحدًا مُدة حياته؛ لشدَّة تحمُّله وكرمه وسماحة نفسه، شُجَّت ثناياه ورباعيته فدعا لقومه، وقال: «اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ[1]».

ولو ذكرنا ولخصنا هذه المسائل لما وسعت هذه الرسالة.

(وصلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الذي شرَّفت به سائر الأمم): أي توسَّلت به؛ فحصل لها الشرف، فتشرَّفت به.

والمراد: أن آدم توسَّل به؛ فزوَّجه حوى، وتوسَّل به؛ فتاب عليه، وتوسَّل به إبراهيم وسائر الأنبياء، فتشرَّفت به أتباع الأنبياء تبعًا لأنبيائهم، فحصل لهم ببركته الشرف الأكبر والفخر الأعظم.

(وصَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، إمام مكَّةَ والمدينة والحرم) مكَّة البلد والبيت الحرام والمدينة المنورة وبيت المقدس، وكذا لا يخفى أن الحرم القدسي وسائر المساجد بالتبعيَّة لهما؛ فهو إمام مكَّة قَبْل الهجرة، وإمام المدينة الشريفة إِلَى أن لقي الله عز وجل وإمام بيت المقدس ليلة الإسراء.

وقيل: ما خصَّه الله تعالى به؛ حيث جمع له القبلتين.

وقيل: إنه كان يصلِّي لجهة بيت المقدس؛ فأنزل الله تعالى عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤].

وإمام المدينة لما هاجر إِلَى المدينة الشريفة، ولما أمره الله تعالى أن يصلِّيَ لجهة الكعبة الشريفة، كان إمام مكة.

وقيل غير ذَلِك: فهو إمام مكَّة والمدينة والحرم، هاجر إِلَى المدينة الشريفة وصلَّى بها، ولما أمره الله تعالى أن يصلِّي لجهة الكعبة كان إمام مكة وغير ذَلِك.

(وصلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، سيِّد العرب والعجم) العرب: أهل الحجاز وما يلي اليمن إِلَى جهة الحجاز وجهة القبلة.

والعجم: بلاد العراق وما يليها: مثل بغداد، والبصرة، والمشرق، وأرض الشام، وما يليها، وأرض الروم وغير ذَلِك.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٤٣٢)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/١٤).

وبالجملة: هو سيِّد الخلق أجمعين.

هذه الكيفية ثوابها لا يخفى، ولها نورانيَّة ظاهرةٌ، ومعانٍ بليغةٌ، اختصرنا حل ألفاظها تقريبًا، ولو طلبنا التطويل لطال الشرح، ولله الحمد.

الكيفية الرابعة عشرة

«اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الذي هو آيةٌ من الشمس والقمر»

قال الحافظ: الشمس والقمر آيتان، جعل الله ﷻ بهما قيام الليل والنهار، وقيامهما، شبَّه الشمس بالسراج لما فِيها من الأشعة التي لا تقْبَلُ العين ضوءها، والقمر بالضياء، ولا يمكث الليل كله؛ لأنه دون الشمس.

ومن هذه الحيثية ذهب الأكثرون إِلَى تفضيل النهار، وبعضهم ذهب إِلَى تفضيل الليل؛ من حيث إن الإسراء كان فِيه وقيام الليل والتجلِّي وغير ذَلِك، وكلٌّ منهم له مقاصد، وبعضهم فضَّل الشمس؛ لما يحصل بسببها إِلَى غير ذَلِك، ولكون أن السراج إذا أوقد منه مائة سراجٍ لا ينقص ولو آلاف هو باقٍ على حاله.

وهَذَا مثالٌ إذا تأمَّله العارف عرف براعة استهلال هذه الكيفية، وإذا تأمَّل البهاء والثناء وغير ذَلِك عرف فضل هَذَا النبيِّ الكريم ﷺ، وما أعطاه الله تعالى.

وفِي قوله: (آية من الشمس والقمر) غاية البلاغة، وبهاؤه أعلى وأجلُّ وأسنى وأتَمُّ.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد نبات الأرض وأوراق الشجر) وهَذَا توسُّلٌ لا يُحصى عدده، حيث سأل الله تعالى أن يصلِّ على نبيه عدد ما بين الأرض: من نباتٍ نبت فِيها، وعدد أوراق الشجر الذي فِي جميع الأرض، وإذا أضيف على ذَلِك عدد ورق سدرة المنتهى وعدد أوراق شجر الجنَّة وغير ذَلِك مما يعلمه الله تعالى مما لا يضاف إِلَى علمنا ولا معرفتنا كان ذَلِك عددًا تحيَّر فِيه العالم، ولا مانع من سعة فضل الله ﷻ أن يعطي المتوسل إليه بهذه المقاصد عطاءً جزيلاً من كرمه ومنِّه.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد الرمل وقطر المطر) لما ذكر عدد النبات وأوراق الشجر، ورأى البراري ورملها والفلوات، ونظر إِلَى ما فِي الجبال من رملٍ وغير ذَلِك، ونظر إِلَى قطر المطر وإِلَى سعة فضل الله تعالى، وإن كان غير الممكن، وما يستحيل كقول القائل: (إن الله تعالى يدخل السماوات والأرض فِي قشرة جوزة أو

بيضة)، والجواب أنه يوسع تلك القشرة أو البيضة مما يمكن إحكام القدرة، والمصلِّي إن لم يشهد ما عدَّه ذاتًا أو ما يكشف به بصيرته بالمشاهدة؛ فإنه يتكلَّم بغير الممكن، ولو أمكن هَذَا المحقِّق أن يتكلَّم بما لا وصل إليه فكره خلا عن نظره للزم الأدب.

قال الغزالي: هَذَا ممن شهد الوسعة الإلهية.

والخلاص من كلام هَذَا المحقِّق أن تقول: هَذَا دعاءٌ وتوسُّلٌ وطلبٌ من الله تعالى، اعتقادي باعتقاد هَذَا العبد المصلِّي عليه، وإذا نظر العارف إِلَى ما يُكشف لـه به لحارت بصيرته بالمشاهدة، فكيف لو أنَّ ذَلِك أمر نسبيٌّ، وكلامنا أن جميع ما ذكرناه يصلِّي على نبيِّه باتفاق الأئمة، وإذا نظر إِلَى سعة فضل الله تعالى ورسخ الإيمان فِي قلبه بما ورد وما جاء بالأدلة القاطعة فلا مانع ولا تدقق عليه بقول من دقَّق عليه.

وقال النووي: كل من كان عليه دليلٌ قطعيٌّ لا يدقِّق عليه إلا مُتعنِّتٌ.

وقال مالك: كلُّ ما أمكن طلبه بقوة اعتقادٍ جاز طلبه.

ولسنا بصدد هَذَا.

(وصلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد مَنْ حَجَّ واعتمر) طلب من الله تعالى أن يعطيه ثواب من حجَّ واعتمر، وإنَّ الله تعالى صلَّى على نبيه عدد من حجَّ واعتمر.

وقد اعترض بعض العلماء مؤلف هذه الكيفية أنه طلب غير الممكن فِيما شاهده وعلم ثواب الله تعالى، وما وعد به وسعة فضله وعطاءه مما هو مقرَّرٌ فِي السنَّة: «أَنْ أَرِنِي أهلَ الجنَّةِ منــزلة من يُعطى قدر الدنيا عشر مراتٍ أو مرةٍ واحدةٍ[1]».

قال بعض العارفين: هَذَا مما يحار فِيه العقل، وحديث مالك وأبو بكر فِي الجنَّة يحار فِيه الفكر، وثواب سورة الإخلاص ثواب ثلث القرآن، وسورة الزلزلة وما جاء فِي فضل آيات من كتاب الله العزيز دليلٌ على سعة فضله، ولله الحمد.

(وصلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد حسنات أبي بكرٍ وعمر) عدد حسنات الإمامين لا يُحصى، فكيف يصل هَذَا المصلِّي إِلَى حقيقة حسناتهما، وإنما هَذَا مبالغةٌ فِي الثناء من المصلِّي عليه مقبولةٌ فِي حقِّه ﷺ، لا مانع من سِعة فضل الله تعالى للمصلِّي عليه، وأنه مقبولٌ بذكره أبي بكر وعمر؛ حيث قدَّم ذكر سادات أهل الجنَّة، وأفضل هذه الأمة،

---

(١) ذكره النووي فِي شرح صحيح مسلم (٣/٤٢).

اللذين محبتهما واجبةٌ على كل مسلمٍ، وجزاءه على الله تعالى.

وكان شيخنا يقول: أرجو الله تعالى أن يشفعه فينا ومن قال هذه بهذه الكيفية.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد عدد حسنات عثمان وعليٍّ الأزهرين) أراد بذَلِك الترتيب فِي المراتب والفضل، وما قاله مالك رضي الله عنه فِي تقدُّم عليٍّ.

قال الشافعي: راعى فِيه حيثيَّةً أخرى.

للعلمـــاء مقاصـــد، وفضل هؤلاء متَّفقٌ عليه فِي الحكم والخلافة والفضل والشجاعة والعلم وغير ذَلِك من المجاهدات، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(وصلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد حسنات أصحابه النُّجوم الزُّهر) أراد به جميع الـــصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونشر محاسنهم، وما أعطاهم الله تعالى؛ لما ورد فِي الحديث الشريف: «أَصْحَابِي كَالنُّجومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ[(١)]».

ومـــن عظم مكانتهم عنده قال معلِّمًا لنا: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِي بأرضٍ بُعِثَ قَائِدًا لَهُمْ[(٢)]».

وبالجملـــة: لـــو عبد الله الإنسانُ حَتَّى يصير كالمشن[(٣)] البالي لما وصل إِلَى ذرة مما وصـــلوا، ولو أنفق أحدكم قدر جبل أُحد ما وصل إِلَى قيراطٍ منهم، والأخبار كثيرةٌ فِي مثل هَذَا المعنى.

دقـــيقة: إذا كـــان جـــبل أُحد لا يقوم بقيراطٍ من حسناتهم فالتفاوت واسع المجال، والأنفاس يتزايد ثوابها كتزايد النيَّة، وإنَّ العبد ليأتي وعليه سيئاتٌ حَتَّى يقف بين يدي ربِّه فينـــشر كتابه فيجد فِيه أعمالاً ما عملها فيتعجَّب، فينادى: أما نويت كذا فِي يوم كذا.. إلخ، وقـــد اطَّلـــع الله عز وجل على صدقك، فأثابك، وكتب لك ما نويت، وهَذَا كثيرًا يقع للمخلصين بإخلاصهم، ولا مانع فِي جزيل عطاء الله تعالى.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد سيِّئاتنا حَتَّى تُغفر) معناه: أن العبد إذا كان فِي

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٩٧)، والذهبي في الميزان (٨/٧٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/١٤٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/١٩٠)، وهو ضعيف باتفاق.

(٢) رواه الديلمي فِي الفردوس (٣/٥٠٦)، والخطيب فِي التاريخ (١/١٢٨)، وذكره العجلوني فِي كشف الخفا (٢/٢٥٢).

(٣) المشن: السوط.

طاعة وتذكَّرها كان عليه وما قدَّمه وندم على سيئاته، فكأنَّه فتح لنفسه باب الرجاء فِي الله ﷻ، وكأنه يطلب من الله تعالى أن يغفر سيِّئاته ويتجاوز عنها ببركة الصلاة على نبيِّه ﷺ، وأن الصلاة عليه تَغسل الذنوب، وتهدمها، وتستر العيوب، وتفرِّج كرب العبد.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحب الجبينِ الأَزْهَرِ) لما قرر ما طلب من سعة فضل سيده وتيقَّن واعتمد فضل نبيه ﷺ على سائر الخلق أجمعين وأن الله تعالى لا يخيِّبه من ثوابه الجزيل أخذ يذكر محاسن ذاته الشريفة، واعتقد فِيه جميع أنواع الكمالات، فبدأ بذكر جبينه الأزهر لزهارته، وإن جميع أصحابه ونسائه ما استطاع أحدٌ أن يصفه على ما وصفه الآخر؛ ولهَذَا اختلفت آراء الصحابة فِي صفته ﷺ، وإذا أردت ذَلِك فعليك بشمائله؛ فإن فِيه نعته وصفته ﷺ وهو كتابٌ جليلٌ.

(وصلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحب الوجه الأقمر) قمرًا منيرًا قمر سائر الأقمار.

وزاد عليها: (فكل قمرٍ قمره).

وزاد عليه: (وصلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحب الكفِّ الأَزْخَرِ الزَائدِ المكرَّمِ).

قال صاحب البردة:

كَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ والدَّهْرِ فِي همم

وقال آخر:

قَدْ شَبَّهُوهُ بِبَحْرٍ قُلْتُ فَاضَ عَلَى جَمِيعِ البِحَارِ

وفِي محلٍّ آخر:

البَحْرُ يُرى عَلِيلاً

يعني حقيقةً، أو يردُّ ظمأً مثل فعله، كقوله فِي حق تارك الصلاة: «ولو سُقِيَ بِحَارُ الدُّنْيَا ما يُروى مِنْ عَطَشِه(١)».

وفِي الحديث: «تَفِلَ فِي ثَغْرِ أعرابيٍّ، فرواه شهرًا كاملاً، وقال لـه: لولا طَلَبْتَ

(١) حديث كشفي صحيح.

الماءَ لمكثتَ إِلَى بَعْثِكَ[١]» يعني إِلَى الموت، أو قيامه من قبره.

وكرم كفه ﷺ لا يُقاس عليه، وقد وجدنا من ذَلِك ما أغنانا الله تعالى به ببركته ﷺ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحب الروضة والمنبر) لما ورد: «مَا بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ[٢]».

وفِي حديث آخر: «مَا بَيْنَ قَبْرِي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ[٣]».

(وصلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحبِ التَّاجِ والْمِغْفَرِ) التاج الذي خُصَّ به تتلمَّح لــه سائر النبيين من الصدِّيقين ومن الشهداء والصالحين والعارفين.

ووصف التاج والمغفر القسطلاني فِي مواهبه، وأتى بأقوال العلماء وما أوَّله الحفَّاظ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحبِ الحوضِ والكَوْثَرِ) حوضه ﷺ اختلف أهل الأثر فِي طوله وعرضه، والكوثر نهرٌ فِي الجنَّة، والحوض أوانيه بعدد نجوم السماء، اتَّفق عليه الثقاة.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صاحبِ اللِّواءِ فِي الْمَحْشَرِ) المراد به: لواء الحمد الذي لا يُنشر لغيره يوم القيامة.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً لا تُعَدُّ ولا تُحصى) لما ذكر الحصى والنبات والرمل وغير ذَلِك من نعته الشريف وما حوى مقامه الأكمل بيوم القيامة دخل فِي باب الــرجاء، فرأى أن ثواب الصلاة عليه بهذه الكيفية لا يُحصى ولا يحصر ولا يعدُّ بتقريرٍ، ولولا خوف الإطالة والملل لذكرت لك فِي هذه الكيفية ما لا يُمِلُّ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ علــى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تدوم علينا بركاتها فِي الدين والدنيا والآخرة ويوم الفزع الأكبر) مؤلف هذه الكيفية أراد دوام بركة الصلاة على النبيِّ ﷺ فِي الدين الذي مدار سائر الأعمال به.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الــبخاري (١/٣٩٩)، ومــسلم (٢/١٠١٠)، والترمذي (٥/٧١٨)، وأحمد في المسند (٢/٢٣٦).

(٣) رواه الــبخاري في الــتاريخ الكبير (١/٣٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٢/٤٨٩)، وأحمد في المــسند (٣/٦٤)، وابــن أبي شــيبة في المصنف (٦/٣٠٥)، والبيهقي في الشعب (٣/٤٩١)، والديلمي في الفردوس (٣/٥٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٤٨).

والدين المراد به: ما شرعه الله تعالى لنبي، وأمرنا به.

والدنيا: مدة عمرها، وهو سبعة آلاف سنةٍ، كما ورد فِي الحديث.

ومراده بقوله علينا: دوام تعظيم دينه فِي الدنيا والإعانة على كل عملٍ صالحٍ.

والآخــرة: قيامته، يوم خروج روحه، يعني أداوم عليها إِلَى خروج روحي، وتشمل بركة الصلاة عليه ديني فِي دنياي وآخر أعمالي.

إِلَى يوم الفزع الأكبر: إِلَى الخروج لفصل القضاء، والحق تعالى لا يخيِّب من أمله فِي شيءٍ، ولا يقطع رجاء عبدٍ قصده ودعاه.

الكيفية الخامسة عشرة

«اللَّهُــمَّ صــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كما ينبغي لشرف نبوَّته، ولعظيم قدره العظيم» شرف نبوته ﷺ واضحٌ ظاهرٌ، وقد أعطاه الله تعالى أنواع الكمالات.

وقال الحافظ: شرف نبوَّته لا يعلوه شرفٌ.

وقــال القاشــاني: إن لله تعالى مَلَكًا تحت ساق العرش مسيرة قدمه خمسمائة عامٍ للراكب الْمُجدِّ المسرع، موكلاً بالصلاة على النبيِّ ﷺ، فإذا قال العبد: (اللَّهُمَّ صلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّد كما ينبغي لشرف نبوَّته) قال ذَلِك الملك: (اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ بِمَا جَمَّلْتَ بِهِ أحبابَكَ، وأعلِ اللَّهُمَّ شرفه، وتَوِّجْهُ، وأَعْطِهِ مَا أعطيتَ أنبيائكَ وأوليائكَ).

وفِي رواية: (اللَّهُمَّ أَيْقِظْهُ بِمَا أيقظت به الذاكرين).

(وصَــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حقَّ قدره ومقداره العظيم) عظيم قدره العظيم الذي فاق به سائر الأنبياء، فله الفخر والسيادة باتِّفاقٍ.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الرسول الكريم) حقَّ قدره لا يقدر أحدٌ من الخلق أن يوفيه ولا يعرفه.

ومقــداره العظــيم ﷺ وردت بــه الأحاديث والأدلة القاطعة والبراهين عند المحدِّثين والحفَّاظ رضي الله تعالى عنهم.

(وصلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد، المطاع الأمين الرسول) كما قررناه الكريم علــى الله تعالى خصَّه بأنواع الكمالات والكرامات، واجتباه، وهداه؛ فلا يعادله أحدٌ من الرسل.

وقيل: بما أكرمه الله تعالى به من الكرامات، المطاع فِي سائر ما يُؤمر به، وقد شهد الله تعـالى لـه بأنه المطاع فِي أقواله، قرن طاعته بطاعته بقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وبقوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]، فهو المطاع فِيما بينه.

وقـال الحافظ: الأمين على وحي الله تعالى، وعلى أحكامه، وسائر ما جاء به حدث عن الله ﷻ، وجاء بما أمر.

(وصـلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الأوَّلين من خلقك العارفين الدالِّين عليك) وقيل: (مما تعلم به من ملائكتك).

وقيل: (فِي الأوَّلين حين أشهدت آدم على ذريته).

وقيل: (القبضتين).

وقيل: (فِي الأوَّلين من الملائكة الذين وكَّلتهم بالصلاة عليه لا يغفلون ولا يفترون).

وقيل: (الملائكة الموكَّلة بأعمال الصلاة عليه آناء الليل وأطراف النهار دائمًا أبدًا).

(وصـلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الآخرين) من الأمم اللاحقة بدء خلقك إِلَى قيام الساعة.

(وصـلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي كلِّ زمانٍ وحين) فِي كل وقتٍ من الأوقات: أي لا يفوت نفسٌ ولا لحظةٌ إلا وهي فِيهما ذكر نبيك ﷺ.

والحين ذكرته العلماء: مدة مكث آدم وهو صلصال كالفخار بنحو أربعين سنة.

بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] فسَّره بنحو الأربعين سنةً، وفِي قول عمر بن الخطاب ﷺ لما سمع من يتلو هذه الآية الشريفة: «لَيْتَهَا تَمَّتْ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، لَيْتَ أُمَّ عمرَ لَمْ تَلِدْ عُمَرَ[١]».

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد الملائكة المقرَّبين) كحملة العرش، والملائكة المقـربين، وسكَّان البيت المعمور، ومن حول سدرة المنتهى، وأرباب وظائف الأعمال، وغيرهـم مـن المقربين، الذين لا يفترون عن العبادة قائمين بما أمرهم الله تعالى به، لا يغفلون عنه.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/٧٩)، وذكره القرطبي في التفسير (١٩/١٢٠).

(وصـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ الأنبياءِ والمرسلين) أراد عدد جميع الأنبياء مائـــة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيٍّ، والمرسلين ثلاثمائة وأربعة عشر، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

(وصـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ الخلفاءِ الراشدين) أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وغيرهم، مثل عمر بن عبد العزيز، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(وصـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد العلماء العاملين القائمين بالحقِّ) لقوله ﷺ: «لا تـــزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي[1]» المراد بذَلِك: العلماء؛ لقوله ﷺ: «العَالِمُ العَامِلُ فِي أَعْلَى مَنَازِلِ الجَنَّةِ[2]».

(وصـــلِّ وسَـــلِّمْ علـــى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ أئمَّةِ الدِّينِ) أئمة الدين مثل أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والليث، ونافع، وكل إمامٍ لـــه قولٌ فِي دين الله تعالى رضي الله تعالى عنهم.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الملإ الأعلى إِلَى يومِ الدِّين) الملأ الأعلى: ما فـــوق السماء السابعة إِلَى غير ذَلِك، وإذا أردت ذَلِك فعليك بكتاب «الحبائك» للجلال السيوطي، عفا الله تعالى عنه.

(وصـــلِّ وسَـــلِّمْ علـــى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَتَّى تَرِثَ الأرضَ ومَنْ عليها، وأنت خيرُ الـــوارثين) أراد بذَلِك النفخة الأولى وانقضاء مدة الدنيا، وهي سبعة آلاف سنة؛ لما ورد أن الله تعالى يقول بعد فناء الدنيا: «يا أرضُ أَيْنَ مكانك؟ أَيْنَ مَنْ كان بك؟ أَيْنَ الملوكُ الأكاســـرةُ؟ أَيْنَ مَنْ طَغَى؟ أَيْنَ مَنْ بَغَى؟ فمَا يُجِيبُه أحدٌ، فيجيبُ نفسه بنفسه: المُلكُ لِي، وأنَا الواحدُ القَهَّارُ[3]»، وذَلِك قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦].

وهذه الكيفِية فِيها فوائد كثيرةٌ، ومن لازمها لا يخرج من الدنيا حَتَّى يراه ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦٧/٩)، ومسلم (١٣٧/١)، وأبو داود (٤/٣)، والترمذي (٤٨٥/٤)، والنسائي في الكبرى (٢٣٠/٦)، وأحمد (٣٤٥/٣)، وابن ماجه (٤/١).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣٥٢/٤) بنحوه.

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٢٠/٤)، والحسيني في البيان والتعريف (٥٧/٢).

الكيفية السادسة عشرة

وهـي صلاة الروح المقدَّم ذِكرها وشرح معاني ألفاظها، غير أن بعض الفقهاء أنكر على جامع هذه الكيفية فِي قوله: (وصلِّ وسلِّمْ على رسمه فِي الرسوم)، فأجاب: الأنبياء لا تُبلى، والرسم لا يكون إلا بعد البلى، والرسوم: الآثار الخربة.

فأجاب آخر: هَذَا جوابٌ بعيدٌ عنه، ليس ببعيدٍ عن المحققين.

والصواب ما قاله الحجري عفا الله تعالى عنه فِي حديث عمارة بن زيد المدني الطويل، وحاصل ذَلِك لم أتحقق له سندًا فِي كتب الحفَّاظ عفا الله تعالى عنهم، غير أن مالك والنقاش وابن الطلاع ذكروا بعض ألفاظ منه فِي حديث عمر بن الخطاب ﷺ، ولفظ ما قاله عفا الله تعالى عنه: «إنَّ الله خَلَقَ نورِي (أو قال نور نبيه)، وأَوْدَعَهُ فِي خزانةٍ تحتَ ساقِ العَرْشِ، فَلَمَّا أَظْهَرَ رُسُومَ مَا أَرَادَ فِي الكونِ أَظْهَرَ أشباحًا مُتَعَدِّدَةً، وأَبْرَزَهَا بِحِكْمَتِهِ، وأَظْهَرَ ذَلِك النُّورَ، فَرَسَمَ تِلْكَ، وقَالَ: هَذَا رَسْمِي، فَتَقَاطَرَ مِنْ ذَلِكَ النُّور قَطرات عليهم، ونَطَقَتْ تِلْكَ القَطَرَاتُ، وقَالَتْ: نَحْنُ مِنْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ الله، وإِذَا النِّدَاءُ: رَسْمُهُ بَاقٍ فِيكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وأَنْتُمْ أَتْبَاعُهُ(١)».

قال ابن فارس: هم الأنبياء توَّجهم الله تعالى بنوره، والرسم: سرُّ نوره فِيهم، والرسوم: انقضاء أهل كل زمنٍ من آدم إِلَى مبعثه، ولهَذَا نشاهد أن الأنبياء عليهم السلام من نوره ﷺ، وأن رسمه مع كل عبدٍ طائعٌ.

وقال أبو طالب المكيُّ: قال ﷺ: «إنَّ الله تَعَالَى نَشَرَ ذِكْرِي قَبْل خلقِ المخلوقَات، وجَعَلَ رَسْمِي عَلَى سائرِ أهلِ طَاعَتِي، وأَنَا قسيمُ الأعمالِ، وأَنَا خيرُ أصحابِ اليَمِينِ، وإنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ أصحابَ اليمينِ أثلاثًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثُلُثًا.

وذَلِك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:٨]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:١٠]؛ فَأَنَا مِنَ السَّابِقِين، وأَنَا خَيْرُ السَّابِقِين، ثُمَّ جَعَلَ الأَثْلاثَ قبائلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قبيلةً، وذَلِك قوله : ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وأَنَا أَتْقَى ولدِ آدمَ، وأَكْرَمُهُمْ عَلَى الله تَعَالَى، ولا فخرَ، ثُمَّ

---

(١) لم أقف عليه.

جَعَلَ القبائلَ بُيوتًا، فَجَعَلَني فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، وذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فأنَا وأهلُ بَيْتِي مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ(١)» رواه البيهقي وصحَّحه.

وفي حديث آخر عن العباس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تَعَالَى خلقَ الخلقَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ فرقةً وخَيْرَ الفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القبائلَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قبيلةً، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فأنَا مِنْ خَيْرِهِمْ نسبًا وخَيْرِهِمْ بيتًا(٢)» قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.

وقال أبو طالب المكِّيُّ: النبيُّ روح الأرواح الطيبة، رسم اسمه الشريف فِي سائر أنبيائه، فرسمه فِي عالم الأشباح دائمًا، وفِي عالم المثال باقٍ ﷺ، ولهَذَا قررت السادة الصوفية النظور لأولياء الله تعالى، وإظهار كل شبح للأبدال، وقد رسم بيده الشريفة ﷺ جميع أتباعه ووسمهم، وقال لعمر: «أَعْرِفُ أَتْبَاعِي مِنْ عَالَمِ الأَشْبَاحِ، وكَانُوا مَعِي حين خطب آدم، وكنت معهم، ومع نوح، ولا أَعْرِفُ بِأُمَّتِي أحدًا أَعْرَفَ مِنِّي بِهِمْ؛ فَإِنِّي أَعْرِفُهُمْ دُوْنَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ(٣)».

قال فِي الصحاح: جمع رسم ورسم رسوم بخلاف مرسوم؛ فإن جُمع مرسوم ومرسوم مراسيم، والرسم طابعٌ به يُطبع.

وقال الشافعي: فراسة المؤمن وسمٌ وُسِمَ فيه.

قال الزجَّاج: طابعٌ طُبِعَ على قلبه، ينظر به، فيرى بنور الله تعالى ما يظهره الله تعالى لـه بالصفة، وهَذَا يدلُّ عليه الكتاب والسنَّة والمعقول.

أما الكتاب: فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [مُحمَّد: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣/٥٦)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/٣٩٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١٥)، والمناوي في فيض القدير (٢/٢٣٢).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥٤٣)، وأحمد (١/٢١٠)، والحاكم في المستدرك (٣/٢٧٥).

(٣) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

وأمـــا السنة: فقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله تَعَالَى[(١)]»، وقوله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ[(٢)]»، وقوله ﷺ: «إِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فَهُوَ عُمر، فَمَا أَخْطَأَتْ فِرَاسَتُهُ أبدًا[(٣)]».

وهَـــذَا ببركة شهادة النبي ﷺ فيه، والرسم: هو الأمر، فكأنَّ جامع هذه الكيفية أراد بـــرسمه أمره، وأراد بالرسوم أهل كل عصرٍ من الأتقياء، وبيَّن قوله كذَلك بالتبعية لرسمه، وأن جميع الأنبياء أتباعه فِي أمره ﷺ، وإن اختلفت الشرائع فشرعه جامعٌ لسائر الأحكام، وكـــلُّ كتابٍ يتضمَّنه كتابه، وثوابه أكثر ثوابًا، وأعطى الله تعالى أمَّته ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت، والواحد من أتباعه يَشْفَعُ ويُشَفَّعُ، ورسمه فِي رسوم الأعصار والأمصار ومع أهـــل المفاخر، وله المكاشفات الغيبية، ومن اجتمع به فِي عالم الخيال عرَّفه الله تعالى به، وأعلمه أنه من أتباعه، ودليل ذَلك أن سائر الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين توسَّلوا به، وشاهدوا اسمه وصفته ﷺ.

وفيما قرَّرناه كفايةٌ لمن تأمَّل، وفِي حديث الشفاعة الطويل: «لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي.... إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عليَّ، ويُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقُولُ ربِّي ﷻ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا ربِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَدْخِلْ الجَنَّة مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ مِن البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّة، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَابِ، والذِي نفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ ما بين الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّة لكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وهَجَر، وكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى[(٤)]» أخرجه مسلم.

وزاد الترمذي: «وإِنَّ المصلِّي عليَّ آمِنٌ فِي مواطنِ الآخرة حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وأُتوِّجَهُ،

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤/١٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/٢٦٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (١/٤٠٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/٣٩٠).

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/٣٥٤)، والترمذي (٥/٢٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/١٠٢)، وفي الأوسط (٣/٣١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٩٤).

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (١/١٤٣)، والشوكاني في نيل الأوطار (٧/٢٧٣).

(٤) رواه البخاري (٤/١٧٤٦)، ومسلم (١/١٨٥)، والترمذي (٤/٦٢٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٧٨)، وأحمد (٢/٤٣٥).

ولَهُ مَقَامٌ لا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلا مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِهِ».

ومن محاسن ما ذكره ابن نصر: أن غزوة بدر في السَّنة الثانية من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ثم أُحدًا، ثم ذات الرِّقاع، ثم الخندق، ثم بني النضير، ومريسيع، وفيها اعتمر عمرة الحديبية التي صُدَّ عنها، ثم خيبر، واعتمر فيها عمرة القُضيَّة، ثم فتح مكَّة، وفيها نزل على حنين والطائف، ثم تبوك، وهي الأخيرة، وفيها تخلَّف الثلاثة وجماعةٌ، وفيها أمر أبا بكر أن يحجَّ بالناس، وحجَّ ﷺ في العاشرة، وتوفي بعد حَجِّه.

وفُرض عليه الجهاد في السنة الثانية، وأَمر به، وقال: «مَنْ دَاوَمَ الصَّلاةَ عليَّ كَفَاهُ الله تَعَالَى مَا أَهَمَّهُ، وكُنْتُ مَعَهُ، ومَنْ أحبَّ ذِكْرِي كُنْتُ مَعَهُ، وَهُوَ حبيبي، ومَنْ تَبِعَ أَعْمَالِي لــه دَرَجَةٌ لا يَصِلُ إليها صِدِّيقٌ، وهُوَ مَعَ النبيِّين، ومَنْ تَبِعَ أقوالي نَجَا، وكَانَ تَابِعًا لِي، ومَنْ خَصَّه الله تَعَالَى بشيءٍ مِنْ أَعْمَالِي كَانَتْ سَبَبَ نَجَاتِهِ، والْمُصَلِّي عَلَيَّ لــه نُورٌ أَعْرِفُهُ بَيْنَ النَّاسِ، ومَنْ نَعَتَ فِي مَحَاسِنِي لــه بِقَدْرِ مَا نَعَتَ، ومَنْ ذَكَرَ شَعْرِي وبَشَرِي بِخَيْرٍ أَوْصَلَهُ الله بِي، ومَنْ ذَكَرَ رَسْمِي وَوَسْمِي وُقِيَ عَذَابَ جَهَنَّمَ[(١)]» ذكره القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي في «شرح المدونة».

ومن محاسن ذكر رسمه الشريف ﷺ: ما قاله القضاعي ﷺ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك خيرَ من رُسِمَ به خير البرية، وأتوسَّل إليك بمأموراته، فإنَّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤] خفِّف عنِّي ما أجد من كلِّ همٍّ وغمٍّ ومحنة، يا بديعُ، يا هاديَ المضلِّين، يا قاضيَ الحاجات، يا الله، يا الله، يا الله، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السماوات والأرض: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٠، ٢١، ٢٢].

وقال البوني في «شمس المعارف»: ومن المجرَّبات لقضاء الحوائج آية الكرسي، وقل: اللَّهُمَّ مالكَ الملك... إلى آخرها، وإن أراد الدخول على الملوك كتب معها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] إلى قوله: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٤]، وآخر السورة الشريفة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخرها، أعني: السورة؛ فإنها تقضي سبعين

(١) لم أقف عليه.

حاجةً.

وقال الصدِّيق ﷺ: هي كفايةٌ للأعداء.

وكتبها الحسن البصري وابن سبعين فِي كل أمرٍ يخوف، وكان يهبها لأبي بكر، وكان إذا أجرى ذكره يبكي، ويقول هذه الأبيات لحسان بن ثابت:

إذَا تذكَّــرتَ سَــجْوًا مِن أخِي ثِقَةٍ فَاذْكُــرْ أخــاك أبــا بكرٍ بِمَا فعَلا
خــيرُ الــبريَّةِ أتْقَاهَــا وأعــدلُها بعــد الــنبيِّ وأوفَاهَــا بِمَــا حَمَلا
الثَّانِــي التالِــي المحمــودُ مشهدُه وأوَّلُ الــنَّاسِ مَــنْ قَدْ صَدَّقَ الرُّسُلا

وقــال ابــن سبعين فِي ((عرائس الأفْكار)): إن رسمه أمره، والرسوم أتباعه من كل عصرٍ.

وذُكِــر عن عمارة بن زيد: (أن الله تعالى لما أظهر لآدم الطَّيْكِلا أولاده فِي عالم الذَّر رأى نــورًا عمَّ الجميع، وانتشر عليه، ورأى صورة شخصٍ لــه هيبةٌ، تصاغر كلُّ شيءٍ لهيبــته، فتكلَّم بسرٍّ ما أودعه فيه، وأمر عالم المثال بأمور شيءٍ، فأجابوا، وتقدَّمت فرقةٌ منــهم، ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فأشهدهم على ما أمر به، وقال: هو رسولي، وصفوتي، وحبيبي، لولاه ما خلقتك يا آدم. فأجاب، وأطــاع) قال: ومِنْ هَذَا يُؤخذ أن الأنبياء والعلماء عليهم الصلاة والسلام أجمعين أتباعه، وتحت رسمه وأمره.

ثم قال كلامًا، وفِي آخره: رسمه فِي عالم الأمر ما أشهدهم عليه فِي كل عصرٍ.

فكأنــه نَصرَ قائل هذه الصيغة، وزجر القائل بعدم معنى هذه الصيغة، وتكلَّم عفا الله تعــالى عنه، وقال: كل قرن رسمه آثاره، ورسمه ﷺ من قَبْل خلق المخلوقات مع كل عالمٍ إِلَى النفخة الأولى، ومنع المعترض من عدم إدخالها فِي هذه الكيفية، وقال: لا حرج عليه فِي هَذَا.

وهذه الصيغة معناها ظاهرٌ فِي اللغة، والرسوم كالدُّثُور(١) فِي المعنى، وإن أخذه بمعنى التحول فهو من حيثيةٍ ذكرها صاحب ((ديوان الصبابة))، ولسنا بصدد هَذَا.

وإذا تأمَّلــت الرسم والمرسوم عرفت قصد مؤلف هذه الكيفية، عفا الله تعالى عنه إن

(١) الدثور: هي الأموال الكثيرة، ومنها ذهب أهل الدثور بالأجور.

أراد البلاغة بقوله: (وعلى رسمه فِي الرسوم): أي وعلى ذكره، وما أمر به بعدد من أشهدهم فِي عالم الذر من قَبْل خلق المخلوقات إِلَى مبعثه، ويتداول ذَلِك إِلَى قيام الساعة فِي رسوم القرون وتداولها، فكأنه يقول: باقية دهر الداهرين وأبد الآبدين، يكون علمك مبدأها ومنتهاها.

وكان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد عبدِك ونبيِّك كما تعلمُ، وعلى روح نبيِّك كما سبق فِي غامض علمِكَ، وما خَفِي على كلِّ فكرٍ، وصلِّ على ذكره وأمره ورسمه كما تحبُّ وترضى، وأَنْزِلْهُ المنزِلَ المقرَّب عندك» ذكره ذَلِك ابن قدامة.

ونقل هشام عن أبيه عُروة، عن جدِّه: أن أبا بكر الصديق ﷺ أسلم وله أربعون ألفًا أنفقها على محبَّته[(١)]، وفِي صحيح مسلم: ثمانون ألفًا أنفقها كلها على رسول الله ﷺ، قال فِي حقِّه: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ[(٢)]».

وفِي رواية أخرى عن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ يومًا لأبي بكرٍ ﷺ: «مَا أَطْيَبَ مالَكَ؛ مِنْهُ بِلالٌ، ومِنْهُ نَاقَتِي الَّتِي هَاجَرْتُ عَلَيْهَا، وزَوَّجْتَنِي ابْنَتَكَ، ووَاسَيْتَنِي بِنَفْسِكَ ومالِكَ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَشْفَعُ لأُمَّتِي[(٣)]».

وزاد بعض الحفَّاظ: «وصُحْبَتُكَ عَيْنُ مَحَبَّتِي، وإِنَّك لَتَشْفَعُ فِي مِثْلِ ربيعة ومُضَرَ[(٤)]».

وقال النسَّابة: من صلَّى على النبيِّ ﷺ عدد حسنات أبي بكرٍ وعمر ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة.

وقال بعض الإخوان: كنت أقول: اللَّهُمَّ صلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا ونبيِّنا وحبيبنا

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٦٦)، وابن حجر في الإصابة (٤/١٧١)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (٢/٢١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/٢٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٠٩)، وأحمد (٢/٢٥٣)، وابن ماجه (١/٣٦)، وابن حبان (١٥/٢٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٧٧)، وابن منده في الإيمان (٢/٧٩٥)، والديلمي في الفردوس (١/٤٣٧)، وابن عدي في الكامل (٦/٣٤١).

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٦/١٥)، وذكره الذهبي في الميزان (٥/٤٣٦).

(٤) ذكر الذهبي في الميزان (٦/٧٧) نحوه.

مُحَمَّد، عبدِك ونبيِّك وحبيبك ورسولك عدد حسنات أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ والصحابة أجمعين، واجْزِهِ عنَّا خيرًا، فسمعت قائلاً يقول: لقد صلَّيت صلاةً تزيد على السماوات والأرض، ثم قال لي: ما معنى هَذَا؟ فلم أردَّ له جوابًا؛ لما رأيت من ثواب الشيخين وتقدُّمهما وحسناتهما، ولصحبتهما، واتِّباعهما، فأي حصر ثواب مثل هَذَا، كيف ذَلِك، وقد قال له ﷺ في حديث المؤاخاة بينه وبين أصحابه: «قُمْ يَا أَبَا بكرٍ، فاجثْ بَيْنَ يَدَيَّ؛ فإنَّ لك عندي يدًا الله يَجْزِيكَ بِهَا، وأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ قَميصِي مِنْ جَسَدِي، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُكَ، ثُمَّ وَاخَى بَيْنَهُ وبَيْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله تعالى عَنْهُمَا[(١)]».

ومن شدة محبَّته لرسول الله ﷺ لما خرج من مكة ومعه أبو بكر ﷺ جعل مرةً يمشي أمامه، ومرةً يمشي خلفه، ومرةً عن يمينه، ومرةً عن يساره، فسأله عليه الصلاة والسلام، فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك، فمشى حَتَّى حفيت رجلاه، فلما رأى أبو بكر أنه حفيت رجلاه حمله على عاتقه ثلاثة أميالٍ أو نحوها، وجعل يشدُّ به حَتَّى أتى به فمَّ الغار، فأنزله ﷺ، ثم قال: والذي بعثك بالحقِّ نبيًّا لا تدخله حَتَّى أدخله، فإذا كان به شيئًا نزل بي قَبْلك، فدخل فلم يرَ شيئًا، فحمله، وأدخله فِي الغار، وكان فِي الغار خرقٌ وفيه حيَّاتٌ وأفاعي، فألقمها أبو بكر إلا خرقًا واحدًا لم يجد ما يسدَّ به، فألقمها أبو بكر عقبه؛ مخافة أن يخرج منها شيءٌ يؤذي رسول الله ﷺ، فأُذي أبو بكر من حيَّةٍ، وصبر لألم ما ناله منها، فجعلت دموع أبو بكر تنحدر على خده من ألم ما يجده، ورسول الله ﷺ يقول له: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لا تَحْزَنْ؛ إنَّ الله معنَا»، فأنزل الله سكينته: أي الطمأنينة لأبي بكر[(٢)].

وفِي قول الله ﷻ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] قال الحوفِي: لا ثاني فِي النبوة لمُحَمَّدٍ ﷺ، وفضَّله على سائر الأنبياء، ولا ثاني فِي الولاية لأبي بكرٍ، وفضَّله على سائر الأولياء،

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٣/٢٠٦)، والطبراني في الكبير (٥/٢٢٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/١٧١)، وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة (١/١٩٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٧)، وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة (١/٤٥٣).

فهَذَا إشارةٌ إِلَى أن فضل مُحَمَّدٍ ﷺ على سائر النبيين من قَبْل، وفضل أبي بكرٍ على سائر الصحابة من بعد، وذكره بالصحبة بقوله ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠].

وفِي حديث قوله لـه: «والذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا كَانَ لِتَكُونَ مِنْ شَوْكَةٍ أو سَلَّةٍ إلا أَحْبَبْتُ أَنْ تكون فِيَّ دُونَكَ(١)».

وفِي حديث الغار، فداواه بنفسه.

وشاهد هَذَا كله لا حصر لثواب حسناته ﷻ.

وقال وهب وكعب: دليل الأحاديث الواردة فِي حبِّ أبي بكر تخبر بقربه عند الله تعالى بعد النبي ﷺ، ورجحان فضله على هذه الأمة، وأن محبته تمحق الخطايا، وترد البلايا، ويرث قائلها: أي قائل هذه الكيفية صحبة الشيخين رضي الله تعالى عنهما.

ومن محاسن «زهرة الرياض»: (صلُّوا على سيِّد ولد آدم، ومن بيده لواءُ الحمد، ومقدَّم النبيين فِي سياق الحشر، ما من نبيٍّ يومئذٍ إلا تحت لوائِه، أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض، صاحب الوسيلة، وهي أعلى درجةً فِي الجنَّة، لا ينالها غيره، يقوم من قبره ﷺ، فيُكسى حُلل الجنَّة، وفِي حديث: «حُلَّةٌ لَيْسَتْ هِيَ لِسِوَاهُ(٢)»، يقوم عن يمين العرش، ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذَلِكَ المقام غيره، وجبت نبوته وآدم بين الروح والجسد، دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، من صلَّى عليه نجا، وزكى، وكُفِيَ شرَّ ما أهمَّه، وضمن له الحق السمعة، غُسل قلبه ﷺ بعدما شُقَّ بماء النسيم فِي طستٍ من ذهبٍ مملوءٍ ثلج؛ فهو أنقى الخلق وأتقاها، استخرجا قلبه ﷺ ملكان عظيمان أجلُّ الملائكة، فشقَّاه، فاستخرجا منه علقةً سوداء، فطرحاها، ثم غسلا قلبه وبطنه بذَلِكَ الثلج حَتَّى أنقياه، وقالا: يا مُحَمَّدُ، مَنْ صلَّى عليك أنقاه الله تعالى وأتقاه، ولا يخرج من الدنيا حَتَّى يرى مقعده فِي الجنَّة، وترجح أعماله، ولا يُردُّ منها عملٌ، وقال كلامًا كثيرًا، قال فِي آخره: قال أحدهما لصاحبه: زِنْهُ بعشرةٍ من أمَّته فوزنه بهم، ثم قال: زِنْهُ بمائةٍ من أمَّته، فوزنه بهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ، فوزنه بهم، فوزنهم، فقال: دَعْهُ عنك، فلو وزنته بأمته لوزنها، وحسنات أمته ترجح حسنات سائر الأمم، إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٧).

(٢) لم أقف عليه.

حامل لواء الحمد، وأول مشفعٍ، وأوَّل من يحرك لحلق الجنَّة، شفيع المذنبين، قائد المساكين، رحمة للعالمين، أكرم الأوَّلين والآخرين، علاَّ الله فخر من صلَّى عليه، وإن الله تعالى يُدخله الجنَّة، ويرضِّي عنه خصماه ﷺ حتَّى يتعجب من نفسه، ومن أنعم الله تعالى عليه، وفِي آخر هَذَا النعت: المصلَّى عليه لاحقٌ به، مقدِم إليه ﷺ).

ومن محاسن «تحفة الأبرار»: ما ورد فِي حديث مسلم عن جندب قال: سمعت رسول الله ﷺ قَبْل أن يموت بخمسٍ وهو يقول: «إنِّي أبرأُ إِلَى الله أنْ يكونَ لِي منكم خليلاً، فإنَّ الله قد اتَّخذَني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلاً، ولَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خليلاً لاتَّخذْتُ أبا بَكْرٍ خليلاً، ألا وإنَّ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ كانُوا يتَّخذُون قبورَ أنبيائهم وصلحائهم مساجدَ، فلا تَتَّخِذُوا القبورَ مساجدَ؛ إنِّي أنْهاكُمْ عن ذَلكَ[(١)]».

ومن محاسن شرح هذه الأحكام: قال ابن دقيق العيد: (أنا أوَّل شفيعٍ فِي الجنَّة، لم يُصدَّق نبيًّا من الأنبياء ما صُدِّقت؛ فإنَّ من الأنبياء ما يصدِّقه من أمته إلا رجلٌ واحدٌ، وفضلُ أمَّتي على سائر الأمم كفضلي على سائر الأنبياء، ومَنْ صَلَّى عليَّ أنَا وكيلُه وكفيله، وقدرُ ما يكونُ معي أكون معه بقدر ما أحبَّنِي، وإنَّ أخي موسى لما أخذ الألواح، قال: يا ربِّ، إنِّي أجد فِي لوحٍ صفة مُحَمَّدٍ وأمته، قال: كيف رأيت صفته يا موسى؟ قال: رأيتُ أمَّةً أنت شفيعُهم بحسن ثنائهم، من غير أن يفعلوا شيئًا، تجزي السيئة بواحدةٍ والحسنة بعشرٍ. قال: يا موسى، هي أمَّةٌ فِي آخر الزمان. قال: إلهي أرى صفة أمةٍ تغفر ذنوبهم ما بين فريضة إِلَى فريضة. قال: يا موسى، هذه الأمة فِي آخر الزمان. قال: إلهي أرى أمةً يعزُّون عليك. قال: هي أمَّةٌ فِي آخر الزمان. قال: إلهي أرى صفة أمَّةٍ الجنَّة حرامٌ على سائر الأمم حتَّى تدخلها تلك الأمة. قال: يا موسى، هذه الأمة فِي آخر الزمان. قال: إلهي مَنْ هذه الأمة؟ قال: لنبيِّي مُحَمَّد ﷺ. قال موسى: اللَّهُمَّ اجعلْ هذه الأمَّة من أمَّتي. قال: يا موسى، إنَّ مُحَمَّدًا أولى بهذه الأمَّة. قال: إلهي ما فضل هَذَا النبيِّ الكريم عليك؟ قال الله ﷻ: منزلة علماء أمَّته كمنزلة الأنبياء، وإنَّ منزلة عامَّة أمَّته كمنزلة علماء الأمم،

(١) رواه مسلم (٣٧٧/١)، وابن ماجه (٥٠/١)، وأحمد في الفضائل (١٠٢/١)، والطبراني في الكبير (١٦٨/٢)، وفي الأوسط (٣٣٤/٤)، وابن عدي في الكامل (١٧٣/١)، وابن حبان في الصحيح (٣٣٤/١٤)، والحاكم في المستدرك (٥٩٩/٢).

وإن فـــضل مُحَمَّدٍ عليك كفضلك على أمتك. وفِي الحديث: «طُوبَى لهم[1]»، وفِي خبرٍ آخر: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «يا موسى، بلِّغْ بني إسرائيل أنه من ردَّ على مُحَمَّدٍ شيئًا ولو كان حرفًا واحدًا أدخلتُه النَّار مسحوبًا يا موسى، ركعتان يصلِّيهما مُحَمَّدٌ وأمَّته بين طلوع الفجر وطلوع الشمس أغفر لهم ما أصابوا فِي يومهم وليلتهم، ويكونون ذَلِك اليوم فِي ذمَّتي، ولا ضيعة عليهم».

وكـــرَّر الحافظ عبد العظيم فِي «ترغيبه» أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى الـــسَّمَاءِ نَـــادَى مناد: يا مُحَمَّدُ، مَنَنْتُ عليكَ بِثَمَانِي خِصَال، لم أَمُنَّ بِهَا على أحد من قَـــبْلك، أوَّلُهـــا: لَمْ أَخْلُقْ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْكَ، الثَّانيةُ: أنَّ جميعَ أنبيائِي ورُسُلِي كُلُّهُمْ يَـــشْتَاقُون إِلَـــيْكَ وإِلَـــى أمَّتِكَ، الثَّالثةُ: أنِّي لَمْ أُعْطِ أمَّتَكَ مَالاً كَثِيرًا، فَيَطُولُ حِسَابُهُمْ، والرَّابِعَةُ: أنِّي أخرجتُهُمْ فِي آخر الزمان؛ كَيْلا يطولَ مَكْثُهُمْ فِي التُّراب، الخامسةُ: أنِّي لَمْ أُعْطِ أمَّتَكَ القُوَّةَ والشدَّةَ، فَتَطْغَى كَمَا طَغَتِ الأُمَمُ قَبْلهَا، السَّادسةُ: أنِّي لَمْ أُطِلْ أعمارَهُمْ، فَتَجْـــتَمِعُ علـــيهم الذُّنُوبُ، ويطولُ حِسَابُهُمْ، السَّابعةُ: أنِّي لَمْ أُؤَاخِذْهُمْ بكلِّ ذَنْبٍ كمَا فعلـــتُ ببنِي إسرائيل، الثَّامنةُ: أنَّ أمَّتَكَ تَقْرَأُ عُيُوبَ سائرِ الأُمَمِ، ولا تَقْرَأُ الأُمَمُ عُيُوبَهُمْ؛ لأَنَّهُمْ لا قرنَ بعدهم ولا أمَّةَ قَبْلهم».

وساق الخطابي هَذَا الخبر بزيادة ألفاظ على هذه الألفاظ، وفِي آخرها: قال رسول الله ﷺ: «إِلَهِـــي، وسيِّدِي، ومَوْلايَ، اجْعَلْ حسابَ أمَّتِي على يدي؛ لئلا يطَّلع على عيوبهم غـــيرك وغيري. فقال الله ﷻ: يا مُحَمَّدُ، هم عبادي، وأحبُّ ألا أطلعك على عيوبهم. فـــسجد الـــنبيُّ ﷺ، وشكر الله تعالى، وقال: اللَّهُمَّ شفِّعْنِي فِي أمَّتِي، ولا تَسُؤْنِي فِيهم، واجْعَـــلْ صـــلاتَهم علـــيَّ سببَ جَمْعِي بِهِمْ. فإذا النداء من قِبَل الله تعالى: إذا كنت أنا الرحيم، وأنت الشفِيع، فأيُّ ذنبٍ يبقى، ما من عبدٍ صلَّى عليك إلا كنتُ كفيلَهُ ووكيلَهُ، وذخرَهُ، وملاذَهُ، ومَنْ كان عندي بِهَذِهِ لا أسوءُك فِيه، وأُنْجِيهِ من أهوال حشري ونشري والوقوف بين يدي، وأستُرُ سيِّئاته عنه، فلا يراها هو، فيتعجَّبُ من نفسه، يا مُحَمَّدُ، أنت حبيبِـــي، وقرنتُ اسمك باسمي، فمَنْ ذَكَرَكَ معي غفرتُ لـــه، وأُدْخِلُهُ الجنَّة، وأنَا الرَّحمنُ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١/٢١٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/١٥٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٧)، والزرقاني في شرحه (٤/٤٤١).

الـــرَّحيمُ، يا مُحَمَّدُ، فديتَ أمَّتَكَ بِنَفْسِكَ لاعْتِنَائك بهم، يا مُحَمَّدُ، لَوْلاكَ ما خلقتُ آدمَ صفوتِي، ولا إبراهيم خليلِي، ولا موسى كليمِي، ولا عيسى رَوْحِي وكَلِمَتِي، جَعَلْتُكَ أوَّلَ النبـــيِّين وخاتَمَها، وشاهدَ المرسلين، وأمَّا الصَّلاةُ الواحدةُ عليك تُكفِّرِ الذنوبَ، وتَسْتُرُ العُيُوبَ، وتُشَفِّعُكَ فِي المصلِّي عليك، وتقرُّ به عينُك فِي الدُّنيا والآخرة».

ومن محاسن ما ذكره مسلم فِي صحيحه: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: «أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى فِي إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبـــراهيم:٣٦]، وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائـــدة:١١٨]، فرفع يديه، وقـــال: أمَّتِي أمَّتِي. فقال الله ﷻ: اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وربُّك أعلم، واسأله ما يبكيك؟! فنـــزل جبريل عليه السلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ، فرجع جبريل إِلَى ربِّه ﷻ، فأخبره بمـــا قـــال، وهـــو أعلم، فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إِلَى مُحَمَّدٍ، فقل لـــه: إنَّا سنُرْضِيكَ فِي أمَّتك، ولا نَسُوءُكَ فِيهم[1]».

وزاد هَـــذَا اللفظ الإمام النسفِي فِي كتابه: إنَّ الله تعالى ختم بك الرسالة، ومن صلَّى علـــيك صلَّى الله عليه، ومن صلَّى عليه لا يسوءُك فِيه، وأبشِّرُك أنَّهم شفعاءُ فِي بعضهم بعـــضًا، وأنَّ فقراء أمَّتك يدخلون الجنَّة قَبْل أغنيائها بنصف يومٍ من أيام الآخرة، وأن الله يُرضيك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:٥]، وذكر أنه ضامنٌ لـــــه به بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الـــضحى:٦، ٧، ٨]، وأوصـــاه تعـــالى بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى:٩]، فقال: «أنا وكافلُ اليتيمِ كهاتين، وأشار بإصبعيه ﷺ[2]». ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠] وصيةٌ بالسائل؛ فإنَّه ذليلٌ، ومن غاية ذُلِّه أنَّه يسأل ويُردُّ.

---

(١) رواه مسلم (١٩١/١)، والنسائي في الكبرى (٣٧٣/٦)، وابن حبان في الصحيح (٢١٧/١٦)، والبيهقي في الشعب (٢٨٣/١)، وابن منده في الإيمان (٨٦٩/٢)، والطبراني في الأوسط (٣٦٧/٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٣٨/٤)، وأحمد (٣٣٣/٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٥٠/٦)، والبيهقي في الشعب (٤٦٩/٧)، والقضاعي في الشهاب (٢١٧/١).

قال الحافظ ابن حجر: ومن هَذَا كانت الصحابة والسلف لا يسألون فِي تناول عصاة الدابة إذا وقعت من أيديهم، ولا تناول علاقة البعير.

ومن محاسن ما ذكره ابن الطلاع فِي «المقنع»، وابن شاهين فِي «الناسخ والمنسوخ»، وما أخرجه أبو مروان الطيبي فِي «فوائده» التي خطَّها بيده، وأخذها عن شيوخه بمكة، شرَّفها الله تعالى، وفيه زيادة ألفاظ عمَّا رتَّبه السخاوي فِي حديث الأذان، ونقله القسطلاني، وقد حررت هَذَا الحديث على شيخنا البهنسي، فأمرني بكتابة الحديثين؛ إذ كلٌّ واحدٍ منهما له شاهدٌ، فكان من باب أولى أن يكتب هَذَا الحديث فِي فائدة الأذان، وهَذَا الحديث عن عليٍّ، كما نقله السخاوي عفا الله تعالى عنه، ولفظه: أنه قال: لما أراد الله تعالى برسوله مُحَمَّدٍ ﷺ أن يعلِّمه الأذان آتاه جبريل ﷺ، آتاه بدابَّةٍ يُقال لها: البُراق، فذهبت ببركها، فاستصعب عليه، فقال رسول الله ﷺ لجبريل ﷺ: «يَا أخِي يَا جِبْرِيلُ، اِئْتِنِي بدابَّة ألين من هذه». قال: فآتاه ببرقة، فقال له: هذه ألين من هذه، فلما أراد أن يركبها استصعب عليه، فقال لها جبريل ﷺ: اسكني برقه؛ فما ركبك عبدٌ أكرم على أمَّته من مُحَمَّدٍ ﷺ. قال: فركبها حَتَّى انتهت إِلَى الحجاب الذي يلي الرحمن جلَّ جلاله وتبارك وتعالى، قال: فبينما هو كذَلِك إذ خرج مَلكٌ من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: من هَذَا يا جبريل؟ فقال له جبريل ﷺ: يا نبيَّ الله، والذي بعثك بالحق نبيًّا إنِّي لأقربُ الملائكة من الله تعالى مكانةً، وإنَّ هَذَا الملك ما رأيته منذ خُلقت قَبْل ساعتِي هذه. فقال الملك: الله أكبر. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبرُ على كل كبيرٍ. أو قال من كل كبيرٍ، فقال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ لا إله غيري. فقال الملك: أشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أرسلت مُحَمَّدًا عبدي بالرسالة. ثم قال الملك: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح. قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي، ودعا إِلَى عبادتي، قد أفلح من أجاب. ثم قال الملك: الله أكبر الله أكبر. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا الله لا إله إلا أنا. ثم أخذ الملك بيد مُحَمَّد ﷺ، فصلَّى بأهل السماء، وفيهم نوحٌ وآدمُ عليهما السلام، فِيومئذٍ أكمل الله الشرف لمُحَمَّدٍ ﷺ».

وقال ابن فارس: ونادى مَلكٌ آخر جمع الملائكة: هَذَا مُحَمَّدُ بن عبد الله، صاحب

الوسيلة والفضيلة دون سائر الأنبياء، والتَّاج، واللواء والمغفر لـه ولأتباعه القَبول، من صلَّى عليه أعطاه الله تعالى طيب غرف الجنَّة عند موته وفِي مبعثه، ويقف آمنًا، ويحشر آمنًا، ويدخل الجنَّة آمنًا، وإن الله تعالى أعدَّ للمصلِّين عليه ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، يا مُحَمَّد، إن الله تعالى وكَّل ملائكته بالصلاة عليك، وإن المصلِّين عليك مكرَّمون، وإن من أكرمهم فكأنما أكرمك، ومن أحسن إليهم فكأنما أهدى إليك، ومن أحبَّهم أحبَّك، ومن عظَّمهم عظَّمك، أنت أفضل الأنبياء، وهم أفضل الأمم، يا مُحَمَّدُ مَنْ صلَّى عليك لـه نورٌ وتاجٌ وسراجٌ ورحمةٌ، يا مُحَمَّدُ، أَبْشِرْ؛ فإن الله تعالى متَّع من صلَّى عليك برؤيته وخدمته وتيسير رزقه، وتُفتَّح لـه أبواب الهداية؛ فاستبشرَ النبيُّ ﷺ بما قاله ذَلِك الملك.

ومن محاسن كتاب أبي الفتح المظفر بن عليٍّ المعروف بالهمداني: ما أخبره به بإملائه هَذَا الحديث من الأحاديث الطوال، أخبر به أبي عبد الله بن خميس، وأملاه من كتابه، قال: أخبرنا أبو القاسم بقا بن موسى الأسيوطي بِهَذَا السند، وبه أخبر أبو الفتح المظفر بن عليٍّ المعروف بالهمداني فِي كتابه «عرائس الأفكار» قال: حدَّثني أبو مُحَمَّد أحمد ابن عبد الكريم بن مروان الجرجاني المغير، قال: حدَّثنا عمار بن رجاء، قال: حدَّثنا عبد الله بن موسى العبسي، قال: حدَّثنا سفيان الثوري عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس وابن عمر، وأبي سعيد الخدري قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يومٍ صلاة الفجر، فلما فرغ من صلاته أقْبل بوجهه الكريم على الله إِلَى النَّاس، وأسند ظهره إِلَى المحراب يتلألأ وجهه نورًا شعشعًا، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله، ما أحسن وجهك! وأحلى منطقك! وأصدق حديثك! وأرقَّ مودَّتك! وأعقلك! وألين عركيتك[1]! وأحسن بشاشتك! وأزين مخالطتك عند الله تعالى ﷻ وعند الناس! فقال النبي ﷺ: يا عمرُ بن الخطاب، أتدري من أنا؟ أنا الذي اشتقَّ الله تعالى اسمي من اسمه، فالله تعالى محمودٌ، وأنا مُحَمَّدٌ، ولا فخر، يا عمرُ بن الخطاب، أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله ﷻ أوَّل كلِّ شيءٍ نوري، فسجد، فبقي فِي سجوده سبعمائة عامٍ، فأوَّل كلِّ شيءٍ سجد لله ﷻ نوري، ولا فخر.

---

(١) أي ظهرك.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله العرش من نوري، والكرسي من نوري، واللـــوح مـــن نوري، والقلم من نوري، والشمس والقمر من نوري، ونور الأبصار من نـــوري، والعقل الذي فِي رؤوس الخلق من نوري، ونور المعرفة فِي قلوب المؤمنين من نوري، ولا فخر.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله تعالى العرش، فلم يسكن اضطرابه حَتَّى كـــتب اسمـــي مع اسمه على ساق العرش لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله، فسكن العرش، وذَلِك قَبْل أن يخلق الخلق بسبعين ألف عامٍ، ولا فخر.

يا عمرُ، أتدري من أنا؟ أنا الذي عرف ملائكته، فصلَّى قَبْل أن سمعوا بذكر آدم باثني عشر ألف عامٍ، ولذَلِك سُمِّي يوم عرفة؛ لأنه كان فِي يومٍ شاهدٌ فِيه، أشهد الله ملائكته عليَّ، وسمَّاه يوم عرفة، تُغفر الخطايا، وذَلِك لأجلي، ولا فخر، يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الـــذي خلـــق الله آدم وذرِّيَّته على حروف هجاء اسمي مُحَمَّدٍ، فالرأس والوجه بمنـــزلة الميم، واليدان منـــزلتهما بمنـــزلة الحاء، والبطن بمنـــزلة الميم، والرجلان بمنـــزلة الدال، فهم منِّي، ولا فخر.

يـــا عمرُ، أتدري من أنا؟ أنا الذي قال الروح القدس جبريل عليه السلام: أتدري يا مُحَمَّد لأيِّ شيءٍ أمرنا الله بالسجود لآدم فسجدنا، إنما أراد بذَلِك تعظيمه؛ إذ كنت فِي صلبه، ولا فخر، يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي قَبِل الله توبة آدم من أجلي، وغفر لـــه، وتاب علـــيه؛ لما توسل بِي إِلَى الله عز وجل، فقال: اللَّهُمَّ إنِّي أسألك بما جاء به مُحَمَّدٌ وآله، ولا فخـــر، وكـــان رسم كتاب الفرقان معه نبيُّ القلم الأسمى، وبِي سأله الله التوبة، وبي نطق بالحكمة، وعُلِّم أسماء الملائكة، ولا فخر.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي بادرتُ بالجواب حين أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم، فقال عز وجل: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]؟ فبادرتُ بالجواب، فقلت: بلى، أنت ربُّنا، فاستحسن الله ذَلِك مني، فأمرهم وأمر أرواح البهائم فسجدوا كلهم؛ إذ رأوني، ولذَلِك كانت البهائم إذا رأوا نوري فِي أصلاب آبائي وأجدادي يتشعشع فِي جباههم يسجدون لنوري، ولا فخر.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي من أجلي أخذ الله ميثاق الأنبياء والرسل والأمم، بإنذارهم بنبوَّتي وفضلي، وآتيت صوابه قرنًا بعد قرنٍ، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ

ﵟٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞﵞ [آل عمران:٨١]، ثم جاءكم رسولٌ فِي آخر الزمان اسمه مُحَمَّدُ بن عبد الله مصدِّقٌ لما معكم من نعمته وصفته لتؤمـــننَّ به، ولتنصرنَّه. قال: فاقرؤوا بذَلِك، قال الله ﷻ: أأقررتم بأنه خيرتي من خلقي وصفِيِّي، وقيل: وصفوتي، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وحبيبُ ربِّ العالمين، وحجَّةُ الله علـــى الخلق أجمعين، وأخذ على كل ذَلِك أمره، وعهده، وميثاقه؟ قالوا: أقررنا. قال الله ﷻ: ﴿فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، أن خير خلقي وصفِيي أحمد، من تبعهُ أنجيته، ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:٨٢]

ولا فخـــر، يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي من أجلي نصر الله نوحًا على قومه، وأخـــرجه مـــن السفينة بالسلامة، ولما كتب اسمي مع اسمه حول السفينة: لا إله إلا الله مُحَمَّـــد رســـول الله فنطقت السفينة، فقالت: ألا كلُّ من دخل فهو فِي ضمان الله حَتَّى يخرج، ولا فخر.

يـــا عمـــر، أتدري من أنا؟ أنا الذي لما دعا صالح ربَّه أن يُخرج الناقة من الصخرة، وأدخل جبريل ريشًا من ريش أجنحته، ففار لـــه الماء، فرفع لـــه الصخرة قليلاً من وجه الأرض حَتَّـــى تـــرعَّد الخلائـــق الأثر والصخرة فرسخًا فِي فرسخٍ، وقد أخذها التعلق، فاستصعبت من أجل دعوةٍ تدعوها، تنال بها الفضل على غيرك، قُلْ: اللَّهُمَّ بفضلك وبحقِّ مـــا أعطيتَ نبيِّك مُحَمَّدًا خاتم النبيين ألا خَرجتِ، فلما قال أُخرجت الناقة عند ذكري، ولا فخر.

يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي من أجلي قال الله ﷻ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، لما كنت يومئذٍ فِي صلبه، وصلَّى عليٌّ لما بنى البيت وطاف به، واجتمع مع أولاده، وقال: اللَّهُمَّ اغفرْ لمن حجَّ هَذَا البيت من الكُهُول ولكل شيخٍ هَرِمٍ، جـــاء مـــستغفرًا. وقـــال ولده إسماعيل: اللَّهُمَّ بحقِّ مُحَمَّدٍ اغفرْ لمن حجَّ هَذَا البيت من الـــرجال. وقال أخوه إسحاق: اللَّهُمَّ بحق مُحَمَّدٍ اغفرْ لمن حجَّ هَذَا البيت من الشباب. وقالـــت زوجته سارة: اللَّهُمَّ بحقِّ ما جاء به خليلك، وما فِي صلبه مُودَعٌ من سرِّ نبيِّك اغفـــرْ لمـــن حجَّ هَذَا البيت من النساء. وقالت هاجر: اللَّهُمَّ اغفرْ لكلِّ أُمَّة جاءت هَذَا البـــيت، وحجَّته، وأجبت دعوتها. فعمَّت دعوتهم بي ولأجلي، فجزاهم الله بذكرهم فِي الصلوات الخمس، ولا فخر.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي اسمي فِي التوراة: هيديد، وفِي الإنجيل: بارقليطا، وفِـــي الـــزبور: حمياطا، وفِي صحف إبراهيم: طاب طاب، وفِي الأرض: مُحَمَّدٌ، وفِي البحار: الماحي، وفِي القيامة: الحاشر، وفِي الجنَّة: القاسم، وفِي النَّار: العاقب، لا يكون فِي عقبي نبيٌّ، ولا فخر.

يـــا عمـــر، أتدري من أنا؟ أنا الأوَّل فِي الذكر، وأنا الآخر فِي البعث، وأنا الحاشر المقفَّى، وأنا الرسول الماحي، ونبيُّ الرحمة، ولا فخر.

يـــا عمـــر، أتـــدري من أنا؟ أنا صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، والمحضر المشهود، والأزواج الطاهرات من الحور، والعلوِّ والارتقاء، والدرجات العُلى، ولا فخر.

يـــا عمـــر، أتدري من أنا؟ أنا صاحب لواءِ الحمد، ولوائي يبلغ المشرق والمغرب، والأنبياء والرسل والمؤمنون كلُّهم تحت لوائي، ولا فخر.

يـــا عمـــر، أتدري من أنا؟ أنا الذي بعثني الله تبارك وتعالى بالحق، وتعلَّمت بالحق، وقمـــت بالحق، وعلمت بالحق، وضربت بالحسام الملثوم حَتَّى أعلنت لا إله إلا الله، ولا فخر.

يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا النبيُّ، العربيُّ، القرشيُّ، الهاشميُّ، الأبطحيُّ، المكِّيُّ، المدنيُّ، التهاميُّ، البشيرُ، النذيرُ، السراجُ، المنيرُ، ولا فخر.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا أحمد، وأنا مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن زنـــد بن أدد بن مقوم بن تيرح بن يشجب بن يعرب بن خنوخ بن الهميسع بن نبت بن حمد بن ويقا بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر بن فاحور بن برغو بن فالخ بن عابر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك، وقيل: لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس الـــنبي بن برد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، وآدم من تراب، والتراب مـــن الأرض، والأرض من الزَّبد، والزَّبد من الموج، والموج من الماء، والماء من الدرة، والدرة من الصبابة، والصبابة انشقاقٌ من نور مُحَمَّدٍ، ولا فخر.

يـــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي حرَّم الله الجنَّة على جميع الأنبياء والمرسلين حَتَّى

أدخل أنا وأمتي قَبْلهم بأربعين عامٍ، ولا فخر(١).

يــا عمر، أتدري من أنا؟ أنا مُحَمَّد الذي صلَّى الله عليَّ وملائكتهُ وأنبياؤه وسائر ما خلــق تحت عرشه، وأمركم بالصلاة عليَّ؛ فمن صلَّى عليَّ بطيب نفسٍ وخفض صوتٍ وخشوعٍ منفردًا كان رفيقي فِي الجَنَّة، ومن صلَّى عليَّ ورفع صوته متأدِّبًا شهد لــه كل شــيءٍ مــرَّ عليه صوته، وحرَّم الله جسده على النَّار، وأرضى عنه خصماه، وكنت لــه شــاهدًا، ولا يــرى كــرب الموقف، ولا هول الحساب، ويجوز على الصراط كالبرق، ويرضِّــي الله عنه خصماه حَتَّى يتعجَّب من نفسه، وكل ذَلِك لأجلي، ولا فخر. يا عمرُ، طِبْ نفسًا، وقرَّ عينًا، فأنت من رفقائي يوم القيامة)).

هَــذَا الحــديث ذكره الإمام القاشاني، وقال: ألفاظه حسنةٌ، وهو من أحاديث ذُكر بعضها فِي الصحيحين، وفِي سنن أبي داود، وذكر الحافظ الترمذي أحاديث لم أرها بِهَذَا اللفــظ، وهَذَا الحديث ضامن الصحة، ولصحة ألفاظه شواهد لمحاسن ألفاظه، ولم أره من موضــوعات ابــن الجــوزي، وأعرضته على شيخنا، فقال لِي: ألفاظه ألفاظ الأحاديث الصحيحة، وليس فِي كلامه كلمةٌ موضوعةٌ إلا شاهدٌ بها أثرٌ وخبرٌ صحيحٌ، وهَذَا حديثٌ صــحيحٌ عظــيمٌ، جمع غرائب وعجائب، احتوى على فضائل وفوائد، نفع الله تعالى به، وغفر لمن جمعه.

فائدة

ذكــرها المجــد اللغوي فِي الصلاة على النبي ﷺ، وصورة ما تقول السادة العلماء فِي الــصلاة على النبي ﷺ، وفِيمن أدخل فِي صلاة الروح الواردة فِي أولها قرينةٌ، قال فِيها: (وصلِّ على نهره فِي النُّهور، وصلِّ على بحره فِي البحور).

فأجابه فقيهٌ: هَذَا كلامٌ ملحونٌ، والفرق بين البحر والنهر ظاهرٌ واضحٌ، والجنَّة لا يُقال فِــي أنهرها: بحارٌ، ونهر الكوثر شرَّفه الله تعالى به، فلا يقال فِيه: بحرٌ، وهَذَا لا يُتصوَّر، وقــد نبَّهنا الله تبارك وتعالى فِي كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمــر:٥٤، ٥٥]، وقــال الله تبارك وتعالى: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

(١) انظر: سنن البيهقي (٦/٣٦٥)، والشعب (٢/١٧٣) .

[الحديد:١٢]، وفِي قوله تبارك وتعالى إخبارٌ عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف:٥١] الآية.

ومـا الحكمـة فِي قول الله تبارك وتعالى: (فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ) بفتح النون المعجمة والهاء المهملـة؟ وكيف يتصور خلاص جامع هذه الكيفِية لجهلةِ؟ وهل يجوز لـه إدخال هذه القـرائن فِـي هذه الصلاة الواردة فِي السنة؟ وهل هَذَا من الأدب فِي حقِّه اللازم لجنابه الكريم وما يلزم المصلي عليه؟ ابسطوا لنا جوابًا كافِيًا شافِيًا.

فأجاب الشيخ شمس الدين مُحَمَّد الأبشيهي: الحمد لله الذي أرسل مُحَمَّدًا سيِّد ولد آدم، عـبده ورسـوله، ورحمته التي نُشرت على البلاد والعباد، ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاةً دائمة الازدياد.

وبعد..

فمـن المهمات الأكيدة سلوك طريق السلامة، ونيل الكرامة الحميدة، ويحصل ذَلِكَ بامتثال أمر الله تعالى، وقبول نصائحه السديدة، ومن أدب معرفة ما أنعم الله تعالى به على العبد أن يعرف مقدار ما أنعم به من العلم، ويعطي النعم حقَّها، ويجب على كل عالمٍ أن يلزم الأدب فِي حقِّ المصلين على نبيه ﷺ، خصوصًا أرباب الأحوال وأصحاب الامتثال؛ فإن عندهم الخشوع والخضوع، ورؤية مقامه الشريف، واستحضار قلب المصلِّي عليه معه كما هو، خصوصًا من يشهد كأنه جالسٌ بين يديه فِي صلاته عليه، والمعترض الجامع هذه الكيفِية أساء الأدب، وأتى بما لا يليق به فِي السبب، وكان ينبغي لـه أن يَكِلَ هَذَا إِلَى ما لا يُدرك معناه.

فأقول بما ألقى الله تعالى به: هذه الصلاة لها أصلٌ فِي الحديث، ومراد السائل عن معنى هذه القرائن معنًى يستفيده، نعم لها معنًى، كما قرَّرت أهل اللغة أن جمع (نهر ونهر أنهار، وأنهار وأنهار جمع من نهور)، ولهم فِي ذَلِكَ اصطلاحاتٌ جَمَّةٌ.

ومـنهم من قال: هَذَا شاذٌ، وجامع هذه الكيفِية أراد بقوله: نهور جمع أنهار، ألا ترى كيف قدَّم ذكر نهره بالتفضيل، ثم ختم بقوله: فِي النهور، والأعمال بالنيَّات، ونيَّته جمع نهر وهي نهور.

وأما قول السائل عن معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ فقد نقله البغدادي والسدي والواحدي فِي «بسيطه»: أن هَذَا خبرٌ عن المتقين، والنهر الذي أخبر

الله تبارك وتعالى عنه هو الكوثر، يمدُّ سائر أنهار الجنَّة.

وقال الحريري في تفسيره: إن المتقين من هذه الأمة فِي النعيم الدائم، يتمتعون بما أتحفهم الله تبارك وتعالى به، فِي جنات: أي الجنان الثمانية، والله تعالى أعلم بمراده، إنها الفردوس الأعلى، ونهر الكوثر الذي يمدٌّ سائر أنهار الجنَّة، وهَذَا النهر دائرٌ بالجنان الثمانية، وهَذَا الكلام من السائل تعنُّتٌ زائدٌ، وإذا التفت إِلَى معنى (نهر) بالفتح بمعنى: القهر هَذَا لا يجوز له، وإذا تكرَّرت كلمات نهر ونهر كانت نهرات، وإذا قلت: ينهره نهرًا: أي يقهره قهرًا، وإذا فتحت بالنصب غيَّرت المعنى، وإذا جمعت نهر ونهر بمعنى قهر وقهر وأردت ذَلِك لا يصحُّ على معنى النهر، ولهم فِي ذَلِك اصطلاحٌ زائدٌ، والنهر لا يجوز إلا بجزم الهاء فِي الغالب، وأجمع أهل اللغة بعدم صحتها بالفتح؛ لأن جمع كلماتها (نهرات) ولا تصحُّ من هذه الحيثيَّة، ولا هَذَا المقصد قصد جامع هذه الكيفِية، وهَذَا الاعتراض لا يُلتفت إليه؛ فإن المعترض ما فهم قصد السائل.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، وفي غيرها: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

قال الواحدي: من غير تخصيصٍ كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة، فيقولون: يا رسول الله ائذن لنا فِي قتلهم، فيقول ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ فِيهِمْ بِشَيْءٍ[1]».

والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن.

قال الحسن: يقول له: يهديك الله تعالى، وفِي الثانية: وجادلهم بالتي هي أحسن: أي سلِّم لهم، ولا يقول لهم: إنكم أهل النَّار، ولا تهيِّجهم على الشر، فلو أرشده السائل أحسن له بدعوةٍ.

والمعروف ما نبَّه عليه العلماء، والمنكر ما فِيه نقصٌ يحلُ بالمقول فِيه، وطيب الكلام، واجتناب ما يؤذي واجبٌ؛ فإن المقاصد طرقٌ لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، والأوامر لها تابعةٌ فِي الأصول.

وإذا تأمَّلت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، وقوله

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/٥٣٢)، وابن حجر في فتح الباري (٨/٥٣٥).

تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ [الأعراف:١٥٧]: أي عظَّموه عرفت المقاصد.

وإذا تأمَّل السائل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [النساء:٦٦]، وليعلم السائل أن مراد جامع هذه الكيفِية تعظيمهم، وذكر ما حوى من أنواع الكمالات، وقرَّرت العلماء أن نهر الكوثر أعطاه الله تبارك وتعالى لـه يتصرَّف فِيه، ولم يقولوا بفتح الهاء كما زعم هَذَا السائل بتعنُّته.

قال الفخر: نهر الكوثر زائدٌ إمداده، وجميع الأنهار تمتد منه، كما ورد أن حوضه الشريف منه، وأنهار الجنَّة تجري منه.

قال الخطابي: نهر السلسبيل يشتاقه الناظر من مسيرة يومٍ، حصاده الدرُّ، يجري منه أنهار الجنَّة، وهو من الكوثر.

قال الماوردي: يصحُّ أن يُقال: أنهر الجنَّة وأنهار.

قال الزجاج: يصحُّ أن يُقال فِي (جناتٍ وعيون): جنان وأعين، وأنهار الجنَّة كثيرةٌ العدد.

قال البغدادي: أنهر الجنَّة كثيرة العدد، وفِي الجنَّة نهر المتَّقين، حافتاه مسيرة خمسمائة عامٍ، وفِيها نهرٌ سماه الله تبارك وتعالى: نهر الأبرار، والجنان ثمانية: جنة عدنٍ، جنة المأوى، جنة الخلد، الفردوس، دار الكرامة، دار المقامة، ويصحُّ قول جامع هذه الكيفِية (وصلٍ على نهره فِي الأنهار)، وإذا أراد جمع (أنهار) وقال فِي النهور، وقصد بذَلِك اتِّباعًا.

ومراده جميع ما نبع فِي الجنَّة من ماءٍ وعيونٍ وأنهرٍ، وكان من الصواب أن يقول: (وعلى نهره فِي الأنهر)، وإذا أتى بالواو لتغفله عن صحة المعنى الواضح ومراده الخير الزائد فلا حرج عليه ولا خلل، وله الثواب الجزيل، وليس هَذَا خللٌ فِي حقِّه ﷺ، ولا لحنٌ جليٌّ مقولٌ به بغير المعنى، ولا خرج عن حدِّ المراد.

وقد ورد: (إذا ذكر العبد النبيَّ ﷺ بعدد شيءٍ شهد لـه بما ذكره به، وإذا ذكره على شيءٍ نما، وإذا ذكره فِي شيءٍ بُورك فِيه، وإذ ذكره بشيءٍ قيل لـه: ولك مثله، وإذا شهد لـه شيءٌ بالصلاة عليه كان لـه شاهدًا وكفيلاً، والصلاة عليه تغسل الذنوب).

والمصلي عليه بهذه الكيفِية يموت ريَّانًا، ويُبعث ريَّانًا، ويدخل ريَّانًا، وإذا أراد التفاخر

بنبيِّه، وبه يذكر روحه وصفته وذاته وعلمه وعمله وفعله وقوله، فهذه عدة أنواع من رياضٍ أفنانٍ قطفت من ذكره وصفته، وإن كانت الصفة والذات والروح معنًى واحدًا فهي أنواع، والعلم والعمل أنواع، والقول والفعل أنواع، فكل كلمةٍ من هؤلاء لها جزاءٌ.

وأوَّل العلماء فِي ذَلِك كلامًا يطول شرحه، حاصله: أن المصلي عليه بهذه الكيفية ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة؛ لأن مقاصده تعلَّقت بذكر ما حوى جميع جسده الشريف: من شعره، وبطنه، وظهره، وقلبه، وما حوى كل عضوٍ من أعضائه من أنواع الكمالات والجمال والجلال، وما كفاه ذَلِك حَتَّى ذكر قبره الشريف والبرزخ وما فِيه، فهَذَا تقريره، لا حصر فِي ثوابه.

وأما قوله: (على بحره فِي البحور) خطأٌ فِي لفظه، والصواب: (وعلى بحره فِي البحار)، فكأنه أراد جمع بحار الدنيا، والبحار جمعها أبحر؛ لأن الدنيا والآخرة له، يَصِلُ من يَصِلُ، ويقطع من يقطع.

وأقول والله تعالى أعلم: لجامع هذه الكيفية ثوابٌ جزيلٌ لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، والأعمال بالنيات والمقاصد كثيرةٌ، ولله درُّ القائل:

لصلاةِ الرُّوح حَظٌّ زَائِدٌ ... قَدْ نَقَلَهَا سَلَفٌ نِعْمَ السَّلَفْ
جَمَعَتْ نعتًا ووصفًا شاملاً ... بجمالٍ وكَمَالٍ تَعْتَرِفْ
فَازَ مَنْ فِيهَا تفانَى فِي الوَرَى ... بخضُوعٍ وخشُوعٍ واعْتَرَفْ
شَهِدَ الجمعُ بِمَعْنَاهَا وما ... شاهدُوا بالكشفِ بَلْ كُلٌّ وَصَفْ
إنَّ مَنْ لازمَهَا فِي مجلسٍ ... جَاءَه النَّصرُ بدُنيَاهَ وحَفْ
ويَرَى مقعدَه فِي برزخٍ ... وجنانَ الخُلدِ يسكنُ والغُرَفْ
ويَرَى التَّيْسيرَ فِي أرزاقه ... عَدَّهَا سبعينَ خِصِّيصَةً وطُفْ
لا تَكُنْ فِيمَا تَرَاه وانيًا ... واشْهدِ الخيرَ وانظرِ الخلفْ
ثُمَّ صَلِّ كلَّ وقتٍ دَائمًا ... بخضُوعٍ وخشوعٍ لا تَقِفْ

وما أحسن ما قال الفضيل: (مَنْ عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه فِيما لا يُعنيه).

وما أحسن ما قال الشافعي لصاحبه الربيع: (يا ربيعُ، لا تتكلَّم فِيما لا يعنيك؛ فإنَّك إذا تكلَّمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها).

واجتمع قسٌّ بن ساعدة وأكثم بن صيفِي، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت فِي ابن

آدم من العيوب؟ قال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيبٍ، ووجدت خصلةً إن استعملها العبد سترت العيوب كلها. قال ما هي؟ قال: حفظ اللسان، والصلاة على النبيِّ ﷺ تغسل جميع هذه العيوب كما يغسل الماء الدرن، وصلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

الكيفية السابعة عشرة

«اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ الرَّمل الدقيق» أراد جامع هذه الكيفية ثوابًا لا ينحصر، وذَلِك لـه حيث أمل، وكرم الله تعالى فوق ذَلِك، والرمل الدقيق لا يستطيع أحدٌ عدَّه؛ لدقته.

وقال بعضهم: الرقيق بالراء المهملة لرقته، وهو أيضًا لا ينحصر، والفرق بين رقة الشيء ودقته واضحٌ.

قال الحافظ: وفِي قوله: (الدقيق) بلاغةٌ وحصر ثوابٍ.

هَذَا لا يقرر، وقد أفتى الإمام النووي أن من قصد الله تعالى فِي شيءٍ لم يخيب، وله ما سأل، وأخذ ذَلك بدليلٍ ساقه فِي حديث: «لَوْ أنَّ إِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ وسَهْلَكُمْ وجَبَلَكُمْ وأوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صعيدٍ واحدٍ... إِلَى آخره[1]».

وهَذَا تقريرٌ حسنٌ من هَذَا الإمام، عفا الله تعالى عنه، والذائق يفهم سعة فضل الله تعالى.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ الموجِ الرَّقيق) أراد بذَلك الموج الدقيق الدفَّاق بالاضطراب فِي بعض، بغير انقطاعٍ: أي عدد اضطراب الماء فِي موجه وقطراته فِي اندفاقه، ويمكن أن الله تبارك وتعالى يعطي المصلِّي عليه ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ ما فِي السماوات والأرض وما بينهما حَتَّى

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/٦٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١/١٧٢)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/٩٣)، وفي الشعب (٥/٤٠٦)، والبزار في مسنده (٩/٤٤١)، وأبو يعلى في مسنده (٥/٢١).

تضيق) أراد مؤلف هذه الكيفية وجامعها عدد ما في السماوات والأرض وما بينهما من الملائكة الموكَّلين بالعالم وبالأرزاق والنبات، وما لا يعلم، وأراد ملء السماوات والأرض وما بينهما من الرحمة والخير الذي وعد به أولياءه ومن يصلِّي على نبيِّه.

وقوله: (حَتَّى تضيق): أي لا غاية لها في الحصر، والرحمة ملأت الوجود، وقد وسعت كل شيءٍ، وضاق بها ما اتسع عند طيِّها كطيِّ السِّجل، يعني: دائمةً ليوم البعث وطي السماء، ويجوز: أي يقف على ما بينهما: أي تملأ السماء والأرض وما بينهما حَتَّى تضيق ذنوبًا، وتتمحي عنًّا.

وملء الشيء سعته، وضيق الشيء عدم السعة: أي تندمج الخطايا ببركة الصلاة على النبي ﷺ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد الطيور الناطقة بسائر اللغات التي تختلف ألحانها وصفاتها، فلا يعلمها إلاَّ أنت يا ربَّ العالمين، اللَّهُمَّ كما علَّمت سليمان مَنْطِقَ الطير أعطني علم ما نطق به كلُّ طيرٍ وينطق به، بلغاتٍ تعلمها أنت يا الله، يا الله، يا الله، صلِّ وسلم على سَيِّدِنَا مُحَمَّد عدد الطيور الناطقة).

الكيفية الثامنة عشرة

(اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صاحب العلامة التي بين كتفيه)

وقيل: العلامة في ظهوره من بطن أمه.

وقيل: العلامة: الرحمات المختصُّ بها يوم العرض، وهي تسعةٌ وتسعون رحمةً، ادَّخرها الله تبارك وتعالى له.

وقيل: العلامة: القرن الذي ولد فيه، بشَّرت به الكهان والأحبار، وأخبار أحبار اليهود.

ومن علامة رسالته: كسر الأصنام، وفتح مكة، ومواساة الأنصار والمهاجرين، ومسجد قباء، وبناية مسجده الشريف، وبشارة كل شيءٍ صامتٍ به، ونطق الجمادات، وغير ذَلِك من العلامات، وعلاماته كثيرةٌ لا تنحصر.

ومراد جامع هذه الكيفية النبوة التي بين كتفيه.

ومن محاسن كتاب «التيجان»: ما خرَّجه ابن هشام عن إسحاق بن عبد الملك بن

عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي، وكان واعيةً عن بعض أهل العلم: «أن من علامة رسول الله ﷺ حين أراد الله تبارك وتعالى بكرامته وابتدائه بالنبوة كان إذا خرج لحاجةٍ أبعد حَتَّى تحسر عنه البيوت، ويفضي إِلَى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ﷺ، فيلتفت حوله عن يمينه وعن يساره ومن خلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة تكلِّمه، فمكث رسول الله ﷺ يرى ويسمع ما شاء الله تعالى أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله تبارك وتعالى، وهو بحراء فِي رمضان، وسار ذات يومٍ مع عليٍّ بن عمِّه فِي طريق المدينة، فمرَّ رسول الله ﷺ بنخلةٍ من نخيلها، فصاحت نخلةٌ بأختها: يا أختاه هَذَا النبيُّ المصطفى، وعليٌّ المرتضى، ثم جزناها، فصاحت ثانيةٌ بثالثة: هَذَا موسى وأخوه هارون، ثم جزناها، فصاحت رابعةٌ بخامسةٍ: هَذَا نوحٌ وإبراهيم، ثم جزناها، فصاحت سادسةٌ بسابعة: هَذَا سيِّد البشر، وهَذَا عليٌّ سيِّد الأوصياء، فتبسَّم النبيُّ ﷺ، ثم قال: يا عليُّ، سمِّ نخل المدينة صيحانيًّا؛ لأنَّهن صحن بفضلي وفضلك، وإن من صلى عليَّ عند رؤية مدينتي يُضاعف له الثواب، ويجزل له العطاء، يا عليُّ، الصلاة عليَّ تمحق الخطايا، ويشهد بها كل صامتٍ كما شهد هَذَا النخل[1]» ذكر هَذَا الحديث الطيبي فِي «فوائده».

والغمامة التي أظلته وهو ابن خمس سنين، قال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه: كان النبيُّ ﷺ إذا جلس فِي حرِّ الشمس تظلُّه الغمام، وتقف على حدِّه: أي على حدِّ ظلِّه، وكان مع ضمرة أخيه، فجلس فِي ظلِّ شجرةٍ، ومضى رسول الله ﷺ وهو ابن خمس سنين إِلَى رمضاء الوادي، فظللته الغمام، وأخفى ما بين يديه.

وقال البوصيري فِي همزيَّته:

ظلَّلته الغمامُ وهو ابنُ خمسٍ

والغمامة التي توجَّه الله تعالى بها ما زادت على أحد عشر ذراعًا، وكان مع أصحابه وأحبابه حسن السيرة، حسن المعيشة، ليس بفظٍّ، ولا سبَّابٍ، ولا غليظٍ، إِلَى أن لقي الله تعالى، فأحزن أصحابه، وتذكَّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيرته وما كان عليه، فسُمع بعد موت النبيِّ ﷺ يقول وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان لك جذعٌ

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٢/٦٦).

تخطب الناس عليه، فلم كثُر النَّاس اتخذت لك منبرًا تسمعهم، فحنَّ الجذع لفراقك عنه حَتَّى جعلت يدك عليه، فسكن، فأمَّتك أحقُّ وأولى بالحنين والبكاء حين فارقتهم، صلَّى الله وسلَّم عليك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن جعل طاعتك طاعته، فقال تبارك وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك الله تبارك وتعالى آخر الأنبياء وذكرك فِي أوَّلهم، فقال عزَّ من قائلٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن أهل النَّار يَودُّون أن يكونوا أطاعوك، وهم بين أطباقها معذَّبون، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لإن كان موسى بن عمران أعطاه الله تعالى حجرًا يتفجَّر منه الأنهار، فما ذَلِك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما السلام أعطاه الله تعالى الريح غُدُوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهرٌ، فماذا أعجب من البراق حين سرت عليه إِلَى السماء السابعة من ليلتك، ثم صليت الصبح بالأبطح! بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لإن كان عيسى ابن مريم عليه السلام أعطاه الله تعالى إحياء الموتى، فإذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلَّمتك بضعةٌ منها وهي مشويَّةٌ، فقالت: لا تأكلني يا رسول الله؛ فإنِّي مسمومةٌ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا عن آخرنا، ولقد وُطِئ ظهرُك، وأُدْمِيَ وجهُك، وكُسِرتْ رباعيَّتك، فأبيت أن تقول إلا خيرًا، فقلت: «اللَّهُمَّ اغفرْ لقومي؛ فإنَّهم لا يعملون»، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد اتَّبعك فِي قلَّة سنينك وقصر عمرك ما لم يتَّبع نوحًا على كبر سنِّه وطول عمره، وقد آمن بك الكثير، وما آمن معه إلا القليل، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو لم تجالس إلا كفوًا لك ما جالستنا، ولو لم تنكح إلا كفوًا لك ما نكحت إلينا، ولو لم تواكل إلا كفوًا لك ما واكلتنا، فلقد جالستنا، ونكحت إلينا، وواكلتنا، ولبست الصوف، وركبت الحمار، وأردفت خلفك، ووضعت طعامك على الأرض، ولعقت أصابعك؛ تواضعًا منك، وصغرت عمامتك وتاجك، فهنيئًا لمن تبعك، وآمن بك، وآثر حبَّك، أشهدك ما أزيد عمامتي عنك؛ اتِّباعًا، ولا ألبس جديدًا؛ اقتداءً، ولا أجالس غير

أصحابك؛ إكرامًا، وأواكل الفقراء وأدور المدينة فكان كما قال، ذكر ذَلِك الباجي وابن نجـــاح، وأخـــرجه الطبراني فِي «معجمه الكبير»، وذكره أحمد بن حنبل فِي «الحديث الطويل».

وقـــال الحافظ عبد الغني: كان ببعض الأعراب فالجٌ، فشرب من ماء غسل عمامته، فَبرِئ لوقته.

(والكرامة) الباقية الجامعة لكلِّ خيرٍ إِلَى يوم الدين.

(والشفاعة) التي خصَّه الله تعالى بها.

وله شفاعاتٌ كثيرةٌ، عدَّها فِي «الخصائص الكبرى» الجلال السيوطي.

(والشريعة) التي أنزلها الله تبارك وتعالى عليه، وبيَّن أحكامها، فأوضحت لنا هدي كل نبيٍّ، فاتبعناها، وأجبنا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربَّنا، وإليك المصير.

(والرسالة) التي أرسله الله تعالى بها بعد الأربعين.

(والنبوَّة) التي أعطاها الله تعالى لـــه من خلق آدم ؑ.

(والهدي) القرآن العظيم هدًى للناس، آمنَّا به.

الكيفية التاسعة عشرة

«اللَّهُـــمَّ صَـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد العلاَّمة، وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد صـــاحب الغمامة، وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد صاحب العمامة، وصلِّ وسَلِّمْ على سَـــيِّدِنَا مُحَمَّـــد صاحب الكرامة، وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد صاحب الشفاعة، وصَـــلِّ وسَـــلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد صاحب الشريعة، وصَلِّ وسَلِّمْ عل سَيِّدِنَا مُحَمَّد صـــاحب الرسالة، وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد صاحب الهداية، وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد خاتم النبوة، وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد فاتح الجنَّة».

هذه الكيفِية فِيها زيادةٌ، وهي الهداية، والجنَّة، وخاتم النبوَّة، وقد رأى شيخنا عفا الله تعـــالى عنه النبيَّ ﷺ وهو يكرِّر هذه الكيفِية، فغشي عليه، وهو يقول: وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد خاتم النبوة. فقال: نعم، فأفاق وهو يقول: وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فـــاتح الجنَّة. فقال لـــه: نعم الموعد عند باب الجنَّة، وكان دائمًا يخبرنا بهَذَا، وأظنُّ أنه يرغِّبنا فِي الصلاة على النبيِّ ﷺ، ويقول: هَذَا من باب التحدُّث بالنِّعم، عفا الله تعالى عنه،

ورحمـــه، وحشرنا فِي زمرته، وأعطاه ﷺ علامةً فِي إصبعه الشاهد، فكنَّا نراها كالحرزمة معقودةً رضي الله تعالى عنه.

الكيفية العشرون

«اللَّهُـــمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ القرآن حرفًا حرفًا، توسلاً بالقرآن العظيم، وامتثالاً لما فِيه من الذِكر الحكيم» طَلب من الله تعالى جامع هذه الكيفِية أن يصلِّي عليه عدد حروفه؛ لما فِي ذكر ذَلِك من التشويق والتعظيم.

(وصـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد كل حرفٍ ألفًا ألفًا، طلبًا لزيادة الثواب، ورغبةً فِيما عند الملك الوهَّاب) وهَذَا ثوابٌ جزيلٌ؛ لما تضمن من تشريفه بعدد أحرف القرآن، وطلب المضاعفة فِي زيادة الثواب.

(وصَـــلِّ وسَـــلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد الملائكة صفًّا صفًّا) صفوف الملائكة لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى.

(وصَـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ كلِّ صفٍّ ألفًا ألفًا) طلب الزيادة فِي العدد، وطلب الإمداد من الله تعالى والرغبة فِي ذكر مَنْ وظيفتهم الصلاة عليه ﷺ.

(وصَـــلِّ وسَـــلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ كلِّ شيءٍ يخفى، وشيءٍ لا يخفى) أراد التفـــضيل فِي العدد، وطلب الزيادة فِي الأجر، وكان بعض إخواننا يُغشى عليه فِي هذه الكيفِية، وكان يقول: يظنُّ الإخوان أنِّي غائبٌ، ما ذاك إلا لما أشاهد من العجائب، وكان يقول: من لا يشهد ما يقول ليس لـــه محصولٌ.

وكـــان شـــيخنا دائمًا يقول: كلُّ صلاةٍ ليس لها سرٌّ غير سرِّ رفيقتها، والثواب أنواعٌ مختلفةٌ كأنواع الثمار المختلفة، وهَذَا مشهد العارفين.

وكـــان بعض الإخوان يقول: ما كلُّ من دخل الحمى وصل، ولا كل من وصل رأى وشاهد.

وفِـــي هذه الإشارات تلميحٌ يُفهم الذائق بكيفِية الوصول إِلَى مراتب كيفِيات الصلاة علـــى هَـــذَا الـــنبيِّ الكريم، والرسول العظيم، والشارع ﷺ أمر بالأدب فِي هَذَا الباب، والتأديب بِهَذَا الخطاب يلزم العارف الاعتقاد وعدم الاعتراض، ولو جلسنا فِي هَذَا الميدان لملأنا الدفاتر، أراد بذَلِك جميع الأشياء وفِيما قرَّرناه كفايةٌ لمن تأمَّل.

الكيفية الحادية والعشرون

«اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي اللَّيلِ إذَا يَغْشَى».

معـــناه: إذا انفرد بنفسه فِي الليل إذا يغشى، والليل إذا أغشته الظلمة فلا بد لـــه من نـــورٍ، وكل ظلمةٍ تريد لها نورًا، ومرادنا بذَلِك نور الصلاة على النبيِّ ﷺ، التي بها نزول الكروب الشديدة، فلا بد من إنشائها من ألطاف الله تبارك وتعالى حَتَّى يتفضَّل الله تبارك وتعالى بالفرج التامِّ، الذي يغشاه العبد من عظم من يغشاه.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي النَّهارِ إذا تجلَّى) أراد بذَلِك المداومة فِي الليل والنهار، والليل موصوفٌ بالظلمة، والنهار بالضياء.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الآخرة والأولى) لما ذكر الليل وظلمته والنهار وضياءه ذكر الدنيا والآخرة، وقدَّم ذكر الليل؛ لما فِيه من التجلِّي فِي الثلث الأخير، وقوله ﷻ: هل من طالب؟ هل من راغب؟ والنهار إذا تجلَّى؛ لما فِي ذكر ذَلِك من الصلاة عليه فِي وقت الغفلة، والناس فِي معايشهم وأسبابهم، وفَضلُ الضحى يعدل قيام الليل.

وقال بعض العلماء: التجلِّي يحصل وسط النهار.

وقال بعضهم: فِي اعتدال قوس النهار.

ولذَلِك ذهب بعض العلماء إلَى أن الصلاة وقت الظهر تعدل قيام الليل.

وقـــدَّم الآخرة على الدنيا؛ لأنها دار الجزاء، والأولى دار تقدُّم الأعمال، وبهَذَا أرشد بعض المحققين بكلام يطول شرحه أنها مزرعة الآخرة، بدليل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٢].

دلـــيلٍ آخر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩].

الكيفية الثانية والعشرون

«اللَّهُـــمَّ صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ مَنْ يصلِّي عليه) من الملائكة والإنس والجنِّ، ومن سائر ما نطق بالصلاة عليه من كلِّ ناطقٍ.

(وصَـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ مَنْ لم يُصلِّ عليه) من كل صامتٍ، وذَلِك

بدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:٤٤]، وإن كان مشهد الغالب عدم النطق فمراد جامع هذه الكيفية الأكثر فِي كل مشهدٍ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ المشتاقِين إليه) أهل الاشتياق طائفةٌ خصَّهم الله ﷻ بملحظ المشاهدة، يتحققون رؤية من يشتاقوه، ولو كان فِي مشرق الأرض وهم فِي مغربها، والاشتياق إليه زائدٌ معناه على هَذَا.

وفِي هَذَا تلميحٌ يُعرف به الشوق والاشتياق، والفرق معروفٌ عند طائفة الصوفية، وعند أهل اللغة.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تُبَلِّغُها إليه) الصلاة التي يبلِّغها إليه مقبولةٌ.

وقال بعض العلماء: شرط القبول لتبليغ الصلاة عليه، فكأنه سأل الله تبارك وتعالى قبول الصلاة عليه ﷺ.

وهذه الكيفية يُرجى قبولها، وينجح متأمِّلها، والعامل بها يلقى جزاء الدنيا والآخرة.

الكيفية الثالثة والعشرون

«اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد ذرات الوجود» الذر الذي فِي الوجود.

وهَذَا كلامٌ يطول شرحه، والمراد: ما فِي الوجود من جميع المعلومات؛ إذ هو عينها، وهَذَا بابٌ واسع المجال، لا ينحصر معناه فِي ضبطه، وتنوعاته كثيرةٌ، وفضائله مشهورةٌ، وهو كذَلِك ﷺ.

والعارف إذا قال: شاهدت ذرات الوجود وأنكرنا عليه ولم نصدِّقْه جاز لنا؛ لأن هَذَا غير ممكنٍ، وهو مستحيلٌ علينا إذا ادَّعيناه، وإن كانت الوسعة الإلهية أوسع من هَذَا فلا نقول هَذَا بالدعوة.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صاحب اللواء المعقود) له يوم القيامة، الذي يُنشر على رأسه.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صاحب الحوض المورود) الذي ترد عليه سائر الأنبياء والعلماء والصدِّيقين، فهؤلاء الذين يشفعون، ويسقون الناس، وحوضه المورود لسائر الخلق من أهل الورود.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صاحب الشفاعة) فِي اليوم الموعود، الشفاعة

العظمى قررها بعض العلماء، بعد تسعة آلاف سنة يمكثون ألف سنة بعد البعث وألف سنة يتيهون فِي الموقف وألف سنةٍ حَتَّى يأتون العلماء ويشاورروهم، وألف سنةٍ حَتَّى يأتون آدم، وألف سنةٍ بين آدم ونوح، وألف سنةٍ بين نوح وإبراهيم، وألف سنةٍ بين إبراهيم وموسى، وألف سنةٍ بين موسى وعيسى، وألف سنةٍ بين عيسى ومُحَمَّد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، فهَذَا المتفق عليه بالنقل، وعدَّ بعضهم سبعة آلافٍ وغير ذَلِك، وهذه الشفاعة لا يشاركه فِيها أحدٌ، وله شفاعاتٌ كثيرةٌ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ إِلَى يومِ الخلود) المراد بذَلِك: الجنَّة ودوام القرآن فِيها، والصلاة على النبي ﷺ دائمةٌ فِي الجنَّة ببقاء القرآن العظيم ودوامه وآياته المبيِّنات، وما يقع فِي حضيرة القدس، وغير ذَلِك من الأقوال.

الكيفِية الرابعة والعشرون

«اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تشرح صدورنا إِذَا اعترانا الهمُّ والغمُّ والحَزَنُ» والصلاة على النبيِّ ﷺ تشرح الصدور، وتنوِّر القلوب، وتَقِي الهمَّ، وتزيلُ الغمَّ، وتُذهبُ الحزَن، وهي من مجرَّبات أهل الفضل، عفا الله تعالىٰ عنهم من السلف والخلف.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تُيسِّر بها أمورنا) التي اشتدَّت علينا، ولا نقدر عليها؛ فإن التيسير بإذنك، والأمور كلها بيدك، وأنت على كل شيءٍ قديرٌ.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تَغفر بها ذنوبنا) لما ذكر رضي الله تبارك عنه انشراح الصدور وما يتعلق به من الأحكام سأل الله تبارك وتعالى تيسير الأمور وتسهيلها ببركته، ثم نظر إِلَى أسباب الذنوب المتعلقة باكتساب السيِّئات، فسأل الله تبارك وتعالى المغفرة ببركة الصلاة عليه ﷺ كما وعد أنَّ مَنْ صلَّى عليه يُغفر ذنبه، ويُستر عيبه، ويُيسر له ما طلب، وتفتح له أبواب الرزق.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاةً تنوِّر بها قلوبَنا وأسماعَنا وأبصارَنا) هذه الصيغةُ فِيها ما جاء فِي الأحاديث الشريفة: أن الصلاة عليه تنوِّر القلب.

وجامع هذه الكيفِية من نصيحته طلب من الله ﷻ عموم إخوانه المؤمنين، ولم يخصّ نفسه بقوله: يتنوَّر بها قلبي، وفِيها أيضًا إشعارٌ وتيسير لأهل هذه الوظائف أن الله تبارك وتعالى يُنوِّر قلوبهم، ولهم ما طلبوا، ومنجز لهم ما وعدهم به من تنوير القلوب.

وقـد ورد: أن العبد إذا لازم الصلاة عليه ﷺ انجلت ظلمة قلبه وهي النقطة السوداء التي هي حظُّ النفس والشيطان، فإذا زالت النقطة السوداء من قلب العبد انجلى لـه كلُّ شيءٍ، وفتح لـه أبواب المعارف.

ثم سأل الله تبارك وتعالى بعد ذَلِك بصحة يقينه دوام نعمته، واعتدال خوفه، ورجاءه أن يمـنَّ عليه بالنور الحقيقي الدائم فِي البرزخ، فسأل الله تبارك وتعالى تنوير قلبه، ثم عمَّ إخـوانه بالـدعاء، كقـوله: (تنوِّر بها قلوبنا)، ولم يخصّ بها نفسه، وإذا قلنا بالعموم والخـصوص، فـيقال: أراد بقوله (تنور بها قلوبنا) اختار التعظيم الذي خصَّ الله تبارك وتعالى به هَذَا الطور البشري، ولما نظر إِلَى ما خصَّ الله تبارك وتعالى به هذه الأمَّة عمَّم بقـوله: جمـيع المصلِّين على النبي ﷺ؛ للحديث الوارد فِي الصحيحين: «مَنْ مَاتَ وهُوَ يصلِّي عليَّ ملأَ الله قلبَه نورًا وقبْرَه نورًا[1]»، وفِي الأوسط: «ملأَ الله قلبَه إيمانًا، وأزَالَ عَـنْهُ ظُلْمَةَ القبرِ، وآنسَهُ بذِكْرِه[2]» هَذَا الحديث ذكره البيهقي فِي «سننه»، وزاد فِيه: «وجَاءَ يومَ القيامةِ ولَهُ نورٌ[3]».

وفِي ذكره لسمعه وبصره قال الطبري: يأتمن فِي سمعه من الصمِّ وفِي بصره من العمى ﷺ.

ثم سـأل الله تعـالى مؤلـف هذه الكيفِية بالتضرع والابتهال بقوله: (آمين، يا ربَّ العالمين) استجبْ منَّا يا الله.

الكيفية الخامسة والعشرون

«اللَّهُمَّ يا ربَّ مُحَمَّد ليس لنا غيرك، ولا نجد عليك أكرم من مُحَمَّد، ولا أعظم، ولا أقـرب مـنه، صلَّيت عليه، وقرنت اسمه باسمك، ندعوك بقولنا: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد بصلاتك التي صلَّيتها عليه؛ فإنَّا لا نكيِّفها كما أمرتنا، ولا نبلغ صفةً من صفاتها دهر الداهرين، وعلى آل مُحَمَّدٍ» المراد بهم: آل بيته كما قررَّنا.

---

(١) الحديث ليس بالصحيحين.

(٢) الحديث ليس بالأوسط.

(٣) الحديث ليس عند البيهقي والله أعلم.

وقال بعض العلماء: آل مُحَمَّد: كلُّ تقيٍّ.

وهذه نعمةٌ من الله تبارك وتعالى لأهل التقوى، وفِي قول هَذَا العالم تدقيقٌ لجميع أمَّته من الفرقة الناجية.

وقال سيدنا ابن العربي فِي «فتوحاته»: سمَّى الله تبارك وتعالى نفسه أهل التقوى وأهل المغفرة، وخصَّ أنبياءه بالتقوى، وفِي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦] قال هو مُحَمَّدٌ ﷺ، ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾: أي بما جاء به من الآيات البيِّنات، لقوله: ﴿وَأَهْلَهَا﴾: أي أهل لا إله إلا الله أتباع مُحَمَّدٍ ﷺ، وأنهم أهل الجنَّة، وجميع الأمم معهم كالشامة.

(وعلى أصحاب مُحَمَّدٍ) من صحبه وآمن به ومات على الإيمان كما قرَّرنا يحصل لهم ثواب ذكر كل ذاكرٍ.

وقد ورد: من ذَكر مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ وأصحابه غَفر الله له ذنوبه، ولو كانت كزبد البحر.

(وعلى أزواج مُحَمَّدٍ) أراد به ما احتفَّ فِيه من القول أن أزواج مُحَمَّد أمهات المؤمنين من فضلهم العظيم هل هم من الآل وغير ذَلِك، وهَذَا بيَّناه فِيما تقدَّم.

(وعلى أنصار مُحَمَّدٍ) الذين أيَّد الله تبارك وتعالى بهم الإسلام، وشهد لهم ﷺ بالإيمان، وأن من أحب الأنصار وُقي فتنة القبر وعذابه، وأنهم شفعاء المؤمنين، وهَذَا خطاب الخاص والعام، وخواصُّ كل نبيٍّ أنصاره، بدليل القرآن العظيم: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢]، وذكرهم الله تبارك وتعالى فِي محلاتٍ كثيرةٍ.

وورد أن: رحمة هذه الأمة الأنصار، وقد سمَّاهم الأنصار لنصرتهم لله ورسوله، واختلف فِي فضل المهاجرين على الأنصار، كما اختلف فِي فضل الحسنين، وما نحن بصدد هَذَا؛ لأنه بابٌ واسع المجال.

قال المجد اللغوي: من أراد الكيل الأوفى فعليه بمحبَّة الأنصار، فإن الله تبارك وتعالى ضمن لمن أحبَّهم الجنَّة.

قال السيد السمهودي فِي مؤلفه فِي «محبَّة المهاجرين والأنصار»: أنهم عين أهل

الجنَّة، وذكر كيف آووه، ونصروه، وأفدوه بأنفسهم، وذكر فِي محاسنه: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُــمَّ صلِّ عَلَى مَنْ واصلَ الأنصارَ بالمحبَّة، ووالَى المهاجرين، وعادَى مَنْ عاداهم؛ أفدونِي بأنفسهم، وأدخلوني معهم، وحاموا عن دين الإسلام[1]».

ولنا مؤلف فِي ذَلِك.

(والسلام على ذرية مُحَمَّدٍ) من أولاد الْحَسَنَين، السادة الذين انتشر ذكرهم، وعلا فخرهم، وتكفَّلت لمن والاهم بالخير، وأعطيته السعادة، وصلَّيت على من صلَّى عليهم، وواليت من والاهم، وعاديت من عادهم.

(واجزِ سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أفضلَ ما تحبُّ وترضى) من الخير الذي وعدته به، والفضل الــذي أتحفته به، والذكر الجميل الذي ذكرته به ﷺ، وما أتحفت به هذه الأمة من سائر التوسلات.

وهذه الكيفِية ثوابها لا يحصيه إلا الله تبارك وتعالى.

الكيفِية السادسة والعشرون

«اللَّهُــمَّ صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ عددَ ما وَقَفَ بالبابِ واقفٌ» هذه الكيفِية جــاءت ببــشارة العارف بالله تعالى الشيخ أبو الحسن فِي سنة ثمانية وتسعين وستمائة، وذَلِــك أن رجلاً من مدينة إبنابة رأى النبيَّ ﷺ فِي جماعةٍ، وبينهم رجلٌ يصلِّي على النبيِّ ﷺ بهذه الكيفِية وهو يسمع، فلما أتمَّها ذَلِك الرجل بين يديه قال النبي ﷺ للرائي: احفظْ هــذه الكيفِية، وقل لأبي الحسن يضيفها إِلَى ورده. فأفاق وهو يحفظها، وكلنا لا يعرفه، فسأل عنه وأعلمه بذَلِك، فأضافها على ورده فِي الصلوات التي يصلِّي عليه بها، زاده الله تبارك وتعالى شرفًا وكرمًا لديه.

والمــراد بــذَلِك: كثرة الأجر المطلوب المرغوب فِيه؛ فإن عدد من وقف بالباب لا يُحصى ولا يمكن تقريره، ولو كانت الأشجار أوراقًا ونبات الأرض أقلامًا والبحار مدادًا والخلائق كتابًا لم يحصروا من وقف بالباب من سائر الأحباب، وإنما مثَّلنا لك مثالاً، وأن الوسعة الإلهية لا يُحصى فضلها، وفِي سعة فضل الله تبارك وتعالى أن يعطي من توسَّل إليه

(١) لم أقف عليه.

ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، وإذا كان مع من آمن به من أصحابه بخشوعه واستحضار قلبه.

(وصلِّ وسلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ مَا رشفَ من زمزمِ وأُشفِي) الذي شرب من ماء زمزم شرب من أفضل المياه؛ لما ورد من فضله: أن الماء الذي نبع من بين أصابعه الشريفة أفضل من ماء زمزم، وأنه خرج من بين لحمٍ ودمٍ، وحديث نبع الماء من بين أصابعه، رواه عبد الله بن طلحة عن أنس بن مالك قال: «رأيت رسول الله ﷺ وقت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوا ماءً، فأتي رسول الله ﷺ بوضوءٍ، فوضع النبي ﷺ يده فِي الإناء، وأمر أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة حَتَّى توضؤوا[(١)]».

وقال قتادة: كان الماء لا يغمر أصابعه، وكانوا زهاء عن ثلاثمائةٍ بالزوراء أيمن السوق. وحديث الحديبية: «كان ﷺ يتوضأ من ركوةٍ، فأتى الناس إليه، فوضع يده الشريفة فِي الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة: مثال: العيون، وكنَّا خمس عشرة مائةً، ولو كنَّا مائة ألفٍ لكفانا، ونبع الماء من تحت قدميه[(٢)]»، ونقل: «فِي قعبٍ فِيه ماءٌ، فكفى خمسمائة».

والأحاديث فِي هَذَا المعنى كثيرةٌ، وماء زمزم أفضل المياه التي نبعت من الأرض ببركته، وما تقطَّب وليٌّ إلا رَشفَ من ماء زمزم.

وقال صاحب «الرياض الزاهرة»: شربت من ماء زمزم مع مائةٍ تقطَّبوا، وأراهم يغترفون منه، وأنا بالموصل.

(وصلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تكونُ أمانًا لكل خائفٍ) لما ورد: «مَنْ خَافَ ظُلْمَ ظالِمٍ وصلَّى على النبيِّ ﷺ كفاه الله تعالى شرَّ ذَلِكَ الظالم[(٣)]».

وقال بعض العارفين: ما اغترَّ بي أمرٌ إلا صلَّيت على النبيِّ ﷺ، وما صلَّيت عليه إلا

---

(١) رواه أحمد (١٦٥/٣)، والدارقطني في السنن (٧١/١)، والبيهقي في الكبرى (٤٣/١)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٩/٥)، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٧٦/١١).

(٢) رواه البخاري (١٣١٠/٣)، ومسلم (١٤٨٤/٣)، وأحمد في المسند (٣٦٥/٣)، والدارمي في السنن (٢٧/١).

(٣) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

كفاني الله تبارك وتعالى ما أهمني.

والكـــلام فِي هَذَا لا تحصيه الدفاتر، وثواب هذه الصلاة كثيرٌ، ومؤلف هذه الكيفية جزاه الله تعالى فِيما أَلَّف.

الكيفية السابعة والعشرون

«اللَّهُـــمَّ صلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد الإنس والجان» مراده بذَلِك: عدد ما خلق الله تبارك وتعالى من الإنس: من آدم إِلَى قيام الساعة، وعدد الجان: جميع الجن.

ومعنى قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أتوسَّل إليك بأسمائك وصفاتك وكتبك وعدد ما خلقت من الإنـــس والجن أن تخصَّ نبيك بجميع الأسماء التي خصصت بها هؤلاء العالمين): أي عالم الإنس والجان.

(وصَـــلِّ وسَـــلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد الرمل والكثبان): أي عدد ما فِي جميع الأرض من رملٍ.

وقـــد علمت أن جميع ما خلق الله تبارك وتعالى يَعرف قدر هَذَا النبيِّ الكريم، ويصلِّي عليه، وإن قصر فهمك عن إدراك هذه المعنى فقرره من حيث سعة الفضل، ومن الممكن أن تتحقق بفهمك أن الله تبارك وتعالى جعله خاصَّ خواصِّ خلقه، وما لا يَصلُ إليه أحدٌ من الخلق أوصله إليه، فقصر فهمك عن عدد الرمل وغيره.

وقال النويري فِي «عجائبه»: كان عند بعض العارفين بزر خشخاش، فأخذ بيده من ذَلِك، وقال لفقيرٍ كان عنده: أتدري ما عدد هَذَا؟ قال لا. فقال لـــه: تقَبَّل منِّي.

فقـــال: نعم. فقال: كذا كذا ألف، فمكث يعدُّه بقية يومه، فلم يزد ولا حبَّةً، فقال ذَلِك العارف: كل ما يمكن عدُّه وما لاً يمكن إِلَى هَذَا.

ومـــن هَـــذَا الـــوجه مؤلف هذه الكيفية أراد جزيل الثواب، وإن كان شهد خلاف الممكن، أو ما يستحيل عدده وما لا يمكن إحصاءه، فهَذَا كله نادرٌ فِي الوسعة الإلهية.

(وصَـــلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عددَ ما فِي البحرِ من الحيتان) وذَلِك لما ورد: «مَنْ صلَّى على النبيِّ ﷺ عند بحرٍ أو نهرٍ شهدتْ لـــه قطراتُ الماءِ»، وهَذَا ما يقصر الحصر والضبط.

وقال الطبراني: «شَهِدَ لـه كُلُّ شيءٍ حَتَّى الحِيتانُ فِي البحرِ[١]».

أخرجه أبو داود فِي «سننه»، وزاد: «وشَهِدَ لـه كلُّ شيءٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمسُ حَتَّى الحيتانُ فِي الماءِ[٢]».

وإذا جمعت هذه التأويلات قلت هَذَا لا يمكن إدراكك لهذه المناسبات، وأنكرت معنى الحديث، وأوَّلت لـه تأويل غير ما قال، فانظر ما ترى بنظرك للوسعة الإلهية: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

(وصلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآله صلاةً تدوم علينا) فِي مدار الشهور والأزمان ما بقينا وفِي البرزخ تنفعنا.

وبالجملة: إن الصلاة على النبي ﷺ لا تُقطع بركاتها فِي الدنيا ولا فِي الآخرة ولا فِي الجنَّة، وإن القرآن الشريف باقٍ ببركته علينا معنا، وهذه الصلاة من لازمها كفاه الله تبارك وتعالى شرَّ من يخشاه، وَرَدَّ عنه كيد الأعداء.

الكيفية الثامنة والعشرون

«اللَّهُمَّ صلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تملأُ بركاتها ما فِي الأرض والسماوات وقفارها ونواحيها» من الملائكة أرباب الوظائف، ومن الملائكة الذين خصَّهم الله تبارك وتعالى بخدمته إِلَى غير ذَلِك.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد صلاةً تملأُ بركاتها فيافي الأرض وقفارها ونواحيها) قال فِي الصحاح: الفِيافِي: الأماكن البعيدة عن العمران، والقفار: الكثيرة الحشرات التي لا يراها أحدٌ، ولا يرشد إليها، والنواحي: جمع ناحية، فكأنه أراد بقوله: تملأُ بركاتها جميع الأرض: من سهلٍ، وجبلٍ، وبريَّةٍ، وناحيةٍ، وهَذَا شيءٌ لا يُحصر.

(وصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عدد أسماك البحار فِي مجاريها) مؤلف هذه الكيفية لما ذكر السماوات وما فِيها وما فِي عجائب المخلوقات وذكر ما بينهما ذِكر الأرض

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٥/٤٨)، وأحمد (٥/١٩٦)، وابن ماجه (١/٨١).

جميعها كما قرَّرنا.

فِي معنى ذَلِك نظر إِلَى عجائب البحار السبعة، وأن فِي البحر ستمائة أمَّةٍ، أراد بذَلِك ما لا يضبطه ضابطٌ، ولا يعده عادٌ، ولا يحصيه أحدٌ إلا الله تبارك وتعالى؛ فافهم ترشد.

(وصلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلاةً تدوم علينا بركاتها فِي الدِّين والدنيا والآخرة يا ربَّ العالمين) وهو كذَلِك بركة الصلاة عليه ﷺ دائمةٌ علينا فِي الدين والدنيا والآخرة، نلقى الله تبارك وتعالى باتِّباعه، وندعو الله تبارك وتعالى بفضله.

الكيفية التاسعة والعشرون

«اللَّهُـــمَّ صلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الحبيب» الحبيب باتفاق الأئمة، والمحبَّة أعلى رتــبةً مـــن الخِلة، وقد جمع الله تبارك وتعالى لـــه بين المحبة والخلة، فأصل الخلة: المحبة، ومعناها: الإسعاف، والإلطاف، والتشفيع، والمحبة أعلى؛ لأن المحبوب لا يُؤاخذ الحبيب ولا يعذبـــه، ودليل ذَلِك ما بيَّن فِي كتابه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨].

فأوجب المحبوب ألا يؤاخذ بذنوبه، واختلف العلماء وأرباب القلوب أيما أرفع: درجة الخلـــة، أو درجة المحبة، فجعلها بعضهم سواءً، ولا يكون الحبيب إلا خليلاً ولا الخليل إلا حبيبًا، لكنه خصَّ إبراهيم بالخلة، ومُحَمَّدًا ﷺ بالمحبَّة.

وذهـــب الغـــزالي والحفَّاظ من أهل الأثر أن المحبة أرفع من الخلة، وأن درجة الحبيب درجة نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقـــال بعض العارفين: أصل المحبة الميل إِلَى ما يوافق المحب، وهَذَا فِي حق من يصح المـــيل منه، والانتفاع بالوفق، وهي درجة المخلوق، وأما الخالق جلَّ ذكره فمنـــزَّهٌ عن الأغـــراض؛ فمحبته لعبده تمكينه من سعادته، وعصمته، وتوفيقه، وتهيأته أسباب القرب لـــه، وإفاضة رحمته عليه، وقصواها كشف الحجب عن قلبه حَتَّى يراها بقلبه، وينظر إليه ببصيرته.

وهَـــذَا دلـــيل أهل الأثر؛ لما ورد أنه ﷺ يبيِّن الله لـــه جلَّ ذكره مقام المحبة، فبيَّن لنا بقوله فِي الحديث الشريف: «فَإِذَا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصرُ

به، ولسانَه الذي ينطقُ به[(١)]».

ولا ينبغي أن يفهم من هَذَا سوى التجرُّد لله ﷻ، والانقطاع إِلَى الله ﷻ، والإعراض عن غير الله ﷻ، وصفاء القلب لله ﷻ، وإخلاص الحركات لله ﷻ، كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «كانَ خلقُهُ القرآنَ، بِرِضَاهُ يَرْضَى، وبِسَخَطِهِ يَسْخَطُ[(٢)]».

نقـل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلامًا فِي الفرق بين المحبة والخلة، تطـول جملة إشاراته إِلَى تفضيل مقام المحبة على الخلة، فإن الخليل يصل بالواسطة بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٧٥]، والحبيب يصل إليه بقوله تبارك وتعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩].

وقـيل: الخلـيل الـذي تكون مغفرته فِي حد الطمع بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ [الشعراء:٨٢]، والحبيب الذي مغفرته فِي حد اليقين بقوله تبارك وتعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفـتح:٢]، والخلـيل قـال: لا تخزني، والحبيب قيل لـه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التحـريم:٨]، فابتدئ بالبشارة قَبْل السؤال، الخليل قال فِي محنته: حسبي الله.

والحبيب قال لـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤]، الخليل قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤].

والحبيب قيل لـه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] أُعطي بلا سؤال.

والخليل قـال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

والحبيب قيل لـه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحـزاب:٣٣]، الخليل أطرق واتَّضع، والحبيب سلَّم بغير طلبٍ، وخشع الخليل، طلب الأدب، فأعطـاه، والحبـيب قـال: أدَّبني، فبلغ مناه، الخليل فِي مقام التوجُّه والطلب، والحبيب فِي مقام بلوغ الأدب.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٦/٨)، وابن المبارك في الزهد (٣٦٥/١)، وابن أبي حاتم في العلل (١٢٦/٢)، والبيهقي في الزهد الكبير (٢٧٣/٢).

(٢) رواه أحمد (١٩٣/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٥/١)، وفي خلق أفعال العباد (٨٧/١)، والطبراني في الأوسط (٣٠/١)، والبيهقي في الشعب (١٥٤/٢)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٥٧٥/٦).

وإذا عرفت ما قررناه علمت أن المحبَّة انفصلت عن الخلَّة فِي الفرق والصفات.

وقال المحققون: المحبَّة مفرد مقامها، لا يتيسر لأحدٍ الالتمام بها إلا بالتعب والنصب، وهجر المأكل والمشرب والتوجُّه، وزيادة الحسرة مع الطمأنينة، فاعرف التفصيل، وخذ الفرق فِي الفضل والمحبَّة.

ومؤلف هذه الكيفية لما ذكر النبي ﷺ بالمحبَّة ذكر إبراهيم عليه السلام بالخلَّة بقوله: (وعلى أبيه إبراهيم الخليل).

فإبراهيم أبو الأنبياء وأبينا بقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٧].

والحديث الذي خرَّجه القسطلاني بسنده عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ(١)».

وفِي حديث آخر: «وإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ(٢)»، ومن طريق ابن مسعود «وقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً(٣)».

وعن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حَتَّى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم؛ فقال بعضهم: عجبًا؛ إنَّ الله اتَّخذ إبراهيم من خلقه خليلاً، وقال الآخر: ماذا بأعجب من حديث موسى؛ كلَّمه الله تعالى تكليمًا، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم ﷺ، وقال: «سَمِعْتُ كَلامَكُمْ وعَجَبَكُمْ أنَّ الله اتَّخذَ إبراهيمَ خليلاً وهو كذَلِك، وموسى نَجِيُّ الله وهو كذَلِك، وعيسى روح الله وهو كذَلِك، وآدم اصطفاه الله وهو كذَلِك، ألا وأنا حبيبُ الله، ولا فخرَ، وأنَا حاملُ لواءِ الحمدِ يوم القيامةِ، ولا فخرَ، وأنا أوَّلُ شَافعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ، ولا فخرَ، وأنا أوَّل من يُحرِّك حلق الجنَّة، فيفتح الله، فيدخلنها ومعي فقراء

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٨٥٥/٤)، والترمذي (٦٠٦/٥)، والنسائي في الكبرى (٣٦/٥)، وأحمد في المسند (٣٧٧/١)، وفي الفضائل (١٦٥/١)، وابن ماجه (٣٦/١)، وابن حبان في الصحيح (٣٣٥/١٤)، والديلمي في الفردوس (١٣/٢)، والطبراني في الكبير (١٤٦/٣).

(٣) رواه مسلم (١٨٥٦/٤)، وأحمد (٣٩٥/١)، والطبراني في الكبير (١٠٥/١٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥/٩).

المؤمنين، ولا فخرَ، وأنا أكرمُ الأوَّلين والآخرين، ولا فخر[(١)]».

قال القاضي أبو الفضل: الخليل المنقطع إِلَى الله تبارك وتعالى، الذي ليس له فِي انقطاعه إليه اختلالٌ.

وقال ابن حجر العسقلاني: الخليل الذي يوالي فِيه، ويهادي فِيه، وخلَّة الله تبارك وتعالى لخليله نصره، وجعله إمامًا لمن بعده.

وقال الجلال السيوطي: الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع، مأخوذٌ من الخلة، وهي الحاجة، سمي بها إبراهيم؛ لأنه قصر حاجته على ربِّه، وانقطع إليه فهمه، ولم يجعله قَبْل غيره.

وقال الحافظ المنذري: ليس لنا دليلٌ فِي قوة خلَّته أقرب من دليل جبريل عليه السلام لما جاءه وهو فِي المنجنيق، والنَّار يلهب شررها، فقال له: ألك حاجةٌ؟ قال: أما إليك فلا[(٢)].

وقال ابن فورك الإمام أبو بكر: الخلَّة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار، ولِهَذَا عبَّر بعضهم عن الخلة بقوله:

قَدْ تَخَلَّلتُ مسلكَ الرُّوح منِّي   وبِذَا سُمِّيَ الخليلُ خَليلا
فإذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حديثي   وإذا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الغليلا

وقال آخر هَذَا الشاهد:

إنَّ الخليلَ هُوَ الخَلِيُّ عنِ الورى   فِيما يرى فِي كلِّ شيءٍ أوصلَهْ

(وعلى أخيه موسى الكليم) باتفاق الأئمة والقرآن العظيم.

وقال الإمام النقاش: إن الله تبارك وتعالى قسَّم كلامه ورؤيته بين موسى ومُحَمَّدٍ، فرآه مُحَمَّد ﷺ مرتين، وكلَّمه موسى عليه السلام مرتين.

ومن أغرب ما ذُكر فِي «الشفاء» أن ابن عباس اجتمع هو وكعب، فقال ابن عباس:

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٨٧)، والدارمي في السنن (١/٣٩)، وابن عدي في الكامل (٣/٣٣٩)، وذكره المباركفوري في التحفة (١٠/٦١).

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٧/٤٥)، وفي التاريخ (١/١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٠)، وذكره المناوي في فيض القدير (١/١٠٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/٤٢٧).

أمـــا نحن بنو هاشم فنقول: إن مُحَمَّدًا رأى ربَّه مرتين، فكبَّر كعب حَتَّى جاوبته الجبال، وقـــال: إن الله تـــبارك وتعالى قسَّم رؤيته وكلامه بين مُحَمَّد ﷺ وموسى عليه السلام؛ فكلَّمه موسى عليه السلام، ورآه مُحَمَّد ﷺ بقلبه.

وفِي حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «رأيتُ ربِّي بفؤادي، ولم أرَه بعيني[1]».

وحكـــى الـــنقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه حَتَّى انقطع نَفَسَهُ يعني نَفَسَ أحمد.

وقـــال أبو عمر، قال أحمد بن حنبل: رآه بقلبه، وسكت عن القول برؤيته فِي الدنيا بالإبصار.

وقال سعيد بن جبير: لا أقول رآه، ولا لم يره.

ونقـــل القاضـــي أقوالاً كثيرةً، قال آخرها: والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تبارك وتعالى فِي الدنيا جائزةٌ عقلاً، وليس فِي العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها فِي الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحالٌ أن يجمع بين ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه، بل لم يـــسأل إلا جائزًا غير مستحيلٍ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا مـــن علَّمـــه الله تبارك وتعالى، فقال الله تبارك وتعالى: (لن تراني، لن تطيق، ولا تحتمل رؤيتي)، ثم ضرب لـــه مثالاً ما هو أقوى من أَبْنِيَّة موسى وأثبت، وهو الجبل، وكل منك ليس فِيه ما يحيل رؤيته فِي الدنيا بل فِيه جوازها على الجملة، وليس فِي الشرع دليلٌ قاطعٌ علـــى استحالتها ولا امتناعها؛ إذ كل موجودٍ فرؤيته جائزةٌ غير مستحيلة، ولا حجَّة لمن استدلَّ على منعها بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ لاختلاف التأويلات.

وقـــال بعض العلماء: إن رؤيته تبارك وتعالى ممتنعةٌ فِي الدنيا؛ لضعف تركيب أهل الدنـــيا وقواهم، وكونها متغيرةً متعرضةً للآفات والفناء، فمن ثَمَّ ليس لهم قوةٌ، وإذا كانوا فِي الآخرة رُكِّبوا تركيبًا آخر، ورزقوا قوًى باقيةً.

ومذهب مالك: لم يُرَ فِي الدنيا؛ لأنه باقٍ، ولا يُرى الباقي بالفاني.

والأقـــوال فِي هَذَا المعنى لا تنحصر، ولسنا بصدد هَذَا، وموسى عليه السلام بينه وبين نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ مؤاخاةٌ فِي الإسراء باتِّفاق، فشفقته ورحمته ومراجعته فِي الصلاة، وقوله: أمتك

(١) ذكره الأصبهاني في دلائل النبوة (١/١٦٥).

لا يطيقون ذَلِك، وأخبره بما كان لـه مع بني إسرائيل، وما لاقاه منهم، وأن أمته قومٌ ضِعافٌ، إِلَى غير ذَلِك ما فِي التوراة: من تفصيل فضله، وبيان حكمه.

وقال كعب: رأيت فِي التوراة ألفًا ومائتين محلٍ فِيها ذكر مُحَمَّد ﷺ بالعبرانية، وأربعمائة كادت تكون عربيةً، وفِي التوراة ذكره بالعربية، قاله ابن فارس، معناه: مُحَمَّدٌ ﷺ آخر الأنبياء ختم الله تبارك وتعالى به الرسل، أوَّلهم خلقةً، استخاره الله تبارك وتعالى وجيهًا، ونبيًّا، وحبيبًا، جمعت لـه الفضائل، فاز من واخاه وعقد لـه، فأشهد موسى عليه السلام بني إسرائيل بأخوته، وسأل الله تبارك وتعالى وزارته، فأعطاه ليلة الإسراء المراجعة، ذكر ذَلِك الحجري فِي «تحجيل أهل التوراة والإنجيل».

وقال: «أخي موسى» فِي أحاديث كثيرةً؛ فأخوة موسى عليه السلام ثابتةٌ بالكتاب والسنة، وفِي شهادته ﷺ لـه بقوله: «ما وَسِعَه إلا اتِّباعي[1]»، وقوله: «أخي موسى لـه عزم الكلام وقوة المراجعة[2]».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جزى الله تعالى موسى خيرًا فِي مراجعته وشفقته ورحمته.

وفِي كتاب «البِشَر بخير البشر»: موسى كليم الله، وزير النبوة، شاهد بالفضل، صاحب النصيحة، ونيل المراجعة، مقدام ملائكة السماء السابعة، وقال: قيدوم الملائكة، وفِي آخر لفظه مقدَّم فِي بني إسرائيل، ما جلس معهم إلا وذكر مُحَمَّدًا ﷺ، فهذه وسعة الاتِّباع الذي شهد بها الشارع بقوله: «ما وسعه إلا اتِّباعي».

وقال القاشاني: المؤمنون أخوةٌ، والنبيُّون أخوةٌ، وقرب موسى تقدمًا بنصيحته لمُحَمَّدٍ ﷺ وأمته من خصائص الأخوة والشفقة وبذل النصيحة، وأن أفضل الأنبياء أولو العزم الخمس، أوَّلهم: نوح عليه السلام، والثاني: إبراهيم عليه السلام، والثالث: موسى عليه السلام، والرابع: عيسى عليه السلام، والخامس: مُحَمَّد ﷺ، وهؤلاء الخمس من صلَّى عليهم فكأنما ذكر سائر النبيين بالتبعية؛ لما ورد: «إذا قالَ العبدُ فِي التَّشهُّد: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١/٢٠٠)، وذكره الآمدي في الإحكام (٤/١٥٤)، وابن حجر في الإصابة (٢/٢٩٩)، والمناوي في فيض القدير (٥/٥٨).

(٢) لم أقف عليه.

شهد لــه كل عبدٍ صالح، ودعا لــه[1]».

وهَذَا واضحٌ، وفِي هَذَا كفايةٌ لمن تأمَّله.

(وعلى روح الله الأمين) روح الله وكلمته نفخ فِيه من روحه، المراد بالروح الأمين: جبريل عليه السلام، جاء لأمِّه ببقية طينة آدم عليه السلام، فنسفها فِيها، فتحركت فِيها الشهوة الإنسانية، وكان السرُّ فِي هذه، ومعجزة عيسى عليه السلام من غير فحل فقط.

وقرَّر بعض أهل التفسير فِي تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩].

أقــوال العلماء كثيرةٌ، وأقرب ما قال بعضهم فِي تقريراته: آدم من غير أبٍ ولا أمٍّ، وعيسى من غير أبٍ، وهو من بقية طينة آدم عليهما السلام.

وقال السدي فِي تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]: الروح: جبريل عليه السلام، جاءها ببقية طينة آدم عليه السلام، فألقاها، فتحركت فِيها الشهوة، فآمنت، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: بآياته وقدرته.

وقال كعب: علمت مريم بحملها، فعلمت أن ذَلِك بإرادة الله تبارك وتعالى؛ لحكمةٍ؛ فآمنت، وصدَّقت، وكانت من القانتين، وهو خليفة نبيِّنا ﷺ وأمينه، ينــزل إِلَى الأرض، ويحكم بها، ويظهرها باتفاق العلماء، ولا يدع على الأرض شركاء ولا كافرًا.

قال القرطبي فِي «تذكرته»: عيسى بشرٌ سويٌّ، يأكل الطعام، ويمشي فِي الأسواق، روح الله تعــالى، آية الله تعالى، كلمته، هيبته الظاهرة، فهو الروح الأمين عليه وعلى نبيِّنا أفــضل الــصلاة والسلام، أظهر الله لــه تعالى الآيات: من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص والأجذم، وأقام الكسيح، وأظهر ألوان الصباغات من لونٍ واحدٍ، ما بلغ زهده أحدٌ من قَبْله، ما لبس خلا فِي رجله، ولا جلس تحت ظل حائطٍ، ولا اتَّخذ لــه مكانًا، كثير البكاء، زائد الحسرة، ما رأته الأبصار يومًا يضحك، كنَّاه النبيُّ بالأمين؛ لأمانته على شريعته.

قلــت: لا يعترض على قول القرطبي (ما بلغ زهده أحدٌ من قَبْله) لعله أراد أنبياء بني

---

(١) تقدم تخريجه.

إسرائيل، أو أراد خِصِّيصةً انفرد بها على من قَبْله، وفِي تعديده هذه المسائل، فهذه مقاماتٌ عظيمةٌ.

وزاد بعضهم: فِي جنة الزهد، والورع، والخشية، والخشوع، ودوام البكاء، وعدم الاجتماع بالأنصار إلا فِي حاجةٍ، وبشارته نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وهيبته أشدُّ من هيبة الملوك، والتقشُّف، والحفاء، وأخبار المغَيَّبات، وما يدَّخرون، وما يأكلون، وما يتمُّ، وما يكون، وهذه الأشياء يطول شرحها.

وذكر ابن واصل فِي كتابه «خصائص الأنبياء»: عيسى الأمين على الشريعة المُحَمَّدِيَّة، وكيل النبيِّ فِي أحكامه، خليفته، يُدفن بجانبه.

وقال العلماء باتفاقهم: هو من أمَّته، متمسِّكٌ بشريعته، إذا حكم يستنبط أحكامًا من الكتاب والسنَّة، ويدع الخلاف وأقوال المجتهدين، ويُبقي قولاً واحدًا لا خلاف فِيه، فمن أجل ذَلك سمَّاه الله تبارك وتعالى أمينًا، كما كان نبيِّنا عند قبائل قريش يسمَّى بالأمين الصادق.

(وعلى عبدك ونبيِّك سليمان بن داود عليهما السلام) أعطاه الله تبارك وتعالى ملكًا عظيمًا، وحُكمه فِي الإنس والجن والوحش والطير، وعرَّفه جميع لغاتهم، ولم يشغله ذَلك عن عبادة الله ﷻ، كان غزير العلم، كثير الفهم، أعطاه الله تبارك وتعالى الحكم المعنوية وهو ابن سبع سنين، وقيل: عشر، وقيل: إحدى عشرة سنةً، وتولَّى المُلك وهو ابن ستة عشرة سنةً، وبلغ زهده ما بلغ، لم يُرَ إلا جائعًا باكيًا نادمًا حسرًا.

وقال القاشاني: كان داود عليه السلام يتعجب من أحكامه، ما ذُكر اسمه على شيءٍ إلا نما. وقال البوني: نقش خاتم سليمان عليه السلام: (الله العليُّ القاهر ربِّي مهلتحح القدوس الطاهر آل شلع يعوبيه بتكه بتكفال مطيعي لك يا آل هذه لقهر الأعداء إذا نقشت فِي طالع القمر)، ويكتب عليها: (سليمان بن داود)، سخَّر الله له الجنَّ والشياطين، وأعطاهم مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وسخَّر له الرياح، وملكها جبَّارٌ قهَّارٌ ذو البطش الشديد، قاهرُ كلِّ جبَّارٍ عنيدٌ، يعلم ما كان وما يكون، فافهم هذه؛ فإنها من الفوائد العظيمة.

(وعلى أبيه داود الذي ألنت له الحديد، وأعطيته صوتًا حسنًا، تقف الريح عند

سماعه، ويطرب لــه الجلمود[١]، ويقرأ في الجنَّة) وهو العبد الصائم القائم الأوَّاب، أهل البكاء والخشية وغير ذَلِك.

ومؤلف هذه الكيفية ذكر فِيها هؤلاء الأنبياء الستة: أربعة من أولي العزم، وهو: مُحَمَّد ﷺ، وإبــراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة، ولم يذكر نوحًا الطَّيْلا، وذكر سليمان وداود عليهما السلام، وكأنه تذكَّر دعاء نوح على قومه، وأن كل دعاء فِيه قطيعةٌ إذا قال: وعلى نوح الطَّيْلا فِي آخره، يستجيب الله تبارك وتعالى لمن جعل هَذَا دعاءه.

وقال الغزالي: نوح الطَّيْلا كثير الغيرة لله تبارك وتعالى، لا يُسأل به: أي لا يُذكر فِي أدعــية القهــر، ومعنى لا يسأل به: أي لا يذكر فِي آخر دعاء طُلب فِيه الرحمة والخير والشفاعة، وغير ذَلِك من أنواع المسائل، وإن كان آثر تحمُّله، وجاهد فِي قومه ألف سنةٍ إلا خمــسين عامًــا، وأول أولي العزم، وتقدمه، وما خصَّه الله تبارك وتعالى به من أنواع الكمالات، وأنه أوَّلُ مطلوبٍ فِي الآخرة قَبْل إبراهيم.

قــال الغزالي وابن سبعين والإمام الحجري وابن هشام فِي كتاب «التيجان» واتفاق الأئمــة: ليس هَذَا قدحٌ فِي حقِّه، وإنما هو النبيُّ الكامل الشديد الغيرة، يستجاب بذكره الطَّيْلا فِي أدعية القهر، ومحق الظالم، وردع الجاهل، وهلاك الطاغي، وما ناب ذَلِك؛ فافهم ذَلِك.

وهــؤلاء الستة عليهم الصلاة والسلام أهل الرحمة، بدأ بذكر نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لرحمته وشفقته وإجابة الدعاء بسببه، وثنَّى بالخليل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه أبو الأنبياء الثاني، وذكر موسى عليه الصلاة والسلام وأخوته وشفقته ومراجعته، وأن الله تبارك وتعالى جعله سببًا لِهَذَا الأجر العظيم، وذكر عيسى عليه الصلاة والسلام؛ لأنه الخليفة لـــه، وذكر داود؛ لأنــه يقرأ فِي الجنَّة، وعين أهل التوبة، وذكر سليمان عليهما السلام؛ لكون أن الله تبارك وتعالى أعطاه مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

(وعلى سائر الأنبياء) مائة وأربعةٌ وعشرون ألف نبيٍّ.

وقال بعضهم: لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى.

(والمرسلين) وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيًّا.

---

(١) الجلمود: الصخر.

باتفاق العلماء رضي الله تعالى عنهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المرسلين ثلاثمائةٌ وثلاثة عشر، وقيل: أربعة عشر.

(وعلى آلهم وصحبهم أجمعين) آل كل نبيٍّ كآل نبيِّنا ﷺ، وأصحابه كأصحاب نبيِّنا ﷺ.

وذكر أهل الأثر أن ذِكر أصحاب كل نبيٍّ وآله وأتباعه وحزبه وقومه كذكر النبيِّ وأتباعه وحزبه.

وذكر ذَلِك الإمام الحوفِي فِي كتاب «موارد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، وذكره ابن مطيع الكندي فِي «أصحاب الأنبياء».

ولسنا بصدد هَذَا.

(كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُون) من سائر ما خلقت وعلمت، سؤال تضرُّعٍ وابتهالٍ وتوسُّلٍ دائمًا أبدًا إِلَى يوم القيامة.

(وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الغَافِلُون) الغافلون من أهل الفتور والكسل.

وقال بعض العارفين: أهل الفترة ما بين عيسى عليه السلام ومُحَمَّدٍ ﷺ، لم يأتيهم نبيٌّ أرسل إليهم فتروا عن العبادة: أي غفلوا عنها، ولم يسألوا، ولم يبحثوا.

وقال بعضهم: الغفلة تعرف الشيء وتعرض عنه.

وقد قرَّرنا فِي الكتاب هَذَا كله، وسبب الغفلة الفتور، وهذه الكيفِية سببها لا يُحصى، وإن من لازم الصلاة على النبيِّ ﷺ بهذه الكيفِية أعطاه الله تبارك وتعالى ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولزمها بعض الإخوان، فحصل له ضيقٌ، وهو لا يقطعها، فلما كان الليل رأى جماعةً وعليهم هيبةٌ، وقد أرسلوا له واحدًا منهم، فلما وصل إليه، قال له: اخرج من السجن، فخرج لوقته، وقضى عنه ما كان بسببه، ولم يعترضه ربُّ الدَّين، ولم يعلم السبب غير ما قلنا، وما قرَّرناه.

الكيفِية الثلاثون

«اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عينِ العنايةِ» العين: هي المقدَّم فِي الأمور كلِّها، والعين هو الكبير المشار إليه، والعناية حقيقتها الإسعاف، وصفاتها الأخذ بيد المعون له.

ومراد القائل: هو عين من أعان على أعمال الخير.

وقال بعضهم: العناية علوُّ رتبته، ومن جهة النبي ﷺ مقامٌ لا يصل إليه غيره، والعناية الإلهية رتبته، توَّج الله تبارك وتعالى بها من أحبَّ؛ لنصرة دينه، وعينها مفردٌ بمقامٍ خصَّه الله تبارك وتعالى به.

(وزَيْنِ القيامة) الذي زيَّن الله تبارك وتعالى به مواطن القيامة، وهو أوَّل من يخرج من قبره ﷺ حَتَّى يأتي إِلَى ساق عرش ربِّه، فيزيِّن الله تبارك وتعالى به مواطن الأرض، وفِي الحشر فِي سجدة الشفاعة يزيِّن الله تبارك وتعالى به الموقف، يفرِّج الله تبارك وتعالى به عن أمته كربهم، ويزيل عنهم ما كانوا فِيه من شدة الهول، ويتلقَّى عنهم ما كابدوه من هول الموقف وزفرة النَّار، وهو يَردُّها بيده وصدره، ويقول لها: ارجعي ارجعي. فتقول: من هَذَا الذي زيَّن الله تبارك وتعالى به القيامة؟ فتنادى: هَذَا مُحَمَّدٌ المصطفى زين القيامة، فتردها الزبانية، وهذه نتيجةٌ ليست هي لأحدٍ غيره.

وفِي سجدة الشفاعة العظمى ينادي: أنا لها أنا لها، أنا النبيُّ لاحقًا، فتنادي الخلق: من هَذَا الذي أزال كربنا، وزيَّن جمعنا؟ فهو زين القيامة على كل حالٍ، ويسمعون النداء من العُلى: هَذَا مُحَمَّدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب، افتخرت به بنو هاشم، وزيَّن الله تبارك وتعالى به القيامة.

(وكَنْزِ الهدايةِ) الكنز الذي حوى سائر المعادن والذخائر والنفائس والجواهر واللآلئ، وكنز العلوم الذي حوى سائر العلوم والهداية، صنع الله تبارك وتعالى.

وقال بعضهم: الهداية سرٌّ معنويٌّ نورانيٌّ، أسكنه الله تبارك وتعالى فِي قلوب العارفين، ومن حيثيَّة الأنبياء سرٌّ يتعبَّد به ذَلِك النبي، والمراد بكنز الهداية: العلوم التي ورَّثها لأمته؛ لأن الأنبياء ما ورَّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما وراثتهم العلوم، فكأنه يقول: الهداية جميعها جاءت لـه وفِيه، وكل هدايةٍ عنه فهو كنزها ﷺ.

(وطراز الحلة) الطراز هو الدائر بالشيء.

ومؤلف هذه الكيفِية يشير بقوله هَذَا إِلَى أن النبوة حلَّةٌ توَّجه الله تبارك وتعالى بها وخصَّه، والطراز: الجامع للشيء.

ولأهل اللغة فِي هَذَا كلامٌ يطول شرحه، فهو طراز حلة النبوة المجموعة، وهو عين جمع الجمع، وقد انطوى تحت هذه الحلة جميع معلومات النبيين، وهو سياجٌ للجميع، دائرٌ بهم،

حاكم عليهم.

(وعروس المملكة) معناه: زيَّن الله تبارك وتعالى به السماوات وما فِيها والأرض وما فِيها، وتنوعت منه أنواع الجمالات، فحصل للحور منها ما حصل.

وقال القاشاني: عروس المملكة بما زيَّنه الله تبارك وتعالى به من أنواع العبادات وكيفيتها وأحكامها، وكما تبين لك فِي هَذَا أن العروس المزيَّن بأفخر ما يكون من أنواع الحلي والحلل، وهَذَا مثالٌ يفرق به فِيما بين مَنْ تزينت به سائر الأقطار والأمصار، والليل، والنهار، وتزينت به الجنان، والحور، والولدان، والملكوت، ففرَّق بين من تزينت به الأشياء، وبين من تزين بالأشياء، وكما قدَّمنا فِي طراز الحلة، أن الحلة تتزيَّن بطرازها، والنبوة تزيَّنت به؛ فهو نبيُّ سائر الأمور، عارف بما كان منها وما يكون، أطلعه الله تبارك وتعالى على خفايا الأسرار، وزيَّن به سائر الأعصار، ولا مثيل له فِي سائر البشر فِي المقام، ولا أحد أعلم منه بخفايا الأحكام، اصطفاه الله تعالى بالحكم والحكمة، ورضي له الإسلام، وأتمَّ عليه النعمة، فمضينا لمن هَذَا قسمه.

(ولسانِ الحجَّة) فِي جميع الكتب المنزَّلة؛ فهو حُجة الله تبارك وتعالى على سائر المخلوقات، اندرج كل شيءٍ فِي فضله، خُلُقُه القرآن العظيم، حُجَّة المتكلِّمين فِي مدار الأزمنة، ولسان حجَّة المقام العلوي والسفلي.

وقد كرَّر بعض العلماء أن الحجَّة من حيثية الدين قوة تمكين العبد فِيما أقامه فِيه، وتعريفها: ذكر الشيء المنعوت به، المتَّصف على ما قرَّر.

قال بعض العلماء: الحجَّة المعرفة القائمة بكيفِية العلوم الإلهية: من وهبيٍّ، وكسبيٍّ، وهَذَا أحسن ما قال أهل التفسير.

وقال التيفاشي: الحجَّة القاطعة لجميع المخلوقات ما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فهو قائمٌ بسائر ما قامت به العباد والزهَّاد والملائكة وغيرهم: من سائر الوظائف؛ اطِّلاعًا من الله تبارك وتعالى.

وقال الإمام المنذري: جميع أعمال العباد اندرجت فِي عمله، فما هيأ الله تبارك وتعالى لعبدٍ سببًا من أسباب السعادة إلا وهو منه مأخوذٌ، وله فِيه أجرٌ، فهو لسان الحجَّة ﷺ.

(وشفيع الأمة المُحَمَّدِيَّة) قال بعضهم: المراد بالأمة أهل الطاعة؛ فإن سائر الأمم

تدخل فِي شفاعته ﷺ، وله شفاعاتٌ كثيرةٌ تَقدَّم ذكرها.

وقال قتادة: ما من نبيٍّ ولا وليٍّ إلا وهو شفيعه.

وقد ألَّف بعضهم مؤلفًا سَمَّاه «التوسُّلات النبويَّة والشفاعات» ذكر فِيها الشفاعات المخصوصة، ونبَّه على الشفِيع والشافع والمشفَّع، وذكر كلامًا يطول شرحه، دقَّق فِي وصف هَذَا النبيِّ الكريم والرسول العظيم بكل معنًى غريبٍ، وأفاد، وأجاد رضا الله تبارك وتعالى.

(إمامِ الحضرة) بما ينــزل على قلبه من المشاهدة.

وقال بعضهم: إمام الحضرة: أي ما ثَمَّ أقرب منه متقدِّمٌ للحضرة، ولا أحدٌ يتقدَّم عليه، فهو إمام الحضرة فِي سائر توجهاته، والمراد بالإمام: المعلم؛ فهو معلم الخير.

وقال آخرون: الإمام مرشدٌ لجميع الأحكام.

وقال الحافظ: الإمام السلطان العادل.

وقيل: الإمام الذي تولَّى أمور المسلمين، والإمام ملك الإسلام المتصرف فِيهم بالأحكام.

وقال الحافظ: الإمام وارث الخلافة المُحَمَّديَّة والصدِّيقيَّة والعُمَريَّة، وما كان على غير هَذَا غير عمر بن عبد العزيز رضي الله تبارك وتعالى عنه بعد الخلفاء.

وقال الحصيني فِي كتابه «قمع النفوس»: لا ينسب أحدٌ بعد عمر بن عبد العزيز للقيام بأحكام الخلافة السراجيَّة العمريَّة.

وقال السراج البلقيني: الإمام المتجرِّد عن الكون، المتلفِّت لمصالح العباد.

(ونبيِّ الرحمة) رفع الله تبارك وتعالى عن أمته العذاب، وأرسله رحمةً للعالمين، ولم يجعل على أمته شدة ولا ضيقًا، ورفع عنهم المسخ وما كان على الأمم السابقة لأجله، وجعل لهم النعيم الزائد؛ فهو نبيُّ الرحمة، وكاشف الغُمَّة، والمراد بذَلِك كل غمٍّ يكشفه الله تبارك وتعالى ببركته ﷺ.

(وسراجِ الظُّلمةِ) الذي أضاء به النور، ومحا به ظُلمة الشرك، فهو سراجٌ مضيءٌ، أضاء به كل مصباحٍ، ومحا به كل ظلمةٍ.

(وشمسِ الشريعةِ) القائم بما شَرَعَ الله تبارك وتعالى له ما شرع لأنبيائه بقوله تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ

وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى:١٣] وما وصَّى به النبيين، وشرعه لنا يجب علينا القيام به، والشريعة أمـرٌ أمـرنا الله تبارك وتعالى بالقيام به، فأجبناه امتثالاً لقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، كمـا وصَّانا ﷺ بقوله: «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ؛ قَالُوا: سَمِعْنَا وعَصَيْنَا، ولَكِنْ قُولُوا: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا[1]».

فأهـل فرقة الإجابة أجابوا سامعين مطيعين مسلمين مُسلِّمين لـه بالقبول؛ فلأجل ذَلِك تقبَّل الله تبارك وتعالى منهم، وفضَّلهم بينهم، وجعل مِلَّتهم سمحاء لا ضرر فِيها ولا ضرار.

والـشريعة: أوامر صدرت بأحكام نبَّه الله تبارك وتعالى لها من وافقه ﷺ؛ فهو شمس الشريعة القائم بالأحكام.

(وعـينِ الحقـيقة) جامع هذه الكيفية عفا الله تبارك وتعالى عنه جمع المعاني الدقيقة بقوله: (شمس الشريعة)، شبَّه الشريعة بالشمس الظاهرة لجميع الناس، لا تخفي عمَّ نفعها، ولمـا رأى الشريعة ظاهرةً وأحكامها باهرةً وأنها أظهرت ما خفِي وأن العامل بها الممتثل أوامـرها كالشمس المضيئة والعامل بها لا يكون إلا كالمرآة الكاشفة لجميع الأشياء فإذا تَجَوْهَـر صار كعين الشمس فِي عدم المقابلة، ومن تأمَّل هَذَا المعنى بذوقه حَسُنَ اتِّباعه، ولله تبارك وتعالى درُّ البوصيري؛ لقوله فِي قصيدته هَذَا الشاهد:

كالـشَّمْسِ تَظهرُ للعينينِ مِنْ بَعدِ ... صَـغيرةٍ وتَكِـلُ الطـرفَ مِنْ أممِ

وهذه نادرةٌ لمن تأمَّل المعاني، وفهم بالذوق والمعرفة الشريعة المُحَمَّدية.

(وسِعَتِها) وسعة أحكامها، ومفهوم علمائها الذين هم كالشمس فِي الجمع، وكالقمر فِي الفرق، وكالنجوم فِي الصفة، وكالأزهار فِي التنوعات، تتعطر بهم المجالس، يعبق منهم الطيب والمسك فِي الشمِّ، والذوق فِي الأطعمة.

وإذا تأمَّلت هذه المعاني عرفت الإشارة بما أفهمك الله تبارك وتعالى، وفِي هَذَا كفايةٌ لمن تأمَّل.

وأمـا (عـين الحقيقة) معناه: الحقيقة علمٌ بطُن حكمه ودقَّ معناه، فخفِي على غير

---

(١) رواه مسلم (١/١١٥)، وأحمد (٢/٤١٢)، وابن حبان في الصحيح (١/٣٥٠)، وأبو عوانة في مسنده (١/٧٦).

الذكـــيِّ فهمه، وانطوى فِي صدور العارفين علمه وحكمه، وأهل هَذَا الشأن لا يتلذذون بإخوانٍ ولا مكانٍ.

وقال بعضهم: الحقيقة غيبٌ تحقَّق به العارف.

وقال ابن عباس: أفاد ﷺ علم الظاهر لجميع أصحابه، ثم أودع عليًّا ما ورِثَه من كل معنًـــى يدقُّ على غيره، فانجلت لـــه الوجود فِي إحدى وعشرين سنةً من عمره، حَتَّى شُدَّت إليه الرحال فِي طلب هَذَا العلم؛ فالحقيقة موضوعةٌ فيه، وعينها النبيُّ ﷺ.

وقـــال صاحب «الشفا»: الحقيقة ما تحققت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو عين حقيقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعين الشيء رئيسه؛ فهو رائس الأنبياء عليهم الـــصلاة والـــسلام، ومقدَّمهم، وملك الجميع، والعين هو السلطان القاهر، والحليم عين الحلـــم، والحكيم عين الحكمة، إِلَى غير ذَلِك مِمَّا اصطفاه الله تبارك وتعالى به، وخصَّه؛ فهو سيِّد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمرسلين.

(سَـــيِّدِنَا مُحَمَّـــدٍ، الـــذي اصطفيته بالسيادة، وجعلته عين أهل السعادة، وقلَّدته النـــصر، وتوَّجته به، وجعلت جميع ما خلقت تبعًا لـــه بأمرك، وقرنت اسمه باسمك، واختـــرت لـــه الرسالة العظمى، والشفاعة الكبرى، وآيات الدنيا والآخرة، وسَمِيِّ آدم الصفي، بديع فطرتك، وخطيب ملائكتك، وتاج حضرتك، الذي علَّمته الأسماء، وجعلـــت لـــه الآية العظمى، وعلَّمته سائر ما كان بين الملائكة، فأعلمهم بما علَّمته) وقـــدَّمت ذكـــر آدم عليه السلام فِي هذه الكيفية لأبوته، وكنَّاه بأبي البشر؛ رجاءً بالبشَر؛ فلا خوف على من ذكر هذه الكيفية؛ لما يلقى من البشارات من أبيه آدم عليه السلام؛ لأنه الواقف على الصراط، المتلقِّي أولاده، ويعرف أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحدًا واحدًا، وقد قدَّمنا ذَلِك فِي الأحاديث فِي حديث الشفاعة: «ينادِي: يا أحمدُ، رَجُلٌ مِنْ أمَّتك فِي كَربِ الحساب».

وفِي حديثٍ: «اختَطَفَتْهُ الزَّبانية»، وفِي حديثٍ: «أَغِثْ فُلانًا مِنْ أُمَّتِكَ»، فكأنه عالِمٌ بهـــم، متأدِّبٌ مع صاحب الوقت والشفاعة، لعلمه بفضله وما خصَّه الله تبارك وتعالى به، وقد ذكر آدم أباه؛ لأن الطور البشري يألف ذكر آبائه وأسلافه.

وورد أن: من ذكر أباه آدم عليه السلام بذكرٍ حسنٍ كان آمنًا فِي الدارين.

وكان بعض السادة يقول: جزى الله أبانا آدم عنَّا خيرًا.

وأخبرني الشيخ شمس الدين ولد الشيخ حسن خليفة الشيخ دمرداش عن والده: أن أبانا آدم عليه السلام تلقاه، وألحده، فتحققت أن الشيخ كان يذكر أبانا آدم عليه السلام في ورده.

وكان التيفاشي يصلي على النبي ﷺ بهذه الكيفية، فلقيه آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى صلوات الله عليهم أجمعين وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، هؤلاء التسعة، فآدم عليه السلام أبو البشر، ونوح عليه السلام أوَّل أولي العزم، وإبراهيم عليه السلام الثاني، وموسى عليه السلام الثالث، وعيسى عليه السلام الرابع، وسليمان، وداود عليهما السلام، عمران البيت المقدَّس، وأنه المقدَّم بقراءة الزبور في الجنَّة، وصوته يطرب الجلمود، وهو عين الخاشعين الباكين، صوته يطرب الجماد، ويوقف الطير، وسليمان له الملك، واسم الله الأعظم الذي خصَّه الله تبارك وتعالى به، ويحيى وزكريا عليهما السلام أعيان الشهداء، والذاكر لهؤلاء لا خوف عليه في البرزخ والموقف وعند الصراط، وإذا ذكر سيِّدنا مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والسلام بالسيادة وآدم عليه السلام بالأبوة وجب عليه أن يذكر أوَّل أولي العزم النبيَّ الشكور بقوله:

(وعلى نوح النبي الصادق الصابر) جاهدَ في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، بدليل القرآن العظيم، ما نَفَرَ منهم، وصبرَ، واحتسب؛ فسمَّاه الله تبارك وتعالى عبدًا شكورًا نبيًّا صبورًا.

ولهذا قال ابن جماعة في «آدابه»: من أشرف على شدةٍ أو غرق وقال: (صلى الله وسلم على نوح، أوَّل الصابرين الذي جاهد في دينك، وأمر بما أمرته، وأخلص سريرته، فنجَّيته، اللَّهُمَّ نجِّني كما نجَّيته، والطفْ بي كما لطفت به، واجعلني مع من آمن بأنبيائك؛ لأنك على كل شيءٍ قديرٌ، وصلَّى الله على سيِّدنا وحبيبنا مُحَمَّد، خير خيرتك، وعين حضرتك، وعروس مملكتك، وخاصِّ خواصِّ رسلك، كُلَّما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون) نَجَّاه الله تبارك وتعالى، وكشف عنه كل هولٍ.

قال الماورديُّ: وهي من المجرَّبات لدفع الشدائد.

ومؤلف هذه الكيفية لما ذكر النبي ﷺ بالسيادة وآدم عليه السلام بالأبوة وذكر نوح عليه السلام أوَّل أولي العزم ألحقه بذكر أبيه بقوله:

(وإبراهيمَ الخليلَ الذي أمرتنا بذكره، واخترتَ له دينَ الإسلام، وأيَّدته بالصُّحُفِ، وأمرته بإقراء الضيف، وسَمَّيْتَه أبَانَا) فنوح الأب الأول من أولي العزم،

وإبراهيم الأب الثاني.

قال العلامة البغدادي فِي كتابه «شرف الأنبياء» فِي الباب الرابع فِي خصائص أولي العزم: مَنْ صلَّى على النبيِّ ﷺ وذكر أباه إبراهيم معه أرواه الله تبارك وتعالى يوم العطش الأكبر.

وفائدة ذَلِك أن سَيِّدَنَا إبراهيم متولِّي أمر هذه الأمة، ومربِّي أطفال المسلمين فِي البرزخ، ويقف عند زبزوب الكوثر عند الحوض، ويتلقَّى أهل الصلاة على النبيِّ ﷺ؛ لأنه مذكورٌ معه، وله الدعوات المجابة فِي الدنيا والآخرة، وفضله لا ينحصر، ووعده الله تبارك وتعالى لا يخزيه فِي سائر ما يريد، وقد بشَّرنا بالجنَّة، وأنها قيعانٌ، وبنى بيت الله الحرام.

وله مواطن كثيرةٌ منها: أنه أبو العرب، وانتساب العرب جميعها من ولده إسماعيل، وأبو الأنبياء، وبنو إسرائيل من ولده إسحاق، وخصَّه الله تبارك وتعالى بالخلَّة وغير ذَلِك من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه.

وصفة الصلاة عليه: (اللَّهُمَّ صَلِّ على تاج النبوَّة، وعينها، وعروس المملكة، وزينها، وإمام الحضرة، ومقدامها، وعلى أبيه إبراهيم الخليل، الذي اخترت له الخلَّة، وجزلت له النعمة، وجعلته عين أهل الرحمة، من جاهد أشقى الأشقياء نمرود الفراعنة، وخاطبه، وولَّى عنه، اللَّهُمَّ اجزلْ له العطاء فِي دار كرامتك، وأيِّده برحمتك، واجعلْنا من حزب الله الذين اتبعوه، يا الله، يا الله، يا ذا الجلال والإكرام).

ولما ذكر إبراهيم الخليل وما خصَّه الله تبارك وتعالى به من الفضل قال:

(وعلى أخيه موسى الكليم) جامع هذه الكيفية من أهل العلم والفضل عفا الله تبارك وتعالى عنه؛ انظر كيف قدَّم ذكر النبيِّ ﷺ؛ لأنه أول الأنبياء خلقةً، وألحقه بذكر آدم عليه السلام؛ لأنه أوَّل البشر، وأتبعه بنوح عليه السلام أوَّل أولي العزم، وهو أوَّل من تطلب منه الشفاعة بعد آدم عليه السلام، وأتى بعده بذكر إبراهيم عليه السلام، وذكره بالنبوة، ثم إنه لما ذكر أباه وعلمنا أنهم المقدَّمون فِي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أتى بذكر خلفائه، فبدأ بذكر أخيه موسى عليه السلام؛ لقوله ﷺ «لَوْ عَاشَ أخِي مُوسَى مَا وَسِعَه إلا اتِّباعِي[1]»، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليه التوراة فِيها ذُكر النبي ﷺ فِي أربعين محلاً، وأوحى إليه بذكر فضله ما قدمنا

(١) تقدم تخريجه.

ذكره فِي الأحاديث السابقة، ثم ذكر الخليفة من بعده والحاكم بشريعته بقوله:

(وعلى روح الله الأمين) ذكره بالأمانة بدقيقةٍ، فَفهِمَها العلماء أن النبي ﷺ كان يُسمَّى فِي بدء أمره أمينًا.

قال قتادة: لُقِّب بالأمين وهو ابن سبع سنين، وكانوا يسمُّونه الصادق الأمين فِي إحدى عشرة سنةً، وكذَلك عيسى عليه السلام لُقِّب بالأمين، وذكره الله تبارك وتعالى بالأمانة، وذكره بالصدق والنبوة منةً منه.

وقال القرطبي: يحكم فِي الأرض، ويُدفن بجانب النبيِّ ﷺ، ويحكم بشريعته، ويبطل الخلاف؛ فلا يقلِّد غير الكتاب والسنة، وفِي تسميته روح الله تعالى تشريفًا له؛ لأنه روح الله تعالى وكلمته.

وقال مؤلف هذه الكيفية: جمعت ذكر أولي العزم من الرسل فِي هذه الكيفية، فبدأت بذكر نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وختمت بذكر نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، ثم ذكرت فِي بني إسرائيل أغزرهم فهمًا وأكثرهم علمًا الذي فهم المسائل وحكم بني إسرائيل داود عليه السلام.

وحاصل ذَلك: أن الصلاة على النبيِّ ﷺ إذا أضيف إليها ذكر هؤلاء الأنبياء جمع الله تبارك وتعالى لذكراهم كلَّ الخيرات، وربما وهبه من أنواع توسُّلاتهم، وخصَّه بموارد أنفاسهم، وفضل الله تبارك وتعالى لا يُحصى، ونحن نسأل الله تبارك وتعالى بفضل داود النبيِّ وما فِي زبوره وبكائه واجتهاده وتضرُّعه ومقاصده وما أجزل الله تبارك وتعالى له من العطاء ألا يخيِّبنا فِيما أملنا، وينجز لنا ما وعدنا، والذي ألان الحديد لداود وسخَّر لولده سليمان الإنس والجن والطير والوحش أن يصلِّي على نبيه مُحَمَّدٍ المصطفى، ويجعل لنا فِي الصلاة عليه نصيبًا وأجرًا؛ إنه على ما يشاء قديرٌ.

قال ابن رجب فِي «الوظائف»: من صلَّى على النبيِّ ﷺ وجمع ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه بعلم وقاس من أثبتهم بتدقيق مواقف الكتاب والسنة أعطاه الله تبارك وتعالى من الحسنات بعدد أتباع من ذكره.

وهَذَا مقرَّرٌ واضح البيان؛ فإن شرف داود وسليمان وزكريا ظاهرٌ بالكتاب والسنَّة، وإن زكريا لما رزقه الله تبارك وتعالى يحيى لم يكن له سميًّا فِي الأنبياء من قَبْل، وقد سمَّاه الله تبارك وتعالى بحياته وحياة فكره، وشهد الله تبارك وتعالى له بالفضل والسموِّ

والارتقــاء والصدق، وغير ذَلك مما خصَّه الله تبارك وتعالى به، وفِي موارد الأنبياء ناجاه الله تــبارك وتعالى: يا يحيى عَمِّر فكرك بذكري ولسانك بتوحيدي ويمينك بكرمي تَعِشْ ســليمًا، يا يحيى إذا سألتني فسألني بحبيبي أجيبك، وتكون عندي مقرَّبًا؛ فإنِّي ما خلقت خلقًا أقرب إليَّ منه.

فجزى الله تعالى جامع هذه الكيفِية خيرًا لما ذكر هؤلاء الأنبياء، قال:

(وعلــى ســائر الأنبياء والمرسلين) جمع ذكر الأنبياء عليهم السلام المرسلين وغير المرسلين.

ثم قال: (والمرسلين) أعني من جميع الأنبياء.

ثم أتبع ذَلك بقوله:

(وعلــى آلهــم وصــحبهم أجمعــين، كُلَّمَا ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الذاكــرون) هذه الكيفِية رحم الله تعالى جامعها؛ جمعت سائر المعاني، جرَّبها الصالحون لدفــع أكابــر الشدائد وإغاثة الملهوف وردع الباغي، وعدَّ بعضهم لها فوائد كثيرةً: من النــصر علــى الأعداء، وكفاية المصلِّي عليه شرَّ ما يخشاه، والقبول فِي سائر ما يتوجَّه، ومحبة الناس، والأُلفة، وغير ذَلك مما لا يُحصى، ولولا خوف الإطالة والملل لذكرت لك من فوائد هذه الكيفِية ما لا يُمِلّ.

وقد حذفت ذكر أسماء أصحاب هذه الكيفِيات؛ لتعددهم واختلاف أقوالهم وأسمائهم، ومــا ذَلِــك عن ملل، وإنما هو لطلب الرغبة؛ لطلب إخواني الذاكرين المحبِّين لجمع هذه الكيفِيات، الراغبين فِي الصلاة عليه، زاده الله تعالى شرفًا وكرمًا لديه، وجعلنا من حزبه، وحشرنا مع أصحابه بفضله ومَنِّه؛ إنَّه على ما يشاء قديرٌ.

الكيفِية الحادية والثلاثون

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ أفْضَلَ صلواتك أبدًا»

هذه الكيفِية منسوبةٌ لجماعةٍ من العارفين الأكابر.

قال بعضهم: السهيلي.

وقال بعضهم: الغزالي.

وأقوال العلماء فِي هذه الكيفِية كثيرةٌ، والراجح عند العلماء أنها للإمام الغزالي، ولم أرَ

نقلاً أعتمد عليه، ولله تبارك وتعالى درُّ جامع هذه المعاني، عفا الله تعالى عنه؛ فإن كل كلمةٍ منها لو جُمع معناها في مجلدٍ كان ذَلِك قليلاً؛ لما فيها من الفضائل والوسائل، وجلب الخير، وزيادة البركات، والنمو، والفضل، وذكر المقام اللائق به ﷺ، وما لازمها مديونٌ إلا قضى الله تبارك وتعالى دَينه، ولا مُعسرًا إلا فرَّج الله تعالى عليه، ولا طالب نصرةٍ إلا نصره الله تبارك وتعالى، وهي لقهر الأعداء، وزوال الردى، ولوجع الأسنان، وللأرق، والقلق.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي عفا الله تعالى عنه: أن الشيخ نور الدين الشوني عفا الله تعالى عنه قال لـه: يا عبد الوهاب، ما وجدت في سائر الأعمال أكثر ثوابًا من هذه الصلاة: أعني هذه الكيفية، ورأيت بخطِّه: إنني ميَّزت سائر كيفيات الصلاة على النبيِّ ﷺ فلم أرَ فيها أبلغ من هذه الصلاة، ولا أكثر معانيَ.

وقال ابن شريف عفا الله تعالى عنه: ما ثَمَّ أغزر علمًا من مؤلف هذه الكيفية، وإنها جمعت ذكر سائر العلوم وسائر الثواب، وانحصرت فيها أعمال الخير، وذكر مؤلفها أنه ذكر فيها العوالم جميعها، وما فيها، وما بينهما، والبرازخ.

وقال البهنسي لإخوانه وأصحابه: عليكم بها؛ فإنها تهدم الذنوب هدمًا.

وكان شيخنا أبو الحسن يقول لنا: أَودُّ أن ألقى الله تبارك وتعالى بثواب صلاةٍ واحدةٍ مقبولةٍ، وكان لما يذكر النبي ﷺ بِهَذَا النعت يبكي، ويقول: اللَّهُمَّ إنَّا نرجو القبول منك.

والأمر كذَلِك فإن الصلاة الواحدة المقبولة لا ضبط لثوابها.

(خاصِّ خواصِّ البشر) جاءت به البشر، أعطاه الله تبارك وتعالى الثناء، وهو الجمال، ومدحه بتعداد المحاسن بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقرأ بعضهم بفتح الفاء، والجمهور بضمِّها.

وقال بعضهم في التفسير: من أنفسهم يعرفونه، ويتحققون مكانه، ويعلمون صدقه وأمانته، فلا يتهمونه بالكذب، وترك النصيحة لهم؛ لكونه منهم مِنْ أشرفهم نسبًا، وأرفعهم، وأفضلهم، فضَّله الله تبارك وتعالى على سائر مخلوقاته، وجعل فضله وفضل ما أنزله عليه كفضله، قرن اسمه باسمه، جعل ذكره باقيًا، فَذِكرُهُ أفضل الأذكار، وكتابه أفضل الكتب، وكلامه أفضل الكلام، فرحم الله تعالى مؤلف هذه الكيفية؛ توسَّل إِلَى الله تعالى

بقوله:

(اللَّهُمَّ أَعْطِ من قرنت اسمه باسمك أفضل صلواتك التي صلَّيتها على النبيين جميعًا قَبْل خلق مخلوقاتك)، وقد قرَّرنا: (فوق ما مرَّ، وما وهبته لأنبيائك من المواهب اللدنيَّة، ومنحتهم به من الفضل، أبد الآبدين، قَبْل قَبْل القَبْل، ودهر الداهرين إِلَى يوم البعث والنشور، وأنمى بركاتك سرمدًا: يعني أزيد بركاتك القديمة السرمدية الأزليَّة التي لا يعلمها غيرك لأجلِّ الحامدين وأكثرهم حمدًا، ومعه لواء الحمد فِي القيامة) يفتح به كمال الحمد، ويقوم المقام المحمود الذي يحمده فِيه الأولون والآخرون، ويفتح عليه من المحامد فِيه كما قال: (ما لَم يُعطَ غيره).

فهذه الخصائص من بركاته، والبركات خصائص تشمل العبد تنوعاتها، ولأجل هَذَا خُصَّت الصلاة عليه بذكر الرحمة والبركات، وإذا تمت عنده البركات وربَّاها الله ﷻ وزكَّاها بلغت ما لا نهاية لـه فِي حصرٍ ولا ضبطٍ؛ فبركاته السرمدية محيطةٌ بنا فِي مسقط رؤوسنا إِلَى اندراجنا، إِلَى بعثنا، إِلَى حشرنا، إِلَى جوازنا الصراط، إِلَى دخولنا الجنَّة، وهي معنا فِي الجنَّة، وعدَّ بعضهم ذَلِك فِي مؤلفٍ سمَّاه «البركات الشاملة فِي خصائص بركاته الحاصلة الواصلة».

وهذه مقاماتٌ ما حازها غيره، وإشاراتها لم تقرر لمثله، عمَّرَ الله تعالى به الوجود، وجعل الله تبارك وتعالى أمته خير أمةٍ فِي الشهود، فنعم الشاهد والمشهود! وصلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله، وصحبه، وتابعيه، وحزبه.

(وأزكى تحيَّاتك فضلاً وعددًا)

قال بعضهم: زكا الشيء: زاد ونما.

وقال بعضهم: لا فرق بين زكا ونما، كما قالوا فِي الفعل والعمل.

والفرق عند أهل التحقيق ظاهرٌ فِي كتب التفسير.

وقال الحريري: زكا: أي علا قدره.

ولأهل اللغة كلامٌ ليس نحن بصدده، أزكى التحيات المقبولة عند الله تعالى وتبارك لا يُحصى فضلها وعددها، والعمل إذا زكي ورباه الله تبارك وتعالى جعل الله تبارك وتعالى كل حرفٍ منه قدر جبل أُحد.

وفِي كلام الإعرابي لـه: يا رسول الله ما أزكى التحية؟ قال: «رحمة الله وبركاته».

وقال آخر: أزكى التحية: السلام، والسلام هو الأمن، وإذا أربى الله تبارك وتعالى لعبده عملاً صالحًا جعله سببًا لنجاته.

(على أشرف الخلائق الإنسانية) أشرف الخلائق الإنسانية: نسبًا، وصهرًا، وحسبًا، ليس فِي آبائه من لدن آدم سِفاحٍ[1]؛ بل كل من نكاحٍ.

وقال ابن الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أمٍّ، فما وجدت فِيهن سِفاحًا ولا شيئًا فِيما كانت عليه الجاهلية، فأي شرفٍ أعلى من هَذَا.

وعن ابن عباس فِي شرف المصطفى: فِي تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٩]: قال من نبيٍّ إِلَى نبيٍّ حَتَّى أخرجتك نبيًّا، وجعلت لك الشرف الأعلى، وفضَّلتُك على خلقي.

وفِي «فضل الشرفين» للسمهودي:

اختار الله تبارك وتعالى شرف مُحَمَّدٍ ﷺ، وتوَّجه بكل كمالٍ، وما من عبدٍ عليه تعظيمًا له وتشريفًا إلا كفاه الله تبارك وتعالى شرَّ الهمِّ والحزن، وسائر ما يخشاه، وكُتب عند الله تبارك وتعالى من الفائزين.

وقال أشرف الخلائق الإنسانية: «ما من عبدٍ تحقَّقَ شرفَه إلا وهو عاجزٌ عن نعتِ شرفِه ﷺ[2]».

تنبيه

علم الله تبارك وتعالى عجز خلقه عن طاعته فعرَّفهم ذَلِك؛ لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفوَّ من خدمته، فأقام بينهم وبينه مخلوقًا من جنسهم فِي الصورة، ألبسه من نعته الرأفة، والرحمة، وأخرجه إِلَى الخلق سفيرًا سابقًا، وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته، فقال تبارك وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال أبو بكر بن طاهر: زيَّن الله تبارك وتعالى مُحَمَّدًا بزينة الرحمة، فكان كونه

(١) السفاح: الزنى.

(٢) لم أقف عليه.

رحمةً، وجميع صفاته وشمائله رحمةٌ على الخلق، فمن أصابه شيءٌ من رحمته فهو الناجي فِي الدارين من كل مكروهٍ، والواصل فِيهما إِلَى كل محبوبٍ فِي حياته ومماته.

كما قال ﷺ: ((حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، ومَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ[١])).

وكما قال: ((إِذَا أَرادَ الله تبارَكَ وتعالى رحمةً بأمَّةٍ قبضَ نبيَّها قَبْلها، فجعلَهُ لها فرطًا وسلفًا[٢])).

وكما قال ﷺ: ((شَرَفُ أُمَّتِي بِي؛ فِبي يتشرَّفُون، وهُمْ خيرُ أمَّةً أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ[٣]))؛ فهو أشرف الخلائق الإنسانية بدليل الكتاب والسنَّة، ومجمع الحقائق الإيمانية التي لا تلبُّس فِيها.

وقال بعض العارفين: حقيقة الشيء معرفة أصل حقيقته، وكل من تلبَّس بحقيقةٍ من غير أصلٍ فدعواه باطلةٌ.

ولأجـــل هَـــذَا قال العارفون: (من ابتدع حقيقتنا ليس مِنَّا) معناه: أن ليس لنا تلبُّسٌ نتلـــبَّس به، وإذا جمعت حقيقة وحقيقة وحقيقة فهي حقائق، وجمعهنَّ تحققات، واثنان حقيقتان، وقيل تحققات للمتحقق، وجمعهن تحقيقات، وعلى كل حالٍ الواحدة: حقيقة، وهي حُكْمٌ بَطُن أمره، وجمعها سر ستر جمع الجمع، وقد أحسن من قال.

تنبيه

ســـر جمـــع الجمع لما انتشر عُمر الندمان، وملأ الساقي، وقد صحَّ الخبر: (يا حُداة الحان).

تنبيه

قـــال بعض العلماء: الحقائق الإيمانية جمعها الدين والإخلاص، وهي شرط العبادة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، والإيمان نورٌ، وحقيقة اتِّباع الأوامر

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٧٦/٣)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤٠٠/٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٤٤٢/١)، والذهبي في الميزان (٤٣٩/٢)، وابن حجر في لسان الميزان (٣٩٥/٢).

(٢) رواه مسلم (١٧٩١/٤)، والبزار في مسنده (١٥٤/٨)، وابن عدي في الكامل (٦٣/٢).

(٣) لم أقف عليه.

التي تتعلق بالإيمان.

وقال بعضهم: حقيقة الإيمان رحمة الله تبارك وتعالى، ورحمة الله تبارك وتعالى هو ﷺ، وقد حقق إليه كل أمرٍ أمرَ به، وأُمر به، فالحقائق الإيمانية للمؤمن رحمةٌ بالهداية، ورحمةٌ للمنافق بالإيمان من القتل.

قال ابن عباس: رحمةٌ للمؤمنين والكافرين؛ إذ عرفوا به مما أصاب غيرهم من الأمم الماضية المكذِّبة.

وفي الخبر: أن النبيَّ ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «هل أصابك من حقيقة ربِّي شيءٌ؟ قال: نعم، كنت أخشى العاقبة، فآمنتُ لثناء الله ﷻ بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١]، ولك البشارة جمعت فيك الحقائق الإيمانية».

فانظر يا أخي رحمك الله كيف سبك هَذَا العارف هذه الشجعات من كلام النبوة.

(وطور التجلِّيَّات الإحسانية) التجليَّات سرٌّ يدرك العبد ما يرى من إحسان سيره.

وقال بعضهم: التجلِّي كشفٌ ينظر به العبد كفراسته، المؤمن ينظر بنور الله تبارك وتعالى.

والحديث: «اتَّقُوا فِراسَةَ المؤمنِ؛ فإنَّه ينظرُ بِنُورِ الله ﷻ(١)».

وقال كعب بن جبير فِي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ [النور: ٣٥]، قال: المراد بالنور الثاني هَذَا نور مُحَمَّد ﷺ.

وقال قتادة: قوله تبارك وتعالى: (مَثَلُ نُورِهِۦ): أي نور مُحَمَّدٍ ﷺ.

قال سهل بن عبد الله: المعنى: الله هادي أهل السماوات والأرض، ثم قال: مثل نور مُحَمَّد؛ إذ كان مستودعًا فِي الأصلاب، (كَمِشْكَوٰة) وصفتها كذا، وأراد بـ(ٱلْمِصْبَاح) قلبه، و(ٱلزُّجَاجَة): صدره: أي كأنه كوكبٌ دريٌّ؛ لما فيه من الإيمان والحكمة، (يُوقَدُ مِن

(١) تقدم تخريجه.

﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: أي نور إبراهيم، وضرب المثل بالشجرة المباركة، وقوله تبارك وتعالى: (﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾): أي تكاد نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ تبين للناس قَبْل كلامه كهَذَا الزيت.

وقــد قيل فِي هذه الآية غير هَذَا، والطور صفة هيبةٍ، والتجلِّي من إحسان الله تبارك وتعالى.

ومعــنى هَذَا: كل طور لبس أمته فهو سِنُّه متجلٌّ به فِي كل حالٍ، داخلٌ فِي عمله، وقائــد الخير، وصاحب الخير، وكل إحسان منه صادرٌ، وبهاء الأسرار الرحمانيَّة من وحيٍ وغيره من التنــزُّلات الإلهيَّة، والفيض الذي يأخذ العبد، ولهَذَا قال: الأسرار الرحمانيَّة؛ لما فِيه من الرحمة والهداية والنُّور والتوفيق، وقد سمَّاه الله تبارك وتعالى نورًا وسراجًا منيرًا.

وفِي قوله تبارك وتعالى:﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]، وفِي هَذَا أن مهبط الوحي هو علامة تنــزُّلات الأسرار الإلهية.

وكــان ابن عباس يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك بما تنــزَّل من مهبط وحيك: من أسرارك الرحمانيَّة وصفاتك العليَّة أن تجعل لي أثرًا مع عبادك الصالحين.

وقال وهب: مهبط الأسرار الرحمانيَّة مكة المشرَّفة، وما نزل فِيها من الآيات.

وقال آخرون: المدينة المطهَّرة إِلَى غير ذَلِك.

ومهبط الوحي معروفٌ، يُتبرَّك به، وكان مؤلف هذه الكيفية يقول:

(اللَّهُـــمَّ إِنِّـــي أســـأَلُك بما نزَلَ به الوحي: من آياتك وذكرك، فهو مهبط الأسرار الرحمانيَّة، وعروس المملكة الربانيَّة: من الإنس، والجن، والملائكة، وما حول العرش، ما مـــن أحد إلا تجمَّل بذكره، وافتخر به، وقد شرح الله تبارك وتعالى صدره بقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح:١]).

قال ابن عباس: شَرَحهُ بالإسلام، وزيَّنه بالإيمان.

وقال سهل: بنور الرسالة.

وقال الحسن: ملأه حكمًا وعلمًا.

وقـــيل معـــناه: ألم نطهِّر قلبك حَتَّى لا يؤذيك الوسواس، وجعلك عروس المملكة، وزيَّن بك خلقه، وجعل لك العزَّ والشرف.

قال السدي فِي تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح:٢]: قيل

ما سلف من ذنبك قَبْل النبوة.

وقيل: أراد ثقل أيام الجاهلية.

وقيل: ما أثقل ظهره من الرسالة حَتَّى بلغها.

وقيل: عصمناك، ولولا ذَلِك لأثقلت الذنوب ظهرك، ورفعنا لك ذكرك بالنبوة.

وقيل: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي فِي قول لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، وفِي الأذان، وفِي إقامة الصلاة.

وقيل: وجعلك عروس مملكته، وسمَّاك بأسمائه: رؤوف، رحيم، وشقَّ بالرحمانية والهيبة قلــبك، وجعل لك البلاغة فِي جميع أقوالك وما جئت به، وواسطة عقد النبيين جميعًا فِي توسُّلاتهم، وخطيبهم فِي ليلة الإسراء، صلَّى بهم إمامًا، وأثنوا عليه خيرًا.

واخــتلف فِــي ذَلِك فِي حديث أبي هريرة ﷺ: «صار حَتَّى بيت المقدس، فنــزل، وربــط فرسه إِلَى صخرة، فصلَّى مع الملائكة، فلما قُضيت الصلاة قالوا: يا جبريل، من هَذَا الذي معك؟ قال: هَذَا مُحَمَّدٌ رسول الله، خاتم النبيين. قالوا: أوَقد أُرسل إليه؟! قال: نعــم. قالــوا: أحياه الله تعالى من أخٍ وخليفةٍ، فنعم الأخ! ونعم الخليفة! ثم لقوا أرواح الأنبــياء عليهم السلام، فأثنوا على ربِّهم، وذكر كلام واحدٍ منهم، وهم إبراهيم ﷺ، وموســى، وعيسى، وداود، وسليمان عليهم السلام، ثم ذكر كلام النبي ﷺ، فقال: وإن مُحَمَّدًا ﷺ أثنى على ربِّه ﷻ، فقال: كلكم أثنى على ربِّه، وأنا أثنى عليَّ ربِّي، الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين كافَّةً، وللناس بشيرًا ونذيرًا، وأنزل عليَّ الفرقان فِيه تبيانٌ لكل شــيءٍ، وجعــل أمَّتي خير أمةً، فجعل أمَّتي أمَّةً وسطًا، وجعل أمَّتي هم الأولون، وهم الآخــرون، وشــرح لي صــدري، ووضع عنِّي وِزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا. فقال إبراهيم: بهَذَا فضلكم مُحَمَّدٌ، وإنه واسطة عقد النبيين ورفيعهم[(١)]».

ولم أرَ هذه الألفاظ فِي «الشفا»، ذكرها فِي «موارد الأنبياء».

وزاد القسطلاني فِي «مواهبه»: (زاده الله شرفًا).

والحافظ ابن جماعة: (بهَذَا فضَّلكم مُحَمَّد ﷺ) انتهى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٦٨)، وابن كثير في التفسير (٣/١٩).

ووافقه القاضي عياض فِي كلماتٍ.

وفِي زيادة «الجامع الصغير»: (فقال إبراهيم: بِهَذَا فضلكم، وزاد عليكم)، هَذَا ما أخرجه هؤلاء الأئمة رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

وقال علي وقتادة: واسطة عقد النبيين بالإجماع، حلَّ عقدهم فِي كل شيءٍ، حلَّ عقد آدم عليه السلام بالتوبة، وشرَّفه الله تبارك وتعالى بتلقِّي كلماته، ولما تعقد على شيث الأمر حلَّ عقده، وأعطاه صحفًا أنزلها عليه.

وقال البغوي: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتابًا إلا بواسطته.

قال صاحب «العنوان»: أعرف جميع الأنبياء عليهم السلام مُحَمَّدٌ ﷺ، وكانوا يتوسَّلون إِلَى الله تبارك وتعالى بذكره فِي جميع مهماتهم، فتُحلُّ عقدهم، فهو واسطةٌ لهم: أي يتشفَّعون به.

وقد قرَّرت حديث الأذان فِي صلاة الروح، وما نقله الأئمة من غريب الحديث، ورأيت أكثر ميل الحفاظ لِهَذَا الحديث الآتي ذكره فِي كتب الحديث المشهورة.

وفِي كتاب «خفايا الأحكام»، هَذَا الحديث الشريف بهذه الألفاظ، ولفظه فِيه زيادة عمَّا قدَّمناه فِي حديث الأذان، وقد رأيتُ اتفاق الحفَّاظ لِهَذَا الحديث الآتي، وجريان ذكره كما ذكره القاضي عياض، والسخاوي، والإمام العلامة المنذري، وابن حجر وغيرهم.

وفِي «المواهب اللدنية»: «لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يُعلِّم رسول الله ﷺ الأذان جاءه جبريل عليه السلام بدابَّةٍ يُقال لها: البراق، فذهب يركبها، فاستصعب عليه، فقال لها جبريل عليه السلام: اسكني؛ فوالله ما ركبك عبدٌ أكرم على الله تبارك وتعالى من مُحَمَّد ﷺ. فركبها حَتَّى أتى بها إِلَى الحجاب الذي يلي الرحمن جلَّ وعلا وتبارك، فبينما هو كذَلِك إذ خرج مَلَكٌ من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل، من هَذَا؟ فقال: والذي بعثك بالحقِّ نبيًّا إنِّي لأقرب الخلق مكانًا، وإنَّ هَذَا الملك ما رأيته منذ خُلقتُ قَبْل ساعتي هذه. فقال الملك: الله أكبر. فقيل لـه من وراء الحجاب: أنا أكبر أنا أكبر. قال الملك: أشهد أن لا إلـه إلا الله. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا الله لا إله إلا أنا. فقال: وأشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ مُحَمَّد عبدي

ورسولي. فقال: حيَّ على الصلاة. فقال: صدق عبدي، ولم يذكر جوابًا[١]».

وفِي كتاب «سلوة الأحزان»: علَّمه الأذان.

وزاد البِشر: يا مُحَمَّدُ، أنت واسطة عقد النبيين وحلها فِي جميع مهمَّاتها.

وفِي كتاب «الشفاء»: فقيل لــه من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا الله لا إله إلا أنا، وذكر مثل هَذَا فِي بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابًا عن قوله: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، وقال: ثم أخذ الملك بيد سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فقدَّمه، فأمَّ بأهل السماء: فِيهم آدم، ونوح[٢]» رواه البزار عن عليٍّ.

قــال أبــو جعفر مُحَمَّد بن علي بن الحسين راوي هَذَا الحديث: أكمل الله تبارك وتعــالى لمُحَمَّــدٍ ﷺ الشرف على أهل السماوات والأرض، وجعله واسطة عقد أنبيائه، ومقــدَّم جــيش المرسلين فِي يوم القيامة باتِّفاق العلماء وأهل الأثر: تقوم أحزاب أهل الطاعة.

وقال الحافظ: تقوم كل فرقة بإمامهم أمامهم، فيساق كل جيشٍ إِلَى الموقف، ويأتي جيش الأنبياء تحت لواء مُحَمَّدٍ ﷺ مائة وأربعة وعشرون ألف نبيٍّ، فيضجُّ أهل الموقف؛ لمــا يروه أمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لما يشاهدون من كثرة أنواره وكماله ﷺ، ومن بهاء الأنبياء عليهم السلام الذي خلفه، فيقف تحت ساق العرش، ويُلهمه الله تبارك وتعالى لتنوعات كمالات المقال فما يسمعون ألذَّ من مقاله، ويلقي الله تبارك وتعالى الهيبة علــى سائر أهل الموقف، فينصتون لسماع كلامه. قال ذَلِكَ الفخر عفا الله تبارك وتعالى عنه، شرح ذَلِكَ فِي حديث ابن عبد السلام بن حرب عن الليث عن الربيع عن أنس قال: قــال رســول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وأَنَا خَطِيبُهم إِذَا وَفَدُوا، وأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا، لواءُ الحَمْدِ بِيَدِي، وأَنَا أكرمُ وَلَدِ آدمَ، ولا فخر[٣]».

وســاق القاضي عياض لفظ هَذَا الحديث بطريقٍ عن الربيع: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا

---

(١) رواه البزار في مسنده (٢/١٤٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٣٢٨).

(٢) رواه البزار في مسنده (٢/١٤٧).

(٣) رواه الترمذي (٥/٥٨٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٠)، وابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/١٨٢)، وابن كثير في التفسير (٤/٨).

إذَا بُعِثُوا، وأَنَا قَائِدُهُمْ إذَا وَفَدُوا، وأَنَا خطِيبُهم إذَا أنصتُوا، وأنَا شفِيعُهم إذَا حُبِسوا، لواءُ الكرمِ بيدِي، وأنَا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّي، ولا فخر، ويطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ(١)» انتهى.

وزاد في حديث أبي هريرة: «وأُكسى حُلَّةً من حُللِ الجنَّة، ثُمَّ أقومُ عنْ يمينِ العرشِ ليسَ أحدٌ منَ الخلائقِ يقومُ ذَلكَ المقامَ غيرِي(٢)».

وعن أبي سعيد قال ﷺ: «أنَا ولدُ سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وبيدِي لواءُ الحمدِ، ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذٍ فمن آدمَ وما سواه إلا تحت لوائِي، وأنَا أوَّلُ من تنشقُّ عنه الأرضُ، ولا فخر(٣)».

وزاد صاحب «التيجان»: «أنَا مقدَّمُ جيشِ الأنبياءِ، وحاملُ اللِّواءِ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ، وأوَّلُ مَنْ يُحرِّكُ حلق الجنَّة، فيُفتح لي، فيدخلُها معي الفقراءُ المؤمنين، وأنَا أكرمُ الأوَّلين والآخرين(٤)».

ورأيت في كتاب «الشفا» عن ابن عباس: «أنَا حاملُ لواءِ الحمْدِ يوم القيامة، ولا فخر، وفي مقدَّم جيش المرسلين، قوله ﷺ: (أن يكون إبراهيم وعيسى عليهما السلام فيكم يوم القيامة)، ثم قال: (إنهما في أمَّتي يوم القيامة، أمَّا إبراهيم يقول: أنت دعوتِي وذرِّيَّتِي؛ فاجعلني من أمتك. وأمَّا عيسى: فالأنبياء أخوةٌ بنو علاَّتٍ، أمَّهاتُهم شتَّى، وإنَّ عيسى أخي ليس بيني وبينه نبيٌّ، وأنَا أوْلَى النَّاسِ بِهِ(٥)».

---

(١) رواه الدارمي في السنن (١/٣٩)، والديلمي في الفردوس (١/٤٧)، والخلال في السنة (١/٢٠٨)، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/٨).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥٨٥)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٣٥).

(٣) رواه مسلم (٤/١٧٨٢)، وأبو داود (٤/٢١٨)، والترمذي (٥/٣٠٨)، وأحمد (٢/٥٤٠)، وابن ماجه

(٢/١٤٤٠)، وابن حبان (١٤/١٣٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/١٨٣)، وأبو عوانة في مسنده (١/١٥٢).

(٤) رواه الترمذي (٥/٥٨٧)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٤)، وابن كثير في التفسير (١/٥٦١).

(٥) رواه البخاري (٣/١٢٧٠)، وأحمد (٢/٤٠٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٤٩٩)، والحاكم =

وقال أبو السعود المفتي فِي «تفسيره»: مقدَّم جيش المرسلين من الأنبياء؛ لأنه باقي الأنبياء، تبعٌ لهم، فجميع الأنبياء تحت لوائه.

وقال ابن عادل فِي «تفسيره»: جميع الأنبياء من حزبه تابعون لــه، والمراد أن جيشه يقدَّم على كل جيشٍ، وجميع الأحزاب من أحزابه، وكل إمامٍ هو إمامه، فهو الإمام الكامل المقـــدَّم فِي جميع المواقف ﷺ، وشرُف، وكرُم، وقائد ركب الأنبياء، القائد هو المقدَّم، والقائد هو الحاكم المشار إليه، وقائد كل شيءٍ مقدَّمه، والأنبياء المكرَّمين الرسل الثلاثمائة وثلاثـــة عـــشر، والأنبياء أكرم الناس، وأكرمهم أعلاهم، وهم الرسل المرسلون، وأكرم أكـــرمهم أولو العزم فِي صبرهم، واحتسابهم، وملاقاتهم، الأهوال، وتحمُّل الأذى، وعدم الالـــتفاتات للدنـــيا، وغـــير ذَلِك، ومكرم أكرم أكرمهم مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لانفراده بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذْ لجأ الناس إليه فِي ذَلِك فلم يجدوا سواه، والكريم: هو الذي يلجأ الناس إليه فِي حوائجهم، فكان حينئذ سيِّدًا منفردًا من بين البشر،لم يكن يُزاحمه أحدٌ فِي ذَلـــك، ولا ادَّعاه، كما قال: «أنَا سيِّدُ النَّاس يومَ القيامة[1]»، وفِي المفردات: «أنَا قائدُ رَكْبِ الأنبياءِ، ودليلُهم، لا يُشاركنِي فِي ذَلِك أحدٌ أُنادي بين يدي ربِّي فلا منازع».

قـــال القاضي: لا منازع لـــه فِيما ادَّعاه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، والملك لـــه تعالى فِي الدنيا والآخرة، بلا شكٍّ، ولا ريبٍ.

وحاصل ذَلِك: انقطعت دعوى المدَّعي وما كان يدعيه فِي دار الدنيا، ولذَلِك لجأ إِلَى مُحَمَّدٍ جميع النَّاس فِي الشفاعة، فكان سيِّدهم فِي الأخرى دون دعوى.

وقال الغزالي فِي (ترتيب صفوف الموقف): ركب الأنبياء قائدهم مُحَمَّدٌ ﷺ، يأتون الحشر فِي أكمل هيبةٍ وأجمل صورةٍ، وساق كلامًا يطول شرحه.

وجمـــع ذَلِـــك الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله: مُحَمَّد ﷺ قائد ركب الأنبياء،

في المستدرك (٦٤٨/٢)، وابن حبان في الصحيح (٢٣٣/١٥).

(١) رواه البخاري (١٧٤٥/٤)، ومسلم (١٨٤/١)، والنسائي في الكبرى (٣٧٨/٦)، وأحمد (٢/ ٤٣٥)، وهناد في الزهد (١٤٠/١).

يقومون من قبورهم، فيأتونه، فيجدونه مع جبريل عليه السلام والملائكة من حوله، ثم يسيرون ركبًا إلَى الموقف والخلق في الكرب، فتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيجتمعون في المشورة، فيقولون: ألا تنظرون مَنْ يشفع لكم، فيأتون آدم عليه السلام أبو البشر، فيقولون له: أنت خلقك الله تبارك وتعالى بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماء كل شيءٍ؛ اشفعْ لنا عند ربِّك حَتَّى يريحنا من مكاننا، ألا ترى ما نحن فيه؟! فيقول: إنَّ ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قَبْله مثله، ولا يغضب بعده مثله، قد أدخلني الجنَّة ونهاني عن الشجرة، فعصيت، نفسي نفسي، اذهبوا إلَى غيري، اذهبوا إلَى نوح، فيأتون نوح، فيقولون: أنت أوَّلُ الرسل إلَى أهل الأرض، وسمَّاك الله تبارك وتعالى عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما بلغنا؟! ألا تشفع لنا إلَى ربِّك؟! فيقول: إنَّ ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قَبْله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي[(١)].

قال في رواية أنس: «ويذكر خطيئته التي أصاب، وهي سؤاله ربَّه عز وجل بغير إذنٍ منه في قومه[(٢)]».

وفي رواية أبي هريرة: «فقد كانت لي دعوةٌ على قومي؛ اذهبوا إلَى غيري، اذهبوا إلَى إبراهيم؛ فإنَّه خليل الله. فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبيُّ الله وخليلُه من أهل الأرض؛ اشفع لنا إلَى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! فيقول: إنَّ ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قَبْله مثله، ولا بعده مثله، ويذكر ثلاث كلماتٍ كذبهن، نفسي نفسي، لستُ لها، ولكن عليكم بموسى كليم الله[(٣)]».

وفي رواية: «فإنَّه عبد الله آتاه التوارة، وكلَّمه، وقرَّبه نجيًّا. فيأتون موسى عليه السلام، فيقولون له ما قالوا لإخوانه من الأنبياء، فيقول: لستُ لها، ويذكر خطيئته التي أصاب،

---

(١) رواه البخاري (٣/١٢١٥)، ومسلم (١/١٨٥)، والترمذي (٤/٦٢٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٧٨)، وأحمد (٢/٤٣٥).

(٢) رواه البخاري (٦/٢٦٩٦)، ومسلم (١/١٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٠)، وأحمد في المسند (٣/٢٤٤).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٧٨)، وأحمد (٢/٤٣٥).

وقتله النفس، وما وقع لـــه من القبطيّ، ثم يقول: نفسي نفسي، عليكم بعيسى؛ فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمُحَمَّد ﷺ؛ غفر الله لـــه ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فآتوني، فأقول: أنا لها؛ فأنطلق، فأستأذن على ربِّي، فيؤذَن لي، فأشـــفع، ويوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها، ويبقى منبري لأجلس عليه قائمًا بين يد ربِّي منتصبًا، فيقول الله: ما تريد أن أصنع بأمَّتك؟ فأقول: يا ربِّي، عجِّلْ حسابهم، فيُدعى بهـــم، فيُحاسبون، فمنهم من يدخل الجنَّة برحمتِي، ومنهم من يدخل الجنَّة بشفاعتي، ولا أزالُ أشـــفعُ حَتَّـــى أعطي صكاكًا[1] برجالٍ قد أُمر بهم إِلَى النَّار حَتَّى إذا جاوزنا النَّار، يقول: يا مُحَمَّدُ، ما تركت لغضب ربِّك فِي أمتك من لقمةٍ، ثم بكى، وتبسَّم، وقال: أنا قائـــدُ ركب الأنبياء، وصاحب المقام المحمود إذا ضاقت الحناجر، ودنت الشمس، وأُخِذ الـــناس أعيـــنهم فِي أشد ما يكون من الكَرب[2]»، ولم أجد هَذَا فِي الأحاديث الطوال، ذكره صاحب «سلوة الأحزان».

ومـــن رواية أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأشفعنَّ يوم القيامةِ لأكثر مِمَّا فِي الأرض: من شجرٍ، وحجرٍ، وأنَا أكثرُ الأنبياءِ تبعًا، وأقوم قائد ركب الأنبياء[3]».

فهـــو قائـــد ركب الأنبياء المكرمين، وأفضل الخلق أجمعين: من الإنس، والملائكة، والجنِّ، وغير ذَلِك مِمَّا خلق مِمَّا لا نعلم نحن، فكان فضله لا يعلمه إلا الله ﷻ.

وقـــال ابن الأثير: «مرَّ بحجرٍ فِي المدينة، وسلَّم عليه، وقال لـــه: يا مُحَمَّدُ، إنَّ الله فضَّلك على خلقه أجمعين».

وكان يقول ﷺ: «إنِّي لأعرفُ حجرًا يكلِّمُني وأكالمه»، أو قال: «وأكلمه».

وشهد لـــه حجر بقوله: «إنَّك أفضل خلق الله».

وقال حَبْرٌ من بني إسرائيل:

نجد فِي التوراة: يُخرج الله تبارك وتعالى نبيًّا من العرب، يتَّخذه حبيبًا وخليلاً، أفضلُ خلق الله نسبًا، وأعلاهم حسبًا، وأشرفُهم أمًّا وأبًا، توسَّلت به آباؤه، يظهر إشراقه ونور

(١) أي كتابًا.

(٢) رواه البخاري (٢٧٠٨/٦)، والطبري في تفسيره (١٩٩/٨).

(٣) رواه الخطيب في التاريخ (٣٧٨/١٢)، والديلمي في الفردوس (٣٦٧/٤).

بهائه.

وفِي حديث الغار: خاطبه وحشٌ بقوله:

«مـــرحبًا بخـــيرِ خلق الله، وأفضل رسل الله، ومن لـــه العُلى على سائر ما خلق الله تبارك وتعالى».

وقال الديريني: شهدت جميع العلماء وكل صامتٍ من سائر ما خلق الله تبارك وتعالى بفضله على سائر الخلق أجمعين، حامل لواء العزِّ الأعلى، لواءه ﷺ ليس لـــه نظيرٌ فِي لواء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الغزالي: لكلِّ نبيٍّ لواءٌ.

وقال الحافظ ابن حجر:

ينشر لكلِّ نبيٍّ لواءٌ.

ولـــواء العزُّ على رأسه، حوله ستون ألف ملكٍ، طوله ما بين السماء والأرض، رأسه مـــن زمردةٍ خضراء، معقود بأنواع العقيان والزبرجد والمرجان، معه جبريل، وإسرافيل، والملائكة الكروبيون عليهم الصلاة والسلام، قال ذَلك صاحب «المصباح الفاخر».

ويـــسمَّى بلواء الحمد، ولواء العزِّ، ولواء الفخر، ولواء الجاه الشريف لا ينشر لغيره، وألـــوية الأنبـــياء عليهم الصلاة والسلام تحته، نوره ظاهرٌ على الجميع، تصعق العالم من رؤيته وهيبته.

وكثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى.

وحـــديث: «حوضِـــي مسيرةُ شهرٍ، وزواياه سواء، وماؤه أبيضُ مِنَ الورق، وريحُه أطيبُ من المسك، كيزانُه كنجوم السماء، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأ أبدًا، طوله ما بين صنعاء إِلَى أيلة، يشخب منه ميزابان من الجنَّة[1]».

وفِي قولٍ: «أحدهما من ذهبٍ، والآخر من ينوي، كما بين المدينة وصنعاء[2]».

وفِي رواية: «كما بين المدينة وعمَّان[3]».

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٤٠٥)، ومسلم (٤/١٧٩٣).

(٢) رواه مسلم (٤/١٧٩٩)، وأحمد (٥/٢٨١)، وابن حبان (١٤/٣٦٨)، وابن منده في الإيمان (٢/٩٧٤).

(٣) رواه مسلم (٤/١٨٠١)، وأحمد (٣/١٣٣)، وابن ماجه (٢/١٤٣٩)، وابن حبان في الصحيح =

وفِي قول: «كما بين الكوفة والحجر الأسود[١]».

ولواء الحمد يعمُّ الموقف، والحمد اسمٌ مختصٌ بهَذَا اللواء؛ لمحامده التي يحمد الله تبارك وتعالى بها، وهو منشورٌ على رأسه.

قال الحافظ وفِي قوله ﷺ: «فإنِّي تحت العرش، فأخرُّ ساجدًا... إِلَى آخره[٢]». قال بعض العلماء: يسجد ولواء العزِّ منشورٌ على رأسه، وعليه من الهيبة ما قدَّمنا ذكره.

وقال القسطلاني فِي «المواهب» تلميحًا على ذَلِك؛ لسياقه حديثه: «فأقومُ بين يديه، فأحمـــده بمحامـــد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله، فيفتح الله عليَّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيءٌ لم يفتحه على أحدٍ من قَبْلي، فيقال: يا مُحَمَّدُ، ارفعْ رأسك، سَلْ تُعطَ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ[٣]».

قال النسَّابة فِي كتابه «الإشراق»: يُنشر لوا ء النبيِّ ﷺ على رأسه مقدار الدنيا، وهي سبعة آلاف سنةٍ.

ودلـــيل قوله من قيامه من قبره ﷺ، ولم أرَ نقلاً أتلمَّح عليه غير ما قاله السيِّد النسَّابة رضي الله تبارك وتعالى عنه.

قال السراج البلقيني: لواء العزِّ الأعلى هو لواء الحمد، ولكلٌ نبيٍّ لواءٌ، والكلُ تحت لواءه؛ لأن هَذَا اللواء يعمُّ الموقف، فيعرفه كل مؤمنٍ، ويشتاقه، والموكب الأعظم لـــه، ورأيت فِي مواكب الأنبياء وهو كالملك الأكبر الذي ملَّكه الله تبارك وتعالى الأرض؛ بل لـــه المثل الأعلى الذي لم يُسَاوَ فِيه، ولا يُضاهَى.

ولسنا بصدد هَذَا؛ فإنه لا يحصره حاصرٌ، وقد كلَّت الألسن عن ضبطه والدفاتر.

وقـــال القاشـــاني: هَذَا اللواء من تحت ساق العرش، ولما علَّم الله تبارك وتعالى آدم الأسمـــاء وعرضـــهم علـــى الملائكـــة نشر هَذَا اللواء من تحت ساق العرش، فعبق منه

(٣٦٣/١٤).

(١) رواه الترمذي (٦٣٠/٤).

(٢) رواه الترمذي (٦٢٢/٤)، وأبو عوانة في مسنده (١٧٢/١).

(٣) رواه مسلم (١٨٣/١)، وأحمد (٢٨١/١)، وابن منده في الإيمان (٨٣٨/٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٧/٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٥/١).

السماوات السبع، فرفع آدم عليه السلام رأسه، فرآه على قنديلٍ تحت ساق العرش، وهو يقول: لا إله إلا الله المعطي، المغني، الوهَّاب، النور، المبين، مُحَمَّدٌ رسول الله، صاحب المنهاج والبيان والملة السمحة، ورأى عقب ذَلِك أنوارًا تخرج منه، فقال آدم: يا ربِّ، ما هَذَا؟ فقال: هَذَا نور حبيبي مُحَمَّدٍ، وهَذَا لواءه، مودوعٌ فِي خزائن رحمتي. فقال: يا ربِّ، بارك فِيه وفِي أمَّته، واجعله خيار أولادي، قال: يا آدم، أنت منه: يعني من نوره.

وقال قتادة: لواء الحمد مَلكه كروبٌ، له سبعمائة جناحٍ، لو نشر جناحًا منه سدَّ الأفق، موكَّلٌ بحظيرة القدس، نشر هَذَا اللواء فِي عالم الأنوار على نور مُحَمَّدٍ ﷺ، فعبقت منه السماوات وسدرة المنتهى.

وقال ابن فارس: لواء الحمد أسماؤه كثيرةٌ، ولواء العزِّ من بعض أسمائه، واسم هَذَا عند الكروبيين، لواء المجد إذا انتشر فِي الموقف عبق ريحه على كل مؤمنٍ، خُصَّ به عليٌّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وقال القسطلاني: خُصَّ به عليٌّ باتِّفاقٍ، وجميع الأنبياء تحت لواءه، وهو صاحب الموكب الأعظم، ولكل نبيٍّ لواءٌ، وهو فِي حظيرة القدس، إذا وردوا يكون هَذَا اللواء منشورًا عليهم، فيعمُّهم، يشاهده أهل الرفيق الأعلى، يحفُّه جبريل عليه السلام، وميكائيل عليه السلام، وإسرافيل عليه السلام، وملائكة العرش؛ فهو لواء الحمد والعزِّ الأعلى لصاحبه، نفعنا الله تبارك وتعالى به، وقد حمله النبيُّ ﷺ، وحمله له دليلٌ على عظم قوته، وشدة بأسه، وعزمه الذي لا يُساوى فِيه، ولا تستطيعه الملائكة، ولواء الحمد هَذَا عظيمٌ؛ لعظم صاحبه، لا يقوم بتقريرٍ، ولا يُقاس بتحريرٍ، ولا يقدَّر بتقديرٍ، ولا يجد[1].

كما اختلفت العلماء فِي حوضه الشريف: فِي طوله وعرضه، وجمع بعضهم بين الروايات فِي معاني أحاديث قوله ﷺ، كذَلِك لواءه الشريف لواء العزِّ الأعلى لعلو صاحبه، اختلف فِيما هو منشورٌ عليه؛ قيل من زمرد، وقيل: من عقيان، وقيل: من مرجان يفوق على ريح الجنَّة وشذاها العظيم مكانة صاحبه، جعلنا الله تبارك وتعالى من حزبه، وأفاض علينا من بركته.

ورأيت فِي نعت لوائه الشريف كراسةً جُمعت من أقوال العلماء ومن أفعال أهل

---

(١) وانظر: مسالك الحنفا (ص٤٩٢).

الكشف وغير ذَلِك، وقال مؤلفها: هَذَا قليلٌ من كثيرٍ من نعت لوائه الشريف، وفِي آخره يقـــول: اللَّهُمَّ لا تحرمنا هَذَا اللواء ولا صاحبه، ومُنَّ علينا بما جاء به، ولا تحرمنا ضياء طلعـــته، فلك الحمد الذي أجريت ألسنتنا بذكره، وجعلتنا ممن نُسب إليه، وأقول كقوله وجاء فِي لِقاءه لقاء الأحباب، وأن يسطر ذَلِك فِي صحيفة من رأى هذه الكلمات.

وتأمَّـــلْ هـــذه النفحات، وادعُ لجامعها بستر عيبه، وغفران ذنبه، واسألِ الله تبارك وتعـــالى أن يرحم شيخه؛ فإنه قد دخل فِي باب خوفه، وارتعب من ذنبه وحيفه، وخاف مـــن هـــول وقوفه، والذي أودع فِي نيَّته هذه الخصائص، وخصَّه بهذه النفائس، وأعطاه الوسـيلة والفــضيلة والمقام المحمود والحوض المورود، وجعله حامل لواء العزِّ الأعلى، ومالـــك أزمَّة المجد الأسنى، مالكٌ متصرِّفٌ فِي جميع الأحوال، ليس لـــه مراجعة أمر الله تـــبارك وتعالى، جميع الملائكة بطاعته من غير مراجعةٍ، وأمرنا بطاعته، وقرن اسمه باسمه، وملَّكـــه الله تبارك وتعالى الدنيا والآخرة، وأقطعه الجنان؛ فلا يغيب عن علمه من أهلها أحـــدٌ، وأعطاه معرفة أصحابه ومحبِّيه، ومعرفة أهل الطاعة بقوله ﷺ: «أنَا أعرفُ أمَّتِي، وأعمالُهم تُعرضُ عليَّ، ووهبنِي ستر ذنوبهم وعيوبهم؛ فلا يطَّلع عليها غيره، وأطلعهم على ســـائر الأمـــم، وأعطاني الكوثر، بينما أنا أسير فِي الجنَّة إذ عرض لي نهرٌ، حافَّتاه قباب اللؤلـــؤ، قلت لجبريل: ما هَذَا الذي أعطاك الله؟ قال: الكوثر الذي أعطاكه الله، قال: ثم ضرب بيديه على طينةٍ فاستخرج مسكًا، قال: ومجراه على الدر والياقوت، ماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج، يجري ولم يشقّ شقًّا عليه، حوضٌ ترد عليه أمتي، وأعطاني الرضا ألف قصرٍ من لؤلؤٍ، وترابهنَّ المسك، وفِيه ما يصلحهن[1]».

وفِـــي روايةٍ أخرى: «وفِيه ما ينبغي من الأزواج، هو أفضل البشر، وأفضل الأنبياء، وأكرمها، ومالكها؛ لخبرهم بالمغيبات، وما لم يكن، وما لم يقع، فوجد على الوجه الذي أخبر: كقوله تبارك وتعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:٣]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٥٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ

(١) رواه البخاري (١٩٠٠/٤)، وأبو داود (٢٩٧/٤)، والترمذي (٤٤٩/٥)، وأحمد (٢٠٧/٣).

وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١، ٢، ٣] (١)».

فكــان جمــيع هَذَا كما قال؛ فغلبت الروم فارس فِي بضع سنين، ودخل الناس فِي الإسلام أفواجًا؛ فما مات ﷺ وفِي بلاد العرب موضع كلمةٍ لم يدخل الإسلام، واستخلف المؤمــنين فِي الأرض، ومكَّن فِيها دينهم، وملَّكهم إياها من أقصى المشارق إِلَى أقصى المغارب، كما قال ﷺ: «زُيِّنتْ لي الأرضُ، فأُريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها(٢)»، وما أقطعه لتميم، وما وعد من الحديقة.

وفِي قوله لبعض أصحابه: «أنَا ملكُ الدنيا والآخرة(٣)».

وقــوله ﷺ لعمــر رضي الله عنه تبارك وتعالى: «أما ترضى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة(٤)».

وليس فِي هَذَا المعنى ما يعوَّل عليه فِي تناقضٍ؛ بل نتكلم على كل مقامٍ بما يليق به، وفِي مراودة الجبال لــه أن تكون بين يديه ذهبًا، وشدُّ الحجر على بطنه من زهده وتفننه وخصائــصه التي لا يقدر عليها أحدٌ من المخلوقات، فهو مالك أزمَّة المجد؛ لما لــه من الهيبة.

وفِي سؤاله لعليٍّ: «أصلَّيت العصر حَتَّى غربت الشمس؟ قال: لا. فقال: اللَّهُمَّ إن كان فِي طاعتك وفِي طاعة رسولك فارددْ عليه الشمس(٥)». فطلعت الشمس، ووقعت على الأرض حَتَّى العصر، وذَلِك بالصهباء فِي خيبر.

وإخــباره بعلامة العير فِي الإسراء وغير ذَلِك، فما دعا شيئًا إلا أجابه: من صامتٍ،

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٣٠/٢٣٢).

(٢) ذكره القنوجي في أبجد العلوم (١/١٧٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه البخاري (٤/١٨٦٧)، والبيهقي في الشعب (٧/٣١١)، وهناد في الزهد (٢/٣٨١)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/٢٥٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٣٦٦)، والطبري في تاريخه (٢/٦١٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥/١٦٨)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/٣٩٩).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٢٤/١٥١)، والعقيلي في الضعفاء (٣/٣٢٧)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٥/٢٠٥)، والقرطبي في تفسيره (١٥/١٩٧).

وناطقٍ، وأيُّ سلطانٍ أعظم من هَذَا؛ فهو مالك الحركات جميعها، وزمامها، والأمين الزائد إليها، الكثير الخير، ومعجزاته لا تُحصى؛ فهو مالك أزمَّة المجد، الأمين، شاهد أسرار الأزل مما وهب الله تبارك وتعالى أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام، وتعجيز أتباعهم عن الإتيان بمثله، مثل التوراة لموسى عليه السلام، والإنجيل لعيسى عليه السلام، وصحف إبراهيم، وزبور داود، وصحف آدم وشيث عليهم وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

وقد جمع هَذَا كله فِي القرآن العظيم، فهذه أسرار الأزل، وقد شاهد ما كان قَبْله، وأطلعه الله تبارك وتعالى عليه، وما كان لنبيٍّ من قَبْله، كإحياء الموتى، وقلب العصا حيَّةً، وإخراج ناقةٍ من صخرةٍ، وكلام شجرةٍ، ونبع الماء من بين الأصابع، وحكم الإنس والجان والطير والوحش، وتعلُّم آدم الأسماء، وحكمة لقمان، ولين الحديد لداود عليه السلام، وتسخير الريح لسماع صوته، وعلم الخط، والكلام بالمغيبات، ونطق الأحرف، وخط إدريس عليه السلام وإخراج الخبايا والخفايا، وما تكنُّ الصدور، وما يدخرون فِي البيوت، وكل هَذَا أطلعه الله تبارك وتعالى عليه، وشاهده، وجاء حكمه وبيانه فِي القرآن العظيم، وقد أخبرنا ﷺ بأحوال الأنبياء عليهم السلام أجمعين.

وإذا قررت هَذِه المعاني لم تسعها الدواوين، كمشاهدته الغيوب، وأخبار ما فِي الجنَّة والنَّار، وسدرة المنتهى، وعجائب الملكوت، وعجائب العرش، وما خُصَّ به كل ملكٍ، وما جاء عنه، والبيت المعمور، وغير ذَلِك مما سابق فِي علمه الأزليِّ القديم سبحانه وتعالى: أي الذي لا يطَّلع عليه غيره أظهر عليه هَذَا النبيَّ الكريم والرسول العظيم، فعجزت الكُتَّاب، وكلَّت الحُسَّاب، والخلق فِي حيرةٍ من مشاهداته، ولم يقدروا على ذرَّةٍ من معلوماته، فسبحان المنعم الوهَّاب المعطي من شاء بما شاء؛ فهذه قسمته، وهذا جوده وكرمه، اللَّهُمَّ متِّعنا بذكره؛ فإنَّه شاهد أسرار الأزل، شاهدٌ على هذه الأسرار، وشاهدها، ومشهودها، وشاهد أنوار السوائق الأُوَل، فكلُّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من نوره ﷺ، وهو مشاهد أنوارهم بقوله ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وآدمُ مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ[1]»، وقوله أيضًا

(١) تقدم تخريجه.

ﷺ: «كُـنْتُ نَبِيًّا ولا آدمُ ولا ماءٌ ولا طينٌ[(١)]» وقوله ﷺ: «أَطْلَعَنِي الله عَلَى عِلْمِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ[(٢)]».

فكلٌّ هذه الأحاديث شاهدةٌ بمشاهده، قائمةٌ بموارده الدالَّة على قوَّة سلطانه ومكانته، فكلُّ نبيٍّ توسَّل به.

وفِـي الخبر القدسي: قال موسى: يا ربِّ، أعطيت مُحَمَّدًا وأمته نورًا وأطلعتهم على سـائر الأنـوار، ووهبـتهم كل فخرٍ؛ فاجعلْ لي نورًا. فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا موسى، إنْ أردت ذلك فكُنْ تابعًا لنبيِّهم؛ فإنَّه أكرمُ خَلقي، ونورُ بهائي، ونورُ أنبيائِي من نوره مقسومٌ، فهو مشاهد الأنوار.

وقـال تاج الدين بن عطاء الله السكندري: ما قسم الله تبارك وتعالى نورًا لنبيٍّ ولا وليٍّ إلا من نوره.

وقال أبو السعود بن أبي العشائر البارِينِي: نور مُحَمَّدٍ ﷺ غشي سائر النبيِّين عليهم السلام أجمعين؛ فالكلُّ من قطرات نوره، ما خفِيَ عليه منهم أحدٌ، ونهيه عن التفضيل تأدُّبًا وتواضـعًا؛ وذلـك لقـربه، وعلوِّ منـزلته، ومعرفة مقامه، وبهذا أوصى جميع أصحابه بالتواضع، وكان يعين الخادم مع جلالة قدره، ويقضي حاجة نفسه مع علوِّ شأنه، وكانت أصحابه لا يقدرون أن يرفعوا رؤوسهم فِي مُجَالسته، ولا يجرؤوا أن يسألوه.

وإِذَا تأمَّلت هذه الأقوال وقرَّرتها وجدت فِيها سائر الكمالات المخصوصة؛ فهو سيد الرسل، وترجمان لسان القدم فِي الأحكام والآيات البيِّنات، أجرى الله تبارك وتعالى على يديـه آيات وخوارق عاداتٍ، وذلك لقوة كلماته، وفصاحة لسانه فِي تنوُّعاته، وإيجاز بلاغته الخارقة، وإعجاز الفصحاء، وضربهم سيوف معانيه البارقة، خصَّه الله تبارك وتعالى بأنـواع البلاغة، فترجم عن سائر الأنبياء؛ فهو تُرجمان لسان الحضرة، ناطق بلسان القدم عن كل من تقدَّم، أعطاه الله تبارك وتعالى من دراية اللسان ما لم يُعطِ إنسانًا، ومن فصل الخطـاب مـا يفيد الألباب، جعل الله تبارك وتعالى لـه ذلك طبعًا وخُلقًا؛ فله الحكمة العزيزة، والقوة الغريزة، وأمَّته يتكلمون على لسانه، فيأتون على البديهة بالعجب، ويدلُّون

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

به إلى كل سببٍ، ويخطبون بديهًا فِي المقامات شديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون، ويفرحون، ويتوصَّلون، ويتوسَّلون، ويرفعون، ويضعون، فيأتون بذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من حمط(١) اللآل(٢)، يتجرَّعون الألباب، ويذلِّلون الصِّعاب، ويُذهبون اللحن، ويهيجون الدمن(٣)، ويجرون الجبال، ويبسطون يد الجعد البنان(٤)، ويصيِّرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيل خاملاً، وهم ما بين وجيهٍ وجيهٍ وعارفٍ نبيهٍ، فمنهم الخابر الصابر، والكالم(٥) الضائر(٦)، والمجد بالعنابر(٧)، والمخبر بما هو إليه صائرٌ، وفِيهم البدويُّ ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري، والمنزع القوي، ومنهم الحضريُّ ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف فِي القول، القليل الكُلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية، أخذ منهم العارفون الفارقون، ترجموا، وأحكموا، وأظهروا ببلاغتهم الحجَّة البالغة، والقوَّة الدامغة، فأفواه أنواعهم دابغةٌ، وأنوار تراجمهم بترجمانهم سابغةٌ، هُمُ هُمُ، القدح الفالج(٨)، والمريع(٩) الناهج، لا يشكون، إن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادتهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل بابٍ من أبوابها، وعلَّوا صرحًا لبلوغ أسبابها، فقالوا فِي الخطير والمهين، وتفننوا فِي الغثِّ والسمين، وتعالوا فِي القليل والكثير، وتساجلوا فِي النظم والنثر، بُهرت ببلاغتهم العقول، وظهرت فصاحتهم بذكرهم المنقول، وتظاهرت حقيقتهم، فهم الفحول، ترجموا، فهم تراجين الحضرة، وبرهنوا ببراهينهم النضرة، فظهر لهم البرهان، وانقمع ضدهم وهان،

---

(١) حمط الشيء: قشره.

(٢) من اللؤلؤ.

(٣) هو ما تلبد من التراب وما اختلط به وصار كرسًا على وجه الأرض.

(٤) الجعد البنان: هو البخيل.

(٥) الكالم: الجارح.

(٦) الضائر: الضار.

(٧) المجد بالعنابر: الضارب بالترس، العارف بأموره: أي بأمور الترس.

(٨) الفالج: الفائز.

(٩) المريع: هو الخصيب، يقال غيث مريع: أي لم يجدَّع نباته.

تـــرجم نبيهم العظيم ورسولهم الكريم بكتابٍ عزيزٍ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنـــزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، أُحكمت آياته، وفصِّلت كلماته، وقهرت مبالغاته تظافر الـــنجاز وإنجـــازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، فهو الترجمان الذي ملأ الصدور وشفاها، ويـــسَّره الله تـــبارك وتعالى لألسنٍ وشفاها، يروي العليل، ويشفِي الغليل، وينفع الخليل، ويوقِّـــر العـــارف الجلـــيل، جمع جميع المعاني، وترجم عن جميع المباني، نبعت منه جميع العـــيون، وترجم فأحكم لأعدائهم الخبون[1]، فصاحته ترجمان لسان القدم، ومنبع العلم والحلم والحكم، فنبعت العلوم من صدره، فجميع سائر المعاني من خلق القرآن.

وقال بعض العلماء: لـــه إدراك الأشياء: مسموعًا، ومعقولاً.

وفِي الحديث: «خيرُ الدُّنيا والآخرة مع العلم[2]»؛ فكلُّ علمٍ مأخوذٌ منه.

سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

قال: «والله إنَّ لـــه لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أسفله لمغدقٌ، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، ما يقول هذا بشرٌ[3]»، وقد حوى مُحَمَّدٌ ﷺجوامع الكلم، وإنَّه منبع العلم.

روي عن أبي عبيد: أنه سمع أن أعرابيًّا سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فسجد، وقال: سجدت لله تبارك وتعالى؛ شكرًا لفصاحته، لقد نبع العلم من صدر مُحَمَّدٍ ﷺ، وإنَّه لحليمٌ، كثير العلم.

وإنَّ هـــذه الآيـــة الشريفة إذَا حقَّقت ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تألـــيفها تحت كل لفظةٍ منها جملٌ كثيرةٌ، وفصولٌ جَمَّةٌ: فاصدع يا مُحَمَّدُ بالحقِّ المبين الواضـــح، الذي بيَّنته لكَ فِي كتابي، واستنبط أحكامي، ولا تستحي من الحقِّ؛ فإن الحياء مـــن الإيمان، وله مواطن كثيرةٌ، والأمر بالمعروف لا حياء فِيه، وإذَا ميَّزت هذه الكلمة اســـتفدت منها كثير المقالات، واستنبطت منها جميع الأمر بالمعروف، ثم أخذٌ فِي حكمٍ وأقوالٍ، وغير ذلك مما يطول شرحه.

---

(١) الخبن: هو الذي يصلح مرة ويفسد أخرى.

(٢) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (١/١٥٦)، وفي الاعتقاد (١/٢٦٨)، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/٢٤٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب (١/١٢٨).

وقـــال فِي محلٍ آخر قوله: «والله ليس هذا فِي قدرة بشرٍ، وهذا سرُّ علم مُحَمَّدٍ ﷺ، بذله بالنصيحة».

والنـــصيحة كلمةٌ يُعبَّر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح لـــه، وليس يمكن أن يعبَّر عنها بكلمةٍ واحدةٍ تحصرها، ومعناها فِي اللغة: الإخلاص، من قولهم: نصحت العسل إِذَا خلصته من شمعه.

وقال الحافظ: النصح: فعل الشيء الذي به الصلح والملامة، مأخوذٌ من النصاح، وهو الخيط الذي يُخاط به الثوب.

وقـــال الزجَّاج: نصيحة الله تبارك وتعالى: الاعتقاد لـــه بالوحدانية، ووصفه بما هو أهله، وتنـــزيهه عمَّا لا يجوز عليه، والرغبة فِي محابِّه، والبعد عن مساخطه، والإخلاص فِـــي عـــبادته، والنصيحة لكتابه: الإيمان به، والعمل بما فِيه، وتحسين تلاوته، والتخشُّع عـــنده، والتعظيم، وتفهُّمه، والتفقُّد فِيه، والذبُّ عنه من تأويل الغالين، وطعن المتحدِّين، والنـــصيحة لرســـوله: التـــصديق بنبوَّته، وبذل الطاعة فِيما أمر به ونهى عنه، ومؤازرته ومناصرته حيًّا وميِّتًا، وإحياء سننه بالطلب.

وفِـــي قـــوله: «إنَّ الدِّينَ النصيحةُ» ثلاث مراتٍ. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم[(١)].

(جُمعت سائر الأوامر)، فاصدع من النصيحة.

ثم قـــال: «والله والله ثلاث، لقد نبع من مُحَمَّدٍ علمٌ لا يستطيعه أحدٌ، وجاء بكتابٍ مُعجزٍ، كلماته واضحةٌ، كثيرة المعاني، لا يقدر عليها بشرٌ».

فـــإِذَا كانت هذه الكلمات الثلاث حيَّرت الفصحاء والبلغاء فما بالك بآياته البيِّنات؛ فهو والله منبع العلم والحلم والحكم.

وقال الحافظ ابن حجر: الحلم زينة الرجل، والعلم غُنيته، وفِي الحديث: «اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بالعلمِ، وزَيِّنِّي بالحِلْمِ[(٢)]».

---

(١) رواه البخاري (١/٣٠)، ومسلم (١/٧٤)، وأبو داود (٢/٧٠٤)، والترمذي (٤/٣٢٤)، والنسائي (٧/١٥٦)، وأحمد (٤/١٠٢)، والدارمي في السنن (٢/٤٠٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم (١/١٩)، وذكره تقي الدين الهندي في كنـــز العمال (٢/٢٧٤)، =

وورد: «إنَّ الرَّجُلَ ليدرُك بالحلم درجة الصائم القائم[١]».

وشـتم رجلٌ الأحنف بن قيس وهو يمشي فِي الطريق، فلما قرب للحيِّ قال للشاتم: إن بقي فِي قلبك شيءٌ فقُل؛ حتى لا يسمع بعض سفهاء الحيِّ، فيجيبوك، فأخشى عليك الضرر[٢].

وقد بلغ من حلمه واحتماله وعدم مؤاخذته حين شجُّوا رباعيته ﷺ، وتلقَّى الدم بيده الشريفة، ودعا لهم: «اللَّهُمَّ اهدِهِمْ؛ فإنَّهم لا يعلمون[٣]» إلى غير ذلك.

(مظهر سرِّ الجود الجزئيِّ والكليِّ)، مظهر الشيء الذي يظهر به.

وقوله فِي هذه الصيغة أنه ﷺ مظهر الأنبياء؛ فلا يرون غيره، ولا يلتفتون لأحدٍ سواه، آدم تـزوَّج حـوَّاء بالصلاة عليه ﷺ مقدَّمًا ومؤجَّلاً، وأعطى شيث الصحف ببعثه فِيه وببركته، وظهر لإدريس هذا العلم ببركة الصلاة عليه، ونجا نوح من السفينة، وإن عددنا ذلك لا تسعه هذه المقدمة؛ فهو مُظْهِر الأنبياء، والسرَّ ما أودعه الله تبارك وتعالى فِيه إلا من جوده.

قال بعض العلماء: الجزئي غير الأنبياء، والكلي الأنبياء.

وقيل: الصالحون من صلحاء هذه الأمة، والكلي: جملة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقيل: الكليُّ: أولو العزم، والجزئي: بقية الأنبياء معهم.

وقيل: لا تفضيل فِي فضل الأنبياء.

وقال بعض العلماء: لا تفاوت فِي الأنبياء فِي جزئيٍّ وكليٍّ غير ما بيَّنه الكتاب.

وقـال الحافظ ابن حجر: معنى كلامنا المنع فِي التفضيل بين تفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والغزالي في إحيائه (١٧٦/٣).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٨٩/٨)، والطبراني في الأوسط (٢٣٢/٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٣/٨).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣١/٢٤)، وذكره الغزالي في الإحياء (٧١/٣).

(٣) ذكره ابن قتيبة في التأويل (١٥٩/١)، والغزالي في الإحياء (٢٩١/٣)، وابن سيد الناس في عيون الأثر (٤٣٤/٢).

وقـــال بعضهم: منع التفضيل فِي حقِّ النبوة والرسالة الأنبياء عليهم السلام فِيها على حـــدٍّ واحـــدٍ؛ إذ هي شيءٌ واحدٌ لا يتفاضل، وإنما التفاضل فِي الأحوال، والخصوص، والكرامات، والرتب، والألطاف، وإنما النبوة فِي نفسها لا تتفاضل، وإنما التفاضل بأمورٍ أُخر زائدةٍ عليها، وإِذَا فضَّل الإنسان نبيًّا من الأنبياء بتفضيل منهيٍّ عنه لا يجوز لـــه.

كما قرَّر بعض العلماء أنه لا تَفضُّل بينهم تفضيلاً يؤدِّي إلى تنقُّص بعضهم أو البعض منهم، لا سيَّما فِي جهة يونس بن متَّى؛ إذ أخبر الله تبارك وتعالى عنه بما أخبر؛ لئلا يقع فِي نفس من لا يعلم منه ذلك غضاضةٌ وانحطاط مرتبته لرفع رتبتهم عليه.

وقال بعضهم: أحسن الوجوه فِي الجزئيِّ والكليِّ، والفرق بين الأولياء والصالحين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما شهد به الكتاب.

وقال بعض العلماء: التفضيل جائزٌ بالقرآن؛ لأن الأنبياء منهم رسلٌ، ومنهم أولو عزمٍ مـــن الرســـل، ومنهم من رُفع مكانًا عليًّا، ومن أُوتي الحُكم صبيًّا، وأُوتي بعضهم الزبُور والـــصحف والسفر، وبعضهم البيِّنات، ومنهم من كلَّم الله تبارك وتعالى، ورفع بعضهم درجات بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥].

قال بعض العلماء: التفضيل كل من كانت معجزاته أبهر وأشهر، أو تكون أمَّته أزكى وأكثـــر، أو يكـــون فِي ذاته أفضل وأظهر، وفضله فِي ذاته راجعٌ إلى ما خصَّه الله تبارك وتعالى به: من كرمه، واختصاصه من كلامٍ، وخلَّةٍ، ورؤيةٍ، وما شاء الله تبارك وتعالى من ألطافه، وتحف ولايته واختصاصه.

وقـــد ورد أن: «إنَّ للنبوَّةِ أثقالاً، وإنَّ يُونُسَ تفسَّخ منها تفسُّخ الرُّبعِ[(١)]»، فحفظ ﷺ موضـــع الفتنة بأوهام من يسبق إليه بسببها، فلا يخرج فِي نبوَّة نبيٍّ بغير علمٍ، ولا يقدح فِي أصفيائه، ولا يحيط من رتبته ولا من عصمته، وأمره بذلك شفقةً منه على أمته.

وقـــد سُـــئل شيخ الإسلام الرمليُّ: أيما أفضل: الليث، أم الشافعيُّ؟ فأجاب عفا الله تبارك وتعالى عنه على سؤال ذلك السائل بأحسن تقرير: قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ

---

(١) رواه الطبري في التفسير (١٧/٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٥٠)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٣٩)، وذكره القرطبي في التفسير (١١/٣٢٩).

قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، فجزاه الله تبارك وتعالى خيرًا.

والنبيُّ ﷺ مُظْهِرُ سرّ الجود الجزئيِّ والكلِّيِّ، والإنسان عين الوجود العلويِّ والسفليِّ، إنسان عين الوجود، ولا إشكال فِي ذلك ولا شكَّ؛ فإنه مرآة الأعمال الصالحة، وكل معنًى فِي القرآن ظهر فِيه؛ لأنه خلقه الشريف، يرضى برضاه، ويغضب بغضبه.

وقال بعضهم: رأيت أني عند رسول الله ﷺ وأنا أُصلِّي وأبكي، وأتلو هذه الآية الشريفة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، فأفقت، وأنا أصلي على النبيِّ ﷺ، وأقول: عزيزٌ عليه، وأخذتني الحركة والخشوع حتى جئت المسجد الشريف، فقال مكاشفًا لي: أنا مرآة أمَّتي. ثم أخبره بما كان.

وقال عبد الله بن عمر: «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وهُوَ يَأْكُلُ[(١)]».

وقال ابن مسعود: «كَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ونَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ[(٢)]».

وقال أنس: «أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصًى، فَسَبَّحَ فِي كَفِّهِ، وصَبَّ فِي كَفِّ أَبِي بَكْرٍ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ[(٣)]».

وقال عليٌّ ﷺ: «خرجتُ معه فِي نواحي مكة، فما استقبلَ شجرةً ولا جبلاً إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[(٤)]».

وقيل: إنَّ الحجر سلَّم عليه مرَّات.

ولما دعا للعباس أمَّنت سكنة الباب على دعائه وحوائط البيت.

وآتاه جبريل عليه السلام بطبقٍ فِيه رمَّانٌ وعنبٌ، فأكل منه، فسبَّح[(٥)].

وصعد ﷺ هو وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تبارك وتعالى عنهم وعن بقية

(١) رواه البخاري (٣/١٣١٢)، والترمذي (٥/٥٩٧)، وأحمد في المسند (١/٤٦٠)، والدارمي في السنن (١/٢٨).

(٢) رواه الطبراني في الصغير (١/٣٧٨)، وابن عدي في الكامل (٦/٣٣٧).

(٣) ذكره الماوردي في أعلام النبوة (١/١٦٣)، والقاضي عياض في الشفا (١/٢٢٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره الإيجي في المواقف (٣/٣٨٥).

الصحابة أجمعين أُحد، فرجف بهم، فقال ﷺ: «اثْبَتْ أُحدٌ؛ فَإِنَّمَا عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان[1]»، ومثله «إنَّما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدٌ[2]».

وقال مرة لبعض من أسلم من الجن: «أنا معك؛ فاشهد بِي. فجاءه بعد سنين، فقال: يا نبيَّ الله، ما فعلت شيئًا إلا رأيتك فِيه[3]».

وقال لبعض أصحابه: «كُنْ مع الله ورسوله فِي سفرك». قال: ما غاب عنِّي أبدًا[4].

والأدلة الواضحة فِي هذا كثيرةٌ.

والمراد بالعلويِّ: الملائكة، وبالسفليِّ: الجن والإنس، وهو كذلك إنسان عين الوجود من جميع المخلوقات: العلويِّ، والسفليِّ، وعين حياة الدارين وما فِيها من العوالم من المخلوقات، روح جسد الكونين: الدنيا، والآخرة، بما خصَّه الله تبارك به من أنواع الكمالات فِي الدنيا، ورحمته لأصحابه.

قال أبو هريرة: «أصابَ النَّاسَ مخمصةٌ، فقال لي رسول الله ﷺ: هل من شيءٍ؟ قلت: نعم، شيءٌ من التمر فِي المزود. قال: فأتِني به. فأدخل يده، فأخرج قبضةً، فبسطها، ودعا بالبركة، ثم قال: ادعُ عشرةً. فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم، وشبعوا، قال: خذ ما جئت به، وأدخل يدك، واقبض منه، ولا تكبُّه، فقبضت على أكثر ما جئت به، فأكلت منه، وأطعمت حياة رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، إلى أن قُتل عثمان، فانتهب منِّي[5]».

وقد شملت بركته الجمَّ الغفير من النَّاس؛ فهو عين حياتهم فِي الشدَّة والرخاء، وبهجتهم فِي الآخرة؛ لما يرون من كرامته وشفاعته، يرونها منه ﷺ، المتحقِّق بأعلى رتب العبودية

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٤٤)، وأبو داود (٢/٦٢٤)، والترمذي (٥/٦٢٤)، وابن حبان في الصحيح (١٥/٢٨٠).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/٤٢٥)، وذكره تقي الدين الهندي في كنز العمال (١٣/ ٨٣).

(٣) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

(٤) حديث كسابقه.

(٥) ذكره الحصني في دفع شبه من شبه (ص١١٩)، والقاضي عياض في الشفا (١/٢٢٠).

حقيقةً؛ لما ورد: «مَا مِنْ رتبةٍ إلا ولي فوقها رتبةٌ[1]»؛ فهو متحقِّقٌ بسائر المراتب.

وأخبر أعرابيًّا بما يتمُّ لـــه، فجاء كما قال.

وقال فِي بعض تحقُّقاته: «الرُّتبُ كثيرةٌ[2]».

وفِـــي حديث ابن عمر: «أمَّتي لها رُتَبُ العبوديَّة، فمَنْ تحقَّقَ بِهَا اتَّصَلَ، ومَنْ دَخَلَ فِي رُتْبَتِهِ نَجَا[3]».

وفِـــي ذلك تفصيل أن من تحقَّق بالرتبة الأولى لا يرغب فِي جمع المال وادخاره، ولا يسعى فِي خزن شيءٍ واحتكاره، والمؤمن منه، أعني من أهل هذه الرتبة، رضاه من الدنيا ما يسدُّ جوعته، ويستر عورته، وغناه فِيها ما يبلغه الآخرة.

وقال وهب: من أحبَّ أصحاب الرتب أكثر سوادهم، ثم بكى، وقال: أولئك قومٌ لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون.

وقـــال القاشاني: ورد: «يا داود، إن أردت رتبة عبوديَّتِي لا تشهد غيري؛ فإنَّ من أحبَّ حبيبًا صدَّق قوله، ومن استأنس بحبيبٍ رضي بفعله، ومن وثق بحبيبٍ اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيبٍ جدَّ فِي سَيره، يا داود، مَنْ تحقَّق برتبة عبوديَّتي استأنس بذكري، ولم يشتغلْ بغيري، فإن ذكري بهجة الذاكرين، وجنَّتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين ولنا خاصَّةٌ للمحبِّين».

وقال فِي المعنى:

حقـــيقةُ العـــبدِ عـــندي فِـــي توكُّلِهِ ... ســـكونَ إحـــساسِهِ عَنْ كُلِّ مطلُوبْ
وأنْ تـــراهُ بكـــلِّ الخلـــقِ منطـــرحًا ... يـــصونُ أســـرارهُ عَـــنْ كُلِّ محجوبْ
فَمَـــنْ تَحقَّـــقَ بأعلـــى رُتْبَةٍ ظَهَرَتْ ... عَلَـــيْهِ فِـــيهِ بغـــيبٍ فِـــيهِ تـــرتيبْ
فهـــذهِ رتـــبةٌ قـــد فـــازَ تَابِعُهَـــا ... وفـــازَ عَامِلُهَـــا والـــسرُّ موهـــوبْ

فهذه تحقُّق رتبة العبودية.

وقال القاضي عياض: في رتب العبودية:

(١) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

(٢) حديث كسابقه.

(٣) حديث كسابقه.

الأول: سرٌّ موهوبٌ، يتحقق به العابد فِي جميع تعبداته، وهي رتبة العارفين.

الثاني: اقتفاء قدم الظاهر فِي الأقوال والأفعال والأوامر، وهو قدم الصادقين.

الثالث: طرح أنواعٍ تكلّفت رتب العبودية فِي عبادتهم، فلا يرون إلا واجبًا، وهو تحقق قدم الأنبياء أولي العزم، وهذا قدَّمه ﷺ، المتحقِّق به؛ فهو المتحقِّق بأعلى رتب العبودية، والمتخلق بأخلاق المقامات الاصطفائيَّة، المتخلق بهذه المقامات الذي اصطفاها الله تبارك وتعالى، وأخلاقها من خلقه العظيم الذي مدحه الله تبارك وتعالى به، وأثنى عليه بما اصطفاه به بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والمقامات التي اصطفى الله تبارك وتعالى به أنبياءه وأمرهم بالتخلُّق بها نالوا بها التعظيم، لا يقدر أحدٌ أن يصل إليها من البشر وغيرهم، وهو قد فاق عليهم بعلوٍّ مقامه، وكمال رتبته، وزهده، وورعه، وأخلاقه.

فهذه المقامات لا تُحصى، منها اشتغاله بالعبادة، والمداومة عليها، وعدم التفاته للدنيا، وصبره أيامًا لا يرى فِيها زادًا، ولا يوقد به فِيها قِدرًا.

ومنها: عدم الشيء فِي منزله، وهو مع ذلك حامدٌ شاكرٌ.

ومنها: قوله ﷺ: «نَحْنُ أُولُو العزمِ لَنا صَبْرٌ وَصَفَنَا الله بِهِ، وأَثْنَى عَلَيْنَا بِهِ، وإنِّي فُقْتُ عَلَيْهِمْ، ولا فخرَ[(١)]».

ويشهد له بذلك قوله ﷺ لأصحابه: «لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ[(٢)]».

وقوله أيضًا: «إنَّ لِي وَقْتًا مَعَ رَبِّي[(٣)]».

وقوله أيضًا: «إنَّمَا أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي[(٤)]».

وقوله: «إنَّ لِيْ مَعَ رَبِّيْ وَقْتًا لا يَسَعُنِيْ غَيْرُهُ[(٥)]».

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه الترمذي (١٤٨/٣)، والنسائي في الكبرى (٢٤٢/٢)، وأحمد في المسند (٢٣/٢)، ومالك في الموطأ (٢٤٣/١)، والدارمي في السنن (١٤/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٩/٧).

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) رواه مالك في الموطأ (١٨٨/٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٤٦٣/٢)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٢٠٧/٤).

(٥) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

فهذه مقاماتٌ اصطفاه الله تبارك وتعالى بها، وخصَّه.

وسُئل عن التخلُّق بالمقامات الاصطفائيَّة؟ فقال: ((هُوَ مَا اختارَهُ لعبادِهِ، وأصفيائِهِ، والعلماءِ مِنْ أهلِ الدِّينِ والحقيقةِ، ثُمَّ قرأَ قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] [(1)])).

وفِي الحلية: ((عَلَيْكُمْ بالتخلُّقَ بالمقاماتِ الاصطفائيَّة؛ فإنَّ الله لا يرضى هذا المقام إلا لأصفيائه، وما تخلَّقَ به إلا صِدِّيقٌ[(2)])).

فهو ﷺ متحقِّقٌ بأعلى رتب العبودية، ومتخلِّقٌ بأخلاق المقامات الاصطفائيَّة.

(الخليل الأعظم، والحبيب الأكرم) تقدَّم ذكر الخلة، وقد عرفت معنى الحبيب والشفيع، وذكر مؤلف هذه الصيغة عفا الله تبارك وتعالى عنه الخلة فِي هذا المحل؛ لأن الحبيب خليلاً، والخليل حبيبًا، سيِّدنا مُحَمَّدُ بن عبد الله بن عبد المطلب فضله ظاهرٌ بالإجماع، أعطاه الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ القرآن، الذي لا يملُّ قارئه، ولا يمجُّه سامعه، ويحبُّه؛ بل الإكباب على تلاوته تزيده حلاوةً، وترديده يوجب له المحبَّة، لا يزال غضنًا طريًّا، ليس كغيره من الكلام، يُتلذَّذُ بتلاوته فِي الخلوات، ويُؤنس فِي مدى الأزمان، لا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، قولٌ فصلٌ، ليس هو بالهزل، لا تشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، لم تنتهِ الجن حين سمعته، بل قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن:١، ٢]، ومنها جمعه لعلومٍ ومعارف لم تعهد العرب عامَّةٌ ولا قوم مُحَمَّدٍ ﷺ قبل نبوَّته خاصَّةٌ بمعرفتها، ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحدٌ من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتابٌ من كتبهم، قد جمع فِيه من بيان علم الشرائع، والردُّ على فرق الأمم ببراهين قويَّةٍ، وأدلَّةٍ بيِّنةٍ مسهَّلة الألفاظ، موجزة المقاصد، ضرب الله تبارك وتعالى فِيه من كل مثلٍ.

وقال ﷺ: ((أُنزل هذا القرآن آمرًا وزاجرًا، وسنته خاليةٌ، مثلاً مضروبًا فِيه نبأكم، وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلح، سراجٌ، ونورٌ، وهدًى، وفرقانٌ، وبيانٌ، وقسمٌ، وحكمٌ، جاء

---

(١) حديث كسابقه.

(٢) حديث كسابقه.

به مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب[(١)]».

(ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين):

الأنبياء عليهم السلام مائةٌ وأربعةٌ وعشرون ألف نبيٍّ، منهم ثلاثمائةٌ مرسلون، جاؤوا لأممهم، والباقي أنبياء غير مرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

(وعلى آلهم وصحبهم أجمعين):

آل النبي: أتباعه وصحابته رضي الله تبارك وتعالى عنهم، وحشرنا فِي زمرتهم، ونفعنا بمنِّه وكرمه طول دهر الداهرين وأبد الآبدين.

(كلَّما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون).

والحمد لله رب العالمين.

(١) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٥/٢٥١).

الباب الخامس

فِي فضل النبيِّ ﷺ

وأحاديثُ فِي فضل الجهر بالذِّكر

وذكر فضل يَوْم الجمُعَة وليلتها والتجلِّي فِيها دون الليالي

من مغرب يَوْم الجمُعَة إلى صبيحة يَوْم السبت

وجمعـــتُ على ذلك مسائل ملتقطةً، وأقوالاً مختلفة، وهواتف، ومعاني، جُمعت من كتبٍ متعدِّدةٍ، مثل: كتاب «الترغيب» للإمام المنذري.

«وخصائص الجلال السيوطي».

وكتاب «مصباح الظلام فِي المستغيثين بخير الأنام».

وكتاب «البِشَر بخير البَشَر».

وكتاب «المشرف»، وكتبٍ عديدةٍ، عزوت قول كل إمامٍ فِي ذكر كتابه بسنده، وما ذكـــرت حديـــثًا إلا أتيت باسم كتابه وطرقه؛ حتى لا تشتبه على الناظر، ويعرف ذلك المخبر الخابر، وإِذَا رأى العارف حديثًا تكرَّرت أقواله بالزيادة والنقصان فيكون من طرقٍ متعددةٍ عند أهل هذا الشأن، مأخوذٍ عن الحفَّاظ بقوة سندٍ مقبولٍ، أو زيادة لفظٍ منقولٍ، أو صحة نقلٍ على رجاله محمول، أو يكون ذلك نظرًا إلى من خرَّج ذلك الحديث وجمعه، أو نظـــر إلى محاســـن ألفاظه وقوة سنده ورجاله ومعرفة أحكامه، وغير ذلك من أنواع الحديث.

وإِذَا قلنا بنظر عارفٍ عالمٍ مجتهدٍ فِي طريقه عاملٌ بمعرفة أنواع تحقيقه فلا اعتراض؛ لأن هـــذا الكـــتاب مجموعٌ من كتب الحفَّاظ، مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني، والإمام القسطلاني، والحافظ عبد العظيم المنذري، وشيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة، والحافظ عبد الغني، وخاتمة الحفَّاظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي الشافعي، والإمام السخاوي

الشافعي، وتلميذه القسطلاني صاحب «المواهب»، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشيخنا الرملي، والبهنسي، وغيرهم من المتأخِّرين، ممن جمعنا عنهم هذه الأقوال، ونقلنا تقريراتهم على هذا المنوال، وقد أخذنا القوي من سندهم، ومدَّنا الله تبارك وتعالى بمددهم، ومع ذلك فلا اعتراض على الجامع لمحاسن هذه الألفاظ فيما نقله عن هؤلاء الأئمة الحفَّاظ، وأجزى الله تبارك وتعالى مَنْ ضَبطَ من بعده هذه الألفاظ، ومن رأى خللاً وصحَّحه، وبيَّن قولاً وأوضحه، وستر الله تبارك وتعالى عيب من ستر المؤلف، ولا يفضحه، فإن الإنسان لا يخلو من حاسدٍ، ولا من عدوٍّ معاندٍ، والعذر مقبولٌ عند الخيار من الناس، وستر الله تبارك وتعالى عيب من ستر عيب أخيه، وخير الناس من قبل المعذرة، وقد قدَّمت لك هذه الأقوال؛ فإنه ورد من قبل: «مَنْ عَذَرَ أَخِيه وأَوْلاه وستره بالمعونَة كان فِي كِفْلٍ مِنْ رَحْمَةِ الله(١)».

والله وكيلٌ وكفيلٌ بما أقول، ورحم الله تبارك وتعالى من صحَّح هذا المنقول، وعمل بالخبر المنقول، وسامح بالمعقول، ونصح ولا فضح، وبيَّن قصد المؤلف، وأوضح، وقصد الأجر والثواب من الملك الوهَّاب، وبالله أستعين، ومنه أستمد، فهو المعين بما أراد، وله الحمد، وبيده الهداية والتوفيق.

اعلم يا أخي وفَّقك الله تبارك وتعالى أنِّي جمعت هذا الباب من أربعين كتابٍ، وحذفت ما تكرَّر لفظه، فحَلا، وراقت معانيه، وانجلى؛ فهو عروس الراغبين، وبهجة الطالبين، ومنهاج العابدين، وروضة المتوسِّلين، وزهرة رياض المتحقِّقين.

فمن محاسن كتاب «المتوسلين»: أن بعض الأعراب خرج طالبًا العراق، فانقطع، وانفرد، وفارق القفل الذي كان فِيه، وتجرَّد، وسار إلى أن وصل إلى بريَّة من البراري، فآيس عن نفسه لما تعبَ التعب الشديد، وسار فِي تلك البرية حتى قطع ما يزيد عن البريد، فأوهج فِي بعض الأيام عليه الحرُّ، وأيقن بالبلاء والضرِّ، وآيس عن نفسه، وأيقن بحلول رمسه، ولم يجد ما يشربه من الماء، وزاد ألمه من شدة الظمأ، فسار يزحف قليلاً، ويبكي ذليلاً مدة أيام فِي شدَّةٍ واكتئابٍ، فأشرف حين إيابه على شابٍّ من الشباب،

---

(١) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

جالسٍ فِي روضة من الرياض، وأنواع الزهورات حوله، فِي ذلك الغياض[١] هو يصلِّي على النبي ﷺ بخشوع، وقد أهمل الدموع، فلما رآه قال له بالمكاشفة، وأخذه بالملاطفة، وناداه: يا أخا العرب، هل لك فِي بلوغ القصد والأرب؟ فإن كنت عطشانًا أسقيناك، ولك الضيافة فِيما أطعمناك. فقصَّ عليه القصة، وأخبره بالأمور المنقصة، ثم أطعمه، وسقاه، ونادى له بعد ذلك: قم يا أخي إلى هذه العين، وتوضَّأ، واطلب من الله ﷻ الرضا والعفو عمَّا مضى، وإن أردت الرضا فأَكْثِرْ الصلاة على سيِّد أهل السماء والأرض، ومبيِّن السنَّة والفرض، فقام عنده ثلاثة أيامٍ، فقال له: يا أخي انقضت الضيافة وأنت قد فارقتك جماعتك، وقد صار لك عليَّ حقٌّ الصحبة، هل لك أن تمضي إلى بغداد وتسبق جماعتك إلى البلاد، وتلحق بهم، وتسافر، وتصير لهم مسامر؟ فقال: يا أخي، أريد الراحة فِي مدينة بغداد دار السماحة. فما تم كلام ذلك الشاب باهتمامٍ حتى رأى الأعرابي نفسه فِي دار السلام، فعلم أن ذلك ببركة الصلاة على النبيِّ ﷺ، فلزم الصلاة عليه، فصار الناس يتبرَّكون به، وانقطع بزاويةٍ ببغداد، وأتته النُّذر من سائر البلاد، وقبره معروفٌ بقبر المصلِّي على النبيِّ ﷺ إلى زماننا هذا.

ومن محاسن ما ذكره البوني فِي إخراج الأسماء فِي هذا البيت، وهو من بحر الطويل فِي نعت اسمه الشريف، مدحه به حسان بن ثابت، قال ذلك القسطلاني، وذكره أبو طالب المكِّي، والقاضي عياض فِي «الشفاء».

قال البوني: إن هذا البيت فِيه خواصٌّ كثيرةٌ تنفع للخوف، والفزع، ولمشي الليل، ولقهر الأعداء، ولمقابلة الحكَّام، واستنبط فِي نظمه اثنين وعشرين اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى، وجمع حروف هجائه هذا البيت هذه الحروف: (و ش ق ل هـ م ن ا س م ي ج ف ذ ع ر ح د)، وهي ثمانية عشر حرفًا، يُقضى بها سبعون حاجةً، واستخرج منها من أسمائه الحسنى: (السلام، المؤمن، المهيمن، القهَّار، والرافع، المذلّ، السميع، الحليم، العدل، الحيّ، القيُّوْم، الجليل، الواجد، الماجد، القادر، الواحد، الأحد، ذو الجلال، النافع، المانع، النُّور، الهادي، الرشيد)، (سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ)، وحرف الباء زائدٌ؛ لأنه سرُّ الأسماء، ونقطة الباء نقطة الأسماء، ومادتها مادة الأسماء، إلا أنها ليست من البيت؛

(١) الغياض: مفردها غيض، وهو مكان يجتمع فيه الماء فينبت فيه الشجر.

بل هي دائرته، وهي لعقد لسان الملوك والجبابرة، وإذَا كُتبت فِي وسط دائرتها:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩] نفعت من سائر الأسقام، وهي هذه كما ترى:

وشَقَّ لَهُ مِنْ اسمه ليَجُلَّهُ ... فذُو العرشِ محمودٌ وهذا مُحَمَّدُ

ومن محاسن ما بيَّناه لك فِي هذا الخاتم الشريف: أن فِيه اسم الله الأعظم فِي أواخر سورة الحشر، والأحاديث الواردة الدالة على ذلك، وقد شرح اليافعي فِي ذلك مجلدًا ضخمًا، ومنافعه لا تعدُّ ولا تنحصر، وفِيه آية الكرسي، التي هي أفضل آي القرآن، تقضي اثنين وسبعين حاجةً، كما قرَّرت علماء الحرف رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

وهذا البيت الذي أنشأه حسَّان سمعه النبيُّ ﷺ مدحه به، وكان يهزُّ رأسه ﷺ إذَا سمعه منه.

وقد وضعت العلماء رضي الله تبارك وتعالى عنهم لهذا البيت خاتمًا جليلاً، ولولا خوف الإطالة والملل لذكرت لك فِي هذا شيئًا كثيرًا، وهذه التهاطيل السبعة المستخرجة من اسمٍ واحدٍ، وهو (لمقهطينجف)؛ فاعرف قدرها، وجميع أحرفها تسعة أحرفٍ، وهي [ل م ق هـ ط ى ن ج ف]، فهذه الأحرف جمعت طبائع أحرف خاتم الغزالي رضي الله تبارك وتعالى عنه، وهي [ب ط د ز هـ ج و ا ح]، وجمعت الطبائع الأربع والعناصر الأربعة، وهي: الماء، والتراب، والنَّار، والهواء، فاعرف ذلك.

وهذه الأهاطيل كما ترى مبيَّنةٌ (لهطهطيل مهطهطيل قهطهطيل فهطهطيل نهطهطيل جهطهطيل لهطهطيل) وعدَّ لها ابن سبعين خواصًّا كثيرةً إذَا كُتبت والقمر فِي برجها وحملها إنسانٌ انتصر على أعدائه.

وذكر البوني: أن من كتب خاتم فِي شرق الشمس وكتب معه من أسمائه: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١، ٢]، ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١، ٢]،

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ إلى آخر السورة كفاه الله تبارك وتعالى شرَّ ما يخشاه، وإن دخل على سلطان كفاه الله تبارك وتعالى شرَّه، وإذا كتب هذا الخاتم ومعه: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح:١] إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح:٤]، وآخر سورة الكهف: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ [الكهف:٩٤] إلى قوله: ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف:٩٩]، كذلك يجمع الله تبارك وتعالى فلان بن فلانة مع فلانة بنت فلانة، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ [الكهف:٩٨]، وحمله للمعقود انحلَّ لوقته ببركته ﷺ، وبركة اسمه الشريف، ويكتب في ساعة الزمرة للمتباغضين، ويكتب معه قوله: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

اللَّهُمَّ يا من خلق في السماء الرابعة مُلكًا نصفه من نارٍ ونصفه من ثلجٍ، لا الثلج يطفئ النَّار ولا النَّار تذيب الثلج ألِّف بين قلوب خلقك على محبَّة فلان بن فلانةٍ، أو ما أراد، وتكون الكتابة في ساعة الزمرة.

ومن محاسن هذا الخاتم: لعقد الألسنة، ويكتب معه: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات:٣٥]، ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨]، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس:٩]، شاهت الوجوه، عدَت العادون، وجاروا، ورجونا الله ﷻ مجيرًا، وكفى بالله وليًّا، وكفى بالله نصيرًا، فإنها عقد لسان ما رئي مثله، يكتب والقمر في برج العقرب في ساعة المريخ، وخواص هذا الخاتم يطول شرحها.

ومن محاسن ما ذكره أيضًا: أن من كتب (مُحَمَّدٌ رسول الله أحمد رسول الله) أربعًا وثلاثين مرة بعد صلاة الجمُعَة وحملها معه رزقه الله تبارك وتعالى قوَّةً على الطاعة، ومعونةً على البركة، وكفاه الله تبارك وتعالى شرَّ همزات الشياطين، وإن هو استدام النظر إلى تلك البطاقة وهو متخيِّلٌ اسم النبيِّ ﷺ واسم أحمد ﷺ وبين كمال الاسمين المباركين، حرف الألف يخرق الدال خرقًا لطيفًا، ويديم النظر إليها كلَّ يَوْم عند طلوع الشمس وهو يصلِّي

على النبيِّ ﷺ يسَّر الله تبارك وتعالى عليه فِي يَوْمه أسباب السعادة، وذلك بسبب القبول، وعقد النيَّة، وصفاء الباطن، وهذا سرٌّ لطيفٌ جدًّا.

ومن كتب شكله العددي المربع وحمله أمَّنَهُ الله تبارك وتعالى من الأعداء المضرِّين من أي العــوالم كانوا، ومن كتبه ومحاه لم يشتكِ حمى مطبقةً نفعه ذلك، وكذلك يخفف ألم السمِّ الملذوع من العقارب والحيَّات، وغير ذلك مما يناسب هذا الباب.

وهذا المربع العددي المربع الحرفِي فخاصيته أنه يُذهب النسيان، ويجيد الفهم والعقل لمن استدام شربه بماء المطر والعسل لمن يشتكي وجع صدره، وينفع أيضًا.

١	٤	ع	ع
١٣	٩	٧	٩
٨	١٥	١٨	٤
١٣	٣	٣	١٩

وإن نُقش والقمر فِي العقرب والمريخ ينظر إليه فِي لوحٍ نحاسٍ يصلح للملذوعين من العقارب، إذَا سُقي ماءه بعد أن يغمر الخاتم فيه، ولما أن كانَ هذا الخاتم الشكل المربع هو مجموع الألفات الأربع التي هي سرُّ العقل وسرُّ الروح وسرُّ النفس وسرُّ القلب فالألف فِي العــدد واحــدٌ، وإذَا ضــربت الأربع فِي نفسها استنبطت ستة عشر، وهو انتهاء العدد التفــصيلي؛ لأن العرش والكرسي والسماوات السبع والأرضين السبع الجملة ستة عشر، وهــذا العدد هو انتهاء هذا الشكل المربع الذي هو ستة عشر بيتًا، وفِي هذه الستة عشر شفعية الأربعة عشر وهي السماوات والأرضون، وفِيها شفعية الاثني عشر، وفِيها شفعية الثمانــية، وهي شفعية حملة العرش، وفِيه شفعية الستة، وهي شفعية الحدود والجسمانية: فــوق، وتحت، وخلف، وأمام، ويمين، وشمال، وفِيه شفعية الأربع، وهي شفعية النبيِّين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين، وفِيه شفعية الاثنين، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله، فهذه سبعة أشفاع، وفِيه من الوتر وتر الخمسة عشر، وهو الكرسي، والسماوات السبع، والأرضين السبع، وفِيه وتر الثلاثة عشر، وهي وتريَّة العرش، واللوح، والقلــم، والــصور، وروح القدس، والكرسي، والسماوات السبع، وفِيه وتريَّة الإحدى عشر، وهي ما فِي عوالم الإنسان: من حواس السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، والجهات الستة، وفِيه وتر الشفعة، وهي ذات الإنسان الثمانية، وهي التاسع.

وهـــا أنا أبيِّن لك ذلك مفصلاً؛ فإن طبائعه الأربعة هي: الحرارة، واليبوسة، والبرودة والـــرطوبة، والـــصفرة، والهوى، والدم، والبلغم؛ فإنَّ الصفرة حارَّةٌ يابسةٌ، والهوى حارٌّ رطبٌ، وهو طبع الدم، والبلغم باردٌ رطبٌ، وقد أقام السوداء مقام الإنسان الكامل، وهي بـــاردةٌ يابسةٌ، فهذه التسعة مفصَّلةٌ، وفِيه وتر السبعة، وهي وترة الأفلاك السبعة: زحل، مـــشتري، مريخ، زهرة، عطارد، ووتر الأيام السبعة، ووتر الأرضين السبعة، وكل سبعٍ، وفِيه وتر خمسةٍ، وهي الصلوات الخمسة، وفِيه وتر ثلاثةٍ، وهي الدور الثلاثة: دار الدنيا، ودار الآخرة، ودار البرزخ، وفِيه وتر واحدٍ، وهو العقل، فاجتمع فِيه سبعة أشفاعٍ وثمانية أوتارٍ، كلُّ شفعٍ يتلقَّى كل وترٍ، وكل وترٍ يتلقَّى كل شفعٍ، مثال ذلك: واحد وواحد اثنين وثلاثـــة، وثلاثة سنة، وكذا... إلخ، وكذلك الأشفاع، وهذا شكل العدد بالقلم الطبيعي، وهو كما تراه.

وهذا شكله بالقلم الهندي:

١	٤	ى	ى		أ	ى	ي	ح
س	٩	٧٠	٩		ى	ز	ب	بح
٨	١٠	١١	٤		و	ط	بع	ح
٣	٣	٣	١٨١		ب	د	ه	ى

والحمد لله على كل حال.

وأمـــا الستة أحرف فِي قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، فقد رأينا فِيها أســـرارًا عجيبةً، وتصرُّفاتٍ غريبةً، واستخرج بعض العارفين من هذا البيت من أسمائه ﷺ خمـــسين اسمًا، وذكر منافعها، وجعل نقطة الباء كالدائرة بالجميع، وذكر فضلها وسرَّها، فانظر إلى ما استخرج هذا العارف من هذا البيت، وما جمع فِيه من أسماء ملائكة الهوى، وملائكـــة الـــنَّار، وملائكة التراب، وملائكة الماء، قد جمع فِي هذا البيت من ملائكةٍ، وخـــواصٍّ، وأسماءٍ، واستنبط منه كتابًا جامعًا للفضائل، وكلُّ هذا ببركة هذا النبيِّ الكريم والرسول العظيم ﷺ، وشرُف، وكرُم، وما نحن بصدد هذا، ونعود إلى ما قصدنا من بركة الصلاة عليه ﷺ.

فمـــن ذلك ما نقله الإمام العلامة الإمام القزويني فِي نشر محاسنه: أن كان بجواره رجـــلٌ فقير الحال تأتيه الناس بالدنانير والدراهم، ويسألونه الدعاء، ويتبرَّكون به، وكنت

أجـده لا يـزيد عن صلاة الفريضة، فصحبته، وأخذت معه السير فِي الليل والنهار حتى امتزجت الصحبة، وتآلفت القلوب، وأخذنا فِي الأخوة، وسألته بالذي أطاع لـه العالم، وألان لـه الجماد، وأقاد لـه المخلوقات: ما سبب ذلك، وأنت كما أراك ليس معك مـن أخـلاق الصالحين وأعمالهم وبكائهم وخشوعهم وخضوعهم وما هم عليه شيءٌ، والناس أراهم يأتون إليك، وهم على ما أرى معك فِي المحبَّة والصحبة والإلف، وسؤالهم لك الدعاء الصالح؟! فقال: يا أخي، كل ما نزل ببركة الصلاة على النبي ﷺ، وما أعلمت أحدًا بذلك غيرك. فقال لـه: يا أخي، ما هذه الصلاة التي تقولها؟! قال: أقول عند نومي قـبل أن أتكلـم هـذه الصلاة الآتي ذكرها؟ فوجدت ما تراه ببركتها: من محبَّة الناس، والإلف، والودِّ، والقَبول، وغير ذلك.

قال الإمام القزويني: هي من مجرَّباتي، وقد رأيت ببركتها ووجدتُ خيرًا زائدًا، ورزقًا رغدًا فائضًا، وكان ذلك ببركة الصلاة على النبيِّ ﷺ.

وقال الإمام الطائي ﷺ: هذه الصلاة جمعت الفوائد، ولها أسرارٌ عجيبةٌ.

وهذه الصلاة الموعود بها نفع الله تبارك وتعالى بها ببركته، آمين: (اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ على سيِّدنا مُحَمَّد عبدِك ونبيِّك ورسولك عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، عدد ما خفِي وما ظهر من معلوماتك، وهو كائنٌ فِي علمك، عدد كلِّ شعرٍ نبت وظهر فِي سائر ما خُلق: من بَشرٍ، وحيوانٍ، وغير ذلك مما تعلم، وعدد ما دبَّ وما مشي من سائر ما خلقته، وكل ورقٍ علا وسفِل واخضرَّ وأزهر، وعدد نبات الأرض، ومثاقيل الذرِّ، وما كان، وما يكون، صلاةً ترضيك وترضيه، وترضى بها عنَّا فِي حياتنا، ومماتنا، وحشرِنا، ونشرنا، يَوْم لا ينفع مالٌ ولا بنون، اللَّهُمَّ صَلِّ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ عبدك ونبيِّك عدد أنبيائك وأوليائك، وأحرف كتبك التي أنزلتها، عدد ما دعاك به إبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى، يا الله، يا الله، يا الله، يا ذا الجلال والإكرام، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] عدت العادون، وجاروا، فوجدنا الله تبارك وتعالى مجيرًا، وكفى بالله وليًّا، وكفى بالله نصيرًا، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى

بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٧٨:٨٩]، اللَّهُمَّ إنِّي أُشهِدُك، وأُشهدُ ملائكتك، وحملة عرشك، وسكان سماواتك وأرضك، والملكان الكاتبان الحافظان، وهذا المكان أنِّي أَشهد أنك أنت الله، وحدك لا شريك لك، وأن مُحَمَّدًا عبدُك ورسولُك، أرسلته إلى كافَّة الخلق بشيرًا ونذيرًا، اللَّهُمَّ كما أرسلته بالهدى اجعلنِي من أهل الهدى، وجنِّبني الردى، يا الله، يا ذا الجلال والإكرام، أجزل لي عطاءك، وحنِّنْ عليَّ قلوب خلقك، وهب لي يقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وأجرِ ذكر نبيِّك مُحَمَّد ﷺ على لساني، وشفِّعْه فِيَّ، ورغِّبنِي فِي سننه واتِّباعه؛ إنَّك على كل شيءٍ قديرٌ، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم).

ومــن محاسن عجائب المخلوقات للإمام الوردي: أن الله تبارك وتعالى خلق وردًا بــأرض الهند مكتوبٌ على كلِّ ورقةٍ منه (مُحَمَّدٌ رسول الله)، تحمله التجار معهم، فلا تغرق سفينةٌ هُمْ فِيها، معنى ذلك يكن فِيها من ذلك الورد، ولو وردةٌ واحدةٌ.

ومن محاسن ما نقله الشيخ شمس الدين القونوي قال: كنتُ فِي بعض سفراتي فاتهم رجــلٌ معنا بسرقة، وشهد عليه ملأٌ من الركب أنه سرق، وأمر شيخ الركب بقطع يده، وتهدمــه، وإشــهاره، وتشويه خلقته، فلما نزع المشاعليُّ ما عليه من الثياب، وأراد أن يــشهره انعجم لسانه، وسمعنا مناديًا يقول: لا تؤذوه؛ فإنه بريءٌ، كثير الصلاة على النبيِّ ﷺ. فأطلقــناه، وكنَّا نتبرَّك به، قال الشيخ: فسألته عن ذلك؟ فقال: يا شيخ، محبَّتي لهذا النبيِّ الكريم شجيَّةٌ من صغري، وأنا ألازم ذكره انتهى.

ومــن محاســن ما نقله صاحب كتاب «المستطرف» فِي آخر كتابه من الأحاديث الــشريفة فِي فضل الصلاة على النبي ﷺ: فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك: أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ صلَّى عليَّ صلَّتْ عَلَيْه الملائكةُ، ومَنْ صلَّتْ عَلَيْه الملائكةُ صلَّى الله عليه، ومَنْ صلَّى الله عليه لَمْ يبقَ شيءٌ فِي الأرضِ ولا فِي السماواتِ إلا وصلَّى عليه[1]».

وفِي حديثٍ آخر: «مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً أمرَ الله حافظَيْه ألا يكتبا عليه ذنبًا

(١) رواه ابن ماجه (٢٩٤/١)، والطبراني في الأوسط (١٨٢/٢)، وابن المبارك في الزهد (٣٦٤/١).

ثلاثةَ أيَّامٍ[(١)]».

وفي حديث آخر: «مَنْ صلَّى عليَّ مرةً واحدةً خَلَقَ الله مِنْ قَوْلِهِ مَلَكًا له جناحان: جناحٌ بالمشرق، وجناح بالمغرب، رأسه وعنقه تحت العرش، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِك. هَذَا مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيْكَ[(٢)]».

وفي حديثٍ آخر: «مَنْ صَلَّى عليَّ مَرَّةً صَلَّى الله عليه عشرًا، ومَنْ صلَّى عليَّ عشرًا صلَّى الله عليهِ مائةً، ومَنْ صَلَّى عليَّ مائةً صَلَّى الله عليه ألفًا، ومَنْ صلَّى عليَّ ألفًا لا يُعَذِّبُهُ الله بالنَّار[(٣)]».

وفي حديثٍ آخر:

«مَنْ صَلَّى عليَّ مَرَّةً كُتِبَ له عَشْرُ حَسَنَاتٍ، ومُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ، ورُفِعَت له عُشْرُ دَرَجَاتٍ[(٤)]».

وفِي حديثٍ آخر:

«أتاني جبريلُ يَوْمًا، فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ، جِئْتُكَ بِبِشَارَةٍ لَمْ آتِ بِهَا أحدًا قَبْلَكَ، وهِيَ أنَّ الله تعالى يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ له إنْ كان قائمًا قَبْلَ أَنْ يَقْعُدَ، وإِنْ كَانَ قَاعِدًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ خرَّ سَاجِدًا؛ شُكْرًا لله تعالى[(٥)]».

وفِي حديثٍ آخر:

«مَنْ صَلَّى عليَّ فِي كلِّ صَبَاحٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ مُحِيَتْ عَنْهُ ذُنُوبُ أَرْبَعِينَ عَامًا[(٦)]».

وفِي حديثٍ آخر: «مَنْ صَلَّى عليَّ لَيْلَةَ الجمُعَة أوْ يَوْم الجمُعَة مائةَ مَرَّةٍ قَضَى الله له مائةَ حاجةٍ، ووكَّل الله بِهِ مَلَكًا يُبَشِّرُه كمَا يُدخلُ عَلَى أَحَدِكُمْ بالهدايَا؛ فَلْيُقَلِّلْ أوْ

---

(١) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

(٢) حديث كسابقه.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٢/١٢٦)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٣٢٣) بنحوه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٥/١٠٠)، وذكره تقي الدين الهندي في كنز العمال (٢/٣٩٥)، والقاضي عياض في الشفا (٢/٦٢).

(٦) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (١/٣٢٩).

يُكْثِرْ[1]».

وفي حديث آخر:

«مَنْ صَلَّى عليَّ فِي كلِّ يَوْم مائةَ مَرَّةٍ قُضِيَتْ لـه مائةُ حاجةٍ فِي ذَلِكَ اليَوْم، إنْ شاءَ عجَّلها، وإنْ شاءَ أخَّرها[2]».

وفي حديث آخر:

«أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا أَكْثَرُكُمْ عليَّ صلاةً، والْمُصَلِّي عليَّ مَحْفُوظٌ مَلْحُوظٌ[3]».

وفي حديث آخر:

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مائةَ مرَّةٍ بُشِّرَ بالجنَّة قَبْلَ مَوْتِه[4]».

وزاد فِي لفظه: «وأَرْسَلَ لـه مَلَكًا يُبَشِّرُهُ بالأَمْنِ[5]».

وفي حديث آخر:

«جاءنــي جبريلُ، وقال: لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إلا ويُصَلِّي عَلَيْهِ سَبْعُون أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الملائكةِ، يَتَهَيَّؤون لقضاءِ حوائجِهِ[6]».

وفي حديث آخر:

«الدُّعاءُ بَعْدَ الصَّلاة عليَّ لا يُرَدُّ، ويَخرِقُ الْحُجُبَ[7]».

وفي حديث آخر:

«لا يَلِجُ النَّار مَنْ صَلَّى عليَّ[8]».

وفي حديث آخر:

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٣/١١١)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٥/٨٤)، وتقي الدين الهندي في كنـز العمال (١/٧٧٨).

(٢) تقدم بنحوه.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٣/١١١)، والبزار في مسنده (٤/٢٧٨).

(٤) ذكره تقي الدين الهندي في كنـز العمال (١/٧٧٩).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

(٧) حديث كسابقه.

(٨) ذكره ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (٥/١٤) بنحوه.

«مَنْ جَعَلَ عِبَادَتَهُ الصَّلاةَ عليَّ قَضَى الله لــه حَوائِجَ الدُّنيا والآخرة[(١)]».

وفي حديثٍ آخر:

«مَنْ نَسِيَ الصَّلاةَ عليَّ أَخطأَ طَرِيقَ الجنَّة[(٢)]».

وفـــي حديثٍ آخر: «إنَّ لله ملائكةً فِي الهواءِ بأَيْديهِمْ قَرَاطِيسُ مِنْ نُورٍ، وأقلامٌ مِنْ نُـــورٍ، لا يكتبُون إلا الصَّلاةَ عليَّ وعَلَى أَهْلِ بَيْتِي، ومَحَبَّتِي وصُحْبَةُ أَهْلِ بَيْتِي أَوْثَقُ عُرَى الإيْمَانِ[(٣)]».

وفي حديثٍ آخر:

«أَوْلَى النَّاسِ بِي اجتماعًا أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صلاةً واتِّباعًا[(٤)]».

وفي حديثٍ آخر:

«لَـــوْ أَنَّ عَبْدًا جاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتِ أَهْلِ الدُّنْيَا ولَمْ يَكُنْ مَعَهَا الصَّلاةُ عَلَيَّ رُدَّت عَلَى صَاحِبِهَا، ولَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ[(٥)]».

وفي حديثٍ آخر من الفوائد والعوائد:

«مَنْ صَلَّى عليَّ فِي كتابٍ لَمْ تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عَلَيْهِ، مَا لَمْ يَنْدَرِسْ اسْمِي مِنْ ذَلِكَ الكِتَابِ[(٦)]».

وزاده: «ومـــن أكرم (كاغدًا[(٧)]) فِيه اسْمِي أكرمَهُ الله، وتوَّجَهُ بتَاجٍ مِنْ نُورٍ، ووِدَّهُ، ووقَاهُ هَوْلَ الْمَوْقِفِ[(٨)]».

---

(١) حديث ذكره الصوفية في كتبهم.

(٢) رواه ابن ماجه (١/٢٩٤)، والطبراني في الكبير (١٢/١٨٠)، والبيهقي في الشعب (٢/٢١٥)، وفي الكبرى (٩/٢٨٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٩١).

(٣) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٣٤٦).

(٤) رواه الترمذي (٢/٣٥٤)، والبيهقي في الشعب (٢/٢١٢)، والطبراني في الكبير (١٠/١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٨/٤٢٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٢٥).

(٥) حديث كشفي صحيح.

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٣٢)، والقزويني في التدوين (٤/١٠٧)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٤/٢٣٥)، وابن كثير في تفسيره (٣/٥١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٣٦).

(٧) الكاغد: جلد يكتب عليه.

(٨) حديث كشفي صحيح.

وفِي كتاب الهداية قال ﷺ: «إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين فِي الأرض، يُبلِّغوني الصَّلاةَ عليَّ مِنْ أمَّتِي فَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ[(١)]».

وقــال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عليَّ كُنْتُ شَفِيعَه يَوْم القِيامَةِ، ومَنْ لَمْ يُصَلِّ عليَّ فأنَا بريءٌ مِنْهُ[(٢)]».

وقال ﷺ: «يُؤْمَرُ بِقَوْمٍ إِلَى الجنَّة، فيُخْطِئُون الطريقَ، فقيلَ: يا رسول الله، ولما ذاك؟! قال: سمعُوا ذكرَ اسْمِي ولَمْ يُصَلُّوا عليَّ[(٣)]».

وقــال ﷺ: «يُؤْمَرُ برجلٍ إلى النَّار، فأقولُ: رُدُّوهُ إلى الميزان. فإذَا رَدُّوهُ وضعتُ لــــه شــيئًا، كالأَنْمُلَـــةِ فِي مِيزَانِه، وهِيَ الصَّلاةُ عليَّ، وترجّحُ مِيزَانَه، ويُنادَى: سَعِدَ فُلانٌ[(٤)]».

وفِــي بدايــة الهداية: «مَا اجْتَمَعَ قومٌ فِي مَجْلِسٍ ولَمْ يُصَلُّوا عليَّ إلا تَفرَّقُوا كقومٍ تَفَرَّقُوا عَلَى مَيِّتٍ ولَمْ يُغَسِّلُوه[(٥)]».

وقال ﷺ: «إنَّ الله وكَّلَ بقبرِي مَلَكًا يُبلِّغُنِي صلاةَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ[(٦)]».

ومــن محاســن ما نُقل عن شيخ الإسلام خاتمة الحفَّاظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي:

أنــه سُئل عن الصلاة على النبي ﷺ بالألفاظ المطلقة والألفاظ المقيدة أيهما أولى فِي حقه ﷺ، وهل الإطلاق الذي يعتمده المصلِّي فِي صلاته على النبي ﷺ مطلقٌ عند الله ﷻ

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٧٩)، وأحمد (١/٤٥٢)، والدارمي في السنن (٢/٤٠٩)، والطبراني في الكبير (١٠/٢٢٠)، وابن المبارك في الزهد (١/٣٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٥٦)، وابن حبان في الصحيح (٣/١٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٥٣).

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) حديث كشفي صحيح.

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/٤٤٦)، وابن حبان في الصحيح (٢/٣٥١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٤١٠) بنحوه.

(٦) رواه البزار في مسنده (٤/٢٥٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٢)، والسيوطي في شرحه (٤/١١٠)، والمنذري في الترغيب (٢/٣٢٦).

أم لا؟ وهل التقييد الذي يتبرَّأ منه المصلِّي هو مقيَّدٌ عند الله ﷻ أو مطلقٌ؟ فأجاب رضي الله تبارك وتعالى عنه: الحمد لله، وكفى هذا السؤال من صوفِيٍّ سأل عن بيان حكم مدارك القوم فِي المعاني المعنوية.

واعلم أن حقيقة القوم فِي اطِّلاعهم لا ندركه نحن، والذي أراه للسائل لا يستعمل نفسه فِي شيءٍ من حيثُ نظره إلى إطلاقٍ أو قَيْدٍ؛ فإن الإطلاق غايته التقييد، كما أن التقييد غايته الإطلاق، وذلك مع علمنا بأن الأحوال الموصوفة بالإطلاق والتقييد غير مفتقدةٍ إلى وصفنا لها مطلقًا؛ لاستغنائها بصفاتها الذاتية التي جعلها الحقُّ حدًّا لها، فتميِّزه به عن غيرها، ونحن لا اطِّلاع لنا على حقائق الذوات لنعرف ما تستحقُّه من الصفات المقتضية لذلك أو لغيره، وكيف يمكن لأحدٍ إيجاد العدم وقيامه بالوجود وذلك خُصِّص بالجناب الإلهي؟ أم كيف يحكم على الصفات التي هي أعراضٌ ببقائها زمانين فِي غرض آخر؟! فكيف نقول بقيامها فِي جوهرٍ واحدٍ؟.

فإذَا قال المصلي على النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ عدد ما كان، وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائنٌ فِي علم الله ﷻ) فقد استغرق هذا اللفظ العدد والمعدود حسًّا ومعنًى، واستغرق الزمن المطلق بأقسامه، واستغرق جميع المتحفِّلات المضافات إلى القدرة والعلم، وإِذَا كان المصلِّي لا تساوي رتبته هذا العموم والشمول حقيقةً لضيقه وحصره فكيف يظهر عنه إطلاقٌ والأعمال كلها لا تكون إلا صورة عاملها كما أشار إليه حيث الولد سرُّ أبيه؟! فمن علم ما ذكرناه وتحقَّقه علم أنه لا يظهر له عملٌ ولا صلاةٌ ولا قراءةٌ ولا وصفٌ من الأوصاف إلا بحسب استعداده فِي ذلك الوقت، وبحسب رتبته فِي التوحيد إطلاقًا وتفسيرًا، سواء كان ذلك اللفظ مطلقًا أو مقيَّدًا، فلا تتعب نفسك أيُّها السائل فِي التعنُّت.

وصلِّ عليه كما أمرك الله أن تصلِّي عليه؛ لتكون عبدًا محضًا، أمرك ربُّك بشيءٍ امتثلت أمره، وليكن هذا شأنك فِي جميع عباداتك البدنيَّة، وأعمالك القلبيَّة، وإِذَا تعلَّقت بها أحيانًا فلا تسلم لك إلا فيما لا بد منه، والسلامة اشتغالك بالسنَّة وما جاءت به من غير قيدٍ وإطلاقٍ، ففِي هذه السلامة فِي الدارين، ولا تقرِّر غير ما قرَّرنا لك، تتعب فِي تقريراتك.

ولك وجهٌ آخر رجاء الثواب من غير نسبةٍ إليك فِي قيدٍ وإطلاقٍ، واحتمال ما تقول على درجاتٍ من الحسنات، وجه آخر أن تشهد من أمرك بالصلاة عليه فِي إجابة دعوته،

وامتثال أمره، وترجو ذلك من غير قيد فِي حصر ذلك ولا إطلاق.

فائدة جليلة

أجمعت العلماء أن فِي هذه التعدُّدات كمال البلاغة مع نعته له بسائر الكمالات، وإذَا سلَّم له ما أراد فِي توجُّهاته وتضرُّعه وابتهاله وذكر ما كان عليه من الجمال والجلال وقد كان للصدر الأول فِي تنوعات الصلاة عليه عزامٌ وأجمعت العلماء أن هذه المعاني قطف أزهارٍ وثمارٍ متنوعةٍ من زبد كلماتٍ يحصل للعبد بها الثواب، ودرجات الصلاة عليه لا تعدُّ ولا تُحصى، وذلك على اختلاف الرجاء، وحصول الثواب إنما يكون من غير حصرٍ قيدوه، ومنعوا ضابط ذلك بالنظر لسعة فضل الله تبارك وتعالى وكرمه، واتفقت آراء الصحابة والتابعين والصدر الأول والسلف والخلف أن الصلاة عليه تنبع من سائر العبادات، أو قال: التعبدات، ونحن نصلِّي عليه كما أمرنا الله ﷻ.

ومن محاسن ما نقله الشيخ تقي الدين الحصيني: ما روي عن خلاد بن كثير بن مسلم: أنه لما كان فِي النزع وجد عند رأسه رقعة مكتوبٌ فيها: (هذه براءةٌ من النَّار لخلاد بن كثير)، فسألوا من أهله: ما كان عمله؟ قالوا: كان يصلِّي على النبيِّ ﷺ كلَّ يَوْم جمعةٍ ألف مرَّةٍ، يقول: (اللَّهُمَّ صلِّ على النبيِّ مُحَمَّدٍ).

وفِي كتاب «بشرى الكئيب» زيادة عن ذلك: وهو أن أهله سألوه: ما سبب ذلك؟ قال: رأيت فِي الصحيحين أنه قال: «مَنْ صَلَّى عليَّ أَلفَ مَرَّةٍ يَوْم الجُمُعَة لا يموتُ حتَّى يَرَى مقْعَدَهُ فِي الجنَّة[1]».

وفِي رواية الطبراني أطلق فِي أيِّ يَوْم ولم يقيِّده بجمعة.

ولفظه فِي سنن باب الصلاة على النبيِّ ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ لا يَمُوتُ حتَّى يَرَى مقْعَدَهُ فِي الجنَّة[2]»، وفِي رواية: «مِنَ الجنَّة[3]».

ومن محاسن كتاب «البشارات»: أن رسول الله ﷺ قال يَوْمًا لأصحابه وقد جلسوا يتذاكرون: «أُعْلِمُكُمْ أنِّي رأيتُ البارحةَ فِي منامِي كأنِّي راكضٌ ببقيعِ الفرقدِ، وأنا مُسْجًى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

بردائي، وعن يميني ابنُ عمِّي، وعن شمالي جعفرُ ذُو الجناحين مسجًّى بردائه، وعِنْدَ رَأْسِي حمــزةُ عَمِّــي، وعِــنْدَ رِجْلي عَمِّي العَبَّاسُ مُسْجًى فِي رِدَائِهِ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَفْقَ أَجْنِحَةِ الملائكـــةِ، فــإِذَا بجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مَعَ ملائكةِ السماواتِ، فقالتِ الملائكـــةُ: يا جبريلُ، مَنْ هَذَا النَّائِمُ فِي الوَسَطِ؟ فقال: هَذَا سَيِّدُ ولدِ آدمَ مُحَمَّدٌ. قالوا: فَمَنْ ذَا الذِي عَنْ يَمينِهِ؟ قال: عليُّ بنُ أَبِي طالبٍ. قالوا: نراه رابع الخلفاء، قالوا: فَمَنْ ذَا الــذِي عَنْ شِمَالِه؟ قال: هذا جعفرُ الطَّيَّار ذُو الجناحَين. قالوا: نراهُ يطيرُ فِي الجنَّة حيثُ يَشَاءُ، قالوا: فَمَنْ ذَا الذِي عِنْدَ رَأْسِه؟ قال: حمزةُ عَمُّه أسدُ الله. قالوا: نراهُ سَيِّدَ الشُّهداءِ، قالوا: فَمَنْ ذَا الذِي عِنْدَ رِجْلِهِ؟ قال: عَمُّه العَبَّاسُ. قالوا: معدنُ العلمِ والحكمةِ، نراهُ مَعَهُ زربُــولٌ مِــنْ زَرَابِلِ الجنَّة، يعنِي: زربيَّته[1] لو رآه أهل الدنيا لذهبت أبصارهم، ورأيت خلفهم ملائكةً يصلُّون عليٌّ، فقال جبريل: معشر الملائكة، إنَّ الله أعطى هذا النبيَّ ذكرًا، ونشر لـــه علمًا، وأعطى مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ مَا لا عينٌ رأتْ، ولا يخرجُ مِنَ الدُّنيَا حتَّى يَرَى مِقْعَدَهُ فِي الجنَّة، ويُوصلُهُ الله مَعَ المقرَّبين[2]».

وقد قدَّمنا هذا فِي الباب الثالث من طريقٍ غير هذه، وهذا الحديث لـــه طرقٌ عدَّها صــاحب «دلائل النبوة»، وفِي ألفاظه زيادةٌ، وصورتها: «ونادت الملائكةُ جبريلَ: بَشِّرْ مَــنْ أَحَــبَّ هذا العبدَ الصالحَ وصلَّى عليه بزوجاتٍ فِي الجنَّة مِنَ الْحُورِ العِين، وغِلمانٍ، ووصائفَ، وعلوِّ منـــزلته فِي عِلِّيين، وأنَّه مِنَ المقرَّبينَ[3]».

وفِيه زيادةٌ: «ولَيْسَ لـــه جَزَاءٌ إلا الجنَّة، ويزورُه فِي البرزخِ».

وذكر فِي «الخصائص»: «وهُوَ رفيقُه فِي الرفيقِ الأعْلَى، ولا يخرجُ عَنْ كَنَفِهِ[4]»، ولم أرى لهذا الحديث راويًا ولا سندًا غير ما ذكرنا، وألفاظه على ما قرَّرنا.

ومــن محاســن الصلاة على النبيِّ ﷺ وما أعدَّ الله تبارك وتعالى للمصلِّي عليه: أن العــبد يأتي الحوض، والحوض طوله مسيرة شهرٍ، والأحاديث الواردة فِيه كثيرةٌ فِي حدِّه

---

(١) جمعها زرابي، وهي كل ما بسط واتُّكِئ عليه.

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

وطــوله وعرضــه، ذكــرتها العلماء، لــه ميزابان من الذهب الأحمر، يصبان فِيه من نهر الكوثــر، مــاؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، حوله أباريق بعدد نجوم السماء، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنَّة وبعد جواز الصراط، من شرب منه شــربةً لا يظمأ بعدها أبدًا، لــه أربعة أركان: ركنٌ مع أبي بكرٍ الصدِّيق، وركنٌ مع عمر ابــن الخطاب، وركنٌ مع عثمان بن عفان، وركنٌ مع عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، فمــن كان مبغضًا لأبي بكرٍ لم يسقِه عمر، ومن كان مبغضًا لعمر لا يسقِه عثمان، ومن كان مبغضًا لعثمان لم يسقِه عليٌّ، ومن كان مبغضًا لعليٍّ لم يسقِه الجماعة الذين بالحوض، ومــن جاء بالصلاة على النبيِّ ﷺ فرجت لــه الملائكة الصفوف حتى يوقفوه بين يدي النبيِّ ﷺ، فيرحِّب به، ويسقيه بيده الشريفة.

ومــن محاســن ما نقله الإمام الجويني رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: تصفَّحت الأحاديث الواردة فِي فضل النبيِّ ﷺ، وتفكَّرت فِي خصائصه، فسُرِّي[1] بي، وقال: جلتُ فِــي فكــري، واستنبطت ألف معجزةٍ من آي سورة البقرة، ثم وردت على موارد محبَّته فانهلَّــت دمعتي، وصلَّيت على النبيِّ ﷺ وأنا غائبٌ عن حسِّي، وجاء أهل البيت، وطلبوا منِّــي حوائج البيت، فلم أسمعهم، ثم خرجت للصلاة، وعدت، فوجدت الطلبة جميعًا قد جاؤوهم بما طلبوا، وملؤوا البيت من رزق الله تبارك وتعالى، فتعجَّبت من ذلك، وسمعت قــائلاً يقول: لا تعجب؛ لو كان لك رغبةٌ فِي الدنيا لملأنا البيت مما طلبوا، وهذا ببركة الصلاة على النبيِّ ﷺ، قلت: ومن محاسن ما أنعم الله تبارك وتعالى عليَّ ببركته ﷺ أنِّي ما أشغلتُ فكري بهمِّ المعيشة منذ عزمت الصلاة عليه ﷺ، وأرى مواهب الله تبارك وتعالى علــى العــيال، وعلــى كل من اجتمع بي، ولازم إحياء الليالي حيًّا وميِّتًا، وإن أعددت البشارات التي بشرت طال الفصل، ولله الحمد.

ومن محاسن ما قال القاشاني: قال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الأرضِ أحدٌ يَقُولُ: (لا إله إلا الله، والله أكــبر، ولا حــول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم) إلا كفَّر الله تبارك وتعالى ذنوبَه، وإنْ كانتْ أكثرَ مِنْ زَبَدِ البحرِ، فإذَا صَلَّى عليَّ تَسَاقَطَتْ ذُنُوبُه كتساقطِ الورقِ عَنِ

(١) أي ذهب عني الخوف.

الشَّجَرِ اليابسِ[(١)]».

ومـــن محاسن أخبار الإمام الثعالبي: أنه قال: «إنَّ لله تبارك وتعالى عمودًا من ياقوتة حمراء، أصله تحت الأرضين السابعة، ورأسه ملوي على قوائم العرش؛ إذَا قال العبد: (لا إلـــه إلا الله مُحَمَّـــد رسول الله) يتحرك، فتتحرك الأرضون والحوت والعرش، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن يا عرش. فيقول: لا، وعزتك وجلالك لا أسكن حتى تغفر لقائلها. فـــيقول الله تبارك وتعالى: اسكن؛ فإني كتبت على نفسي قبل أن خلقته لا أجريها على لـــسان عـــبدًا إلا غفـــرت لـــه ذنوبه، وأن مَن صلى عليه نَجَّيته من سائر أهوال الدنيا والآخرة[(٢)]»، وزاد ابن دقيق العيد: «فلا أغضبُ عليه أبدًا[(٣)]».

ومـــن محاســـن ما قال النووي فِي كتاب «رياض الصالحين»: أن القبر يُنوِّح على صـــاحبه، ويـــناديه كل يَوْم خمس مراتٍ، يقول: أنا بيت الوحدة؛ فاجعل فراشي قراءة القـــرآن، أنـــا بيت الظلمة؛ فنوِّرني بصلاة الليل، أنا بيت القرار؛ فاجعل مستقرِّي العمل الصالح، أنا بيت الأفاعي؛ فاحمل إليَّ ما يسرُّك من كلِّ خيرٍ، أنا بيت منكرٍ ونكيرٍ؛ فأكثرْ علـــى ظهري من قول: (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله) لأمكنك أن تجيب بها فِي بطن ابـــن آدم، أَكْثِرْ من الصلاة على النبي ﷺ تُكفى هذه الأهوال، وتُقبض ريَّانًا، وتكون فِي بـــيت الوحدة فرحانًا، وفِي بيت الظلمة نيِّرًا، وفِي قرارك فِي رياض الجنَّة، وترى الولدان والنعـــيم بدل الأفاعي، وتكفى سؤال الملكين، وتأمن فِي بطْن الأرض، وتُبعث والصلاة علـــى الـــنبي ﷺ حولك نورٌ، ويسقيك النبيُّ ﷺ، وتجوز على الصراط، وتدخل مع أول فرقةٍ، وكلُّ هذه الخصائص للمصلِّي على النبيِّ ﷺ.

ومن محاسن كتاب «الحريفيش»: أن رجلاً واقفًا بعرفاتٍ فِي يده سبع أحجارٍ، فقال: أيَّـــتها الأحجار، اشهدوا أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ. ثم رمى بهنَّ دفعةً واحدةً.

وفِي «زهرة الرياض»: رمى كل واحدٍ على حِدَتِه، وأشهده بمفرده، فنام تلك الليلة

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

وهـو آمـنٌ، فـرأى فِي منامه ولذيذ أحلامه كأن القيامة قد قامت، وأنه قد حُوسب، ووجـبت علـيه النَّار، وأُمر به إليها، فجرَّته الزبانية إلى باب النَّار؛ وإِذَا بحجرٍ من تلك الأحجار ألقت نفسها على باب النَّار، فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فلم يطيقوه، ثم سـيق إلى بابٍ آخر، فإِذَا عليه حجرٌ آخر من السبعة، فلم تقدر الملائكة على رفعه، حـتى سيق به إلى سبعة أبوابٍ، وإِذَا على كل بابٍ حجرٌ من تلك الأحجار، ثم سيق إلى العـرش، فقال الرب تبارك وتعالى: عبدي، أشهدت الأحجار، فلم تضيع حقك، فكيف وأنـا شاهد على شهادتك: ما من عبدٍ يعترف لي بالربوبية، ولنبيِّي بالرسالة إلا نَجَّيته من كل هولٍ، ادخلوه الجنَّة. فلما دنا من باب الجنَّة إِذَا أبوابها مغلقةٌ، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفـتحت الأبـواب كلها، وتوَّجه الله تبارك وتعالى بتاج الإقرار، وجعل عليه نور الصلاة على النبيِّ ﷺ.

ومن محاسن كتاب «التيجان»: أن بعض الفقراء اتخذ لـه حجرًا يأوي إليه، ويصلي عليه، وينام فِي جانبٍ منه، وكان كثير الصلاة على النبيِّ ﷺ، فغاب بعض الليالي عن محله، فاسـتوحش لـه ذلك المكان، فلما جاء نطق لـه ذلك الحجر، وقال لـه: لقد فقدنا أُنسك الليلة، وحُرمنا بركة ذكرك. فبكى، وقال: أيُّها الحجر، أنت لي، فسمِّي به، فجاءته الأعداء، واحتاطوا بتلك المدينة، فودعوا عنده أمتعةً ومصاغًا، فكوَّمهم على ذلك الحجر، فأخـذ الأعداء المدينة، ورأوا الحجر وما عليه، فجاؤوه، فرأوه حجرًا هو وما عليه، فلما مـضوا رأوا الأمتعة توهج، فعادوا، فرأوه حجرًا كما رأوه، فعلوا ذلك سبع مراتٍ، فلما جاؤوه فِي المرة الثامنة مال عليهم، فأهلكهم، وانتصر أهل المدينة، وجاؤوا لذلك الرجل، فـوجدوه يـصلي على النبيِّ ﷺ، والحجر يرغي[1] تحته كالجمل الهائج، فعلموا أن ذلك بـبركة ذلك الرجل، وبركة الصلاة على النبيِّ ﷺ، وبركة صلاته، وتعبُّده، وكثرة الصلاة علـى النبي ﷺ أوجبت هذا، وسمعوا قائلاً يقول: هذا عبدٌ شرح الله تعالى صدره، وجعل لـه نورًا على قلبه بكثرة الصلاة على النبيِّ ﷺ.

قال بعض العلماء: المشروح الصدر على قلبه نورٌ، وهي المعرفة، وعلى لسانه نورٌ، وهي الشهادة، وعلى أعضائه نورٌ، وهي الخدمة، وفِي ماله نورٌ، وهي الصدقة، وفِي بيته

(١) رغى يرغي رغاء وهو صوت الإبل.

نورٌ، وهو الثبات على الإيمان، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره يَوْم القيامة إلى النُّور.

قال ابن عباس: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾، وهو النطق بالشهادتين، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]، وهو الإيمان، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥]، وهو العمل بما جاء به، ويُقال: شرح الله الإيمان: أي زيَّنه فِي قلوبكم، وحبَّبه إليكم، وجعل علامة صحة ذلك الصلاة على نبيِّه ﷺ، فهي نتيجة الأعمال.

ومن محاسن حديث أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنهم: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان سائرًا ومعاذ رديفه على الرحل، قال: يا معاذ. قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك. قالها ثلاثًا، ثم قال فِي المرة الرابعة: ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله صادقًا من قلبه إلا حرَّم الله تبارك وتعالى جسده على النَّار. قال: يا رسول الله، أفلا أخبر بها الناس؛ فيستبشروا. قال: إِذًا يتَّكِلون. فأخبر بها معاذ عند موته؛ خوفًا من كتم العلم[١]».

ورأيت بخط ابن الملقن معنى ذلك: صدقًا من قبله ملازمة الصلاة على النبي ﷺ؛ فإنَّ من داوم عليها حرَّم الله تبارك وتعالى جسده على النَّار.

وفِي قوله: (إِذًا يتَّكلون)، قال الفقيه معناه: لا يتلفَّتون إلى بواطن الأحكام، وفِي اتباع الأوامر نعمةٌ تامَّةٌ.

وفِي حديث: «عَلَيْكُمْ بكثرةِ الصَّلاةِ عَلَى النبيِّ؛ فإنَّ المصلِّي عليَّ لا يخرجُ مِن دَارِ الدُّنْيَا حتَّى يكونَ متَّبعًا لِي فِي جميع ما أمرته امتثالاً واتِّباعًا[٢]».

قال قتادة: إنَّ المصلِّي على النبيِّ ﷺ لا يحب أن يرجع إلى الدنيا؛ لما يراه من كرامة الله تبارك وتعالى، ويناديه منادٍ عند موته: أيُّها المصلِّي على الحبيب، كنت فِي غمِّ الطريق فأنت الآن آمنٌ، ولا تحزن على من بعدك من العيال؛ فإن الله خليفتك عليهم، وأَبْشِرْ بالمنزل؛ فإنه الجنَّة، ولا تهتم بالرفقاء؛ فنحن رفقاؤك، والله وليُّك، ولا تغتمَّ بالمقصود؛ فلك ما تشتهي.

---

(١) رواه البخاري (١/٥٩)، وابن منده في الإيمان (١/٢٣٤)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٣٨)، والمنذري في الترغيب (٢/٢٦٦)، والشوكاني في نيل الأوطار (١/٣٧٥).

(٢) حديث كشفي صحيح.

قـــال الفقـــيه: وكل كلمةٍ من هؤلاء لها دليل فِي القرآن العظيم، وكل ذلك بكثرة الصلاة على النبي ﷺ.

ومن محاسن ما ورد عن أبي سعيد الخدري ﵁: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستٌّ أَضْمَنُ لَهُمْ عَلَى اللهِ الجنَّة: المرأةُ الصالحةُ المطيعةُ لِزَوْجِهَا، والولدُ المطيعُ لأَبَوَيْهِ، والْمُتَوَفَّى فِـــي طـــريق مكَّة، وصاحب الخُلق الحسن، ومن أذَّن فِي مسجدٍ من المساجد احتسابًا، ومـــداوم الـــصلاة على النبيِّ ﷺ، المطيعة لبعلها تخرج من قبرها ولها نورٌ يغشاها، فلا يبصرها أحدٌ؛ لرضا الله عنها، والولد المطيع لأبويه تناديه الملائكة: مرحبًا بالطائع الصالح، والمتوفى فِي طريق مكة يُكتب لـــه أجر حِجَّةٍ فِي كلِّ سنة، وصاحب حسن الخلق يعامله الله بحلمـــه، والمؤذِّنـــون يخرجون من قبورهم وهم يأذِّنون، يشهد لهم كل شيءٍ يسمع صوتهم: من جنٍّ، وإنسٍ، وشجرٍ، وحجرٍ، ومدد، ورطبٍ، ويابسٍ، ويكتب لهم من الأجر بعدد من يُصلي بأذَانهم، ويعطيهم الله ما سألوه بين الأذَان والإقامة، إما يُعجِّله فِي الدنيا، أو يؤخِّـــره إلى يَوْم القيامة، ومُداوم الصلاة على النبيِّ ﷺ أول من ينصرف عنه السوء فِي قيامـــته، ويُبشَّر بالجنَّة، ويُكسى يَوْم القيامة من كسوة إبراهيم الخليل، ويتوِّجه النبيُّ ﷺ، ويحشر متابعًا للرسل والأنبياء، ويتلقَّاه ملكٌ نجيبٌ من ياقوتٍ، يشيِّعه ألف ملكٍ من قبره إلى المحشر، ويناديه ملكٌ من قِبل الله: انظر إلى ما أعدَّ الله لك ببركة نبيِّك[1]».

ومـــن محاسن ما قاله ابن عباس: «أربعةٌ يعصمهم الله من عذاب القبر: المصلِّي على النبيِّ ﷺ، والمؤذِّنون، والشهيد، والمتوفَّى يَوْم الجمُعَة وليلتها»؛ فإنه ورد عن النبي ﷺ أنه قـــال: «تَعَاهَدُوا المسَاجدَ، واذْهَبُوا إِلَى الصلواتِ الخمسِ فِي الجمَاعَةِ، وابْدَؤُوا بالتَّسْمِيَةِ عِنْدَ دُخُولِكُمْ كُلَّ مَسْجِدٍ، وصَلُّوا عَلَيَّ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْهُ، ولا تَعْجَزُوا؛ فإنَّه إِذَا كَانَ يَوْمُ القِـــيَامَةِ لَـــو وُضعت السماواتُ السبع والأرضين السبع والبحار والجبال والليل والنَّهار والـــشمس والقمر والنُّجوم والدوابُّ والطُّيور والسِّباع والرياح والعرش والكرسيُّ والجنَّة والـــنَّار فِي كِفَّة الميزان وتوضع صلاةٌ واحدةٌ بالجماعة بإتمام ركوعهَا وسجودِها فِي كفَّةٍ أخرى لرجحَ ثوابُ هذه الصلاةِ بهذِهِ الكيفيَّة على هَذَا كُلِّهِ، ولَوْ تعلَّقت الملائكةُ والأنبياءُ

(١) حديث كشفي صحيح.

والإنسُ والجنُّ ويأجوجُ ومأجوجُ ومَا خَلَقَ الله لَرَجَحَ ثوابُ تِلْكَ الصَّلاةِ عَلَيْهِنَّ[(١)]».

وفائـــدة ذلـــك: أن جمـــيع ما ذكر من أجل ذلك والصلاة عليه ﷺ ترجِّح الأعمال وتزيدها.

وسُئل الإمام النووي: ما ثواب مَنْ صلَّى على النبيِّ ﷺ بكيفيَّةٍ، قال فِي آخر صلاته: (عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك) هل يعطيه الله تبارك وتعالى ثواب عدد خلقه ورضـــا نفسه وزنة عرشه؟! فأجاب ﷺ: لا مانع من سعة فضل الله، ولا قيد فِيما أطلق العلمـــاء فِيه هذه الصلاة لا يُحصى، ولا تصور لكيفِية هذه الصلاة، صورة صوَّرها غير العجز عن حصر ثوابها.

وقال الإمام السبكي لما سُئل: أيهما أبلغ (زنة عرشه) أم (زينة عرشه)؟ فأجاب: زنة عرشه أثقل ثوابًا من زينته، وأرجح فِي الميزان، والأعمال بالنيَّات.

ورجَّح الجلال السيوطي وابن قيم الجوزية فِي مسائله أن زينة عرشه أبلغ المسائل؛ لما يرى من ثوابها من أنواع حلي الجنَّة، وبدائع ما أبدعه فِيها بقدرته جلَّ ذكره.

ومن محاسن كتاب «الموارد»: أن بعض أهل الكشف نُقل عنه أنه اجتمع بالشيطان، فقـــال لـــه: أيُّ الأعمال أثقل عليك؟ فقال: الصلاة لوقتها؛ فإنه إذَا خرجت أمة مُحمَّدٍ للصلاة تأخذني الحمى الحارة، فلا تُرفع عنِّي حتَّى يتفرَّقوا، وما شيءٌ أثقل عليَّ من مجالس العلم؛ فإنَّ الهمَّ يأخذني عند انتهاء كل درسٍ والعمى، فلا يُرفع عنِّي حتى يتفرَّقوا، وأثقل مـــن ذلك عليَّ قراءة القرآن، والصلاة على مُحَمَّد ﷺ؛ فإنِّي أذوب فِي كل مجلسٍ كما يذوب الرصاص، فإِذَا قاموا من مجالسهم وسألوا الله تُوضع على رأسي المناشير، فيشرخ رأسي كما يُشرخ الخشب، وإنَّ المصلِّي على مُحَمَّدٍ يُكدِّر عيشي بخمس خصالٍ رفعها الله عـــنه: الأولى: يـــرفع عنه ضيق العيش، والثانية: يرفع عنه عذاب القبر، الثالثة: يُعطى كتابه بيمينه، الرابعة: يمر على الصراط كالبرق الخاطف، الخامسة: أنها أفضل الأعمال، من داوم عليها إن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وهو حبيبي لأجل حبيبي، فإِذَا أحببته كنت لـــــه سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيِّدًا، وأن المصلِّي على النبي ﷺ إذَا قام من فراشه وتقلَّب من جانـــبٍ إلى جانـــبٍ ناداه ملكٌ: جعل الله تقلُّبَك فِي رضاه، فإِذَا ذكر الله قال لـــه ذلك

(١) حديث كشفي صحيح.

الملـــك: بارك الله فيك، ورحمك، ويقول الفراش: اللَّهُمَّ أعطِهِ الفُرش المرفوعة، فإذَا لبس لباسه قال الملك: اللَّهُمَّ اكسِهِ من حُلل الجنَّة، وإذَا احتذى تدعو لـــه نعلاه، وتقول: اللَّهُمَّ ثـــبِّتْ قدمـــيه على الصراط، وإذَا تناول الإناء يدعو لـــه الإناء، ويقول: اللَّهُمَّ أَعْطِهِ من أباريق الجنَّة، وإذَا توضأ يدعو لـــه الماء، ويقول: اللَّهُمَّ طهِّره من الذنوب والخطايا، وإذَا قام بين يدي الله ﷻ يدعو لـــه البيت، ويقول: اللَّهُمَّ وسّع لحدَه، ونوّر حفرته، وأقبلت الـــرحمة علـــيه، وينظر الله إليه بالرحمة، ويقول الله: لي منك الدعاء، ومنِّي الإجابة، منك السؤال ومنِّي النوال.

ومن محاسن الجمع بين الصحيحين ما قاله في تلخيصه: أن الله خلق اللَّوح من درةٍ بيـــضاءَ، حافَّتاه من ياقوتةٍ حمراءَ، رأسه معلَّقٌ بالعرش في سلسلةٍ من ذهبٍ، وأوسطه في حجـــر ملك الموت، فما علم الخلائق إلى يَوْم القيامة إلا خطًّا من خطوط اللَّوح، وسائر الخطوط علمها عند الله تعالى، في وسطه سطران من نورٍ، فيهما ثواب الصلاة على النبيِّ ﷺ، وسائر الأعمال في سطرٍ واحدٍ.

وقـــال المـــاوردي: ما نقله الحافظ على هذه الصورة: أن سائر الأعمال داخلةٌ في اتِّباعه، وأن الأنبياء تمنَّت أن تكون من أتباعه انتهى.

ومن محاسن أخباره: أن تحت العرش ألف قنديلٍ معلَّقةٌ بالعرش، السماوات والأرض والجنَّة والنَّار كلها في قنديلٍ واحدٍ، ولا يعلم ما في بقية القناديل إلا الله تعالى، من صلَّى على النبيِّ ﷺ يعطيه الله تعالى من سرٍّ ذلك النُّور الذي لا يطَّلع عليه غيره من المخلوقات.

وقال قتادة: هذه القناديل مُوكّلٌ بها ملائكةٌ، يصلُّون على النبيِّ ﷺ، ويسألون الله أن يغفر للمصلِّي عليه، ويسامحه، ويوسِّع عليه.

وقـــال الـــشعبي: وظيفتهم: (اللَّهُمَّ اغفرْ لأمَّة مُحَمَّدٍ، وأتبع من يصلِّي عليه فضلك وسِـــعة جـــودك ومحـــبَّة خلقك، وألِّفِ اللَّهُمَّ ما بينهم ما يوصله إليك، وأسعفهم اللَّهُمَّ برضوانك، يا الله، يا الله، يا ذا الجلال والإكرام، وهذا من العلم الذي لا يطَّلع عليه غيره، وثوابه لا يُحصى).

وقال السدِّيُّ: خلق الله اللَّوح من درَّةٍ بيضاء، والقلم من اللُّؤلؤ، ويُقال: من الياقوت، والمداد من النُّور، وطول القلم خمسمائة عامٍ للراكب المسرع، لـــه خمسون أنبوبًا بين كل أنبوبٍ خمسون سنًّا، لكلِّ سنٍّ لغةٌ، لا يعرفها إلا إسرافيل، يجري على اللوح بما هو كائنٌ

إلى يَوْم القيامة.

ومن محاسن أخبار الواسطي ﷺ: لما أرد الله تعالى أن يجري أخبار الأمم بقلم القدرة فكـــتب سائر الأمم، فلما وصل إلى كتابه حديث أمَّة مُحمَّدٍ ﷺ انقلب الحبر، وعكَّه كله علـــى اللوح المحفوظ لحكمٍ، منها: لو أن الناظر نظر فِي اللوح رأى حديث الأمم السالفة سوادًا، وحديث أمة مُحمَّدٍ ﷺ نورًا من النُّور.

وقال القاشانيُّ: كأنه نور ذهبٍ فِي كراسةٍ من الفضة.

وقـــال السُّدِّيُّ: لما أجرى الله ﷻ القلم بحكمته وقدرته وبديع صنعه تعجَّب القلم لـــذلك، وتحيَّـــر، ووقف، فلم يجرِ، فلما نظر الله إليه بالهيبة انشقَّ من هيبته، فمن ذلك جـــرت العـــادة أن الأقلام تشقُّ دُوَّمها، فلما أجرى فضل مُحمَّد وأمته ارتعد، وخشع، وقال: سبحانك! وهبت لهذا العبد وأمته من الفضل ما لا تهب لأحدٍ من خلقك. فقال: اثبت يا قلم؛ فإنِّي صلَّيتُ عليه وملائكتِي.

ومـــن محاســـن سيرة ابن سيِّد الناس: خلق الله نور مُحَمَّدٍ ﷺ قبل أن يخلق الأشياء بثلاثمائة وأربعة وعشرين ألف سنةٍ، فجعل النُّور يطوق، فلما بلَغ الموضع الذي أمره الله بالسجود فسجد، فبقي فِي سجوده مائة سنةٍ، ثم خلق الله من نوره جوهرةً، وخلق منها ماءً عذبًا، وجعل فِيه الحركة، وجعل يموج ألف سنةٍ لا يستقر، ثم قسَّم نوره على عشرة أجزاءٍ، فخلق من الأوَّل العرش، ومن الثاني القلم، ومن الثالث اللوح، ومن الرابع الشمس، ومن الخامس القمر، ومن السادس الكواكب، ومن السابع الملائكة، ومن الثامن الكرسيَّ، ومن التاسع نور المؤمنين، ومن العاشر نور مُحَمَّدٍ.

وفِي الجامع الصحيح: «تقاطر نوره قطراتٍ، وانتقل من الأصلاب الذكيَّة إلى البطون الطاهرة، فلما حملته آمنة بشَّرت المشارق والمغارب بعضها بعضًا، وكذلك البحار صلُّوا علـــيه، فـــنطق كـــل صـــامتٍ بالـــصلاة عليه، ونادوا آن أوان أحمد المحمود ومُحَمَّدٍ الممدوح(١)».

وفِي الصحيح: جمع بعض أتباعنا أنه يُولد بمكَّة ويتوفَّى أبوه وأمه حاملٌ به، ويكفُله جده، ويموت وهو ابن ثماني سنين، ويكفُله بعده عمُّه، وتُتوفَّى أمه وهو ابن ست سنين،

(١) لم أقف عليه.

وترضـــعه حليمة السعديَّة، ويُوحى إليه وهو ابن أربعين سنةً، ويقيم إليه جبريل عشرين ســـنةً، ما نزل إليه مرةً إلا ويصلِّي عليه فيها، ويقول في صلاته: (اللَّهُمَّ صلِّ على خيرة خلقـــك، وخير مخلوقاتك)، وحين سقوطه من بطن أمه أضاء نوره إلى ما بين الشام إلى اليمن، ووقع من بطن أمه على قواعده الأربع رافعًا رأسه إلى السماء، ونادى كل صامتٍ بلـــسانٍ عـــربيٍّ: (اللَّهُمَّ صلِّ على هذا العبد الذي وُضع في هذه الساعة، الزاهد، العابد، العابـــر بخـــير من يظهر بخلقك، أقام بمكة بعد الوحي ثلاثة عشرة سنةً، يسمع ملائكة البـــيت المعمور يصلُّون عليه، فيُصلِّي على نفسه الشريفة، ولما عاد إلى المدينة عاش بها عـــشر ســـنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنةً على الصحيح، وكان في عارضه سبعة عشر شيبةً بيضاء، أجدَّ بهن يَوْمًا، فنطقوا بالصلاة عليه، وقالوا: يا مُحَمَّدُ، بَشِّرْ ذا شيبةٍ إذَا صـــلَّى عليك بالجنَّة، ولما خاطبه الصدِّيق بقوله: عجيبٌ من شيبك يا رسول الله! قال: «شيَّبتنِي هود وأخواتها[1]». وفي رواية: «الواقعة والنساء[2]»، وغير ذلك مما شَهدت به السنَّة.

وقال ابن عباس: جمع الله في سورة النساء أحكام الدين وأمور الدنيا والآخرة، وإذَا تدبَّـــر العـــارف آياتها وجدها احتوت على معالم الدارين، فسبحان من وهب لهذا النبيِّ الكريم مكارم الأخلاق العظيمة والمعجزات الفاخرة!.

وقـــال الحافظ عبد الغني من محاسن أخباره: كنت ذات يَوْم أطالع في ذكر ما خُصَّ هـــذا النبيُّ الكريم، وكان مقابلي رجلٌ من القبط، فبكى، وسألني عن صفته، فقلت لـــه: خلقـــه الله من نوره، فجعل رأسه من البركة، وعينه من الحياء، وأذنيه من العبرة، ولسانه من الذِكر، وشفتيه من التسبيح، ووجهه من الرضا، وصدره من الإخلاص، وقلبه وفؤاده مـــن الشفقة، وكفَّه من السخاء، وقدميه من الخدمة، وشعره من نبات الجنَّة، فلما أكمله بهـــذه الـــصفة أرسله إلى هذه الأمة، وقال لهم: هذه هديتي إليهم، فاعرفوا قدر هديتي،

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (٥/٣٧)، والبزار في مسنده (١/١٦٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٨٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٨)، والطبراني في الكبير (٢/١٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٥٠).

(٢) لم أقف عليه.

فعظَّموه، فبكى ذلك القبطيُّ، وقال لـه: يا شيخُ، هذه صفةٌ ما سمعتها أبدًا، وهذه حلية مَـنْ جمعت لـه معالم الخيرات، وإذَا تأمَّل الحاذق الدَّيِّن هذه الحالات ولم يؤمن به وبما جاءه فقد خسر الدارين؛ أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله، ولزمني، فعلَّمته، وكان كثير الصلاة عليه.

قـال صاحب «التحقيق والتدقيق»: ما رأيت كمثل مشهده، فعلمت أن ذلك ببركة الصلاة عليه.

ومـن محاسن أخبار ابن جماعة ﷺ: أن النبيَّ ﷺ ليلة المعراج صلَّى العشاء الأخيرة بمكة، وركعتها ببيت المقدس، وبينهم مسيرة شهرٍ، والوتر تحت العرش، ولا يعلم مسافة ما بين الأرض والعرش إلا الله، وركعتي الفجر بمكة جملةً فِي ليلةٍ واحدةٍ، واقترب، وأُمِر، ورُدَّ إلى وطنه قبل ذهاب ليله.

قال الغزالي: أخذ الشافع حُكم الوضوء من هذا الدليل بخلاف مالك، ولسنا بصدد هذا.

وزاد الإمام السبكي: أنه لما رُدَّ إلى وطنه سُئل عمَّا أعطاه الله تعالى؟ فقال ﷺ: «مَا رأيتُ مِثْلَ الصَّلاةِ عليَّ؛ يُربها الله عنده، ويدع ثوابها عند ساق عرشه[1]».

ومن محاسن أخبار كتاب «الابتهاج» لابن الحاجِّ: أنه قال: «كان النبيُّ ﷺ راكبًا فِي لـيلة المعـراج الأوَّل البراق من مكة إلى بيت المقدس (سمِّي بذلك؛ لبرق لونه، وسرعة سيره) واضح الجبين، ضخم الرأس، رقيق الأذنين، أسود العينين، لونه كالطاووس، وجبينه كالزهـرة، ووجهه كوجه الإنسان، ولسانه لسان العرب، وحوافره حوافر البقر، ومسيره كالـبرق، تسبيحه (اللَّهُمَّ صَلِّ على أفضلِ مخلوقاتك، النبيِّ العربيِّ، وأَعْطِهِ المقام المقرَّب عـنْدك فِي الدنيا والآخرة) من لازم هذه الصلاة غُفرت لـه ذنوبه، والثاني: المعراج من بيت المقدس إلى السماء الدنيا برقانة بمرقاة، والمراقاة كانت من فضَّةٍ، ويُقال: كانت من ذهبٍ، ويقال: كانت من اللؤلؤ، ويقال: كانت من النُّور، والثالث: أجنحة الملائكة من سمـاء الدنـيا إلى السماء السابعة، والرابع: جناح جبريل من السماء إلى سدرة المنتهى، والخـامس: الرفرف، وهو شيءٌ أخضر، قد سدَّ ما بين الأفقين إلى قاب قوسين، قال الله

(١) حديث كشفي صحيح.

تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٨]، فسمع قائلاً يقول: «اللَّهُمَّ آتِ عبدك ونبيك الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفِيعة، فاستأنس به».

وقال الحافظ الدُّمياطي فِي فضل الصلاة عليه: هذه أوَّل صلاةٍ سمعها ليلة الإسراء، وحذف بعض العلماء ذكر هذه الصلاة.

وقال صاحب «بهجة الأنوار»: من أراد أن يجعل الله لـــه نورًا فِي قبره فليقل: (اللَّهُمَّ آتِ عـــبدك ونبيك مُحَمَّدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفِيعة، وابعثه اللَّهُمَّ المقام المحمـــود، وآته اللواء المعقود والحوض المورود، وأدخلنا فِي شفاعته والمسلمين يا رب العالمين) من قال هذه الصلاة، وداوم عليها لا يخرج من الدنيا حتى يرى مقعده فِي الجنَّة.

ومـــن محاســـن أخـــبار موسى عليه السلام: أنه ناجى ربَّه، فقال: يا ربِّ، جعلتني كليمًا، وجعلـــت مُحَمَّدًا حبيبًا، فما الفرق بين الكليم والحبيب؟ قال الله تعالى: الكليم من يحبُّ الله، والحبيب من يحبُّه الله، يا موسى، الكليم يعمل برضا الله، ويرغب لرضا الله، والحبيب يجعل لـــه حبيبه ما يرضى، يا موسى، الكليم من يسأل المكالمة لحبيبه، والحبيب يرسل لـــه حبيبه لطلب ما يحبُّ، ويعطيه ما يحبُّ من غير مسألةٍ، يا موسى، سائر المخلوقات لم تبلغ درجة درجته. فقال موسى: اللَّهُمَّ اجعلنِي من أتباعه وحزبه. فقال: (يا موسى، إن أردت ذلـــك فلازم الصلاة عليه، يا موسى، أتريد أن أكون أقرب إليك من نطقك وإلى لسانك ومن وسوسة قلبك إلى قلبك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنيك فأَكْثِرْ الصلاة على حبيبي مُحَمَّدٍ ﷺ، وبلِّغْ بني إسرائيل أنه من لقيني يَوْم القيامة وهو جاحدٌ بمُحَمَّد سلِّطت عليه زبانية الموقف، لا كتاب يبصره، ولا شفاعة تناله، ولا يراني، ولا يرحمه ملك الموت، ولا يشفع فِيه نبيٌّ من أنبيائي، وتسحبه الملائكة على وجهه فِي النَّار).

وفِي هذا زيادةٌ على ما قدَّمنا ذكره، وفِي هذا الحديث فوائد كثيرةٌ، وتنبيهاتٌ لجمع معاني هذه الأقوال ذكرها صاحب «النوادر».

وفِـــي «كتاب الزهد» فِي أخبار موسى زيادة: والأنبياء جميعًا تبعًا لـــه؛ لأنه المقدَّم انتهى.

ومـــن محاسن كتاب «دلائل النبوة»: أن رجلاً من بني إسرائيل عصى الله مائة سنةٍ،

يتمـــرد، ويتجرأ على الله، فلما مات أخذوا برجليه، وألقوه على مذبلةٍ، فأوحى الله تعالى إلى موســـى الطَّيْلاَ: أن غسِّله، وكفِّنه، وصلِّ عليه فِي جميع بني إسرائيل. ففعل ما أُمر به، فـــتعجب بنو إسرائيل من ذلك، وأخبروا موسى أنه لم يكن فِي بني إسرائيل أكثر عصيانًا مـــنه، قـــال: قد علمت ذلك، ولكن الله أمرني بذلك، قالوا: فاسأل لنا ربَّك عن ذلك؟ فـــسأل موسى الطَّيْلاَ ربَّه، فقال: يا ربِّ، قد علمت ما قالوا، فأوحى الله إليه: أن صدقوا فِيما قالوا؛ إنه عصاني مائة سنة، إلا أنه يَوْمًا فتح التوراة، فنظر إلى اسم مُحَمَّد ﷺ مكتوبًا فقـــبَّله، ووضعه على عينيه، فشكرت لـــه ذلك، واستحييت منه أن أعذبه بالنَّار؛ إكرامًا لكرامة حبيبي مُحَمَّدٍ ﷺ، فغفرت لـــه ذنوب مائة سنة.

ومـــن محاســـن أسمائه: أسماؤه ﷺ مائة اسمٍ، وأخرج المحاسبيُّ لـــه ألف اسمٍ، وذكر القرطبي لـــه سبعين اسمًا بدليل القرآن والحديث.

وكثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى، وخيرها مُحَمَّدٌ؛ فهو اسم الشهادة، والإيمان، والعلامـــة، والمناداة، والمباهاة، والولاء، والعزّ، والفخر، والجلال، والجمال، والكمال، والرفعة، والتوجُّه، والالتجاء، والقاضي، والعاقب، والماحي، والفائق، والرائق، والآخذ، ومـــا زال يعـــدُّ هذه الأسماء إلى أن استوفى خمسمائة اسمٍ، وشرحها فِي مجلدٍ، وأنه نبيُّ الساعة، وصاحب الشفاعة، و(مُحَمَّدٌ) هجاء اسمه أربعة أحرفٍ، ميم حاء ميم دال، فالميم الأولى: أنـــه ملكٌ، ملَّكته أرضي وجنَّتي، وفضَّلته على أنبيائي ورسلي وملائكتي، والحاء جعلـــته خـــاصَّ خواصِّ أهل رحمتي، وهو فِي حمايتي، والميم الثانية جعلته زمام مملكتي، وولَّيـــته أمـــر خلقي، فمن أطاعه أطاعني، ومن خالفه خالفني، ولا تصحُّ عبادتي إلا به، وبذكره، وجعلت ملَّته ناسخةً لما قبلها، وولَّيته القبلتين والهجرتين، والدال دال الدوام فِي الدنيا والآخرة، وقال كلامًا يطول شرحه.

ومـــن محاسن اسم (أحمد): القيام كالألف، والركوع مثل الحاء، والسجود كالميم، والقعود كالدال.

مـــثال آخر فِي اسم (مُحَمَّد): الرأس والصدر كالميم، واليد كالحاء، والبطن كالميم الثانية، والرجل كالدال.

وقـــال القاشاني: الصورة المُحَمَّديَّة لا تُحرق بالنَّار، ولا يُحرق أحدٌ من الكفار على صورة البشر، بل يبدله الله على صورةٍ من الصور المشوَّهة.

كما قرَّر بعض العلماء فِي قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم الطَّيْلاً: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٧]، فسَّر بعض المفسرين أنه سأل الله أنه لا يخزيه فِي والده أبدًا، فأجاب سؤاله.

قال ابن عباس: يسأل الله إبراهيمُ فِي آزر، فيُؤتى بأبيه آزر على صورة خنـــزيرٍ فِي صـــورةٍ مـــشوَّهة، فـــيقول: يا ملائكة ربِّي، من هذا؟ فيقولون: أبوك آزر. فيقول: لا. فـــيقولون: أمرنا الله ألا نخالفك. فيقول: ليس هو أبي؛ وذلك لما يرى من تشويه خلقته، فيقولون: ما تفعل به. فيقول: امضوا به إلى النَّار.

وقال الحافظ: ينكره؛ لتشويه خلقته.

وقال النُّوري فِي شرح مسلم: ينكره؛ لما يرى عن عظيم جثته، وتشويه خلقته.

والكافر يشوَّه ضرسه قدر جبل أُحد؛ فلا يقتدر مثال البشرية فِيه؛ إكرامًا لما أكرم الله فِيه هذه الصورة المُحَمَّدية، ويطلق عليه، والصفة التي كان عليها فِي دار الدنيا.

مـــثال آخر: مُحَمَّد حمل عدد حروف هجاء اسمه الشريف ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد الأنبياء والمرسلين، وصورة ذلك تأخذ هجاءه حرف الميم الأولى، وهي ميم ياء ميم جملـــتها تـــسعون: الميم بأربعين، والياء بعشرة، والميم بأربعين، الجملة: تسعون، والحاء ثمانية، والألف واحد، والميم الثانية بتسعين، والشدَّة بحرف ميم، والدال هجاء وهاء، دال أربعـــةٌ، وألف واحدٌ، ولام ثلاثون، الجملة: ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد الأنبياء المرسلين، وهو خاتمهم.

وأفاد السبكي: أن الأنبياء المرسلين ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وقـــيل: أربعـــة عشر على الراجح؛ إِذَا أخذت مثلهم صاروا سبعمائة، تنقص اثنين؛ إشارة أن الاثنين تمام العدد، ولا يتم الشيء إلا بهنَّ.

وفائدتـــه أنـــك إن ذكرت هؤلاء الأنبياء وذكرت النبيَّ ﷺ وسألت الله أعطاك تمام الـــسبعمائة، وهي حسنة المصلِّي على النبيِّ ﷺ، وإِذَا تأمَّلت ساعات اليَوْم والليلة تجدها عـــدد أيام السنة، لا تزيد، ولا تنقص، وإِذَا ضربت ذلك فِي عدد دقائق الساعات ضاق علـــيك الحـــصر، وهذا كله يضاعفه الله ﷻ للمصلِّي على نبيِّه ﷺ فِي عدد ما يعطيه من الثواب.

وأفـــاد السبكي: أن معه الثواب كلَّه للمصلِّي عليه، العامل بشريعته، التابع لــــه فِي أعمالــــه وأقـــواله، وهذه درجة العارفين الغارقين فِي توحيدهم، ما عرف قدر هذا النبي الكريم على الله انتهى.

ومـــن محاســـن «مدارج السالكين»: الأبدال سبعةٌ، والأقاليم سبعةٌ، والبحار سبعةٌ، والأيـــام ســبعةٌ، والمراتب سبعةٌ، وكلُّ واحدٍ بمائةٍ، والحسنة تُضاعف بعشر أمثالها إلى ســـبعمائة، وهي حسنة المصلين على النبيِّ ﷺ، وفِي قول الله شاهد بذلك: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ [البقرة: ٢٦١] فهذا هو الشاهد انتهى.

ومـــن محاسن ما أفاده: أنَّ كلَّ نبيٍّ يأتي يَوْم القيامة مع أمته، فإِذَا صعد على الصراط يـــتلفَّت إليهم، فيقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن أمَّتك. فيقول: هل كنتم على شريعتي؟ فـــيقولون: لا. فيتبرأ منهم إلا مُحَمَّدًا؛ فإنه يناديهم بأسمائهم، فيفديهم بنفسه ﷺ، وهذه رتـــبة قطـــب أمـــته، والأقطـــاب الأربعة خلافةٌ عن القطب عابئين عنه، قال ذلك فِي «المـــشاهد والمقاصـــد»: (يفـــدون بأنفسهم، ويؤثرون على أنفسهم، ويتلقَّون البلاء بأنفسهم، بهم تنـــزل الرحمة، وعلمهم علم غيبٍ، لا يجتمعون بالعالم إلا نادرًا).

ومن محاسن حسن المجالسة: عليكم بطائفة الصوفية ومجالسهم؛ فإن مذاكرتهم رحمةٌ، والوقوف عند قولهم عبادةٌ، وأحكامهم ليس فِيها مخالفةٌ، سَعِدَ من اتَّبعهم، فِي أحكامهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ليس لهم دأبٌ غير ذكر الله والصلاة على رسوله.

وقـــال الطوســـي: سألت عن حكم القوم أربعين شيخًا ما منهم من قال لِي: يُلتفت إلـــيهم وإلى أحكـــامهم إلا الطائي؛ فإنه قال: ما بالك بقومٍ إن حضروا لم يُعبأ بهم، وإن حكموا لن يلتفت إلى حكمهم، وإن شفعوا لا تقبل شفاعتهم، وإن جاؤوا لأحدٍ من أهل الدنيا طردهم، وإن طلبهم أحدٌ من أهل الآخرة لن يجدهم مشتغلين بالله، إن شاؤوا نزَّلوا الملـــوك عـــن أســـرتهم، صدماتهم تقطع الجبال، أعينهم كأجاج[1] الدم، حماهم الله من الاشتغال بغيره، إن أفتوا لا يقبل منهم إلا موفَّقٌ سعيدٌ، وإن حكموا بشيءٍ ما لأحدٍ منهم عـــنه محيدٌ، وإن حدُّوا حدًّا قطع كالسيف القاطع، قومٌ حكموا فِي المشارق والمغارب،

---

(١) الأجاج: الماء المالح الشديد الملوحة.

وعـــرفوا قدر المطلوب والطالب، أعمالهم ليست بالمكاسب، وعلومهم إنما هي مواهب مذاهـــبهم، نِعْـــمَ المــــذاهب، يوقِّرون تابعهم، ويعظِّموه، ويعرفون قدر خادم خادمهم، ويوقرونه، إن جاء لهم طالبًا أسعفوه، أو خائفًا أمَّنوه، ومستجيرًا أجاروه، لا يجلسون لغير ذكر الله، رغَّبني فِيهم ما ورد عن رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُبَاهِي بِهِمُ الملائكةَ، ويُنَادِيهِمْ: مَا أَفْقَرْتُكُمْ هَوانًا بِكُمْ، ولَكِنْ مَعَزَّةً مِنْكُمْ لَدَيَّ، اذْهَبُوا إِلَى الْمَوْقِف، والْتَمِسُوا وُجُوهَ الْخَلائِقِ، وانْظُرُوا مَنْ أَكْسَاكُمْ خِرْقَةً، وأَشْبَعَ لَكُمْ جَوْعَةً، وأَسْقَاكُمْ شَرْبَةَ مَاءٍ، خُذُوْا بِيَدِهِ، وامْضُوْا بِهِ إِلَى الجَنَّة[1]».

ومن محاسن ما أخرج الشيخان فِي (فضل الذكر)، والغزالي فِي «إحيائه»، والجلال الـــسيوطي فِيما خرَّجه فِي «نتيجة الفكر» عن ابن عباس: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبيِّ ﷺ؛ قال ابن عباس: كنتُ أعلم بذلك إذا سمعـــته، وكـــنت أرى فِـــيهم من لا يفتر عن ذكر الله، ويلحقه بالصلاة على رسول الله بانـــزعاج صوتٍ، وهم فِي حضرته، كأنَّ على رؤوسهم السيوف؛ لما يقع لهم من الهيبة؛ فافهم ذلك.

ومـــن محاســـن ما أفتى به الحافظ ابن حجر العسقلاني فِي كتابه «الخصال الواردة بمحاسن الاتصال»: قال: أخرج البزاز عن معاذ بن جبل رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَـــنْ صَـــلَّى مِنْكُمْ مِنَ اللَّيلِ فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِه؛ فإنَّ الملائكةَ تُصَلِّي بِصَلاتِه، وتَـــسْمَعُ لِقِرَاءَتِهِ، وإِنَّ مُؤْمِنِي الجِنِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الهواءِ وجِيْرَانَهُ مَعَهُ فِي مَسْكَنِه يُصَلُّونَ بِصَلاتِه، ويَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَه، وإِنَّهُ يَنْطَرِدُ بِجَهْرِهِ بِقِرَاءَتِه عَنْ دَارِه، وعَنِ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهُ فُسَّاقُ الجِنِّ ومَرَدَةِ الشَّيَاطِين[2]» حديثٌ حسنٌ.

وقـــال بعضهم: يُستحبُّ الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها؛ لأن المسرَّ قد يسرُّ قياسًا بالجهر، والجاهر قد يَكَلُّ فيستريح بالإسرار.

قال بعض العارفين: هذا لأهل الكَلِّ والملل، والجهر أفضل للجماعة فِي الذكر وغيره؛

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه البزار في مسنده (٧/٩٧)، والعقيلي في الضعفاء (٢/٣٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٥٣)، والمنذري في الترغيب (١/٢٤٣).

لما فِيه من القوة.

فإن قلت: قد قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

قلت: الجواب عن هذه الآية من ثلاثة أوجه:

الأول: أنها مكيَّةٌ كآية الإسرار: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠]، وقد نزلت حين كان النبيُّ ﷺ يجهر بالقرآن، فيسمعه المشركون، فيسبُّون القرآن ومن أنزله، فأُمِرَ بترك الجهر؛ سرًّا للذريعة، كما نهى عن سبِّ الأصنام لذلك فِي قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]، وقد زال هذا المعنى، أشار إلى ذلك ابن كثير فِي تفسيره.

الثاني: أن جماعةً من المفسِّرين حملوا ذلك على الذاكر حال قراءة القرآن، وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيمًا للقرآن أن تُرفع عنده الأصوات ويقويه اتصالها: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وزاد الجلال السيوطي فِي آخر كتابه «قضية الجهر بالذكر»: أن جماعة من المفسِّرين منهم: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن، قال الشيخ: وكأنه لما أمر بالإنصات خشي من ذلك الإخلاد إلى البطالة؛ فنبَّه على أنه وإن كان مأمورٌ بالسكوت باللسان إلا أن تكليف الذكر بالقلب يؤلف؛ حتى لا يغفل عن ذكر الله؛ ولذا ختم الآية بقوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

الثالث: أجمع السادة الصوفية أن الأمر بالآية خاصٌّ بالنبيِّ ﷺ الكامل المكمِّل، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمورٌ بالجهر؛ لأنه أشدُّ تأثيرًا فِي دفعها.

فإن قلت: فقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، وقد فسَّر الاعتداء بالجهر فِي الدعاء.

قلت: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن الراجح فِي تفسيره أنه تجاوز المأمور به، أو اختراع دعوةٍ لا أصل لها فِي الشرع، ويؤيِّده ما أخرجه الحاكم فِي «مستدركه»، وصحَّحه عن أبي نعامة: أن

عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنَّة، فقال: إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ[١]»، فهذا تفسير صحابيٍّ، وهو أعلم بالمراد.

الثاني: على تقدير التسليم فالآية فِي الدعاء لا فِي الذكر، والدعاء بخصوصهِ الإسرار فِيه أفضل؛ لأنه أقرب إلى الإجابة، ولذا قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، ومن ثَمَّ استحب الإسرار بالاستعاذة فِي الصلاة اتِّفاقًا؛ لأنها دعاءٌ، والذكر الأفضل فِيه؛ لحديث البيهقي فِي «السنن»، والمنذري فِي كتابه: عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ يَذْكُرُونَ الله إلا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ[٢]».

فِي «شعب الإيمان»: يقول الربُّ يَوْم القيامة:

«سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ. فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ الكَرَمِ يَا رَسُولَ الله؟ قال: أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ[٣]».

فهذه محاسن الذكر وإحياء الليالي بالصلاة عليه ﷺ.

خصوصًا يَوْم الجمُعَة وليلتها.

فإنها عيد المؤمنين، وكان عبد الله الطائي يحييها.

---

(١) رواه أبو داود (١/٢٤)، وأحمد (٤/٨٦)، وابن ماجه (٢/١٢٧١)، وابن حبان في الصحيح (١٥/١٦٦)، والبيهقي في الكبرى (١/١٩٦)، والديلمي في الفردوس (٢/٣١٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١/١٨٠)، والروياني في مسنده (٢/٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/٢٦٧).

(٢) رواه أحمد (٣/١٤٢)، والطبراني في الأوسط (٢/١٥٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٠١)، وأبو يعلى في مسنده (٧/١٦٧)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/١٠٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٧٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٣١٣)، وعبد بن حميد في مسنده المنتخب (١/٤٥٧)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/١٨٠)، وابن حبان في الصحيح (٣/٩٨)، والديلمي في مسند الفردوس (٥/٢٥٣)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٣/١١٤)، والبيهقي في الشعب (١/٤٠١).

وقال إسماعيل بن أبي أويس:

أن زوجته بنت مالك بن أنس: أن أباها مالكًا كان يُحيي ليلة الجمُعَة.

وإن صبحها أفضل الصلوات عند الله؛ لما ورد:

«مَا مِنَ الصَّلَوات صلاةٌ أَفْضَلَ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ يَوْم الجمُعَة فِي الجمَاعَة، ومَا أَحْسَبُ مَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ إلا مَغْفُورًا لَه(١)».

ومن محاسن ما أخرج الشيخان:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يُقْرَأُ يَوْم الجمُعَة فِي صَلاةِ الفَجْرِ﴿الٓمٓ﴾ [السجدة: ١]، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان: ١] (٢)».

قال الجلال السيوطي:

والحكمة فِي قراءتها الإشارة إلى ما فِيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يَوْم القيامة؛ لأن ذلك كان وقع يَوْم الجمُعَة.

وفِي «عمل اليَوْم والليلة» لابن السنِّي:

قال النبي ﷺ: «الجمُعَة حِجُّ المسَاكِينِ، وصَلاتُهَا تَعْدِلُ حِجَّةً(٣)».

وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيَّب قال: «الجمُعَة أحبُّ إليَّ مِنْ حِجَّةِ تَطَوُّعٍ(٤)».

وفِي حديثٍ: «مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا طَبَعَ الله عَلَى قَلْبِهِ(٥)»، وبسند جابر بن

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/١٥٦)، وفي المعجمي الأوسط (١/٦٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٦٨).

(٢) رواه البخاري (١/٣٠٣)، والترمذي (٢/٣٩٨)، والبيهقي في الكبرى (٣/٢٠١)، وفي شعب الإيمان (٢/٤٨٩)، والطبراني في الكبير (١٢/١٥).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٢/١١٦)، والشهاب في مسنده (١/٨١)، والقزويني في التدوين (٤/٢٠٤)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٣٥٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/٤٠٠)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/٣٩٢).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه أبو داود (١/٢٧٧)، والنسائي في الكبرى (١/٥١٦)، وأحمد (٣/٤٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/٤١٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥/١٠٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٩٣).

عبد الله: «مَنْ تَرَكَ الجمُعَة ثَلاثًا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ الله عَلَى قَلْبِه[(١)]».

وعن أبي هريرة: «مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ طَبَعَ الله عَلَى قَلْبِهِ، وهُوَ مُنَافِقٌ[(٢)]».

وزاد ابن عمر: «خَتَمَ الله عَلَى قَلْبِهِ بِخَاتَمِ النِّفَاق[(٣)]».

وقال الأصبهاني: «مَنْ تَرَكَ الجمُعَة مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ لَمْ يَكُنْ له كَفَّارَةٌ دُونَ يَوْم القِيَامَةِ[(٤)]».

فهذه الأحاديث دالَّةٌ على زَجر تارك الجمُعَة، وألفاظها لا خلاف فِي أن الطبع يكون سوادًا فِي القلب.

ومن محاسن فضل الجمُعَة:

حديث: «احْضَرُوا الجمُعَة، وادْنُوا مِنَ الإمامِ؛ فإنَّ الرَّجُلَ يَتَخَلَّفُ عَنِ الجمُعَة فَيَتَخَلَّفُ عَنِ الجنَّة، وإنَّه مِنْ أَهْلِهَا، ومَنْ تركَهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ، ومَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِنِصْفِ دِيْنَارٍ[(٥)]».

وعن أبي داود: «مَنْ فَاتَتْهُ الجمُعَة بِغَيْرِ عُذْرٍ فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِرْهَمٍ أَوْ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ، أو صَاعَ حِنْطَةٍ، أو نِصْفِ صَاعٍ[(٦)]».

فَهِي أفضل الأيام من هذه الحيثيات، والإنصات لخُطبتها رحمةٌ، والكلام والإمام

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٥١٦/١)، وابن ماجه (٣٥٧/١)، والطبراني في الكبير (٣٦٥/٢٢)، وفي الأوسط (٩١/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٤٧/٣)، وفي الشعب (١٠٢/٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٥/٣)، والحاكم في المستدرك (٤٣٠/١).

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٥٤/٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٧/٣)، وذكره الفيروز آبادي في عون المعبود (٢٦٦/٣).

(٥) رواه أحمد (١٠/٥)، والطبراني في الكبير (٢٠٦/٧)، وفي الصغير (٢١٦/١)، والديلمي في الفردوس (١٠٧/١)، والبيهقي في الشعب (١٠٧/٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧/٢).

(٦) رواه أحمد (١٤/٥)، والطبراني في الكبير (٢١٩/٧)، وابن خزيمة في الصحيح (١٧٨/٣)، وابن حبان في الصحيح (٢٨/٧)، والحاكم في المستدرك (٤١٦/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٤٨/٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٣٢/٣).

يخطب لَغوٌ؛ لحديث ابن عباس: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمُعَةِ والإمامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَالحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، والَّذي يقولُ لـه: انْصِتْ لَيْسَ لـه جُمُعَةٌ[١]».

وخروج الإمام يقطع الصلاة، وكلامه يقطع الكلام.

وذكر النووي: «إِذَا جَلَسَ الإمامُ عَلَى الْمِنْبَرِ حَرُمَ ابْتِدَاءُ صَلاةِ النَّافِلَةِ، وإنْ كَانَ فِي صَلاةٍ خَفَّفَهَا بالإجماع» نقله الماوردي.

وقال شيخ الإسلام الرمليُّ فِي «شرح المنهاج»: «سَوَاءَ كَانَ صَلَّى السُّنَّةَ أَمْ لَمْ يُصَلِّهَا».

قال النووي: «ويمتنع بمجرد جلوس الإمام على المنبر، ولا يتوقف على الإِذَانِ» نصَّ عليه الشافعي والأصحاب.

وفي حديث: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وأَنْصَتَ غُفِرَ لَـه مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجُمُعَةِ وزِيَادَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، ومَنْ يَمَسُّ الحصَى فَقَد لَغَا[٢]».

ومن محاسن فضل يَوْمِ الجُمُعَةِ:

ما أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ ومَسَّ مِنْ طِيْبِ امْرَأَته إنْ كَانَ لَهَا ولَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَ لَـه كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا، ومَنْ لَغَا وتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَـه ظُهْرًا[٣]».

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/٤٥٨)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/٥٨٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٨٠)، وابن عبد البر في التمهيد (١٩/٣٧)، والصنعاني في سبل السلام (٢/٥٠).

(٢) رواه مسلم (٢/٥٨٨)، وأبو داود (١/٢٧٦)، والترمذي (٢/٣٧١)، وابن حبان في الصحيح (٧/١٨)، والبيهقي في الكبرى (٢/٤٦٤)، والطيالسي في مسنده (١/٦٤)، وأبو يعلى في مسنده (١١/٤٢٦).

(٣) رواه أبو داود (١/٩٥)، والبيهقي في الكبرى (٣/٢٣١)، وذكره الزرقاني في شرحه (١/٣٣٠)، والشوكاني في نيل الأوطار (٣/٢٩١)، والمنذري في الترغيب (١/٢٩٣).

ومن محاسن يَوْم الجُمُعَة في فضل الغسل:

مـا أخرجه الحاكم عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْم الجُمُعَة كَانَ فِي طَهَارَةٍ إِلَى الجُمُعَة الأُخْرَى(١)».

وأخرج الطبراني: عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَـنِ اغْتَسَلَ يَوْم الجمُعَة كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وخَطَايَاهُ، فإِذَا أَخَذَ فِي المشْيِ كُتِبَ لـه فِي كُلِّ خَطْوَةٍ عُشْرُونَ حَسَنَةً، فإِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاةِ أُجِيْزَ بِعَمَلٍ مائتي سَنَة(٢)».

ومن محاسن ما نقله الحافظ السيوطي: ما خرَّجه بسند رجال ثقاة عن أبي إمامة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الغُسْلَ يَوْمَ الجمُعَةِ لَيَسُلُّ الخطَايَا مِنْ أُصُولِ الشَّعْرِ اسْتِلالاً(٣)».

وأُخـرج فِي «الأوسط»: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَلَّمَ أَظَافِرَهُ يَوْمَ الجمُعَةِ وُقِيَ مِنَ السُّوءِ إِلَى مِثْلِهَا(٤)».

وأخرج الشيخان: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجمُعَة ثُـمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الثَّانِيَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، ومَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، ومَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الرَّابِعَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، ومَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الملائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ(٥)».

وفـي حديثٍ آخر: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المسْجِد

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨/١٣٠)، والديلمي في الفردوس (١/٥١٢)، والبيهقي في الكبرى (١/٢٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/٤١٩)، وذكره المنذري في الترغيب (١/٢٨٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨/١٣٩)، وفي الأوسط (٤/٣٥٣)، والديلمي في الفردوس (٣/٦٠٤)، وابن عدي في الكامل (٤/٩٨)، والبيهقي في الشعب (٣/١٠٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في العلل (١/١٩٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٧٤)، والمنذري في الترغيب (١/٢٨٥).

(٤) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٥/١٣١).

(٥) رواه البخاري (١/٣٠١)، وأبو داود (١/٩٦)، والترمذي (٢/٣٧٢)، والنسائي في المجتبى (٣/٩٩)، وأحمد (٢/٤٦٠)، وابن حبان في الصحيح (٧/١٣)، والشافعي في الأم (١/٦٢)، ومالك في الموطأ (١/١٠١)، والبيهقي في الكبرى (٣/٢٢٦).

مَلائكَــةٌ يَكْتبُونَ الأوَّلَ فَالأوَّلَ، فإِذَا جَلَسَ الإمَامُ طَوُوا الصُّحُفَ، وجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ[(١)]».

ومــن محاسن فضائل يَوْم الجمُعَة: ما أخرجه ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود: أنه أتى الجمُعَة فوجد ثلاثةً سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيدٍ؛ إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ النَّاسَ يَجلِسُونَ مِنَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ رَوَاحِهِمْ إِلَى الجُمُعَاتِ الأوَّل، والثَّاني، والثَّالث[(٢)]».

قال البيهقي: قوله (من الله): أي من عرشه أو كرامته.

وأخـــرج ســـعيد بـــن منصور عن أبي مسعود قال: «بَاكِرُوا بالغَدَاة فِي الدُّنْيَا إِلَى الجمُعَـــات؛ فإنَّ الله يَبْرُزُ لأَهْلِ الجنَّةِ يَوْمَ الجمُعَةِ عَلَى كَثِيْبٍ مِنْ كَافُورٍ أَبْيَضَ، فَتَكُونُ النَّاسُ مِنْهُ فِي الدُّنُوِّ كَغُدُوِّهِمْ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الجمُعَةِ[(٣)]».

وفـــي «فضائل الأعمال»: عن القاسم بن مخيمرة قال: «إِذَا رَاحَ الرَّجُلُ إِلَى المسْجِدِ كَانَتْ خُطَاهُ بِخُطْوَةٍ دَرَجَةً، وبِخُطْوَةٍ كَفَّارَةً، وكُتِبَ لَــه بِكُلِّ إِنْسَانٍ جَاءَ بَعْدُ قِيْرَاطٌ».

ومـــن محاســـن ما أخرجه أحمد والأربعة والحاكم: عن أوس بن أوس الثقفي: سمعت رســـول الله ﷺ يقول: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الجمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وابْتَكَرَ ومَشَى ولَمْ يَرْكَبْ ودَنَـــا مِـــنَ الإِمَـــامِ واسْـــتَمَعَ ولَمْ يَلْغُ كَانَ لَـــه بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ: أجرِ صيامِهَا، وقِيَامِهَا[(٤)]».

قـــال الحـــافظ: فِي هذا الحديث دليلٌ على اتصال الرجل بزوجته؛ فإنه يُؤتى أجره مرتين. وفِي حديثٍ: «كَانَ لَـــه بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ عِشْرِينَ سَنَةً[(٥)]».

---

(١) رواه البخاري (٣١٤/١)، ومسلم (٥٨٧/٢)، والنسائي في الكبرى (٥٢٤/١)، وأحمد (٢٣٩/٢)، وأبو يعلى في مسنده (١٩/١١)، والطيالسي في مسنده (٣١٤/١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٨/١)، والطبراني في الكبير (٧٨/١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٧٥/١)، والعقيلي في الضعفاء (٢٠٤/٤)، والدارقطني في العلل (١٣٧/٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه أبو داود (٩٥/١)، وابن حبان في الصحيح (٢٠/٧)، والبيهقي في الكبرى (٢٢٩/٣)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٤٩/٢).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (١٠٨/٣)، والديلمي في الفردوس (٦٠٤/٣)، وذكره الهيثمي في مجمع =

وفي حديث ابن زنجويه في «فضائل الأعمال»: «مَشْيُكَ إِلَى المسْجِدِ وانْصِرَافُكَ إِلَى أَهْلِكَ فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ[(١)]».

ومن محاسن فضل قراءة سورة الكهف في يَوْمِ الجمُعَة: أخرج البيهقي والحاكم: عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجمُعَةِ أَضَاءَ لَه مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجمْعَتَيْنِ[(٢)]».

وفي لفظٍ: «أَضَاءَ لَه مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ البَيْتِ العَتِيقِ[(٣)]».

وفي حديثٍ آخر: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الكَهْفِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الإِمَامُ كَانَتْ لَه كَفَّارَةً فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجمُعَةِ، وبَلَغَ نُورُهَا البَيْتَ العَتِيقَ[(٤)]».

وفي حديثٍ آخر: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجمُعَةِ سَطَعَ لَه نُوْرٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، يُضِيءُ لَه يَوْمَ القِيَامَةِ، وغُفِرَ لَه مَا بَيْنَ الجمُعَتَيْنِ[(٥)]».

ومن طريقٍ أخرى: «فَهُوَ مَعْصُومٌ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، وإِنْ خَرَجَ الدَّجَّالُ عُصِمَ مِنْهُ[(٦)]».

ومن محاسن قراءة سورة الكهف ليلة الجمُعَة: قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ يَوْمَ الجمُعَةِ ولَيْلَةَ الجمُعَةِ أَرْبَعَةٌ وعُشْرُونَ ساعةً، لَيْسَ فِيهَا ساعةٌ إلا ولله فِيها ستمائةُ عتيقٍ مِنَ النَّارِ، كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ[(٧)]».

رواه البيهقي في «الشعب» بلفظ: «إِنَّ لله فِي كُلِّ جُمُعَةٍ ستمائةَ ألفِ عتيقٍ، وفيه ساعةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهُوَ قَائِمٌ يُصلِّي ويَسْأَلُ اللهَ شيئًا إلا أعطاهُ إِيَّاه، وأَشَارَ

=

الزوائد (٢/١٧٤).

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/٣)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٥٢٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٩٩)، والدارمي في السنن (٢/٥٤٦).

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (٣/٢٤٩)، وفي الصغرى (١/٥٥٢)، وفي الشعب (٣/١١٣).

(٤) ذكره ابن قدامة في المغني (٢/١٠٣).

(٥) ذكره المنذري في الترغيب (١/٢٩٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/٣٥٦).

(٦) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/٥٠)، وذكره الذهبي في الميزان (٨/١٩٢).

(٧) رواه أبو يعلى في مسنده (٦/٢٠١)، وذكره المنذري في الترغيب (١/٢٨٣).

بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا[(١)]».

ومسلم: «إِنَّ فِي الجمُعَة لسَاعَةً لا يُوافِقُهَا مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله خَيْرًا إلا أعطاهُ إِيَّاه[(٢)]».

وهي ساعةٌ حقيقيَّةٌ، أخفاها الله فِي جميع اليَوْم كما أخفى ليلة القدر.

قال الحافظ الجلال السيوطي: اختلفت فِيها أقوال العلماء، وذكر ستين قولاً، وقال: والذي أستخير الله وأقول به من هذه الأقوال: إنها عند إقامة الصلاة.

فائدة عظيمة

واحتجَّ من قال بتفضيل الليل على النهار بأن فِي كل ليلةٍ ساعة إجابةٍ، كما ثبت ذلك فِي الأحاديث الصحيحة، وليس ذلك فِي النهار سوى يَوْم الجمُعَة، وأن الصدقة فِيه تُضاعف، والحسنة تُضاعف يَوْم الجمُعَة، والسيئة تُضاعف يَوْم الجمُعَة، ومن عمل خيرًا فِي يَوْم الجمُعَة ضُعِّف بعشرة أضعافه فِي سائر الأيام، ومن عمل شرًّا فمثل ذلك.

ومن محاسن زيارة القبور ليلة الجمُعَة ويَوْمها: أخرج الطبراني فِي «الأوسط» عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ، وكُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ[(٣)]».

ومن محاسن كتابه «المصباح»: ما أخرجه البيهقي وابن أبي الدنيا والشيخ موفَّق الدين فِي «مرشده» باتِّفاق: أن الموتى يعلمون بزوَّارهم يَوْم الجمُعَة، ويَوْمًا قبله، ويَوْمًا بعده[(٤)].

وقال ابن الجبائي فِي كتابه «هادي الزائرين»: «مَنْ زَارَ قَبْرًا يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَلِمَ الميِّتُ بِزِيَارَتِهِ، قيل: وكيف ذلك؟ قيل: لمكان يَوْم الجمُعَة[(٥)]».

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١١٤/٣)، والقزويني في التدوين (٢٣١/٢)، وذكره المنذري في الترغيب (٢٨٣/١).

(٢) رواه مسلم (٥٨٤/٢)، والنسائي في الكبرى (١٢٢/٦)، وأحمد (٢٣٠/٢)، وأبو نعيم في المسند المستخرج (٤٤٢/٢).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٧٥/٦)، وفي الصغير (١٦٠/٢)، والديلمي في الفردوس (٤٩٥/٣)، والبيهقي في الشعب (٢٠١/٦).

(٤) رواه البيهقي في الشعب (١٨/٧)، وذكره المناوي في فيض القدير (٦٢/٤).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (١٨/٧)، وذكره ابن كثير في التفسير (٤٣٩/٣).

وأخرج ابن سعد في «طبقاته»: عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يُباهي مَلائكَتَهُ بعباده يَوْمَ عَرَفَة، يقُولُ: عبَاديْ جَاؤُوني شُعْثًا يَتعَرَّضُونَ لِرَحْمَتِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِمُحْسِنِهِمْ، وشَفَّعْتُ مُحْسِنَهُمْ فِي مُسِيْئِهِمْ(١)».

ولـذا كـان يَوْم الجمُعَة مثل ذلك، وأنه عيد المؤمنين، ما من عبدٍ انقطع فِيه وجعله احتسابًا إلا غفر الله لـه، وكأنَّ ثوبًا اتخذه لله تعالى، فشمَّ منه رائحة المسك عند موته.

قلت: ورأيت جماعةً من مشايخنا جعلوه وردًا للصلاة على النبيِّ ﷺ، وقالوا: أشهدناه كأنه العروس.

وقال شيخي وأستاذي البهنسي: أنعم الله عليَّ به، وشاهدته، وكنت لا أقدر، وأزيد عليه فِي السؤال.

ومـن محاسن ما ذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري: أن يَوْم الجمُعَة يُؤتـى به على رؤوس الأشهاد، منوَّعٌ بأنواع الزينة، مزيَّنٌ بأحسن الحلي، كأنه العروس، تـشتاقه النفوس؛ لما يروا من بهجته، وما عليه من الديباج، والعبقري، والسندس، وحلي الجنَّة، وأصناف الزبرجد، والعقيان، واللؤلؤ، والمرجان، ووصفٌ يكَلُّ عنه اللسان، فتقف بـه الملائكـة على رؤوس الأشهاد، وينادون: يا أهل الموقف، انظروا إلى ما أعطى الله تبارك وتعالى. أجابه: انظروا إلى ما يكِنُّ فِي كتابه، انظروا إلى هذه التماثيل، أين أهل هذا المقـام؟! أين طلابه؟! أين أحزابه؟! أين خطَّابه؟! أين مَنْ رغب فِيه؟! أين من أحبَّه وما فِـيه؟! فتمـيد الخلائق، ويرتجُّ الموقف، ويقولون: ما هذا الخلق الشريف الذي تميل إليه الـنفوس؟! فـوالله ما منا إلا من اشتاق لـه. فتناديهم الملائكة: يا خلق الله، هذا يَوْم الجمُعَة، يُكرِّم من أكرمه فِي دار الدنيا، ويُدخل فِيه من احترمه فِي دار الدنيا، ويُدخله من جعلـه معه فِي دار الدنيا، فتأتيه خلقٌ لا تُحصى، فينادي: هذا كان يشتغل عنِّي بالدنيا، وينادي: هذا كنت تؤثر عليَّ فِي الدنيا، وينادي: هذا كنت تهتم برزقك عنِّي، ولم تجعلني لله تعـالى، وينادي: هذا كنت تجعلني بطالةً، وينادي: هذا لم تجعلني عبادةً، ويدخل هذا فِي بابه، وهذا يشاهده، ويتحسر، والذي فِي الباب يتقهَّر، وهنيئًا لمن تصدَّر فِيه، وعدَّ ما

(١) ذكره الذهبي في السير (٣/٢٦١).

يــزيد عــن مائتي نوعٍ من أنواع العبادات، وما يتصدَّر فِيه إلا من جعله لله، واشتغل فِيه بالصلاة على رسول الله ﷺ، وأتى على هذه الأنواع بكلامٍ يطول شرحه.

ثم قال: ولا طريق إلى الوصول إلى هذه المقامات بذكره ﷺ، ولا سبيل لذكر ذلك إلا بمحبَّــته، وبرِّه، والاشتياق إلى مشاهدة آثاره، وزيارةِ قبره، والتحلِّي بذكر أسمائه وصفاته المعنوية، ولا سبيل إلى ذلك إلا باتِّباع قدمه فِي السرِّ والجهر، ونشر معجزاته، وبيان آياته على حلو الزمان، ومُرِّه، وانقضائه، وممرِّه؛ فالصلاة عليه فريضةٌ واجبةٌ على الجملة، غير مؤقتةٍ بوقتٍ معلومٍ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، كما قرَّرنا فِي أول الكتاب.

وحــضرني هــا هنا فضائل وفوائد لا أطيق كتمها؛ للحديث الوارد: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ[1]».

فأقــول: الصلاة عليه واجبةٌ، وهذا محمولٌ عند العلماء، قالوا به على الوجوب، وإن كان أبو جعفر الطبري يقول بحمله على الندب، وادَّعى فِي ذلك الإجماع.

قال القاضي عياض: ولعله يريد بذلك ما زاد على المرة الواحدة ككلمتَي الشهادة.

قــال الجلال السيوطي: قلت: وهو الظاهر المتعيِّن، وإلا فهو وهمٌ لا ينعقد الإجماع بهم دون قول مالك وأصحابه والشافعي، على ما سيأتي بيانه وتحريره.

قــال القاضي أبو بكر: افترض الله على خلقه أن يصلُّوا على نبيِّهم، ويسلِّموا، ولم يجعل لذلك وقتًا معلومًا، فالواجب أن يُكثر المرء منها، ولا يفتر عنها.

قــال القاضي أبو الحسن المشهور عند أصحابنا: إن ذلك واجبٌ فِي الجملة على سـبيل الإحسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرَّةً واحدةً فِي دهره مع القدرة على ذلك؛ لما فِي ذلك من الثواب، ويحتمل أن يكون طالب الرغبة فِي الصلاة عليه، زاده شرفًا وكرمًا لديه، غارقًا فِي لذة توحيده، عارفًا بمقام تمجيده.

وقــال أبــو الطيب: قال الطبري: الوجوب فِي العمر مرَّةٌ، والرغبة عدم الغفلة عنه معتقدًا، قاله القاضي عياض.

ومــن محاســن كتاب البلغاء: قال المهدي: سمعت الحسن البصري يقول على منبر

(١) رواه أبو داود (٣/٣٢١)، والبيهقي في الشعب (٢/٢٧٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/١٢٠).

البـــصرة: إن الله أمـــركم بأمـــرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنَّى بملائكته، فقال في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، آثَرهُ الله بها من بين الرسل، وألحقكم بها من بين الأمم، فقابلوا نعمة الله بالشكر.

وفي المحاسن النبوية: كان الإمام سهل بن مُحَمَّد يقول: هذا الشرف الذي شرَّف الله بـــه نبيِّنا مُحَمَّد ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾هذه الآية الشريفة أتَمُّ وأجمع من تشريف آدم الطَّيْلا بأمر الملائكة لـــه بالسجود؛ لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف، فتشريفٌ يصدر عنه أبلغ من تشريفٍ تختصُّ به الملائكة.

وقوله تعالى: ((يُصَلُّون)) قالت فرقةٌ: الضمير لله وللملائكة، وهذا قولٌ من الله شرَّف به ملائكته، فلا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب عند النبي ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَ الله ورَسُـــولَهُ فَقَـــدْ رَشَدَ، ومَنْ عَصَاهَمَا فَقَدْ ضَلَّ، فقال لـــه النبيﷺ: بئس الخطيب أنت. قالوا: ولِمَ؟ قال: لأنَّه لَيْسَ لأَحَدٍ مِنَ البَشَرِ أَنْ يَجْمَعَ ذِكْرَ الله مَعَ غَيْرِهِ فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ، ولله أَنْ يَفْعَلَ فِي ذَلِكَ مَا يَشَاءُ[1])).

وقالت فرقة: بل جمع الله الملائكة مع نفسه في ضميرٍ واحدٍ، وذلك جائزٌ للبشر أن يفعله.

وقالـــت فـــرقة: فِـــي الكلام حذفٌ، تقديره: (إنَّ الله يُصَلِّي عَلَى النبِيِّ والملائكةُ يُصَلُّون).

ومـــن محاســـن كـــلام القشيري: الصلاة من الله لمن دون النبيِّ ﷺ تشريفٌ وزيادة تكرمةٍ.

قال أبو العالية: صلاة الله: هي ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

قال ابن عطية: هذه الآية شرَّف الله بها نبيَّه ﷺ، وذكر منـــزلته عنده.

ومـــن محاسن ما نُقل عن الجلال السيوطي عفا الله عنه في ((الخصائص الكبرى)): قـــال: قال الشافعي: إنما تجب بعد التشهد الأخير وقبل السلام، ولابن المواز وأصحابه قولٌ كقول الشافعي، وأنكر غير واحدٍ من العلماء وقالوا: إنه قولٌ مخترعٌ، لا سلف لـــه

(١) رواه مسلم (٥٩٤/٢)، وأبو داود (٢٨٨/١)، والنسائي في الكبرى (٣٢٢/٣)، وأحمد في المسند (٢٥٦/٤).

فِيه ولا سنن، ذكره فِي الحوادث.

ومــن محاسن قول ابن تيمية: أنها تجب بعد التشهد الأخير على كلام أحمد على ما نقله ابن هبيرة، وتابعه إسحاق، إلا أنه فرَّق بين تركها عمدًا فلا تصحُّ الصلاة، أو سهوًا فتصحُّ الصلاة.

قال الخطابي: ولا أعلم للشافعي فِي هذا قدوةً، قلت: والظاهر كلام أحمد فِي مذهب الشافعي، ووافقه الشعبي، ثم قال: قلت: الظاهر أن الشعبي تقدَّم منه القول، والله أعلم.

ومــن محاســن ما اختاره الطحاوي فِي «تفسيره»: أنها تجبُ كلَّما ذُكر النبيُّ ﷺ، واخــتاره جماعةٌ من الحنفِية، وتبعه الحليمي من الشافعية، ودليل الجمهور من الأحاديث الــصحيحة الــصريحة، كحديث ابن مسعود فِي التشهُّد، وأنه لم يعلم للصلاة عليه ﷺ منافِيًا، وحديث المسيء صلاته أيضًا كذلك؛ لأنه ترك الصلاة عليه.

وقــال ابن عطية: الصلاة على النبيِّ ﷺ واجبةٌ وجوب السنن المذكورة، التي لا يسع تركها، ولا يغفل عنها إلا مَنْ لا خير فِيه؛ لما فِي الصلاة عليه من الأجور المتعددة، وأن الملائكة لا تفارق المصلي عليه إلا أن دُنِّس بمعصيةٍ.

وقــال الطــيبي: المصلِّي على النبيِّ ﷺ لا ينقطع عنه الثواب حتى يفعل ما يخالف شرعه، وإن الله يتولى حفظ المصلي عليه وملائكته.

وقــال قــتادة: علــيكم بملازمين الصلاة على النبيِّ ﷺ؛ فإن الله يوالي من والاهم، ويعادي من عاداهم، وما عارضهم معارضٌ إلا أخذله الله وأخذه.

من محاسن ما نقله الإمام البغوي فِي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

قــال ابن عباس: إن الله وملائكته يباركون على النبيِّ ﷺ، قلت: وقد فسرت البركة فِــي الحديث بالزيادة والخير والكرامة، والتكثير يكون بمعنى: الثبات على ذلك من توهم بركة الإبل، وتكون البركة بمعنى: التطهير والتنــزيه عن المعايب كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

قال القاضي عياض: وهو أحد التأويلات ليبارك الله، وقيل: إن الله يترحَّم على النبيِّ ﷺ، وملائكته يدعون لــه.

قــال المــاوردي: أصــل الصلاة الترحُّم؛ فهي من الله رحمةٌ، ومن الملائكة رأفةٌ

واستدعاءٌ للرحمة من الله تعالى.

وقال القفَّال: تشريفٌ من الله، وتوسُّلٌ من الملائكة.

وقال الجلال السيوطي: تشريفٌ من الله لنبيه، وزيادة تشريفٍ لملائكته، وزيادة تكرمة لأمته؛ لما ورد فِي حديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: «فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عليه، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ[1]» فهذا دعاءٌ، اختلف العلماء فِي الرحمة: هل هي صفة ذاتٍ؟ أو صفة فعلٍ؟ فمن فسَّرها بأنها إرادة نفعٍ للعبد قال: هي صفة ذاتٍ.

وقال ابن فورك: ومن فسَّرها بأنها خلق نفع للعبد قال: هي صفة فعلٍ.

ومن محاسن ما نقله أبو السعود المفتي: قال: صلاة الله هي ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

ومن محاسن ما نقله القاضي أبو الفضل فِي كتابه: إن الله شرَّف نبيَّه بهذه الآية، وذكر منزلته عنده، وليس فِي القرآن العظيم ولا فِي غيره فِيما علمت صلاةٌ من الله على غير نبيِّنا ﷺ؛ فهي خِصِّيصَةٌ اختصَّه الله بها دون سائر الأنبياء، وقد فرَّق النبيُّ ﷺ فِي حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة وبين لفظ الرحمة، فدلَّ على أنها بمعنيين.

ومن محاسن «منهاج العابدين» للإمام الغزالي: أن رجلاً ادَّعى أن لا إله إلا الله أفضل من كلمةٍ يقدرها فِي القرآن، والاشتغال بها أفضل من القرآن، يعني: التلاوة والذكر، مستمسكًا بقوله ﷺ: «أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قُلْتُهَا أنَا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إلهَ إلا اللهُ[2]»، فهل ما يقول صحيحٌ مستقيمٌ مع قوله ﷺ: «فَضْلُ كَلامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ[3]»، وأيضًا فالقرآن تَحْرُم تلاوته على الْجُنب، ومسُّه على الْمُحدِث بخلاف الذكر، وغير ذلك مما يدلُّ على فضله.

الجواب: لا إله إلا الله من جملة كلمات القرآن؛ فتفضيلها على بقية كلماته من باب تفضيل بعض القرآن على بعض، لا من باب تفضيل القرآن على القرآن، وذِكر الله أكبر،

---

(١) رواه البخاري (١/٢٣٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/١٦١).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥٧٢)، ومالك في الموطأ (١/٢١٤)، والبيهقي في الكبرى (٤/٢٨٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤/٣٧٨).

(٣) رواه الترمذي (٥/١٨٤)، والدارمي في السنن (٢/٥٣٣)، والبيهقي في الشعب (٢/٣٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٠٦).

والصلاة على النبيِّ ﷺ تزيد من الرزق، وتبارك فِيه، ومن لازمها كُفِي همَّه.

ومن محاسن قراءة سورة الكهف فِي ليلة الجُمُعَة:

ما ذكره الإمام الحافظ عبد العظيم المنذري فِي «ترغيبه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الكَهْفِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ أَضَاءَ لَه مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الْبَيْتِ الْمَعْمُوْرِ[1]».

وفِي حديث ابن عمر: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الكَهْفِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ سَطَعَ النُّورِ مِنْ قَدَمِه إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، يُضِيْءُ لَه إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وغُفِرَ لَه مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ[2]».

ومن محاسن فضل سورة يس: ما رواه الطبراني والأصبهاني: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ يس لَيْلَةَ الجُمُعَةِ غُفِرَ لَه[3]».

وفِي حديثٍ صحَّحه البيهقي: «سُورَةُ يس تُدْعَى فِي التَّوْرَاة الْمُعَمِّمَةَ، تَعُمُّ صَاحِبَهَا بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وتُدْعَى الدَّافِعَةَ والقَاضِيَةَ، تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا، وتَقْضِيْ لَه كُلَّ حَاجَةٍ، مَنْ قَرَأَهَا عَدَلَتْ عِشْرِيْنَ حِجَّةً، ومَنْ سَمِعَهَا عَدَلَتْ لَه أَلْفَ دِيْنَارٍ يُنْفِقُهَا فِي سَبِيْلِ الله، ومَنْ كَتَبَهَا ثُمَّ شَرِبَهَا أَدْخَلَتْ جَوْفَهُ أَلْفَ دَوَاء، وأَلْفَ نُور، وأَلْفَ يَقِين، وأَلْفَ بَرَكَةٍ، وأَلْفَ رَحْمَةٍ، ونَزَعَتْ عَنْهُ كُلَّ غِلٍّ ودَاءٍ[4]»، يُقَالُ: مِنْ بَابِ فَضْلِ الجُمُعَة.

وفِي حديث آخر: «قَلْبُ القُرْآنِ يس، لا يَقْرَأُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ الله والدَّارَ الآخِرَةَ إلا غُفِرَ لَه؛ اقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ[5]».

وفِي حديث آخر: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وقَلْبُ القُرْآنِ يس، ومَنْ قَرَأَ يس كُتِبَ لَه بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةُ القُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ[6]».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره المنذري في الترغيب (١/٢٩٨)، والمناوي في فيض القدير (٢/٥١٢).

(٤) رواه الخطيب في التاريخ (٦/٢٨٧)، والحكيم الترمذي في النوادر (٣/٢٥٨)، والعقيلي في الضعفاء (٢/١٤٣).

(٥) رواه الدارمي في السنن (٢/٥٤٨)، والقضاعي في الشهاب (٢/١٣٠)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٨٠).

(٦) رواه الترمذي (٥/١٦٢)، والدارمي في السنن (٢/٥٤٨)، والقضاعي في الشهاب (٢/١٣٠).

وفي حديثٍ آخر: ((مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهَ الله غُفِرَ لــه[١])).

ومـــن محاسن الجامع الصغير: ((مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ يس يَوْمَ الجمُعَةِ أَضَاءَ لــه مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ العَتِيْقِ[٢]))، وهو عن أبي سعيد: ((مَنْ قَرأ يس غُفِرَ لــه[٣])).

وعن أبي هريرة: ((مَنْ قَرَأَ يس أَصْبَحَ مَغْفُوْرًا لــه[٤])).

وعن ابن مسعود: ((مَنْ قَرَأَ يس مَرَّةً فَكَأَنَّمَا قَرَأَ القُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ[٥])).

وعـــن أبي هريـــرة: ((مَـــنْ قَرَأَ يس مَرَّةً غُفِرَ لــه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ فَاقْرَؤُوهَا عِنْدَ مَوْتَاكُمْ[٦]))، عن معقل بن يسار.

ومن محاسن سورة (تبارك الذي بيده الملك): عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ سُـــوْرَةً فِي القُرْآنِ ثَلاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لــه، وهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْـــكُ[٧])) رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه واللفظ لــه، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان فِي ((صحيحه))، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وروي عـــن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبيِّ ﷺ خباءه على قبرٍ وهو لا يحسب أنه قبرٌ، وإذَا هو قبر إنسانٍ يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبيَّ ﷺ، فقال: ضربت خبائي[٨] على قبرٍ وأنا لا أحسب أنه قبرٌ فإِذَا هو قبر إنسانٍ يقرأ

(١) رواه الدارمي في السنن (٢/٥٤٨)، وابن حبان في الصحيح (٦/٣١٢)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢١)، وفي الصغير (١/٢٥٥)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٨٠).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٥/١٥١)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٨٢).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/١٣٠)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٢٩٤)، والمناوي في فيض القدير (٦/١٩٩).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٢/٤٨١)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/٦٧)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٣٤٥).

(٦) رواه البيهقي في الشعب (٢/٤٨١)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/٦٧).

(٧) رواه الترمذي (٥/١٦٤)، وأحمد (٢/٢٩٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١/٤٢١)، والحاكم في المستدرك (١/٧٥٣).

(٨) أي: منـــزلي.

سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: «هِيَ الْمُنْجِيَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[(١)]» رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ومن محاسن كتاب «الواضح المبين» في الباب الثاني: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وَدَدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ يُعْنِي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١][(٢)]» رواه الحاكم، وقال الطبري: هذا الحديث إسناده عند اليمانيين صحيحٌ.

وروى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ فِي قَبْرِهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيَّ ما قبلي سبيلٌ؛ كان يقرأ سورة الملك، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ، أو قال: قِبَلِ بَطْنِه، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عليَّ مَا قَبْلِي سَبِيلٌ؛ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيَّ مَا قَبْلِي سَبِيلٌ؛ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ؛ فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وهِيَ فِي التَّوْرَاةِ: مَنْ قَرَأَهَا لَيْلَةً فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ[(٣)]» رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وقال الشيباني في «مختصره»: «مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ الله ﷻ بِهَا مِنْ عَذَابِ القبر[(٤)]».

وقال بعض الصحابة: كنا نسمِّيها على عهد رسول الله ﷺ المانعة وإنها في كتاب الله ﷻ سورة الملك من قرأها فقد أكثر وأطاب[(٥)].

ومن محاسن الجامع الصغير: كتاب الله وقايةٌ لمن تعلَّمه وكفايةٌ لمن عَمِل (حم كـ)، من زهد في الدنيا علَّمه الله بلا تعلُّمٍ، وهداه بلا هدايةٍ، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمي.

---

(١) رواه الترمذي (٥/١٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٨١)، وابن عدي في الكامل (٧/٢٠٥)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٩٥).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/٧٥٣)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٩٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣/٥٦٨)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٢٤٧).

(٤) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١/٤٣٣)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٢٩٤).

(٥) رواه النسائي في الكبرى (٦/١٧٩)، والطبراني في الأوسط (٦/٢١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٤٨).

نُقل عن عليٍّ: أن من سأل الله الجنَّة ثلاث مرات قالت الجنَّة: اللَّهُمَّ أدخله الجنَّة، ومن استجار النَّار ثلاث مراتٍ قالت النَّار: اللَّهُمَّ أجرهُ من النَّار (تــ ن كــ)، عن أنس، فهذا مما يرغِّب العبد فِي الأعمال الصالحة.

ومن محاسن التوسُّل به ﷺ: ما رواه إسماعيل القاضي عن مُحَمَّد بن سيرين: أنه كان يدعــو للصغير يعني: الميت، ويستغفر، كما يدعو للكبير، فقيل لــه: إن هذا ليس لــه ذنــبٌ. فقــال النبي ﷺ: «قد غُفر لــه ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وقد أمرنا أن نصلي عليه».

وقال الفاكهاني: إن الصلاة عليه عبادةً لنا، وزيادة حسناتٍ فِي أعمالنا.

قال: وفيه نكتةٌ أخرى بديعيةٌ وهي: أنه أحب الخلق إلى الله، ونحن إنما نذكره بأذكار الله لــنا؛ فهــو الذاكــر فِــي الحقيقة، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره، وهذا من طريق الفاكهاني.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: نحن إِذَا صلينا صلَّى الله علينا، فيستلزم إكثار صــلاةٍ علينا، ومن أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره، وأما الحكمة فِي طلب المغفرة للصغير مع أنــه لا يلحقه إثمٌ فهي كما قال الشيخ الرملي فِي فتاويه لما سئل عن قولهم: اللَّهُمَّ اغفر لصغيرنا وكبيرنا، فأجاب: إنه يحتمل أوجهًا:

أحدها: أن يكون المراد بطلبها تعليقها ببلوغه إِذَا بلغ وفعل ما يحتاج إليه.

ثانيها: أن يكون طلبها لــه ينصرف إلى والديه أو إحداهما أو إلى من ربَّاه.

ثالثها: أن ينصرف إليه برفع منـــزلته مثلاً كما فِي البالغ الذي لا ذنب لــه إِذَا فرض كمن مات بعد بلوغه بقليلٍ، أو بعد إسلامه الخالص بقليلٍ.

رابعهــا: أنه يتخرَّج على أحد أقوال العلماء فِي الأطفال والمراهقين، وكذا من بلغ العشر سنين، فذلك محتملٌ؛ فإن المسألة اجتهاديةٌ، فيحسن الدعاء لهم باعتبار ذلك، والله أعلم.

ومــن محاســن لطــف الله بنا وإحسانه لنا مع ما أعطاه الله نبيَّنا من هذه الفوائد والكمالات:

أن الصلاة تجب فِي العمر مرةً، وهي مثل كلمة التوحيد، وهو محكيٌّ عن أبي حنيفة، وادعى بعض المالكية الإجماع عليه، وعبارة ابن القصار منهم: المشهور عن أصحابنا أن

ذلـك واجـبٌ فِي الجملة على الإنسان فرضٌ أن يأتي بها مرةً من دهره مع القدرة على ذلك، وفرَّع فروعًا.

وقـال: أحـسن نبأ قيل هذا، وأوضح ما قال القاضي عبد الوهاب بن نصر شارح الرسالة: الصلاة على النبي ﷺ واجبةٌ فِي الجملة، وأجرها معلومٌ، وثوابها لا ينحصر، ومن لطـف الله تعـالى بـنا أنهـا تجب فِي العمر مرةً، وفِي هذا لطيفةٌ: ليس عندنا أعزُّ فِي المخلوقات منه، وإن ذَكرهُ المسيء الخاطئ فِي عمره مرةً واحدةً عفونا عنه، وأعطيناه من الثواب ما لا ينحصر.

ومن محاسن ما قاله الشافعي فِي «الأم»: فرض الله الصلاة على النبيِّ ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فلم يكن فرض الصلاة عليه فِي موضعٍ أولى منه فِي الصلاة، ووجدنا الدلالة على النبيِّ ﷺ فِي ذلك، ثم ساق حديث أبي هريرة وكعب المقدَّم ذكره.

قـال الشافعي: فلمَّا روي أن النبي ﷺ كان يُعلِّمهم التشهُّد فِي الصلاة لم يجُز لنا أن نقول التشهد فِي الصلاة واجبٌ والصلاة فيه غير واجبة.

وقد تعقَّب بعض العلماء هذا الاستدلال من أوجهٍ:

أحدها: ضعف سند شيخ الشافعي فِي حديث أبي هريرة المشار إليه.

الثاني: على تقدير صحته فقوله فِيه: يعني فِي الصلاة لم يصرِّح القائل بمعنًى.

الثالث: يحتمل أن يكون المراد بقوله فِي الصلاة المكتوبة: أي فِي صفة الصلاة وهو احـتمالٌ قـويٌّ؛ لأن احتمال الحديث يدل على أن السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن الصلاة.

الـرابع: يدل على أن ذلك ليس لـه تعيينٌ فِي التشهُّد، خصوصًا بينه وبين السلام، وقـد أطـنب قـومٌ فِي نسبة الشافعي فِي ذلك إلى الشذوذ، منهم: أبو جعفر الطبري، وعبارته:

أجمـع المـتقدمون والمتأخرون من علماء الأمة على أن الصلاة عليه غير واجبةٍ فِي التشهد، ولا سلف للشافعيِّ فِي هذا القول، ولا سنَّة نتبعها.

هكذا قال أبو جعفر الطحاوي وأبو بكر بن المنذر، وأورد فِي «الشفاء» مقالاتهم.

وقال شارح العمدة من كتب الحنفية: قيل: لم يقله أحدٌ.

وذكر ابن بطَّال فِي شرحه على البخاري: إن كل من روى التشهد من الصحابة لم يذكروا الصلاة على النبيِّ ﷺ، وعلم أبو بكر وعمر التشهد على المنبر بحضرة المهاجرين والأنـصار، فمن أوجب ذلك فقد ردَّ الآثار وما مضى عليه السلف، وأجمع عليه الخلف وروتـه عن نبيها. قال ذلك أبو الفضل العراقي، وانتصر جماعةٌ للشافعي، فذكروا القول بالوجوب عند جماعةٍ من الصحابة والتابعين فِيما ورد عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ علَّمهم التشهد فِي الصلاة، وأنه قال: «ليختَرْ مِنَ الدعاءِ ما شاء[1]».

فلما ثبت عن ابن مسعود الأمر بالصلاة عليه قبل الدعاء دلَّ على أنه اطَّلع على زيادة ذلـك بـين التشهد والدعاء، واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود فِي دفع ما ذهـب إلـيه الشافعي، ولو ذكرنا خلاف السلف والخلف لما وسعه هذا الكتاب؛ فإن الـسخاوي قـرر عن مشايخه ما يزيد عن مائة صورةٍ فِي الجواز، وكذلك شيخه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني قال ما يطول شرحه، والإمام القسطلاني فِي «مواهبه» فقرر مسائل، والجلال السيوطي، وابن رجب وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين وما عرفنا إلا محاسن الترغيب فِي ذكر ما كان عليه.

ومن محاسن ما قال ابن القيم:

أجمعـوا علـى مـشروعية الـصلاة علـيه فِي التشهد، وإنما اختلفوا فِي الوجوب والاسـتحباب، وفِـي تمسك من لم يوجبه بعمل السلف الصالح؛ نظرًا لأن عملهم كان بـوفاقه إلا إن كان يريد بالعمل الاعتقاد فيحتاج إلى نقلٍ صريحٍ يعلمهم بأن ذلك ليس بواجبٍ[2].

ومـن محاسن ما نقله القاضي عياض: مَنْ شفع على الشافعي لا معين لـه؛ لأنه لم يخالف نصًّا ولا إجماعًا ولا قياسًا ولا مصلحةً راجحةً؛ بل القول بذلك من محاسن مذهبه، ولله درُّ القائل:

إِذَا كانـت مُحاسـبتِي علـى مـا ... أقـولُ مـن المحاسـنِ لا أبـالي
علـى ذِكـرِ الحبـيبِ مدارُ قصدي ... وأنـشرُ مـا أقـول مـن الـلآلي

---

(١) رواه أحمد (١/٣٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٩/٣٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٢/١٥٣).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص٤٦٥).

فإعمـــالي علـــيها جـــلُّ قـــصدي علـــى ذكـــر الحبـيب مـــدى اللـــيالي

ثم قال عقب ذلك: افترضَ الله تعالى على خلقه أن يصلُّوا على نبيه، ويسلِّموا، ولم يجعل لذلك وقتًا معلومًا، فالواجب على المرء أن يُكثر منها ولا يغفل عنها؛ فالصلاة على النبي ﷺ بإجماع أهل العلم من أفضل الطاعات، وبها ينال المرء الفوز بالحال والمال.

وقال بعض العارفين: الصلاة على النبي ﷺ فرضُ إسلاميٌّ جمليٌّ غير منعقد بعددٍ ولا وقتٍ معينٍ؛ بل يتعين على كل من ذكره أن يصلِّي عليه.

وعبارة الطحاوي: يجب كل ما يسمع ذكر النبي ﷺ من غيره أو ذكره بنفسه، لما فِي ذكره من التعظيم.

وقرر بعض العلماء أن التعظيم منـــزلةٌ فوق المحبة.

ومـــن محاســـن مـــا قيل فِي «شعب الإيمان» للبيهقي: أن مُحبَّ النبي ﷺ ومُبجِّله ومعظِّمـــه أكثر أجرًا وأوفر مقامًا من إجلال كل عبدٍ سيده، وكل ولدٍ والده، وبهذا نطق الكـــتاب، ووردت أوامـــر الله تعالى، وبهذا رُزقت الصحابة من الدين ما رزقوا، وتداول الخلف والسلف فِي تعظيمه وتبجيله إلى قيام الساعة وفِي الآخرة وغير ذلك مما أعطاه الله تبارك وتعالى.

ومن محاسن ما قاله بعض الفضلاء من قصيدة طويلة:

صَـــلُّوا علـــيه كلَّمـــا صـــلَّيتم لِتَـــروا بـــه يَـــوْم القـــيامةِ نجاحـــا
صـــلُّوا علـــيه كـــلَّ لـــيلةِ جمعـــةٍ صـــلُّوا علـــيه عَـــشيةً وصـــباحا
صـــلُّوا علـــيه كلَّمـــا ذُكـــرَ اسمـــهُ فِـــي كـــلِّ حـــينٍ غـــدوةً ورواحـــا
فعلـــى الـــصحيحِ صلاتكم فرضٌ إِذَا ذُكـــرَ اسمـــهُ وسمعـــتموه مـــراحا
صـــلَّى علـــيه الله مـــا شبَّ الدُّجى وبـــدا مُـــشيبُ الـــصبحِ فِـــيه ولاحَا

ومن محاسن ما ذكره الفاكهاني فِي حديث (الملهوف البخيل): مَنْ ذُكرت عنده فلم يصلِ عليَّ.

قال بعض العلماء: هذا يقوِّي قول من قال بوجوب الصلاة عليه كلَّما ذُكر.

قال السخاوي: وهو الذي أميلُ إليه.

وقـــال بعض السادة: ما سمعت بذكره وتركت الصلاة عليه، وكنت إِذَا عطشت فِي البراري أُروى، وإِذَا عييت فِي المشي لا أميل إلى التعب، وإِذَا مرضت تقودني الملائكة،

فعلمت أن ذلك ببركة الصلاة عليه.

وقال بعض المحدثين: ما تركت كثرة الصلاة عليه فِي مجلسٍ، وكانت مجالسي تُشَمُّ منها رائحة المسك.

وقال ابن عساكر: الصلاة على رسول الله ﷺ واجبةٌ على المكلّف إِذَا سمع ذكره، ولا يستجيب الله دعاء عبدٍ بغير الصلاة عليه، وتارك الصلاة عليه ﷺ كلَّما ذُكر محجوبٌ، مناله الجحيم، ذكره ابن عادل فِي تفسير: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦].

والغافل عنه غافلٌ عن الله، وما أحسن ما قال السخاوي: المتشاغل عن ذكره كلَّما ذكر ليس له حظٌّ فِي الدين، قد نظم فِي سلك عقوق الأبوين، والمستحلُّ لذلك مستحلٌّ لانتهاك حُرم الله كالغافل فِي شهر الصوم الذي صومه وتعظيمه فرض عينٍ. وقال الجلال السيوطي: يؤيد ذلك الأدلة القاطعة لمن أنعم الله عليه بحسن النظر والتيقظ يجب أن يصلي على النبي ﷺ كلَّما ذُكر، وهو مذهب الصدر الأول.

وقد اختلف القائلون بالوجوب هل هو على العين؟ فيجب على فردٍ فردٍ، أو الكفاية؟ فإِذَا فعل البعض سكت عن الباقين، فالأكثرون قالوا: بالأول، ومن القائل بالثاني أبو الليث السمرقندي من الحنفية، وتمسك القائلون بالوجوب كلَّما ذكر من حيث الفعل أن العبد موعودٌ على الترك بالوعيد، وتارك الصلاة عليه جَافٍ له بخيلٌ بالكلام، عدَّه الشارع بخيلاً والبخل علامة أهل النَّار، وما اكتفى بقوله: بخيلٌ حتى قال: كل البخيل، فتأكد القول على شؤمه، وتمسكوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النُّور:٦٣].

فلو كان ﷺ إِذَا ذُكر لا يُصلَّى عليه لكان لآحاد الناس، ويتأكد ذلك إِذَا كان المعنى بقوله دعاء الرسول الدعاء المتعلق بالرسول.

قال الحليمي: وإِذَا قلنا بوجوب الصلاة كلما ذُكِر فإن اتخذ المجلس وكان مجلس علمٍ ورواية سُننٍ احتمل أن يقال الغافل عن الصلاة عليه كلما جرى ذِكرهُ إِذَا ختم بها المجلس أجزاءه؛ لأن المجلس إِذَا معقودًا لذكره كان كله حالةً واحدةً بالذكر المتكرر، وإن لم يكن المجلس كذلك فإني أرى كلَّما ذكر أن يصلَّى عليه، ولا أُرخِّص فِي تأخير ذلك انتهى.

ومن محاسن قول الإمام الحافظ شيخ الإسلام ابن جماعة:

إن الصلاة على النبي ﷺ واجبةٌ فِي العمر مرةً، وإن الأدب الصلاة عليه عند دخول المسجد بعدما ورد عند خروجه، وعند انتهاء الصلاة، وكلَّما ذُكر، وأول ما يبتدئ فِي أكلهِ بعد البسملة الشريفة، وعند فراغه، وعند قيامه من النوم، وفِي كل مجلسٍ جلس فِيه ابن آدم، وتارك الصلاة فِي هذه المواطن تعسر عليه شفاعته ﷺ وكل دعاءٍ لا يكون فِي أوله وآخره الصلاة على النبي ﷺ لا يُرجا قبوله.

ومما يستفاد من هذا المعنى شيئان:

أحدهما: أن الصلاة على النبي ﷺ تجب بالنذر؛ لأنها من أعظم القربات وأفضل العبادات وأكمل الطاعات وأجملها؛ لقوله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أنْ يطِيعَ الله فليطِعْه[1]».

الثاني: لو خاطب النبي ﷺ فِي عصره لزمه الجواب بالنطق فِي الحال، لكن قال بعض المالكية يحتمل أنه يجيبه بقطع النافلة، أو يجيبه بالصلاة عليه، أو بلفظ القرآن، وكل ذلك خلاف الظاهر، والله الموفِّق.

ومن محاسن المواهب: أن الله يصلي على نبيه والملأ الأعلى؛ للحديث الوارد عن أبي بكرٍ الصديق، قال أبو بكر: «ما خصَّك الله يا رسول الله بشرفٍ إلا وأشركنا فِيه».

وفِي «القول البديع» للسخاوي: ثم إن لهذا الحديث أصلاً مقبول الرواية، وذكره ابن حجر المكي فِي «شرح الهمزية»، وقال فِي آخره: مطلوب الأوَّلين والآخرين صلاةٌ واحدةٌ من الله تعالى، وأنَّى لهم بذلك؟ بل لو قيل للعاقل: أيما أحب إليك: أن تكون أعمال الخلائق فِي صحيفتك، أو صلاة واحدة من الله عليك؟ لما اختار عليه الصلاة من الله، فما ظنك بمن يُصلَّى عليه ربنا سبحانه وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار، فكيف يحسن بالمؤمن ألا يُكثر من الصلاة عليه أو يغفل عن ذلك، وهذه خِصيصةٌ اختصَّ بها هذا النبي، وأفاد صاحب كتاب «الشرف» أنه ليس فِي القرآن ولا غيره فِيما علم لله صلاةٌ على غير نبينا ﷺ، فهي خصوصيةٌ اختصه الله بها دون سائر الأنبياء.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٦٣/٦)، وأبو داود (٢٣٢/٣)، والترمذي (١٠٤/٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١٣٤/٣)، وابن ماجه (٦٨٧/١).

ومن محاسن ما نقله اليافعي فِي كتابه ((الدر النظيم فِي منافع القرآن العظيم)):

من قال عند منامه: ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليمًا)) وكَّل الله به سبعون ألف مَلكٍ يحفظونه، ومن كان قليل النوم يقرؤها عند منامه يُذهبه الله عنه، ويمده بحالةٍ حسنة، ومن وقف عند قبر النبي ﷺ وقال هذه الآية، ثم قال: صلَّى الله عليك يا مُحَمَّدُ سبعون مرةً ناداه ملكٌ: صلَّى الله عليك يا فلان، لم تبق لك حاجةٌ عند الله إلا قضاها.

ومن محاسن ((أخبار أهل الغرام فِي ذكر من مات بالمحبة والهيام)): ما نقله ابن بشكوال عن أحمد بن مُحَمَّد بن عمر اليماني قال: كنت بصنعاء اليمن، فرأيت رجلاً والناس يجتمعون عليه، فقلت: ما هذا؟ قالوا: رجلٌ كان يؤمُّ بنا فِي شهر رمضان، وكان حسن الصوت بالقرآن، فلما بلغ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦] قرأ: (يصلون على النبي) وكررها، فخرس، وتجذَّم، وبرص، وعمي، وأقعد، فهذا مكانه، وما زال حتى مات من شدة وجدهِ.

شعر فِي المعنى:

محاسنُ ألفاظي وذِكرُ محبَّتي ... وعنوانُ شوقي ينتظرُ كيف حَاليا
وخرسَ لساني والتجذم والذي ... رأيتُ مِنْ أمراضي على شُغلٍ بَاليا
ولي برصٌ من كثر وجدي مع العما ... فأقعدني من كثر شوقي بدا ليَا
وها أنا مُلقًى فأكتبوني متيَّمًا ... محبٌّ حبيبٍ طابَ فِيه مقاليا
وقد كشفَ الرحمنُ من أمر غيبهِ ... حقيقة قلبِي فانظروا ما جرى لِيَا

فهذه والله حالة أهل الغرام المولعين بمحبته.

ومن محاسن كتاب ((الفوائد والعوائد)) فِي تفسير كهيعص:

الكاف: قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، وهي كفاية مُحَمَّد المصطفى.

والهاء: هدايته له بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢].

والياء: تأييده له، قال الله تعالى: ﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال:٦٢].

والعين: عِصمتهُ له، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

والصاد: صلاته لـــه عليه، فقال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦].

صـــلاةٌ من الله تعالى لو جعلت مقابلة سيئات الأولين والآخرين لثقلت عليهم، والله الملهِم للصواب.

وقـــال ابن فورك: أوَّل بعض العلماء قوله ﷺ: «وجُعلتْ قرةُ عيني فِي الصلاة»: أي فِي صلاة الله عليَّ وملائكته، وأمر أمته بذلك إلى يَوْم القيامة.

وقـــال بعض الأولياء: الصلاة عليه يرتقي بها العبد، وبها المناجاة، وكشف المعارج وشرح الصدور، ووضع الوزر، وإكرام البقعة، وشهادة الملأ الأعلى من سائر المخلوقات من صامتٍ وناطقٍ.

قال العباس بن مِرداس السلمي:

يـــا خـــاتمَ الأنبياء إنَّك مرسلٌ بالحقِّ   كـــلُّ هَـــدي الـــسبيل هُـــداكَا
إنَّ الإلـــهَ ثـــنى علـــيك محـــبَّةً   فِـــي خَلقـــه ومُحَمَّـــدًا سَـــمَّاكَا

ومن محاسن قول الطبري فِي «تفسيره» من طريق كِنانة العدوي:

أن عـــثمان ســـأل النبي ﷺ عن عدد الملائكة الموكَّلين بالآدمي، فقال: «لكلِّ آدميٍّ عـــشر ملائكةٍ بالتهليل بالليل، وعشرٌ بالنهار، وواحدٌ عند يمينه، وآخر عن شماله، واثنان من بين يديه ومن خلفه، واثنان على شفتيه، ليس يحفظان عليه إلا الصلاة على النبيِّ ﷺ، واثنان على جبينه، وآخر قابضٌ على ناصيته، فإن تواضع رفعه، وإن تكبَّر وضعه، والعاشر يحرسه من الحيَّة أن تدخل فاهُ: معناه إِذَا نام [(١)]»، كل ذلك ببركة صلاته على النبي ﷺ، وقيل: كل إنسانٍ معه ثلاثمائة وستون ملكًا، والملائكة لا يحصي عددها إلا الله ﷻ؛ لأن مـــنهم الملائكـــة المقرَّبون، وحملة العرش، وسكَّان السبع سماوات، وخزَنة الجنَّة، وخزنة النَّار، والملائكة الحفظة على الأعمال.

وبـــنى آدم كما فِي قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، والملائكة الموكَّلون بالـــبحار وبقطرات الماء، وملائكة النبات، وملائكة الجبال، وملائكة السحاب وقطراته، وملائكـــة الأرحـــام، وملائكة النُّطَف والتصوير والأمطار، ونفخ الأرواح فِي الأجسام،

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/٣٧٢).

وتـــصريف الرياح، وجري الأفلاك والنجوم، كل هؤلاء وظيفتهم الصلاة على النبي ﷺ: بمعنى مأمورون بها، غير الوظائف المذكورة فِي الأحاديث المتقدمة؛ لأن فِي هذا الحديث اللفظ استدل بها بعضِ من خرَّج الحديث وكلماتٍ تزيد عن ما قدَّمناه، وهؤلاء الملائكة ألزمهم الله بالصلاة عليه زيادةً عن وظائفهم.

وقال النووي: ألزمهم ما هم عليه من الوظائف، وقد قدَّمنا لك فِي ذكر الملائكة ما تقرُّ به عينك، فإن الإمام البزار، والطبراني فِي «الكبير» ذكرا: أن كل هؤلاء الملائكة غير الملائكـــة المبلِّغين لصلاتنا على النبيِّ ﷺ، والملائكة الذين يكتبون الناس يَوْم الجُمُعَة من أول وقـــت دخـــولهم إلى حـــين خروجهم من المساجد، ويكتبون أهل اللغو، وملائكة يشهدون المتحابِّين فِي الله، وملائكة يلعنون الذين يجتمعون لذكر الدنيا وعرضها، وذِكر أحـــوال بعـــضهم بعضًا، ويقولون: استحيوا، أما تستحيون من الله؟ أما تخشون العَرضْ علـــيه؟ أمـــا علمتم أن الدنيا جيفةً جُعلت لذكر الله، اجلسوا فِي سخط الله، وقوموا فِي غـــصَّةٍ، فإِذَا خرجوا خرجوا على أنتن جيفةٍ، وتناديهم ملائكة المسجد: لا سَلمتُم، ولا غنمتم، وقد تبوأتم شرَّ المقاعد، ومقامكم أخبث المقام.

قـــال ذلك الحاكم فِي «المستدرك»، وذكر ملائكة التأمين على المصلين، والملائكة المـــبلِّغين قـــول: ربنا ولك الحمد، والملائكة الداعين المنتظرين الصلاة، واللاعنين لمن هجرت فراش زوجها، إلى غير ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة، وحديث الحاكم فِـــي المستدرك صححه البيهقي فِي «الشعب»، ونقله الحافظ ابن حجر: أن الخلق عشرة أجـــزاءٍ: جـــزءٌ منها جميع المخلوقات، والملائكة تسعة أجزاءٍ، وذكر أن الملائكة الذين يدخلـــون البـــيت المعمور وظيفتهم الصلاة على النبي ﷺ، وجميع ما ذكرنا من الملائكة يـــستغفرون لأمـــة مُحَمَّد ﷺ، ويدعون لهم لأجله، ويثنون عليه، ويذكرون ما وهبَ الله لـــه، وما أعطاه، فهم مع ذلك لا يحصون ما خصَّه الله به دون سائر الأنبياء.

قلت: هذه الأقوال فِيها زياداتٌ كثيرةٌ عمَّا قدَّمنا فِي أول الكتاب فِي ذكر الملائكة، وفِـــيه منبهاتٌ يتنبَّه لها العارف فِي ذِكر ما خصَّ الله به نبيه ﷺ، وفوائده جيدةٌ، يتيقَّظ لها الغافل، ويفهمها الذائق الكيِّس.

ومن محاسن «مشارق الأنوار»: ما رواه الطبري عن النبيِّ ﷺ: «إنْ ما فِي السماوات

السبع موضع قدمٍ ولا شبرٍ ولا كفٌ إلا وفيه ملكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ[(١)]»، ومعلوم: أن الجميع يصلون على النبي ﷺ بنصِّ القرآن العظيم حيث كانوا.

ومن محاسن ما ذكره الشيخ زكريا فِي «الإتقان» من حديث كعب:

أن النبي ﷺ دخل على عائشة رضي الله عنها، وذكر لها الملائكة فسألته عنهم، فقال: «إن جميع المخلوقات جزء من عشرة أجزاء من الملائكة[(٢)]».

ومن محاسن ما نقله عن كعب: أن ما من فجرٍ إلا ينزل فِيه سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفُوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، فيصلُّون على النبي سبعون ألفًا بالليل وسبعون ألفًا بالنهار، حتى إِذَا انشقت الأرض عنه خرج فِي سبعين ألفًا[(٣)].

وفِي حديثٍ آخر: «حتى إِذَا أمسى عرجوا، وهبط سبعون ألفًا حتى يحفُوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، فيصلون إلى آخر غيرهم»، وزاد: يزفونه[(٤)].

وفِي لفظٍ: يوقِّرونه[(٥)] من رواية إسماعيل القاضي، وابن بشكوال، والبيهقي فِي «الشعب»، والدارمي فِي باب ما أكرم الله به نبيَّه بعد موته، ومن دفن معه فِي القبر الشريف، وذكر سيدنا عيسى عليه السلام أنه يدفن معه، وأنه من أتباعه، يحكم بشرعه[(٦)].

وذكر ابن المبارك فِي «الرقائق»: أن الملائكة يصلُّون عليه وعلى عيسى.

وزاد السخاوي: وأولي العزم والأنبياء المرسلين.

واتفق الحفَّاظ على تفضيل الخمس: إبراهيم، وموسى، وعيسى إلى غير ذلك، ومنعوا من الخوض فِي تفصيل التفضيل، وإِذَا تأملت طرق الأحاديث وجدت الصلاة عليه من الله

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/١٨٤)، وفي الأوسط (٤/٤٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٥١).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/٢٦٧).

(٣) رواه الدارمي في السنن (١/٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٤٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٣٩٠).

(٤) رواه الدارمي في السنن (١/٥٧)، والطبري في تاريخه (٤/٤٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/١٩٣).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٣/٤٩٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/١٠١٩).

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٤٥٤).

هي الشرف الأكبر والفخر الأعظم، وأدب من يصلي عليه فِيه زيادة الثواب ومعرفة مقامٍ كبير المجلس ينال بها الإنسان الدرجات العُلى، وإِذَا امتثل ووافق ترتيبه فِي كيفِياتٍ معلومةٍ بين جماعته وأخذ ذلك بخشوعٍ، وأدبٍ، وخضوعٍ ووقارٍ، وسكينةٍ، وفاز فِي الدارين.

ومن محاسن ما أخبرني أستاذي شيخ الإسلام كريم الدين الخلوتيُّ البهنسيُّ عفا الله عنه ورحمه:

أنــه قــال: لما كنت بزاوية الشيخ كريم الدين الخلوتي كان معنا جماعةٌ من مجاورين الأزهــر تيسَّر لهم اختلاطًا بالفقراء كان الشيخ عفا الله عنه يقرِّبهم على جماعته حتى أخذ بمجامــع قلــوبهم، وكان الشيخ لــه هيبةٌ عظيمةٌ، كان إِذَا جلس معنا نجلس مطروقين الرؤوس، لا نقدر أننا ننطق من شدة هيبته، ولما لــه علينا من الحرمة، فقال لنا: هذا هو القدم، هكذا كانت الصحابة مع النبيِّ ﷺ معه فِي سائر حركاتهم، وها أنا أُوصيك وصيَّة عــدم الغفلة، وأن تهزَّ قلبك وجوارحك وأعضاءك ولسانك، وتأخذ فِي الصيام، وتترك الإكــثار من الشراب والطعام، واعتزلِ الشهوات ولزوم الصمت إلا من ذكر الله والخير والخلوة، واعتزال الناس، ورفض الاشتغال فِي الفضول.

هكذا أوصاه عفا الله عنه، واعلم يا أخي وفَّقك الله أن مَنْ تشبَّه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن، فكيف بالجاهل على نزولها؟ وإِذَا كان مَنْ تشبَّه بالزهَّاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب فِي الدنيا؟ وقد أحسن الفارض عفا الله عنه فِيما قال:

والعلــم لا يــنفع إلا إِذَا بــه عملــتَ اسمــعْ كــلام العبــيدِ
لــو كــان بــالعلمِ الفــتى صالحًا لكــان إبلــيسُ مكــان الجنــيد

وقال آخر:

العلــمُ لا يــنفعُ فِــي مهمــةٍ إلا إِذَا مــا كــنتَ لــه تَــصونْ
والعــالمُ الخــارقُ فِــي علمــهِ يُجــرِع الجهَّــال كــأسَ المــنونْ

وأمــا العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فإنه يَكره من علِمه بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر ما فِي قلبه؛ لخوفه من الله أن يمقته على ذلك، ولم يرَ أن يؤثر على آخرته شيءٌ، فصبر على الدنيا، وصبر على الذم، والتقصير والتعطل، وكره المدح والتوسع من الدنيا، ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله، وحقَّ على أهل الجهل لأن يؤم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله، واحذرْ من إبليس على

أعمالــك كلــها، واحذرْ نفسك وهواك، واحذرْ أهل زمنك، ولا تأمنْ أحدًا منهم على دينــك، واعلمْ أن إبليس قد نصَّب لك حبائله، وأقعد لك الرصدة فِي كل منهملٍ، وقد سـلك علـيك، ويجـري فِيك مجرى الدم فِي العروق، ويراك هو وأعوانه من حيث لا ترونهم، واعلمْ أنه يأتيك من قِبَل الرياء، والعُجب، والشكِّ، والإياس، والأمن من المكر، والاستدراج، وترك الإشفاق، وتحسين الكلام، وقد حذرتك يا أخي، والسلام.

ولله درٌّ من مدح العلم بهذه الأبيات:

أخــو العلــم حــيٌّ يُستضاءُ بنورهِ ... ولــو كــان ميــتًا فِــي التــرابِ رميمُ

وذو الجهــلِ ميتٌ بين ماشٍ وراكبٍ ... يُعــدُّ مِــنَ الأحــياءِ وهــو عــديمُ

واعلمْ يا أخي وفَّقك الله أن العلم لا ينفع إلا مع التقوى، وإذَا قدمت زادك لمعادك فُزت فِي الدارين، ونجوت فِي الحالتين، وقد بيَّنت لك فِي هذا العنوان ما يشرح الصدور وما يأتيك بالسرور من فضل الصلاة على النبيِّ الكريم والخصائص النبوية لصاحب الطبع السليم، وأذكار الصالحين، ولطائف الأخيار، ومحاسن الأخبار، وذكر علماء الأمصار مما أنتجــته الســادة الحفَّاظ من أحاديث نبويةٍ، وأقوالٍ سنيَّةٍ، وحِكمٍ معنويةٍ تشرح خاطر المشتاق.

وذكــرت لــك من مراتب القوم، وانتخبت، وأجهدت طرفِي وبيَّنت طرقي، وبيَّنت الفرق فِي المعاني، وحذفت ما لا لــه معاني، وسألت الله القبول فِي سائر ما وضعته من الأحرف، فإنه كثير الجود والكرم، وها أنا أذكر لك محاسن أقوال المادحين لــه من أهل الأثر.

فمن محاسن ما قال ابن الأثير فِي كتابه:

صلُّوا عليه كلَّما ذُكر اسمه فِي كل حينٍ غدوةً ورواحًا.

وعلــى الــصحيحِ صلاتكم فرضٌ إِذَا ... ذُكــر اســه وسمعــتموه صــراحَا

صــلَّى الله علــيه مــا شبَّ الدُّجى ... وبــدا مُــشيبُ الــصبح فِــيه ولاحا

غيره:

يــا خــير خلــق الله يــا مَنْ ذكرُه ... وحديــثهُ للخلــق فِــيه مــربعُ

ولــه خــصائصُ نالهــا مــن ربِّــهِ ... مــا لامــرئ ســواه فِــيها مطمــعُ

قــرن الإلــه اســمَ الــنبيِّ مع اسمهِ ... ولديــه فِــي يَــوْم القــيامة يــشفعُ

وبمدحه نطقَ الكتابُ وكم أتتْ … من آيةٍ بالمدح فِيها نسمعهُ
ونداؤه من ربِّه يا أيُّها … وأتى له حُسنًا بها يرتفعُ
حتى الصلاةَ عليه واجبةٌ إذَا … ذُكر اسمهُ وله المقامَ الأرفعُ
صلُّوا عليهِ فَمَن يُصلِّي مرةً … صلَّى الله عليه عشرًا تتبعُ

ومن محاسن رَوحُ المجالس:

ذِكره، وحديثه هدًى لكل مُلدد حيران، وإذ أُخلّ بذكره فِي مجلسٍ فأولئك الأموات فِي الحيّتان، قوله: مُلدد بالدالين المهملتين يقال: فلان تلدد: أي يلتفت يمينًا وشمالاً أهلاً بما لم يكن أهلاً لموقفه قول المبشِّر بعد اليأس بالفرج لك البشارة، فاخلعْ ما عليك فقد ذكرت، ثم علا ما فِيك من عوجٍ.

من كلام شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر لنفسه، وهو ما أنشده عقب المجلس الخامس عشر بعد التسعمائة من الأمالي المصرية بدار الحديث الكاملية يَوْم الثلاثاء الثالث والعشرون من شعبان سنة تسعٍ وأربعين وثمانمائةٍ من أمالي الأذكار يقول:

راجي إله الخلق أحمد من أملى … حديث نبيِّ الخلقِ متصلا
تدنو من الألف إن عُدَّت مجالسُه … فالسدسُ منها بلا قيدٍ له حصلا
يتلوه تخريج أصل الفقه يتبعها … تخريج أذكار ربٍّ قد دنا وعلا
دنا برحمته للخلق يرزقهم كما … علا عن سمات الحادثات علا
فِي مدة تخريج قدمت عملا … ولي من العُمر فِي ذا اليَوْم قد كلا
ستًا وسبعين عامًا رحت أحبسها … من سرعة اليسر ساعات فيا خجلا
إذَا رأيت الخطايا أوثقت عملي … فِي موقف الحشرِ لولا أن لِي أملا
توحيد ربِّي يقينًا والرجاء له … لخدمتي ولإكثاري الصلاة على
مُحَمَّدٍ فِي صباحي والمساء وفِي خُطاي … ونطقي عساها تمحق الزللا
فأقرب الناس منه فِي قيامته … مَنْ بالصلاةِ عليه كان مُشتغلا
يا ربِّ حقِّق رجائي والذين سمعوا … منِّي جميعًا بعفوٍ منك قد شملا
أما الصلاة على النبي خيرةٌ مُرضية … تُمحا بها الآثام والزللا

بها ينالُ المرءُ عزٌّ شفاعة ينال بها الإعزاز والإكرام
كُنْ للصلاة على النبِي ملازمًا فصلاته لك جنَّةٌ وصيامٌ وسلام
حيث النبوة جرت من ذواياها فضلاً وأجرت ينابيعًا من الحكم
حيث الثناء مشرفٌ والعزُّ منسبقٌ والجود مغدوقٌ بالبارد الثيم
حيث الضريح وما ضمت صفائحه من النبي الرضا الطاهر الشيم
أنوار عزه فِي المجد نيرةٌ وفخره شمٌ فِي معطش الكرم
درت عليه ينابيع الرضا وسرت عليه نفحة سر القرب فِي القدم
ولاح من نوره نورٌ أضاء به مقام آدم فخرًا وهو فِي العدم
إنسان عين العُلى سر الكمالِ سماء فخر النبوة نور اللوح والقلم
يا آخر عند ختم الأنبياء به وأوَّل الرسل عند الله فِي القدم
يا غرةً أوضحت طه أسرتها ودرة جلبت فِي ن والقلم
كانت حياتك ما بين الأنام حيًّا سقا ثراهم بغيثٍ وأكفٌ الديم
وكان فقدك خطبًا شاكٌ أنفسهم لما ألمَّ بصدع ملتئم
فالآن سوى قبر حللت به ملجأ الطريد ومنجى كل معتصم
وقد حططنا لديك الرحل همتنا على الصدى نهلة من مُورد الكرم
نُقبِّل الترب إجلالاً لساكنه فكل موطئ أقدام مترنم
هذا عطاءك فاغمرنا بمنهلةٍ لقد مددنا أكفٌ الفقر والعدم
وإن رمتنا الخطايا وسط مهلكةٍ فأنت ملجأٌ لخلق الله كلهم
جيء شفاعتك العظمى إِذَا صغرت يداي أو أسفرت عن زلة القدم
فالعفو سيمتك العظمى التي شهرت إِذَا كانت الموبقات السوء من شيم
صلَّى عليك إله العرش ما حملت عند الثناء المرجِي ألسن الأمم
وناسم المسك أنفاس السلام على هذا الضريح وهذا البيت والحرم

ولسيدي أبو المواهب الشاذلي:

يا مصطفى قد صفا، قُدِّست فِي صفةٍ تلألأت بضياء النُّور فِي الظُّلم، لولا قيام سحاب الجسم منك على شمسٍ لروحكم كان الوجود عمًى، يا حابي الحيِّ ما أوفاك من

بطلٍ تعطي وتحمي الحمى فِي الحلِّ والحرم، أنت المجير لمن قد جاء فِي وجلٍ يرجو الأمان بكم يا خير ملتزمٍ، ومن يكُ لائذًا نادى بجاهكم لم يختشِ سطوة الأعداء ولم يُضَم، من كنـــتم جاهـــه ذلَّ الرقاب لـــه وصار أكبرهم من أضعف الخدم، صلى عليك جمالٌ فِي جلالته بقدس ذات البقاء سعيٌ بلا قدم، ثم السلام سلامٌ واصلٌ أبدًا تترى عليكم به أنفاس سرهم، مع المواهب فِي سرٍّ وفِي علنٍ بكل طورٍ من الأسرار والنعم.

وقال سيدي أبو الفضل بن وفاء:

غـــصنٌ نـــتا حـــلَّ عقـــد صـــبري ... بلـــين خـــصرٍ يكـــاد يعقـــدْ

فمَـــــن رأى الوشـــــاح مـــــنه ... حـــقَّ أنْ يُـــصلِّي علـــى مُحَمَّـــدْ

بـــريقك الـــرائق المـــبرِّد ... نـــيران أهـــل الغـــرام نحمـــدْ

ولحظـــك الفاتـــك المـــندي ... بـــسيفه فِـــي القلـــوب عـــربدْ

قـــيَّدت أهـــلُ الغـــرامِ جمعًـــا ... فاكـــتبْ علـــى قـــيدهم مخلـــدْ

عـــيونك الـــسُّود ناعـــساتٌ ... مكحـــلاتٌ بغـــير مِـــرودْ

يـــا بـــدرُ تَـــمَّ إذَا تـــبدَّى ... وغـــصنُ بـــانٍ إذَا تـــأوَّدْ

يـــا مَـــنْ إذَا بـــدا أنـــادي ... يـــا قـــومُ صـــلُّوا علـــى مُحَمَّـــدْ

نبيَّـــنا أشـــرف الـــبرايا ... الـــسيِّد الكامـــل الممجَّـــدْ

فهذه محاسن مدائح المحدِّثين عفا الله عنهم.

وقال القسطلاني عفا الله عنه حاكيًا عن بعض العلماء:

إن أفـــضل الصلاة عليه ﷺ: اللَّهُمَّ يا ربَّ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، واجزِ مُحَمَّدًا ﷺ ما هو أهله.

هذه الصلاة المباركة شُرحت فِي الكيفيات المتقدِّمة فِي الباب الرابع، وها أنا أشرح لك ذكر من رأى النبي ﷺ من المحبِّين والمشايخ العارفين.

قال القسطلاني فِي «مسالك الحنفا»:

روي عـــن الطبراني: أنه رأى النبيَّ ﷺ فِي المنام وله إشراقٌ وجمالٌ باهرٌ، فقال لـــه: السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، يا رسول الله، قد ألهمني الله كلمات أقولهن. قـــال: ومـــا هنَّ؟ قال: اللَّهُمَّ لك الحمد بعدد من حمدك، ولك الحمد بعدد من يحمدك، ولك الحمد كما تحبُّ أن تُحمد، اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ بعدد من صلَّى عليه، وصلِّ على

مُحَمَّد بعدد من لم يُصلِّ عليه، وصلِّ على مُحَمَّدٍ كما تحبُّ أن يصلَّى عليه. فتبسَّم رسول الله ﷺ حتى بدت ثناياه، ورأى النُّور يخرج من التَّفليج الذي بين ثناياه فِي منامٍ طويل[(١)].

رؤيا أخرى:

قال شيرويه: سمعت عبد الله بن مكي يقول: سمعت أبا الفضل القوساني يقول: أتى رجلٌ من خراسان، فقال: رأيت النبي ﷺ فِي منامي، وأنا فِي مسجد المدينة، وقال: إِذَا أتيت همدان فأقرِئ عليَّ بن أبي الفضل بن زيرك منِّي السلام. قلت: يا رسول الله، لماذا؟ قال: لأنه يصلِّي عليَّ كل يَوْمٍ مائة مرةٍ. ثم قال: أسألك أن تعلمنيها. قال: إنه يقول: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ النبيِّ الأمِّيِّ، وعلى آل مُحَمَّدٍ، جزى الله مُحَمَّدًا ﷺ ما هو أهله. فلما أتى همدان سأل عنه ولم يكن يعرفه، فأخذها عنه، فأتيت ابن زيرك وسألته، فأخبرني أنه أعطاه الكيفية، وقال: أخذها عنِّي، وحلف أنه ما كان يعرفني ولم يعرف اسمي حتى عرَّفه لـه رسول الله ﷺ، وقال لي: عرضت عليه برًّا ردَّه عليَّ، وقال: ما أبيع رسالة رسول الله ﷺ بعرض الدنيا، ومضى، فما رأيته بعد.

رؤيا أخرى:

رأى عبد الله بن عبد الحكم الإمام الشافعي فِي المنام، قال لـه: ما فعل الله بك؟.

قال: رحمني، وغفر لي، وزُففتُ إلى الجنَّة كما تُزفُّ العروس.

ونُثرَ عليَّ كما يُنثر على العروس، فقلت: بِمَ نلت؟ قال: بصلاتي على النبي ﷺ. وهذا قدَّمنا ذكره.

ورئي المزني بعد موته، قال: رأيت الشافعي بعد موته فِي منامي، قلت لـه: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بصلاةٍ صليتها على النبيِّ ﷺ فِي كتاب «الرسالة».

ورأى أبو الحسن الشافعي فِي منامه النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، بما جزى الشافعي بهذا الثناء. فقال: بصلاته عليَّ فِي كتاب «الرسالة».

ويمجِّد لـه بعض الصالحين فِي مرائيه ثلاثين رؤيةً، وعدَّ اختلافها، وتداول ذلك كل رؤيةٍ فِيها بشارةٌ خلاف الأخرى، وما قدَّمناه فِي أول الكتاب فِيه كفايةٌ لمن تأمَّلْ، وذلك أن بعض من رآه قال لـه: قلت: وصلى الله على مُحَمَّدٍ كلَّما ذكره الذاكرون وعدد ما

(١) انظر: مسالك الحنفا (ص٦١٧).

غفـل عن ذكره الغافلون، وقدَّم وأخَّر فِي ذلك، وصلِّ عدد كل ذاكرٍ، وعدد كل واحدٍ غافلٍ، والكلام واحدٌ، والمرائي تختلف أقوالها.

وقال لبعضهم: سألت الله ألا يحاسبه، وقال لآخرين: سألت الله ألا يجعل عليه ذنبًا، وقـال لآخـرين: سألت الله أن يشفِّعه فِي إخوانه، وقال لجماعة: صلاته وقايةٌ لـه من النَّار، وقال لجماعة: هو ابن عمي، وقال لـه بعض من رآه الشافعي: ابن عمك؟ قال: نعـم، خصـصته بخصائص، والجمع فِي هذا المراد دليلٌ على فضل هذا الإمام وشرفه، واحتماله وقبوله عند الله؛ فإنه كان مبتلًى، به ثلاثٌ وخمسون مرضًا، ما فارقه مرضٌ منهم إلا تأسَّـف علـى فوات أجره، وفِي حليته ورحلته ونسَبه وفهمه وغزارة علمه وقضاء الحوائج عند قبره ما يزيدك فِي اليقين.

رؤيا أخرى:

لشيخنا أبو الحسن الكفوري ﷺ: رآه ما ينيف عن المائة وثلاثين مرةً، قال لـه فِي مرةٍ: نحن صحبناك من الصغر.

وفِيما قدَّمنا فِي رؤية ذكرناها فِي كيفية، وفِي رؤية من مرائيه أعطاه علامةً فِي إصبعه كـنا نـشهدها كالجزمة، وقال لـه فِي مرةٍ: الموعد عند باب الجنَّة، وفِي أخرى: عند الحـوض، وفِـي مرةٍ قال لـه: إني نزلت أشفع فِي دفع البلاء عن قريةٍ يقال لها: سمنود بالغـربية، فرأى علامة النَّار، وجاءت الشفاعة نورٌ قذف تلك النَّار فِي غامض علم الله تعالى، وكان يعد مرائيه ويخبر الناس بها.

وأخـبرني مـن أثق به فِي المحلة الكبرى: أن بعض الناس اعترضه، وقال لـه: أنت دجَّالٌ، فحلف ما يدخل المسجد الذي مرَّ به إلا بعد وفاته، فأخذه الله عاجلاً.

ولـه كراماتٌ باهرةٌ، فتح مجالس للصلاة على النبي ﷺ بالمنصورة، وبالمحلة الكبرى، وبـسمنود، وعلـى سـاحل البحر، وكان نفعنا الله به شديد الغيرة، ضيِّق الخلق، سريع الدعاء، أوصاه النبيُّ ﷺ بحفظ لسانه فِي مرةٍ، ومكث نحو عامٍ لا يراه، وأوصاه فِي مرةٍ بمراعاة أمته وعدم الدعاء عليهم، والاعتراض، وحذَّره، وقال لـه: إنك مسؤولٌ.

ورأيت فِي رسالةٍ جاءت لـه من النبي ﷺ: الوصية بالأمة، وعدم الْحِدَّة (أو الْحَيدة)، وألا يُؤاخذ مسيئهم، ولا يعجل عليهم، وفِيها إماراتٌ وقعت لـه فِي مجالسه.

وكان الجماليُّ يعتقده وهو حاكمًا بالمحلة الكبرى، وكان لا يأتيه ولا يدخل عليه وهو

مع ذلك يرسل لـــه الدنيا، فلا يلتفت إليها.

وقـــد أُفردت لـــه مؤلفاتٌ على حِدَته، نفعنا الله به وبصحبته؛ فإن اجتماعي به كان رحمةً لي، وله مكاشفاتٌ كثيرةٌ.

رؤيا أخرى:

من نعم الله على الفقير أنني سألته الشفاعة، فوعدني، فقال لي: اصبر (ثلاث مرات).

وفِـــي مرةٍ أخرى سألته بقولي لـــه: يا رسول الله، هل صحَّ أنكم جئتم إلى مصر؟ قال: أرسلنا إليها، ومن حيث خرجنا من مكة ما عدنا إلا عام الفتح.

وفِـــي مـــرةٍ من غريب ما اتفق للفقير: أنني مُنعت من اجتماعي بالفقراء، فتأسَّفت، فـــرأيتُ عليًّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه وأبا بكر الصدِّيق فأخبرته، فقال لي الإمام هذا البيت:

بمختـــصِّه تَحـــيَ الـــنُّفوسُ تعفُّفًا ولـــيس لهـــا مـــن كـــان بالليل يرقدُ

فعرفت الإشارة منه ﷺ.

ومـــن نعم الله تعالى ومزيد كرمه: اجتمعت فِي رؤيةٍ بنوحٍ ﷺ، فقلت لـــه: أراك طويلاً. فقال: هكذا زمني. وأخبرني بأمورٍ من فضل الله تعالى جاءت كفلق الصبح.

وفِي مرةٍ أخرى: رأيت علامات الأولياء بإشارة علامة فِي حائطٍ عرضت، فوجدت الأقطـــاب الأربعـــة كل واحدٍ منه لـــه أشعةٌ متعلقةٌ به، إلا القطب؛ فإنه لا علامة معه، فتبسَّم لما رأيت هذا، وقال: ترك الكل، ففاز بالكل، فعلمت أنه تخلى عن العالم جميعًا.

رؤيا أخرى:

أنني رأيته ﷺ، وسألته الشفاعة، فقال لي: اصبر (ثلاث مرات)، والتفتُّ وإذَا بأبي بكرٍ عن يمينه، وعمر عن يساره، وملأٌ من الصحابة رضي الله عنهم.

وفِي مرةٍ بُشرت فِيها بالخير الزائد، وفِي مرةٍ أرسل لنا شفاعةً بأماراتٍ، وأمرنا بزيادة وِردنا، والاستغفار، وأن نسأل الله أن يرفع الكرب عن المسلمين، فأجبنا: سمعنا وأطعنا.

وأما البشارات

فبشَّر الفقير الأخ فِي الله تعالى – مصطفى– رجلٌ من الشام كان من الصالحين أنه ﷺ قال لـــه: بشِّر فلانًا أن الله زوى عنه الدنيا.

وبشارة أخرى:

أن المصلين على النبي ﷺ لهم الجنَّة.

وفي بشارةٍ: قل لفلانٍ يبشِّر جماعته أن المصلين عليَّ يأتون على نجبٍ من نور، يجلسون فِي ميدانٍ من نورٍ، والخلق فِي كرب الحساب؟.

وبشَّر الفقير الأخ فِي الله الشيخ موسى أنه رآه ﷺ وسأله الدعاء، فقال له: قل لفلانٍ يدعو لك، فكرر عليه القول ثانيًا، فقال: سله الدعاء. فقال له: أنت تحبه؟! فقال: كيف لا أحب رجلاً يُحيي الليلة بذكر الله وذكرنا فِي الأماكن الخربة المهجورة؟! فأخبر الفقير، فتحققت معنى الدعاء قرب أجل الداعي، فتوفي بعد أيام قلائل، وحفظت إن شاء الله تعالى الوصية، وكانت منه ﷺ كثيرةً.

ومنها: ما بشَّرنا به الأخ فِي الله مُحَمَّدُ بن شقرة من تلامذة الأستاذ: أنه رأى الفقير مقبلاً عليه ﷺ، وقد فتح يديه، وحضن الفقير، وقد وقع كلامٌ لا يدري الرائي ما هو.

وكذا عدَّدنا هذه النعم، وفيض الكرم وعوائده الجميلة وإحسانه الزائد، ومنّه على هذا العبد الضعيف النحيف المتقشِّف الكسلان لعدم سيادة أقرانه، الكثير الفتور دون أصحابه وخلاَّنه، ومن ذلك ستر الله له وتجاوزه، وما ذلك على الله ببعيدٍ على من نُسب إليه ومال بكليته إلى خدمة الصلاة له زائدٌ عليه، وخدمة أورادٍ يذكر فِيها اسمه وعادة السيد العفو عن العبد، وإن جفاه منظره إلى سيده؛ وحيثما رجوت الله فِي محبته والتجأت إليه ورغبت فِيه لا أبالي بذنوب أهل الأرض، ولو جئته بتراب الأرض خطايا راجيًا من سعة فضله ما يليق بكرمه، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

ومن الفوائد المتعلقة برؤيته:

صلاة الروح، ذكرناها فِي الباب الثاني.

فائدة عن الشيخ شمس العيدروسي(١):

وهي: مَنْ صلَّى العشاء وقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاثًا ثلاثًا وصلَّى على النبي ﷺ بقوله: اللَّهُمَّ اجعلْ أفضل صلواتك أبدًا إلى آخرها ولم يتكلَّم بعدها فإنه يرى النبي ﷺ؛ فهي من المجرَّبات.

---

(١) انظر: المسالك (٦١٩).

وقال بعض الصالحين:

مـــن أراد أن يـــراه ﷺ فِي المنام فليقل: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ كما أمرتنا أن نُصلِّي علـــيه، اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ كما هو أهله، اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ كما تحبُّ وترضى، فمـــن صلَّى عليه بهذه الصلاة عددًا وقرأه رآه فِي منامه، وكان بعضهم يزيد معها صلاة الروح.

ومن محاسن ما نُقل عن بعض العلماء لرؤيته:

أن من زاد من قراءة المزمِّل والكوثر رآه ﷺ.

ومن محاسن فوائد اليافعي:

مـــن أراد أن يراه ﷺ فِي المنام يتوضأ ليلة الجمُعَة أول جمعةٍ من الشهر، ويلبس ثيابًا بيضاء طاهرةً، ويصلي العشاء، ويصلي بعدها اثنتي عشرة ركعةً، يقرأ فِي كل ركعةٍ الفاتحة والمزمِّل، ثم بعد السلام يُصلِّي على النبيِّ ﷺ ألف مرةٍ، وينام؛ فإنه يراه ﷺ.

وفِـــي نـــسخهٍ أخرى: يغتسل، ويصلي اثنتي عشرة ركعةً، يقرأ فِي كل ركعةٍ فاتحة الكتاب والمزمل يفعل ذلك فِي كل ركعةٍ، ويسلِّم من كل ركعتين، ويصلِّي على النبي ﷺ ألف مرةٍ، ويستغفر الله ألف مرةٍ، وينام على ظهره، فإنه يرى النبي ﷺ فِي منامه.

قال اليافعي: جُرِّب ذلك، وزاد فِي نسخته: أن النبي ﷺ يخبره بما فيه صلاحه.

ومن محاسن ما نقله الإمام العالم العلامة القسطلاني فِي «مسالك الحنفا»(١):

من خط الشيخ بهاء الدين الحنفِي إمام العينية عفا الله عنهما: أن من صلَّى ليلة الجمُعَة أربـــع ركعـــاتٍ يقرأ فِي الركعة الأولى: فاتحة الكتاب وسورة القدر ثلاث مراتٍ، وفِي الثانية: فاتحة الكتاب وسورة الزلزلة ثلاث مراتٍ، وفِي الثالثة: فاتحة الكتاب والكافرون ثلاث مراتٍ، وفِي الرابعة: فاتحة الكتاب والإخلاص ثلاث مراتٍ، ويزيد عليها المعوذتين مرةً، ثم يسلِّم، ويجلس مُستقبل القبلة، ويصلي على النبي ﷺ ألف مرةٍ يقول: اللَّهُمَّ صلِّ على النبي الأمي مُحَمَّدٍ، فإنه يرى النبي ﷺ فِي منامه إن شاء الله تعالى فِي الجمُعَة الأولى أو الثانية أو الثالثة.

---

(١) انظر: مسالك الحنفا (ص٢٦٨).

فائدة جليلة: لرؤية النبي ﷺ من مسالك الحنفا:

مـــن مجـــرِّبات الشيخ شهاب الدين أحمد زروق، وذكر أنه أخذها من الشيخ أحمد التـــرجمان المغـــربي، جرَّبها بالمدينة الشريفة، وجرَّبها فصحَّت معه، وذلك أنه يقول بعد سلامه من صلاة الجمُعَة: سبحان الله وبحمده مائة مرةٍ، وبعد عصرها ألفًا، وبعدها يقول: اللَّهُـــمَّ صلِّ على النبيِّ الأمِّيِّ، فإذَا صلَّى العشاء صلَّى على النبي ﷺ ألفًا بقوله: اللَّهُمَّ صلِّ على النبيِّ الأمِّيِّ، وينام طاهرًا، فإنه يراه.

فائدة جليلة: ذكرها الباعوني، ونقلها شيخ الإسلام السبكي: من خواص سورة الفيل من كتبها وعلَّقها عليه كان حرزًا منيعًا من الأعداء، ونصرًا عليهم، ولم ينله مكروهٌ، ومن قرأها فِي ليلةٍ ألف مرةٍ وصلَّى على النبي ﷺ ألف مرةٍ ونام ولم يتكلَّم فإنه يرى النبيَّ ﷺ.

ومـــن محاســـن «الفـــوائد»: ما نُقل عن الحسن البغدادي ذكره القاشاني وفِي رواية البـــصري ذكـــرها الإسنوي: من أراد أن يرى النبي ﷺ فليصلِّ أربع ركعاتٍ يقرأ فِي كل ركعـــةٍ فاتحـــة الكتاب مرةً وأربع مراتٍ سور: الضحى، وألم نشرح، وإنا أنزلناه، وإِذَا زلزلت يتردد فِيهن، فإِذَا جلس فِي الصلاة، وأخذ فِي التحيات يصلِّي على النبي ﷺ سبعين مرةٍ، ثم يسلم، ولا يتكلَّم حتى يغلبه النوم فإنه يراه ﷺ.

ومـــن محاسن وظائف ابن رجب عن بعض الصالحين: أنه استفادها من سيدنا جعفر الـــصادق: من قرأ سورة الكوثر بعد صلاةٍ يصليها نصف الليل من ليلة الجمُعَة ألف مرةٍ، فإنه يراه ﷺ فِي ليلته.

فائدة جليلة: عن بعض السلف نقلها الشيخ أبو السعود عن بعض الأكابر رحمه الله: كان إِذَا صلَّى المغرب ينتفل ركعتين يقرأ فِي كل ركعةٍ بعد الفاتحة الإخلاص سبع مراتٍ، فإِذَا سلَّم يسجد، ويقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر سبع مراتٍ، ويصلِّي على النبي ﷺ سبع مراتٍ، يفعل ذلك فِي كل ركعتين إلى أن يدخل وقت العشاء يـــصليها وبعـــد الصلاة يقول: (صلَّى الله على النبيِّ الأميِّ) ألف مرةٍ، وينام على الشق الأيمن، ويُصلِّي على النبي ﷺ إلى أن ينام، فإنه يرى النبي ﷺ.

وذكـــر القـــسطلاني: ينتفل ركعتين، يقرأ فِي كل ركعةٍ بعد الفاتحة الإخلاص سبع مراتٍ، فإِذَا سلَّم يسجد، ويقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر سبع مـــراتٍ، ويصلِّي على النبي ﷺ سبع مراتٍ بهذه الصلاة يقول: اللَّهُمَّ صلِّ على النبيِّ الأميِّ

مُحَمَّدٍ، وعلى آله وسلِّم، ثم يقول: يا حيُّ، يا قيُّومُ، يا الله، يا رحمن، يا رحيم سبع مراتٍ يفعل ذلك فِي كل ركعتين إلى آخر الفائدة(١).

فائـــدة أخرى: عن الزهري قال: من اغتسل ليلة الجمُعَة، ثم صلَّى ركعتين يقرأ فِيهما بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد ألف مرةٍ، فإنه يراه ﷺ فِي منامه.

ومن محاسن «الفوائد الجليلة»: أن من كتب هذه الكلمات على بياضٍ، ويجعله تحت وسادته فإنه يراه ﷺ، وهي هذه: يا الله، يا رحمن، يا محسن، يا مبجل، يا منعم، يا متفضل جُـــد علـــيَّ بكرمك، وأنعم برؤية نبيك ﷺ، ويصلِّي ركعتين، يقرأ فِي كل ركعةٍ بفاتحة الكـــتاب وقـــل هو الله أحد مائتي مرةٍ، فإِذَا فرغ من الصلاة يقول ثلاث مراتٍ: يا الله والخمسة أسماء إلى أن يقطع نفسه وينام فإنه يراه.

ومن فوائد أبي السعود الجارحي لبعض أكابر الصالحين: من أراد أن يرى جمال النبوة فليتوضأ عند نومه، ويقعد على فراشٍ طاهرٍ، ثم يقرأ سورة الشمس، وسورة الليل وسورة الـــتين، يـــبدأ فِـــي كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم يفعل ذلك ثلاث ليالٍ، ويُكثر من الصلاة عليه، ويتعاهد هذا الدعاء: اللَّهُمَّ ربَّ البلد الحرام، والحِلِّ، والحرام، والركن والمقام أقرأ على روح مُحَمَّدٍ منَّا السلام.

وزاد بعض العارفين: يا ذا الجلال والإكرام اجزِه عنا أفضل ما جزيت به نبيًّا عن أمته، اللَّهُمَّ أرني ضياءَ طلعته، وغرة جبينه، ونور جماله، وحنِّنه عليَّ يا حنَّان يا منَّان يا ذا الفضل العظيم.

ومـــن محاسن فضائل بعض العلماء: عن رجلٍ من أهل الكشف كان يرى النبي ﷺ كثيرًا، فسُئل عن ذلك، فقال: كان بدء أمري ذلك أنني قلت فِي ليلةٍ ستة عشر ألف مرةٍ: اللَّهُـــمَّ صلِّ على سيدنا مُحَمَّدٍ وآله حقَّ قدره ومقداره، فأنا مداوم عليها فهو لا يقطع زيارته لي، ولا عوده لي.

وأفـــاد بعض العارفين لرؤيته ﷺ: من قال بعد سلامه من صلاة الجمُعَة: سبحان الله وبحمـــده مائـــة مـــرةٍ، وبعـــد عصرها ألفًا، ودعا الله تبارك وتعالى بقوله: اللَّهُمَّ رافع السماوات، وعالم الخفِيات، وعالم الأصوات أرني طلعة بهجة غرة جبين حبيبك المصطفى

(١) انظر: المسالك (ص٦١٥).

إنك على كل شيءٍ قديرٌ، فإنه يراه.

فائـــدة جليـــلة: ذكرها الشيخ عبد الوهاب الشعراوي عن شمس الدين بن الحمائل السروي: كان يراه ﷺ كثيرًا منامًا ويقظةً، ذكرَ أن بعض العلماء سأله عن معنى حديثٍ، فأجابـــه، فـــتوهم، فقال لـــه: صاحب الحديث يقول لك هو من كلامي، وأصاب فِي جوابه.

كان يقول: رؤية النبي ﷺ وعدٌ وُعِدَ به العبد كالرزق المقسوم والأعمال قسمٌ من الله كـــالأرزاق، ورؤية النبي ﷺ من أرادها فليقل عند نومه: اللَّهُمَّ اجعلْ أفضل صلواتك أبدًا وأنمـــى بركاتك سرمدًا إلى آخرها سبعين مرةً، فإِذًا استغرق فِي معانيها وتدبَّرها خفض صوته فِي السبعين الخاتمة، ويقول: اللَّهُمَّ وعدك الحق، وقولك الصدق أجرِ لي من عوائد خيرك ما تقرُّ به عيني من عبدك الأعظم، ورسولك الأكبر، القائم بحجَّتك، الدال عليك، نعمـــة الله على سائر ما كان وما يكون، إنسان عين الوجود الذي أبرزته بمظهر الحق، يا الله، يـــا الله، حتى يستغرق فِيها، ثم يقول: يا ذا الجلال والإكرام، سبحان ربِّك ربِّ العزة عمَّا يصفون! وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين فإنه يراه ﷺ.

ومن مجرِّبات سيدي مُحَمَّد المناوي لرؤيته: المزمِّل إحدى عشرة مرةً، والكوثر مائة مرةٍ، ثم يصلي على النبيِّ ﷺ صلاة التشهد مائة مرة؛ فإنه يراه.

وكـــان شـــيخنا أبـــو الحسن يراه كثيرًا، وأظن هذا ما وصل إليه إلا بملازمة ورده، والصلاة عليه.

وأخبر أخينا فِي الله أبو اليمن القوصوني بجامع قوصون: أنه رآه فِي ليلةٍ إحدى عشرة مـــرةً، فقـــال لـــه فِي المرة الحادية عشرة: هل عندك فِي نفسك فِي مجيئنا إليك شيءٌ؟ وقيل: حذف شيءٍ، ثم قال لـــه: إن غالب أولياء الله مات بحسرة رؤيتنا مرةً، فعلى هذا لا يراه من أولياء الله تعالى إلا النادر منهم أو بعضهم.

وفِي قوله: (غالب الأولياء) قرر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي كلامًا زائدًا فِي آخره: الـــتقوى سرٌّ زائدٌ يدرك العبد به سر العبادة المخصوصة، وتقيده الفوائد المرتبطة، وهي أشعةٌ نورانيةٌ بعدد سائر الأنفاس من غير قيدٍ وإطلاقٍ.

وقـــال الشيخ أبو الحسن البكري الصديقي: شعار التقوى عدد الأنفاس والدقائق، وهـــي نور فراسةٍ يلحظها المؤمن، فيرى العارف بها موافقة قدم الشارع، ومخرجها إرادة

الله تعالى له بالتيسير، وفتح قلب العبد لأعمال الخير، فما يرى إلا راغبًا تائبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣].

ولنشرع الآن فِي معنى كلمات فاتت تتعلق بأحاديث قدَّمناها فِي أول الكتاب، يتنبه لها العالم الفاضل، فإن محاسننا هذه جُمعت من العلوم والمواهب ما أعاننا الله على جمعه ببركته ﷺ.

قال بعض العلماء: الضمير فِي (كلّما ذكره وغفل عن ذكره) راجعٌ على النبيِّ ﷺ.

كما قال الأذرعي: إنه ظاهر كلام الأصحاب كإبراهيم المروزي، فلا يصحُّ أن يُعاد على الله من باب الالتفات؛ لأن هذا ليس موضع الالتفات.

ومن محاسن «مسالك الحنفا»: قول الإمام الشافعي: (إن الضمير لله تعالى)، فإن لفظه: فصلى الله ﷻ على نبينا مُحَمَّد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، فكان حقًّا من غير عبارته أن يقول: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ كلَّما ذكرك الذاكرون إلى آخره انتهى.

قال القسطلاني: والذي أظنه أن الوجه إعادته إلى الله، وأنه الأقرب إلى كلام الشافعي فِي رسالته.

قال الحافظ ابن حجر: لفظه ظاهر كلام الشافعي.

وأوَّل بعضهم كلام الشافعي: أن الرب سبحانه هو الذي يُوصف بكثرة الذكر عادةً، وكذلك غفلة الذكر عنه، وإن كان الكل صحيحًا والمعنى لا يختلف، ولو استحضر المصلي عليه الأمرين جميعًا لكان حسنًا.

ونقل العارف بالله الشيخ أبو الحسن البكري: أن ذاكر النبي ﷺ يُعدُّ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، والغافل عن ذكره يُعدُّ من الغافلين، وقال: (غفل) ولم يقل: (سكت)، فيمكن أن يقال والله أعلم: أن الساكت قد يكون مستحضرًا بقلبه للذكر فيعدُّ ذاكرًا، ولا كذلك العاقل، وحينئذٍ فيكون بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فكل غافلٍ ساكتٍ من غير عكسٍ.

فصل

في ذكر الاختلاف في الصلاة على غيره ﷺ من الأنبياء وغيرهم

قال النووي في «أذكاره[١]»: والإجماع على الصلاة على نبينا ﷺ، ثم إجماع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً، وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلَّى عليهم أبدًا انتهى.

ومما يدل على مشروعيتها على الأنبياء حديث أبو هريرة قال: «صلُّوا على أنبيائه ورسله؛ فإنَّ الله بعثهم كما بعثني[٢]».

قال موسى بن أبي عبيدة: إن الله يحبُّ الثناء الحسن؛ فأحسنوا محاسن الأنبياء، وصلُّوا عليهم بجميلٍ، وحديث عبد الرزاق عن موسى بلفظ: «إِذَا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ فِي الثناء[٣]».

وقول عمرو بن عطاء: «من أثنى على نبيٍّ خيرًا كفاه الله شرَّ الأشرار، وقطع عنه كيد الأعداء».

وحديث ابن عباس: «إِذَا صليتم عليَّ فصلُّوا على أنبياء الله؛ فإنَّ الله بعثهم كما بعثني[٤]».

وقال السخاوي: إذَا دعيتم فأثنوا على الأنبياء خيرًا، ولا تخففوا.

قال القسطلاني: ويستروح منه «لا تخصُّوني به دونهم».

وحديث أنس بن مالك: «إِذَا صلَّيتم على المرسلين فصلُّوا عليَّ معهم؛ فإني رسولٌ من المرسلين[٥]» حديثٌ صحيحٌ فِي مسند الفردوس.

---

(١) انظر: الأذكار (ص١٧١).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٢/٣٨٥)، والبيهقي في الشعب (١/١٤٩).

(٣) رواه الترمذي (٤/٣٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٣)، وابن حبان في الصحيح (٨/٢٠٢)، والخطيب في التاريخ (١١/٢٠٢).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/١٦٩)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/١٦٩)، والمناوي في فيض القدير (٤/٢٠٥).

(٥) ذكره الهندي في الكنز وعزاه للديلمي (٢٢٤٤).

وحديث: «إِذَا صلَّيتم على المرسلين فصلُّوا عليَّ معهم» رواه ابن أبي عاصم(١).

وأفاد القسطلاني فِي رواية: «إنَّه لا يُصلَّى على أحدٍ من الأنبياء غير نبينا ﷺ».

وعن ابن عباس ﷺ: «لا تُصلَّى الصلاة على أحدٍ إلا على النبيِّ ﷺ، ولكن يُدعا للمسلمين والمسلمات بالاستغفار(٢)» رواه إسماعيل القاضي.

قوله: (لا تُصلَّى الصلاة إلا على النبي ﷺ) إن أراد به نبينا دون غيره من الأنبياء فهو خلاف من يعتدُّ به، ويعارضه الرواية الأخرى عنه: (لا تنبغي الصلاة على أحدٍ إلا النبيين)، ويحتاج إلى الجمع أو معرفة السابق واللاحق من الروايتين.

وقال سفيان الثوري: يُكره أن يُصلَّى على غير النبيِّ ﷺ، وهذا خلاف إجماع من يعتد به، ولا مأخذ له من كتابٍ ولا سنةٍ.

قال القسطلاني: لنا دليلٌ فِي الكتاب قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]، والسلام فِي معنى الصلاة، وأما الصلاة فقد علم هو الصلاة عليه كما صلى الله على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم وهم الأنبياء(٣).

وقال السخاوي: الأنبياء مشاركون له فِي وصف النبوة والإرسال والهداية والإنقاذ من الضلالة، وقد سمَّاهم الله: أولو العزم، فكيف يقال: لا تجوز الصلاة عليهم؟!

وقال في «مسالك الحنفا»: ما المانع من ذلك؟! لا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس؛ الأنبياء مشاركون فِي الأمر فِي الفضل، وتفاوت الفضيلة بها لا يمنع المشاركة، وأما رواية ابن عباس فيجوز حملها على معنى: لا تجوز الصلاة على غير المتَّصف بالنبوة، ويعضده على ذلك: (لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين)، وأما قول مالك فتناوله أصحابه بمعنى: إنَّا لا نتعبَّد بالصلاة على غيره كما تعبَّدنا بالصلاة عليه.

فائدة جليلة: إِذَا ذُكر لقمان ومريم هل يُصلَّى عليهما كالأنبياء؟ أم يترضَّى عنهما

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في فضل الصلاة (٦٩) بتحقيقنا، وعبد الرزاق في المصنف (٣١١٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠٥/٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢١٦/٢)، والبيهقي في الشعب (٢١٨/٢).

(٣) انظر: المسالك (ص٦٢٦).

كالصحابة والأولياء؟ أو يقول: عليهما السلام؟

جواب هذه المسألة: أن الجماهير من العلماء أجمعوا على أنهما ليسا بنبيين، وقد شذَّ من قال نبيَّان، ولا التفاف إليه، ولا يُعرج عليه.

ثم قال: فإذًا عرف ذلك فقد قال: بعض العلماء كلامًا يفهم منه أنه يقول، قال: لقمان أو مريم صلَّى الله على الأنبياء وعليه أو عليهما؛ لأنهما يرتفعان عن حال من يُقال عنه ﷺ أو عنها لما فِي القرآن مما يرفعهما.

قال شيخ الإسلام زكريا: الذي أراه أن هذا لا بأس به، وأن الأرجح أن يقول: رضي الله عنه أو عنها؛ لأن هذا مرتبة غير الأنبياء، ولم يثبت كونهما نبين.

وقال إمام الحرمين: أجمع العلماء أن مريم ليست نبيةً، ذكره فِي «الإرشاد»، ولو قال: عليه السلام أو عليها فإنه لا بأس به.

وقرر شيخ الإسلام الرملي فِي «شرح البهجة»: ولو قال: عليه السلام أو عليها فإنه لا بأس به.

وقرر شيخٌ: أنهما ليسا بأنبياء، وحكمة لقمان وإحصان مريم وعفتها دليلٌ على علوِّ منزلتهما؛ لأن القرآن شاهدٌ لهما كما قررنا، فعلى هذا لا بأس بالسلام.

وأما الصلاة على الملائكة فقد قال الحافظ ابن حجر: لا يُعرف فِي الصلاة عليهم حديثًا ولا نصًّا، وإنما يؤخذ ذلك من حديث: «صلُّوا على أنبياء الله ورسله» إن ثبت؛ لأن الله سمَّاهم رسلاً، وأما آل نبيِّنا ﷺ فالصلاة عليهم مشروعةٌ، واختلف أصحابنا فِي مشروعيتها فِي التشهد الأول، وفِي ذلك طريقان لهم: أحدهما وبه قطع العراقيون أنها لا تشرع فِيه، والثاني حكاه الخراسانيون أنه ينبني على وجوبهما فِي التشهد الأخير، فإن لم نوجبها فِيه وهو المذهب لم تشرع هنا، وإلا فقولان، كالصلاة على النبيِّ ﷺ، وفِي الصلاة على المؤمنين غير آله ﷺ من الصحابة ومن بعدهم فكرهه مالك، وقال: لم يكن من عمل مَنْ مضى، وهو مذهب أبي حنيفة والسفيانين وعمر، وعمر بن عبد العزيز.

وقال القاضي عياض: والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان، وقال ذلك ابن عباس، واختاره غير واحدٍ من الفقهاء والمتكلمين: أنه لا يُصلى على غير الأنبياء.

وقال النووي في «الأذكار»[1]: قال بعض أصحابنا: هو حرامٌ، وقال أكثرهم: هو مكروهٌ كراهة تنزيهٍ، وذهب كثيرٌ منهم إلى خلاف الأولى، وليس مكروهًا، والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروهٌ كراهة تنزيهٍ؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نُهينا عن شعارهم انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ صلِّ على أمَّتي[2]»، دخَّل في ذلك الأنبياء والمرسلون والملائكة والمؤمنون، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

ومعلوم: أن الأئمة بعده ﷺ يأخذون الصدقة كما كان يأخذها، فيشرع لهم أن يصلُّوا على المتصدق كما كان يُصلِّي عليه ﷺ، والأصل عدم الخصوصية.

وأجيب: بأن ذلك مذهبه، فله أن يتفضل به على غيره، وقد رُوي أن عليًّ بن أبي طالبٍ لما غُسِّل عمر وحُمل على سريره وقف عليه، فقال: صلَّى الله عليك[3]، رواه ابن سعد في «طبقاته».

قال الحافظ الدمياطي عبد الغني: دخل في ذلك كل عبدٍ صالحٍ.

وقال الحافظ عبد الغني: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها): أي خصصناك بهذا أنت ومن تبعك، ولا بدَّ للمتصدق من جزاءٍ، فيشرع لهم أن يجاوزوا المتصدق اتِّباعًا وامتثالاً، ويؤيد هذا النسائي وأبو داود بسندٍ جيدٍ.

عن قيس بن سعد بن عبادة: أن النبيَّ ﷺ رفع يديه وهو يقول: «اللَّهُمَّ اجعلْ صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة[4]».

قال القسطلاني: وإليه ذهب المحققون اقتداءً واتِّباعًا وامتثالاً.

وقال القاضي عياض: وإليه ذهب المحققون، لا بدَّ من رد الخصم عنه بالدليل، وإلا فحجته قائمةٌ، ومنازعته مستمرةٌ دائمةٌ.

---

(١) في (ص١٧٢).

(٢) انظر: المسالك (ص٦٣٠).

(٣) رواه أحمد في الفضائل (٤١٨/١)، وابن سعد في الطبقات (٣٧٠/٣).

(٤) رواه أبو داود (٣٤٧/٤)، وأحمد (٤٢١/٣)، والطبراني في الكبير (٣٥٣/١٨).

وقال الشيخ علامة عصره ابن أبي شريف: لا مطعن فِي الأدلة التي للخصم إلا بكتابٍ وسنةٍ.

وللنووي فِي الأذكار غير طرق: هذا الشعار الذي اتخذه الشيعة الفجار وقوله عفا الله عنه لمعرفته بأخبارهم، وما أعلموه به من شعارهم، وقد نهينا عن شعارهم.

ولفظ ابن جماعة: نهينا عن شعار المبتدعين؛ لأن ليس لهم فِيه أصلٌ يُتبع.

وقال القسطلاني عن القاضي عياض: من أنه شيءٌ تُختص به الأنبياء توقيرًا وتعظيمًا، كما يختصُّ الله عند ذكره بالتقديس، فالقائل يقول: ما وجه التخصيص وقد قامت الأدلة السمعية على خلافه كتابًا وسنةً كما مرَّ؟!

وذهب بعضهم: أنه مكروهٌ كراهية تنزيهٍ.

وبعضهم أخذ فِي المعارضة له بكراهة المخالفة لهم فِيه دون التحريم.

وبعضهم رأى سبيل السلف، وقال: إن سبيل المؤمنين مأمورٌ فِيه بالاتِّباع.

وبعضهم أجاب: هذا أمرٌ لم يكن فِي الصدر الأول.

وبعضهم أجاب بقوله: هذا أصلٌ معروفٌ بالكتاب والسنة.

وبعضهم قال: لنا امتثال الأمر، لا اجتناب الشريعة.

وبعضهم أُريد به استقرار العرف الاستعمالي، بمعنى أنه لم يكن كثير الاستعمال فِي الصدر الأول، ثم استمر تركه، ومعنى قوله: (أحدثه الرافضة أو غيرهم): أي كثرة استعماله، وذلك فِي عليٍّ خاصةً، والكلام فِيما هو أعمُّ من ذلك، بل القائلِ: (لِمَ لَمْ يخالفوا بالمضادة)، يعني بالصلاة على أبي بكر وعمر معناه: أن حسم المادة أولى.

وقال الشاشي: معنى الصلاة الدعاء، وهي من الله بمعنى الرحمة، وليس فِيها ما يقتضي التحريم، وأدنى مراتب فعله ﷺ الجواز، وليس معه دليلٌ يدل على الخصوصية.

وقال البيهقي فِي «شعبه»: وإنما أرادوا بالمنع إِذَا كان على وجه التعظيم والتكريم عنده ذكره تحيةً، إنما ذلك للنبي ﷺ خاصةً، فإِذَا كان على وجه الدعاء والتبريك فإن ذلك جائزٌ بغيره.

وقال البيهقي فِي «السنن الكبرى»: احتجَّ المانعون بأن الله تعالى ذكر الأمر بالصلاة فِي معرض حقوقه وخواصِّه التي خصَّه بها: من تحريم نكاح أزواجه، وجواز نكاحه لمن وهبت نفسها له، وإيجاب اللعنة لمن آذَاه، وغير ذلك من حقوقه، وأكَّدها بالأمر

بالصلاة عليه والتسليم، فدلَّ على أن ذلك حقٌّ له خاصةً، وآله تبعٌ، وبأن النبي ﷺ شرع لأمته في التشهد أن يسلِّموا على عباد الله الصالحين، ثم يصلُّوا على النبي ﷺ، فدلَّ ذلك وعلم أنه حقه لا يشاركه فيه أحدٌ.

وأما صلاة النبي ﷺ فتلك مسألةٌ أخرى، فأين هذه من صلاتنا عليه التي أُمرنا بها؛ قضاءً لحقِّه! وأما قول عليٍّ لعمر فقيل إنه اختلف على رواية جعفر.

ورُوي سفيان: أن عليًّا لما غُسِّل عمر وكُفِّن وحُمل على سريره وقف عليه، وأثنى عليه، وقال: والله ما على الأرض رجلٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله بصحبته من هذا المسجى بالثوب، فعلى هذا لم يذكر لفظ الصلاة(١).

فائدة مهمة

فرَّق قومٌ بين الصلاة والسلام أن السلام يُشرع في حقِّ كل مؤمنٍ: حيٍّ، وميتٍ، حاضرٍ، وغائب، وهو تحية أهل الإسلام بخلاف الصلاة عليه، فإنها من حقه، ولهذا يقول المصلي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يقول: الصلاة علينا، فظهر الفرق.

فائدة

عن عبد الرحمن بن مهدي: لا يقال عليه السلام للنبيِّ؛ لأن (عليه السلام) تحية الموتى، ولا تقوم مقام ﷺ رواه ابن بشكوال(٢).

والشافعي قال: يُكره للرجل أن يقول: قال الرسول، ولكن يقول: قال رسول الله تشريفًا وتعظيمًا، ذكر هذا البيهقي في «سننه»: أن الأدب في حقه أن يقول كما قال الله تعالى له في الغالب، وأمرنا به امتثالاً وليس له أن يقول: قال الرسول من غير إشراك كلمةٍ تؤيد قوله.

وقال عبد العظيم المنذري: ليس لك أن تقول: قال الرسول من غير إلحاقٍ بما أمر الله به وما يكون تشريفًا له.

قال السخاوي: يُستحبُّ رفع الصوت في المساجد بالصلاة عليه.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٧٠)، وذكره ابن الجوزي في الصفوة (١١/٢٩٢).

(٢) رواه أبو داود (٤/٣٥٣)، والنسائي في الكبرى (٥/٤٨٦)، وأحمد (٣/٤٨٢).

وقال القسطلاني فِي خاتمة مسالكه: لا سيما يحضره الراكع والساجد.

وقال الشيخ شهاب الدين البلقيني: لما أخذ مشيخة إحياء ليلة الجمُعَة والإثنين بالأزهر بعد الشيخ نور الدين الشوني عفا الله عنه: رفع الصوت من العبد وإعطاؤه كلية للصلاة عليه يزيده قبولاً عند الله وعند الناس، وينبِّه النائم الغافل، فيشتاق إليه، فيذكره، فيكون شريكه فِي أجره بإيقاظه.

وها أنا أنبِّهك يا أخي لفوائد ينوِّر الله بها هذه المحاسن، وليس هذا ينافِي ما قدَّمنا فِي فضل الجهر بالذكر، ورفع الصوت، وإعطاء العبد كليته إلى ذلك.

قال الشيخ تقي الدين السبكي فِي فضل سورة الإخلاص:

إن بعض الصالحين كان يقرأها فِي هاتين المرتين: أعني بعد العشاء، وبعد صلاة الصبح، وقال هي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس.

ومن محاسن السُّنَّة: ما ورد فِي الصحيحين: «أيُّما عبدٍ أصاب ذنبًا، وندم عليه، وتوضأ وصلَّى، واستغفر إلا غَفَر الله له[1]».

وفِي الترمذي: أن عبدًا أصاب ذنبًا فصلى العصر واستغفر لذنبه قال: ربِّ أذنبت ذنبًا فاغفر لي. فقال ربه: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا آخر، فقال: ربِّ أصبت ذنبًا آخر، فاغفر لي. فقال: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا، فقال: ربِّي أذنبت ذنبًا فاغفر لي. فقال: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي ثلاثًا، فليفعلْ ما شاء[2].

وفِي البخاري، ومسلم، والترمذي: «طوبَى لِمَنْ وجدَ فِي صحيفته استغفارًا كثيرًا[3]».

وفِي البخاري: «أن بعض الأعراب شكا إلى النبيِّ ﷺ درب لسانه، فقال له: أين

(١) رواه أبو داود (٢/٨٦)، والترمذي (٢/٢٥٧)، والنسائي في الكبرى (٦/١١٠)، وأحمد (٤/١٠)، وابن ماجه (١/٤٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦/٢٧٢٥)، ومسلم (٤/٢١١٢)، وأحمد (٢/٢٩٦).

(٣) رواه ابن ماجه (٢/١٢٥٤)، والبزار في مسنده (٨/٤٣٣)، وهناد في الزهد (٢/٤٦٢).

أنت من الاستغفار؟[(١)]»، وكيفية الاستغفار: استغفر الله استغفر الله تغسل الذنوب.

من استغفر عند المساء لم يبت عليه ذنبٌ.

وفي سنن أبي داود «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيُّوْم، وأتوب إليه غفر له، وإن كان قد فرَّ من الزحف[(٢)]»، والترمذي: قالها ثلاث مرات، وفي معجم الطبراني قال: غفر له خمس مرات، وإن كان عليه مثل زبد البحر، وإن الله لا يقطع رجاء عبدٍ رجاه فيه.

فائدة وتنبيه

أنبِّهك عليها، ما أحسن قول الربيع بن خيثم ﷺ: لا يقول أحدكم: أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبًا وكذبًا؛ بل يقول: اللَّهُمَّ اغفرْ لي، وتبْ عليَّ.

قال في «الحصن الحصين»: وليس كما فهم بعض أئمتنا أن الاستغفار على هذا الوجه يكون كذبًا؛ بل هو ذنبٌ؛ فإنه إذَا استغفر عن قلبٍ لا يستحضر طلب المغفرة ولا يلجأ إلى الله بقلبه فإن ذلك عقابه الحرمان.

وهذا كقول رابعة العدوية: استغفاري يحتاج إلى استغفارٍ كثيرٍ.

وأما إذَا قال: أتوب إلى الله ولم يتب فلا شكَّ أنه كذب.

وأما الدعاء بالمغفرة والتوبة فإنه وإن كان غافلاً فقد يصادف وقتًا فيُقبل، فمن أكثر طرق الباب يوشك أن يلج، ويوضح ذلك إكثاره ﷺ في المجلس الواحد مائة مرةٍ، وقطعه لمن قال: استغفر الله وأتوب إليه بالمغفرة وإن كان قد فرَّ من الزحف مرةً أو ثلاث مرات، فها أنا قد كشفت لك الغطاء، فاختر لنفسك ما يحلو.

وفي كتاب «الزهد» عن لقمان: عوِّد لسانك: باللَّهُمَّ اغفرْ لي؛ فإن لله ساعاتٍ لا يرد فيهن سائلاً، إن الله يحبُّ الملحين إذَا دعوه فلا تيأس؛ إن الله يدَّخر الدعاء لعبده في وقت

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١٧/٦)، وأحمد (٣٩٤/٥)، وابن ماجه (١٢٥٤/٢)، والدارمي في السنن (٣٩١/٢).

(٢) رواه أبو داود (٨٥/٢)، والترمذي (٥٦٨/٥)، والطبراني في الكبير (١٠٦/٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٧/٦).

كربه، أو قال: وقت كرب يضطر فيه[١].

فائدة مجربة لقضاء الحوائج

عن الأستاذ الأعظم الشيخ أبو الحسن البكري تعهده الله برحمته وأعاد علينا من بركاته إذًا كتبت قصته فاكتب بين سطورها بقلمٍ ناشفٍ بغير مدادٍ بسم الله الرحمن الرحيم إن الله وعد الصابرين نصرًا، وقدَّر لمن توكَّل عليه يسرًا، وشرح لمن فوَّض صدرًا؛ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥، ٦]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]، وهي من المجرَّبات لقضاء الحوائج.

ومن محاسن فضل لا إله إلا الله

أنها تهدم الذنوب، وفي البخاري: «أفضلُ الذِّكرِ لا إله إلا الله[٢]».

وفي حديثٍ آخر: «أفضل الحسنات[٣]»، وفي حديثٍ آخر: «أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يَوْمَ القيامة مَنْ قالَها مخلصًا من قلبه أو نفسه[٤]».

وفي حديثٍ آخر: «يخرجُ من النَّار من قالَها وفي قلبه وزن شعيرةٍ من خيرٍ أو من إيمان[٥]» وفي حديثٍ آخر: «ما من عبدٍ قالها ثم مات على ذلك إلا دخل الجنَّة، وإن زنا، وإن سرق[٦]» قالها ثلاثًا.

وفي حديثٍ آخر: «جدِّدوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدِّد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله[٧]».

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٢/٢٩٤)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/٩٦).

(٢) رواه الترمذي (٥/٤٦٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٠٨)، وابن ماجه (٢/١٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٦).

(٣) رواه أحمد (٥/١٦٩)، والديلمي في الفردوس (١/٣٥٦).

(٤) رواه البخاري (٥/٢٤٠٢)، والنسائي في الكبرى (٣/٤٢٦)، وأحمد (٢/٣٧٣).

(٥) رواه البخاري (١/٢٤)، وابن منده في الإيمان (٢/٨٢٥)، وأبو عوانة في مسنده (١/١٥٧).

(٦) رواه البخاري (١/٤١٧)، ومسلم (١/٩٤)، والترمذي (٥/٢٧).

(٧) رواه عبد بن حميد في مسنده (١/٤١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٨٥)، والديلمي في الفردوس (٢/١٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٣٥٧).

وفِي حديثٍ آخر: «ليس لها دون الله حجابٌ حتى تخلص إليه[١]».

وفِي حديثٍ آخر: «قولها لا يترك ذنبًا ولا يشبهها عملٌ[٢]».

وفِي حديثٍ آخر: «لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع فِي كِفَّةٍ ولا إله إلا الله فِي كِفَّةٍ مالت بهم[٣]».

وفِي حديثٍ آخر: «ما قالها عبدٌ قطُّ مخلصًا إلا فُتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتُنبتِ الكبائرُ[٤]».

ومن محاسن السنَّة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قديرٌ[٥]) من قالها عشر مراتٍ كان كمن أعتق أربعة أنفسٍ من ولد إسماعيل، وفِي حديث: «مرةً كعتق نسمةٍ[٦]».

وفِي حديثٍ: «من قالها مائة مرةٍ كانت له عدل عشر رقابٍ، وكتب له مائة حسنةٍ، ومُحيت عنه مائة سيئةٍ، وكان له حرزًا من الشيطان، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك[٧]».

وفِي حديثٍ: «هي التي علَّمها نوح ابنه؛ فإن السماوات لو كانت فِي كِفَّة لرجحت بها».

وفِي حديثٍ: «لا إله إلا الله والله أكبر كلمتان: إحداهما ليس لها نهايةٌ دون العرش،

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٣٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/٣٤٥).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/٦٩٥)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٢/١٨).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٦/٢٠٨)، وابن حبان في الصحيح (١٤/١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/٧١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٢٨).

(٤) رواه النسائي في الكبرى (٦/٢٠٨)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٤٨٢)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٢٦٧).

(٥) رواه مسلم (٤/٢٠٧١)، والنسائي في الكبرى (٤/١٦٥)، وفي عمل اليوم والليلة (١/١٩٢).

(٦) ذكره المنذري في الترغيب (٢/٢٧١).

(٧) رواه البخاري (٥/٢٣٥١)، والترمذي (٥/٥١٢)، والنسائي في الكبرى (٦/١١)، وأحمد في المسند (٢/٣٠٢).

والأخرى تملأه، ولا حول تملأ ما بين السماء والأرض[1]».

ومن محاسن السُّنَّة المطهرة: (لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ما على الأرض أحدٌ يقولها إلا كفِّرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر[2].

وقد جمع الشيخ العلامة شمس الدين مُحَمَّد البكريُّ الصدِّيقيُّ عفا الله عنه مائة خبرٍ فِي فضل لا إله إلا الله، وإني بفضل الله تعالى ما نشرت لك من محاسن هذه الأخبار إلا ما صحَّ سنده؛ لتستعين بذلك على الأوراد، وتلازم المساجد؛ فإنه ورد عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ الله لـه بدلاً فِي الجنَّة كلَّما غدا وراح[3]» وإيَّاك يا أخي والكسل!.

ففِي الصحيحين عن أبي وائل، عن عبد الله قال: ذكر لرسول الله ﷺ أن رجلاً نام ليلةً حتى أصبح. قال: ذلك رجلٌ بال الشيطان فِي أذنهِ أو أذنيه[4].

وعليك بالعمل الصالح؛ فإن الصحابة سألوا عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فقالت: وأيُّكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع، كان عمله ديمةً[5].

وفِي حديث أبي عبد الله قال: «قلت لعائشة: كيف كان خلق رسول الله فِي أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خلقًا، لم يكن فاحشًا، ولا مُتفحّشًا، ولا صخَّابًا بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة سيئةً، ولكن يعفو ويصفح[6]».

وفِي حديثٍ آخر: قالت: «كان يُرقِّع الثوبَ، ويخصفُ النَّعلَ، وكان معنا برًّا شفوقًا لينًا، متواضعًا لأقلِّ خدمه[7]».

وفِي حديث هشام: «يصنع ما يصنع أحدكم: يقد تحت القدر، ويخصف نعله،

(١) ذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي (٤٨٩/١).

(٢) رواه الترمذي (٥٠٩/٥)، والبغوي في مسند ابن الجعد (٩٥/١).

(٣) رواه البخاري (٢٣٥/١)، وابن حبان في الصحيح (٣٨٥/٥)، وابن خزيمة (٣٧٦/٢).

(٤) رواه البخاري (١١٩٣/٣)، ومسلم (٥٣٧/١)، والنسائي في الكبرى (٤١١/١).

(٥) رواه البخاري (٧٠١/٢)، ومسلم (٥٤١/١)، وأبو داود (٤٨/٢)، وأحمد (٤٣/٦).

(٦) رواه أحمد (٢٣٦/٦)، وابن سعد في الطبقات (٣٦٥/١).

(٧) رواه أحمد (٢٤١/١)، وابن أبي عاصم في الزهد (٤/١).

ويرقِّع ثوبه، ويقدِّم لنا الطعام، وهو معنا كأحدنا، نفرح به إذَا أقبل علينا؛ لما نرى من ترغُّبه فِي الدار الآخرة، ما ترك درهمًا ولا دينارًا ولا شاةً ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيءٍ[(١)]».

وفِي حديث ابن عباس: «مات رسول الله ﷺ وما ترك دينارًا، ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا وليدًا، وترك درعه رهنًا عند يهوديٍّ، وما عاب طعامًا قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه[(٢)]».

ومن محاسنه ﷺ: إنه ما سُئل عن شيءٍ قطُّ، فقال: لا، عُرضت عليه الدنيا فأباها، وأقطعه الله الدنيا والآخرة يتصرَّف فِيها، فلم يمد يده ولا عينيه إلى زينتها، ولم يشتغل فكره بشيءٍ من تعلقاتها.

وقال بعضهم:

مَلِكٌ زاهدٌ وهذا عجيبٌ ... مَلِكُ الأرض لا يميلُ إليها

ناسكٌ عابدٌ إمامٌ جليلٌ ... وَرِعٌ كاملٌ مليحٌ وجيهًا

قد ملكها بنصٍّ كتاب ... لا يكن مثله حقًّا ولا يشتهيها

ورد عنه من حديث أنس: أنه قال ذات يَوْمٍ: «والذي نفسُ مُحَمَّد بيده ما أمسى فِي آل مُحَمَّدٍ صاعٌ من حَبٍّ ولا صاعٍ من تمرٍ، وأنهم يَوْمئذ تسعة أبياتٍ[(٣)]».

قال أحمد بن حنبل فِي «الزهد»: كان له حينئذٍ تسع نسوةٍ[(٤)].

وقالت عائشة: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز البُرِّ[(٥)]».

وفِي حديث هشام: قالت عائشة: «والله لقد كان يأتي على آل مُحَمَّدٍ ﷺ شهرٌ ما

---

(١) رواه أبو داود (٣/١١٢)، وأحمد (٦/٤٤)، وابن ماجه (٢/٩٠٠)، وابن حبان في الصحيح (١٤/٥٧٢).

(٢) رواه أحمد (١/٣٠١)، والطبراني في الكبير (١١/٣٢٨)، وابن سعد في الطبقات (٢/٣١٦).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٢٨١)، والطبراني في الأوسط (٨/٢١٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/٣٦).

(٤) رواه البخاري (١/١٠٩)، وأحمد (٣/٢٣٨).

(٥) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (١/٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٧٧)، والطبراني في الأوسط (٨/٣٥٩).

يختبـز فيـه. قال عروة قلت: يا أم المؤمنين، فما كان يأكل رسول الله ﷺ؟ فقالت: كانـت لنا جيرانٌ من الأنصار جزاهم الله خيرًا، كان لهم شيءٌ من لبنٍ يهدون منه إلى رسول الله ﷺ[(١)]».

وفِـي حديث عطاء بن رباح قال: دخل رجلٌ على النبيِّ ﷺ وهو متكئٌ على وسادةٍ وبـين يديه طبقٌ عليه رغيفٌ، قال: فوضع الرغيف على الأرض، ونَحَّى الوسادة، فقال: «إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد[(٢)]».

وفِـي حديثٍ: دُعِي إلى طعامٍ، فلما أكل حمد الله ﷻ، وقال: «ما ملأتُ بطنِي هذا بطعامٍ سخيٍّ منذ كذا وكذا[(٣)]».

ودخـل أعـرابيٌّ على النبيِّ ﷺ، فلم يجد شيئًا يطعمه، فدعا ربَّه ﷻ، فأتى بلقمة، فذهب الأعرابيُّ ليأخذها، فمنعه، ثم جزَّأها لـه أجزاءً، فأكل الأعرابي حتى شبع، وفضل منه فضلةٌ.

وهـذا الحديث وإن ذُكر سابقًا فِي زيادة الطعام بين يديه ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك ففِي هذا المحل بيان زهده مع أن هذه اللقمة كانت مع صغيرٍ، فأخذها، ودعا ربَّه وبيت آل مُحَمَّد لم يجدوا لقمةً من زهدهم فِي الدنيا.

وفِي أحاديث أبي هريرة باتفاق أئمة الحفاظ وأصحاب الأثر أن جميع نسائه قلن: «كـان طعامـنا مع رسول الله ﷺ الأسودين: أعني التمر والماء، والله ما كنا نرى ثماركم هذه ولا ندري ما هي، وإنما كان لباسنا مع النبي ﷺ هذا الصوف[(٤)]».

هكذا قالت الصدِّيقة عائشة، وحفصة بنت عمر.

وقال الحافظ ابن حجر:

زُهدهم لا يُقاس عليه، وعدم التفاتهم للدنيا وراثةٌ نبويَّةٌ استحقوها.

أكلـت عائـشة سبع تمراتٍ، فبكت، وقالت من خوفها من الله: اتسع جوفِي، أُتِي

(١) رواه أحمد (٦/٢٤٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/٥)، وابن سعد في الطبقات (١/٤٠٣).
(٢) رواه هناد في الزهد (٢/٤١٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/٢٨٣)، وفي الشعب (٥/١٠٧)، والديلمي في الفردوس (١/٣١٤).
(٣) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (١/٥).
(٤) لم أقف عليه.

لرسول الله ﷺ بسويقٍ من سويق اللوز، قال: «احزُوه عنِّي؛ هذا شراب المترفين[١]».

وفِي حديث البخاري: «شراب ابن فروة وأصحابه[٢]».

وذكــر الجلال السيوطي فِيما خرَّجه عن إبراهيم ومجاهد قال: «أتى رجلٌ النبي ﷺ، فشكا إليه الجوع، فدخل رسول الله ﷺ بيوته، ثم خرج، فقال: ما وجدت فِي بيوت آل مُحَمَّد طعامًا أطعمكاه[٣]».

ولما بعث معاذ بن جبل قال لـــه: إيَّاك والتنعُّم! فإن عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين[٤]».

وفِـــي حديث أسماء: «كان قميص رسول الله ﷺ أسفل من الرسغ، وطوله أسفل من الركبة[٥]».

وفِـــي حديثٍ ذكره الحافظ ابن رجب بأسانيد عن هذيل العقيلي، قال: كان كُمُّ النبيِّ ﷺ إلى الرسغ[٦].

ورأى الـــنبيُّ ﷺ على العلاء بن الحضرمي قميصًا قبطريًا طويل الكمين، فدعا بشفرةٍ، فقطعه من طرف أصابعه[٧].

وفِي حديثٍ عن عمران بن حصين: قال: «لا أركب الأُرجوان، ولا ألبس المعصفر، ولا ألبس القميص المكَنَّف بالحرير[٨]».

ومن محاسن عمر بن عبد العزيز: أنه كان لـــه بيتًا يخلو فِيه فِي ذلك البيت ما ترك رسول الله ﷺ.

قال بعض أخصَّائه: دخلناه، فإذَا هو سريرٌ موصولٌ بشريطٍ، وقعبٌ يُشرب فِيه الماء،

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (٦/١)، وابن المبارك في الزهد (٥٥/١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٩٥/١).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٩٩/٧).

(٣) رواه محمد بن فضيل في الدعاء (١٥٨/١).

(٤) رواه البيهقي في الشعب (١٥٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (١٥٥/٥).

(٥) ذكره أبو الطيب في عون المعبود (٤٩/١١)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٣٧٤/٥).

(٦) رواه النسائي في الكبرى (٤٨٢/٥)، وابن سعد في الطبقات (٤٥٨/١).

(٧) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (٦/١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٤/٢).

(٨) رواه أبو داود (٤٨/٤)، وأحمد (٤٤٢/٤)، والطبراني في الكبير (١٤٦/٨).

وجـــرةٌ مكسورة الرأس، يجعل فِيها الشيء، ووسادةٌ من أدمٍ محشوةٍ بليف، وقطيفةٌ غبراء كأنهـــا من هذه القطن الجرمقانية، فِيها من وسخ شعر رسول الله ﷺ يقبِّلها، ويبكي، ثم يقول: يا قريشُ، هذه آثار من أكرمكم الله ﷻ به، وأعزَّكم بمتابعته، خرج من الدنيا على مـــا تـــرون، هـــل تقدرون؟! ثم يبكي حتى يبل ما عليه[1]، ذكره الحافظ عبد الغني عن أحمد بن حنبل فِي كتاب «الزهد».

ومـــن محاسن ما قال الحسن: كنَّا نُصلي في المسجد مائةً، ليس فينا من لـــه ثوبان أبدًا، وكنا نتداول جيراننا فما نرى مِصباحًا.

وقال عمر بن الخطاب: اشتَهت أهلي ثمرًا شهرًا فما قدرت عليه.

قال عطاء: سويق الثمر هذا، وهو خليفة المسلمين، وبيده كنوز الأرض.

وقـــال ابـــن أبي العلاء: كان عليٌّ بن أبي طالب ؓ ما يشبع من الطعام، وقال: ما بلغت قدم أبي بكر وعمر وعثمان، ويبكي، ويقول: واأسفاه على زمن رسول الله! فهذا قدم السلف رضي الله عنهم.

ومـــن محاسن الصحابة رضي الله عنهم: المداومة على عبادة الله، والورع الكافي عن أعـــراض المسلمين، وترك البحث عن اكتسابهم، وعن أموالهم، وقول الواحد منهم بذل نصيحةٍ لله تعالى، وهذه صفات العارفين.

وسُئل أبو حنيفة: ما الصفاء؟ قال: الصدق مع الله في جميع الأحوال.

ومن محاسن الإمام الشافعي ؓ: لما سُئل عن صفة السلف، وقالوا لـــه: بأي شيءٍ ذكـــروا هؤلاء الأئمة وصفوا؟ فقال لهم: ما وصفوا إلا بالصدق، وكان فيهم من الورع والزهد. فقالوا: وما الصدق؟ قال: هو الإخلاص. قيل: فما الإخلاص؟ قال: الزهد. قيل لـــه: فما الزهد؟ فأطرق، ثم قال: سلوا الزهَّاد.

وقال نافع لما سُئل عن قدم الصحابة والتابعين: قال: هذا شيءٌ ما وصلنا إليه.

ثم قال: سلوا بشر بن الحارث عن الزهد، وكان العلماء على قدم الصدر الأول في كل شيءٍ فعلوه.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٢٢/١).

ومن محاسن ما نقلوا عن منصور بن عمار:

لطيفةٌ ذكرها صاحب «تحفة الصوفية»، قال: كان منصور بن عمَّار من أكابر العارفين، غير أنه كان واعظًا، وكان يموت في مجلسه الواحد والاثنان، ولم تكن العلماء في عصره يعدُّونه عالمًا؛ لكون أنه من القُصَّاص عندهم، وكانت العامة تسمِّيه عالمًا؛ لورعه وزهده، فانظر يا أخي رحمك الله أخلاق القوم، وقدم أهل الصدق، هذا واعظ العراق، الذي سرى ذكره في سائر الآفاق، منصور بن عمار لم يُعدُّ ورعًا، فكيف بك يا مسكين! كان مثل بشر وأحمد بن حنبل وأبي ثور وغيرهم من أكابر العارفين يعدُّونه قصَّاصًا.

ومن محاسن «صفوة الصفوة»:

ما حدَّثه ابن علي الجهمي، أنه مزح ذات يومٍ مزاحًا أفرط فيه، فقيل له: أتقول هذا وأنت من العلماء، وقد رأيت ما رأيت؟! فتبسَّم، وقال لهم: ما رأيت أحدًا من العلماء إلا وهو يمزح. فقيل له: قد رأيت بشر بن الحارث، فهل سمعته يمزح؟ فقال لهم: نعم، كنت جالسًا ذات يومٍ في بعض الدروب، وإذا به قد أقبل، وكان زايد بن شوك أمير الجيش، فقال: لا يلقيك ابن شوك في ناره فتُحرق. فتبسَّم، وقال: مثلك مثلك. قال: نعم كان الحسن البصري يمزح معه عليٌّ، ولا يقول إلا حقًّا، وكان ﷺ يمزح مع أصحابه، ولكلٍّ مجلسٍ حقٌّ، ومن شدد شدد الله عليه، ومن أعطى المقامات حقَّها فاز ونجا، وكنَّا نراه في وقت الصلاة يرعد كالسعفة، ويتغير ويصير كالشنِّ البالي، وقد مضى سنن السلف، وجاء الخلف، وذهب أهل العلم، وجهلت مجالس الذكر، وعلوم اليقين والمعاملات، وما بقي يُعرف هذا إلا من سيرة المتقدمين وطريقة السالفين، الذين كانوا يفرِّقون بين مجالس الذكر وبين القصاص، ويميزون بين العلماء وبين المتكلِّمين، وبين علم اللسان وفقه القلب، وبين علم اليقين وعلم العقل.

ومن محاسن ما ذكره شيخ الإسلام عفا الله عنه:

عن بعض مشايخه أنه قال: الفرق بين العالم والقاص أن العالم يسكت حتى يُسأل، فإذا سُئل أجاب فيما يعلم، بما هيأ الله تعالى له وكشف، وينطق بما أجراه الله تعالى له عليه، وعرف، فإن كان الصمت أفضل آثر السكوت؛ لعلمه بالأفضل، فإن لم ير أهله تربَّص حتى يضعه في أهله، وأهله من عرفه، وكان له نصيبٌ من وجده وشهادته، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

ومن محاسن ما ذكره أهل التفسير في تفسير معنى هذه الآيات الشريفة:

قال بعض العلماء: إن في ذلك معنيين:

أحدهما: إن أهل الذكر هم العلماء بالله تعالى، (إن كنتم لا تعلمون أنتم) حقيقة الحكم، ولا يجوز لنا أن نقول: سلوا من لا يعلم، فيسألوهم، فيزدادوا جهلاً.

والمعنى الثاني: يدل على أن المعنى سكوت العلماء حتى يُسألوا، فإذا سُئلوا وجب عليهم أن يجيبوا، كقوله لمن لا يعلم: سلوا، ودلَّ ذلك أن مجالس الذكر مجالس العلماء التي وردت الأخبار بفضائلها.

وقال البغوي: أهل الذكر هم الذين وصل إليهم القول: (لعلهم يتذكرون)، فلما وصل إليهم المفصَّل تذكَّروا كلَّما وعد، فلما تذكَّروا علموا، فعندها أمر أن يسألوا.

ومن محاسن ما وُرِد عنه ﷺ: أنه قال: «لا ينبغي للجاهلِ أن يسكتَ على جهله، ولا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه[1]»، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

قال الطبراني في «معجمه»: خبرٌ من طريق أهل البيت: (العلم خزائن الله، مفاتحه السؤال، يؤجر فيه أربعٌ: السائل، والعالم، والمستمع، والمحب لهم).

وكان ابن مسعود يقول: (إن من يفتِي الناس فِي كل ما يستفتونه فهو مجنونٌ[2]).

وفي رواية ابن الجوزي: (لمجنون[3]).

وقال الأعمش: من الكلام كلامٌ جوابه السكوت.

وقال ذو النون المصري: حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين.

وقال الأحنف: من تكلَّم بالعلم قبل أن يُسأل عنه ذهب ثلثا نوره.

وقال إبراهيم بن أدهم: ليس أشدُّ على الشيطان من عالمٍ يتكلَّم بعلمٍ، ويسكت بحلمٍ، يقول لأولاده: انظروا إلى هذا، سكوته أشدُّ عليَّ من كلامه.

وأحسن ما قيل في الأمثال: الصمت زين العالم، وستر الجاهل.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٧)، والقرطبي في تفسيره (٣٠٤/٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨٨/٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣/١).

(٣) رواه الدارمي في السنن (٧٣/١).

ومــن محاسن ما قاله مالك ﷺ: من إكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يُسأل عنه؛ لأنه إذا تكلَّم بعد السؤال فقد قضى حاجة السائل، وربما كان فرضًا، وليس قضاء الحاجة ولا القيام بالغرض من الشهوات، ولقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ معنى قــوله ذكره أبو الحسن البكري الصديقي: أوجب عليه أن يجيبوا حيث سُئلوا، كما أمروا أن يــسألوا؛ لقوله ﷺ: «من سُئل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجامٍ من نارٍ، فتوعد عليه بالعقاب[١]».

وقد يكون الابتداء بالشيء من خفايا الشهوات، والشهوات هي من الدنيا، فما أدق كلام هذا السيد، نفعنا الله ببركاته وبركة سلفه.

فانظر يا أخي لمحاسن هذه الأخبار، وانظر ما كانت عليه السادة الأخيار، وصف رجلٌ لمالك بن أنس، فقال: لا بأس به، لولا أنه يتكلَّم بالشيء قبل أن يُسأل عنه، وفي روايةٍ: لا بأس به إلا أنه يتكلَّم بكلام شهرٍ في يومٍ.

وقد قيل في معنى ما ذُكر: إن الكلام من الشهوات.

قال بعضهم: هو الذي يبتدئ به قبل أن يُسأل عنه.

ومــن محاسنِ السادة الصوفية: أكلهم فاقةٌ، وكلامهم ضرورةٌ، فكأنَّهم لا يتكلمون حتى يُسألوا عن شيءٍ، ومن يتكلَّم حتى يُسأل فليس يُعدُّ لاغيًا ولا متكلمًا فيما لا يعنيه؛ لأن الجواب بعد السؤال كالفرض بمنــزلة ردِّ السلام.

وقال ابن عباس: إني أرى رد الجواب واجبًا كردِّ السلام؛ لما فيه من إكرام السائل.

وقال الصدِّيق: من علم علمًا فليقلْ به، ومن لا فيسكت، وإلا كُتب من المتكلِّمين، ومرق من الدين، وقد كانت الصحابة يخافون من دخول التكلف عليهم في كلِّ شيءٍ.

وفي وصــية ابن عباس لمجاهد: لا تتكلَّم فيما لا يعنيك؛ فإنه أفضل، فلا آمن عليك الخطــأ، ولا تكلِّمنا فيما يعنيك حتى ترى لــه موضعًا، فربَّ متكلمٍ فيما يعنيه قد وضعه في غيرِ موضعه، فعُتب على ذلك.

كما وقع في حديث الأنصاري، الذي قالت لــه أمه: «هنيئًا لك الجنة؛ جاهدت مع رســول الله ﷺ، وقُتلت في سبيل الله. فقال لها النبيُّ: وما يدريكِ أنه في الجنة، فلعله كان

---

(١) تقدم تخريجه.

يتكلَّم فيما لا يعنيه، ويبخل بما لا يغنيه[1]».

ومن محاسن ما أقول لك يا أخي وفَّقني الله وإيَّاك على خير عملٍ يرضاه: إن من أظهر علمًا من غير أن يُسأل عنه، ونشره في غير أهله فأنكروا ذلك عليه سُئل عنه، وكان عليه مطالبته؛ لأنه تكلَّف إظهاره، فإن كان سُئل عنه ثم تكلَّم فيه لم يكن عليه فيه مطالبةٌ، وكان الوزر على من أنكره عليه؛ لعدم فهم قصده، ومن هذا كان السلف المتكلمون في هذا العلم يسكتون حتى يُسألوا عنه.

ومن محاسن قول أبي حنيفة: العالم يقعد، فيسكت، ويرفع قلبه إلى مولاه، فيفتقر إليه في حسن توفيقه، ويسأله أن يلهمه الصواب، فأيُّ شيءٍ سُئل عنه تكلَّم بما فتح له مولاه، فجعل العالم في حال سكوته، ونظره إلى سيده محتاجًا إلى التوكُّل، منتظرًا للوكيل في أيِّ شيءٍ يُجريه.

وقال الشافعي: إنما العالم الذي إذا سُئل عن المسألة كأنما يقلع ضرسه.

وقال مالك: ليس العالم الذي يجمع الناس فيقصُّ عليهم، إنما العالم الذي إذا سُئل عن المسألة من العلم كأنما يسقط الخردل.

وكان أحمد بن حنبل يقول: إنما العالم الذي يُسأل عن مسألةٍ في الدين فيغتمُّ حتى لو جُرح لم يخرج منه الدم من الفزع، يخاف أن يُسأل في الآخرة عمًّا عنه أجاب في الدنيا، ويفزع ألا يتخلَّص من السؤال، إلا أن يرى أنه قد افترض عليه الجواب، ولفقد العلماء يجب عليه أن يجيب؛ فإنما كان ابن عمر يسكت عن تسع مسائل، ويجيب في واحدةٍ، ويقول: تريدون أن تجعلونا جسرًا تعبرون عليه في جهنَّم، تقولون: أفتانا ابن عمر بهذا.

وكان إبراهيم التيمي إذا سُئل عن مسألةٍ يقول: لم تجدوا من تسألوا غيري، اذهبوا؛ فإذا احتجتم سألت الله أن يجعل جوابي بما فيه نجاتي.

وكان الحسن البصري إذا سُئل عن شيءٍ يكاد يقول: احتاج الناس إليَّ، اللَّهُمَّ سهِّل ما فيه النجاة لي ولهم.

وكان ابن عيينة مفرد زمانه بعلومٍ جَمَّةٍ إذا رأى إقبال الناس عليه يقول لنفسه:

---

(١) رواه أحمد (٢٣٧/١)، والحاكم في المستدرك (٢١٠/٣)، والطبراني في الكبير (٣٧/٩)، وابن سعد في الطبقات (٣٩٨/٣).

خلتِ الديارُ فسادَ غير مسوَّدٍ ومن الشقاء تفرُّدي بالسؤددِ

فهذه محاسن خوفهم من الله، وما كانوا عليه من الخشية والرهبة.

ومن محاسن ما أنصحك به يا أخي وفقني الله وإياك:

أن هؤلاء الأماثل لما يتحروا على ما معهم مع معرفتهم، ولا صرفوا وجوه الناس إليهم.

كان أبو عالية الرِّيَّاحيُّ عالم زمانه ووحيد عصره، يتكلَّم في الاثنين والثلاثة، فلذا صاروا أربعةً قام عنهم، وكان إبراهيم والثوري وابن أدهم يتكلَّمون على النفر، فإذا أكثر الناس انصرفوا، وكان سهل بن عبد الله يجلس إلى خمسةٍ أو ستةٍ إلى العشرة.

وكان الجنيد: شيخ الطائفة يتكلَّم على بضع عشر، قال: وما تم في أهل مجلسه عشرون.

وذكر ابن الجوزي عن أبي الحسن بن سالم: أن قومًا اجتمعوا في مسجده، فأرسلوا إليه بعضهم: إن إخوانك قد حضروا، ويحبون لقاءك والاستماع منك، فإن رأيت أن تخرج عليهم فعلت. وكان المسجد على باب بيته، ولم يكن يدخل عليه في منزله، فقال للرسول بعد أن خرج عليه: من هم؟ فقال: فلانٌ وفلانٌ، فسمَّاهم، فقال: ليس هؤلاء من أصحابي، هؤلاء من أصحاب المجلس.

ولم يخرج كأنه رآهم عمومًا لا يصلحون لتخصيص علمه، فلم يذهب وقته فيهم، وكذلك أن العالم وقته في خلوته أعزُّ عليه من الكبريت الأحمر، وهذا لما يروه من الآثار: ولا تضع الحكمة عند غير أهلها، فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها، فتظلموهم.

وفي حديث وَصَّى به بعض أصحابه: «كونُوا كالطبيبِ الرفيقِ الذي يضعُ الدواء في موضع الداء[1]».

وفي حديث الترمذي: «من وضع الحكمة في غير أهلها جَهِلَ، ومن منعها أهلها ظَلَمَ، وإنَّ للحكمة حقًّا، وإنَّ لها أهلاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه[2]».

وفي حديث عيسى عليه السلام: «لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير، وإنَّ الحكمة خيرٌ

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

من الجوهر، ومن كرهها فهو أشرُّ من الخنـــزير)).

ومن محاسن ما أنبهك لـــه أيها الأخ في الله:

أن هذا الكتاب حوى من كل فنٍّ محاسنه، فمن محاسن ما نُقل عن بعض العارفين: أنه قال: نصف العلم سكوتٌ، ونصفٌ لا يدري أين يضعه.

وقال أيضًا: من كلّم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدرٍ أخذهم فقد بخسهم حقَّهم، ولم يقم بحق الله فيهم.

وأظنُّ هذا العارف أشار إلى قدر فهمهم.

وكان يحيى بن معاذ يقول: أغرف لكل واحدٍ من نهره، وأسقه بكأسه.

قال شيخ الإسلام في شرح رسالة القشيري: نحن نؤوله بمعناه لكل عبدٍ بمعنى عقله، وزن لـــه بميزان علمه، حتى تسلم منه وينتفع، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار.

وقال بعض المشايخ لي: أسأل الله منذ عشرين سنة أن ينسيني هذا العلم. قال: ولِمَ؟ قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فسمعته يقول: ((إنَّ كل شيءٍ لـــه عند الله حرمةٌ، وإن من أعظم الأشياء الحكمة، فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله بحقِّها، ومن طلبه خصَّه إشارة هذا العارف إلى علم الباطن: أي ما بطن على العبد)).

وإشارته ﷺ في هذه الرؤيا تدلُّ على كتم هذا العلم على غير أهله، وأن الذكر بالمعرفة قلـــيلٌ أهله، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف:]، وقليلٌ ما هم.

واعلم يا آخي أن مجالس القصاص يجتمع فيها المؤمن.

وقـــال بعض العلماء: كان في البصرة مائةٌ وعشرون متكلِّمًا في الوعظ، ولم يكن من يـــتعلَّم في علـــم المعـــرفة واليقين والمقامات والأحوال إلا ستةٌ، منهم: أبو محمد سهل، والصبحي، وعبد الرحيم.

وقـــيل: من لم ينتفعْ بسكوت العَالِم لا ينتفع بكلامه، وينبغي لك أن تتأدَّب بصمته، وخـــشوعه، وورعه، وتقتضي بيقينه في ذلك كما يتأدَّب بنطقه، ويقتضي بكلامه، وهذه حالنا مع أستاذنا البهنسي عفا الله عنه، وكان ينبِّهنا على أكثر من هذا.

ومن محاسن كلامه ﷺ: علم الظاهر من علم الملك، وعلم الباطن من علم الملكوت.

ورأيت معنى هذا عن الجنيد، وفي شرح الرسالة لشيخ الإسلام زكريا، يعنون: أن علم

الظاهــر من علم الدنيا؛ لأنه محتاجٌ إليه من أمور الدنيا في الحكم، فهذا من علم الآخرة؛ لأنه من زَادِها.

وقول الجنيد: اللسان ظاهرٌ، وهو من الملك، فهو خزانة العلم الظاهر، والقلب خزانة الملكــوت، وهــو خزانة العلم الباطن، فقد سار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكــوت على الملك، ونعني بالملك: الباطن الخفي، وكفضل القلب على اللسان الجليِّ وهو الظاهر.

وقــال مالك: قدم علينا الزهري وهو حديث السنِّ، فازدحمت عليه الناس، فبكى، وقال: ربَّ حامل فقه لمن هو أفقه منه.

وقال المزني: ما كانوا يعدون السلف علم من لا يعرف اختلاف العلماء علمًا.

وقال الشافعي: من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحلُّ لــه أن يفتي، ولم يُسمَّ عالمًا.

وقال قتادة وسعيد بن جبير: أعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس.

وقيل لأحمد بن حنبل: إذا كتب الرجل مائة ألف حديثٍ لــه أن يفتي؟ قال: لا. قال: فما في ألف حديث؟ قال: لا. قال: فثلاثمائة ألف حديثٍ؟ قال: أرجو، وخير الناس من أيقظ الله باطنه وحرَّك قلبه.

فما أحسن قول هذا الإمام، وكان يقول: اتقوا القلوب، واخشوا أهلها.

وفي التوراة مكتوبٌ: الطبيب الحاذق للعلة الباطنة يصلحها.

وكــتب ســلمان الفارسي من المدائن إلى أبي الدرداء وكان قد آخى رسول الله ﷺ بيــنهما فيمن آخى: يا آخي، بلغني أنك قعدت طبيبًا تداوي المرضى، فانظر فإن كنت طبيبًا، فتكلَّم، فإن كلامك شفاءٌ، وإن كنت متطببًا فالله الله لا تقتل مسلمًا.

قــال: فكان أبو الدرداء يتوقف إذا سئل عن شيءٍ، وسأله إنسانٌ عن شيءٍ، فأجابه، ثم قال: ردوه. فلما جاء، قال لــه: أعد عليَّ، فأعاد عليه، فقال: متطببٌ والله. فرجع في كلامه.

واعلم يا أخي أن العلم نورٌ يقذفه الله في نور أوليائه؛ تكرُمةً للحاملين المتواضعين لله ولنبيه، وهم الضعفاء؛ ليعظهم، ويرفع شأنهم كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص:٥].

والــنور إذا حلَّ في الصدر انشرح القلب بالعلم، ونظر باليقين، ونطق اللسان بحفظ

البيان، وهو الحكمة التي يودعها في قلوب أوليائه، كما جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] قبل الإصابة في القول، فكان يقول بالحقيقة عنده، وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قيل: الفهم والفطنة.

وقد قال رسول الله ﷺ في وصف الهداية حين قال قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] قيل: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: «إنَّ النُّور إذا قُذف به في القلب انشرح له الصدر وانفتح». قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله[1]».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: سبب هذا الحديث الزهد في الدنيا، والإقبال على خدمة المولى، ودلَّ على أن حسن التوفيق والإصابة في العلم مواهب من الله سبحانه وتعالى.

ومن محاسن ما يفيد طالب هذا الطريق: سُئل أبو موسى الأشعري وهو أمير الكوفة عن رجلٍ قُتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبرٍ أين هو؟ قال: في الجنة. وكان ابن مسعود حاضرًا، فقال ابن مسعود: أعد على الأمير فُتياك؛ فلعله لم يفهم. فقال السائل: قلت أيها الأمير: ما قولك في رجلٍ قاتل في سبيل الله، فقتل مقبلاً غير مدبرٍ أين هو؟ فقال أبو موسى: في الجنة. فقال ابن مسعود: أعد على الأمير؛ لعله لم يفهم. فأعاد عليه ثلاثًا، كل ذلك يقول أبو موسى: في الجنة. ثم قال: ما عندي غير هذا، فما تقول أنت؟ قال أقول: إن قتل في سبيل الله، فأصاب الحق فهو في الجنة. فقال أبو موسى: صدقت، لا تسألوني ما دام هذا الحبر بين أظهركم، فمن كان من أبناء الآخرة فعقله يستفتي من أنوار قلبه، وفهمه ينبني على استنباط علمه ومشاهدته وأخلاقه على معاني يقينه، وقوته وطريقة وسلوكه في منهاج سنته ونسكه، فهو من إخوانه وإخوان النبيين الذين اشتاق إلى رؤيتهم رسول الله ﷺ، وهم الغرباء بين الملإ، الذين قالوا: بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا. «فيا طُوبى

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٤٦/٤)، وابن المبارك في الزهد (١٠٧/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٦/٧)، والبيهقي في الشعب (٣٥٢/٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٧).

للغرباء[١]، فقيل: ومن الغرباء؟ قال: الذين يَصلحون إذا فسد الناس))، وفي لفظ: ((يُصلحون ما أفسده الناس من سنَّتي، والذين يحيون ما أمات الناس من سنتي)): يعنى أنهم يظهرون طريقة الحق التي تركها الناس وجهلوها.

وفي خبر: ((آخرهم المتمسكون بسنَّتي، وما أنتم عليه[٢])).

وفي حديث آخر: ((الغرباء ناسٌ قليلون صالحون بين ناسٍ كثيرٍ، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم، وهؤلاء الغرباء هم الذين أنعم الله عليهم بموافقة النبيين في أعلى عليين، فقال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩] [٣])).

وقد كان الثوري يقول: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلصٌ في عمله.

وقال نافع: إذا رأيت الرجل محبَّبًا إلى إخوانه محمودًا في جيرانه فاعلم أنه مراءٍ.

وكان مالك يبكي ويتأسَّف حتى يبل لحيته، ويقول لأصحابه كلامًا كثيرًا، في آخره: ومما وصف الله تعالى به علماء السوء أكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد، فقال في علماء الدنيا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾] إلى قوله: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:١٨٧].

وقال في نعت علماء الآخرة: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران:١٩٩].

وفيما قرره الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((علماء هذه الأمة رجلان: فرجل آتاه الله علمًا، فبذله للناس، ولم يأخذ عليه، ولم يشترِ به ثمنًا، فذلك يصلِّي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون، يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيِّدًا شريفًا حتى يرافق المرسلين، ورجلٌ آتاه الله علمًا في الدنيا، فضنَّ به عن عباده، وأخذ عليه طمعًا، فاشترى به ثمنًا، يأتي يوم القيامة

---

(١) رواه أحمد (١/٣٩٨)، وابن ماجه (٢/٣٢٠)، والدارمي في السنن (٢/٤٠٢)، والطبراني في الكبير (٨/١٥٢)، وفي الأوسط (٣/٢٥٠).

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (١/٣٨).

(٣) ذكره الغزالي في الإحياء (١/٣٨).

ملجمًا بلجامٍ من نارٍ ينادي منادٍ على رؤوس الأشهاد: هذا فلانٌ بن فلانٍ آتاه الله علمًا في الدنيا، فضنَّ به عن عباد الله تعالى، وأخذ عليه طمعًا، واشترى به ثمنًا، يعذَّب حتى يفرغ من حساب الناس[١]» حديثٌ حسنٌ ذكره في أهوال القيامة.

ومن أغلظ ما سمعت فيمن أكل الدنيا بالعلم حديث سليمان بن أبي واصل، ومن طريق أخرى عن عتبة بن وافد عن عثمان بن أبي سليمان قال: كان رجلٌ يخدم موسى عليه السلام، فجعل يقول: حدَّثني موسى صفيُّ الله، حدَّثني موسى نجيُّ الله، حدثني موسى كليم الله حتى كثر ماله، وفقده موسى عليه السلام، وسأل عليه، واستثقل سرَّه به، فأوحى الله إليه: امضِ إلى محل كذا تجد صاحبك. فمضى، فرأى خنزيرًا، فلما رآه بكى، وجاء موسى عليه السلام فأوحى الله إليه: أن صاحبك أكل الدنيا بالعلم، وإني أغيرُ لعلمي.

نعوذ بالله من هذه الآفات، والأخبار في هذا المعنى لا تُحصى، وقد نبَّهتك لخوفك من الله تعالى، ومعرفة قدر ما أعطاك الله تعالى؛ فإنه ورد: «من عرف قدر ما أنعم الله عليه كان جزاءه النظر إليه[٢]».

وفي خبر آخر: «اعرفوا قدر ما أنعم الله عليكم تسلموا[٣]»، وفي قول: «تغنموا».

والأحاديث في فضل العلم لا تُحصى، فكان مالك يجلس على الكرسي والخليفة جالسٌ تحته يسمعه، وينبغي لطالب الطريق أن يداوم الوضوء والصمت، وترك الفضول والغيبة، كما قال ﷺ: «هي ذكرك أخاك بما يكره سمعه أو لم يسمعه[٤]».

وإجماع الأمة على هذا سواء ذكرت شيئًا من بدنه، كقولك: أعمش، أحول، أقرع طويل، قصير، أسود، أصفر، فهذه السبع أنواع وردت بها الأحاديث القاطعة والزجر عليها مما يطول شرحه.

وإذا كان كذلك فجاءت أحاديث واردة في نسبه، كقولك كان أبوه فاسقًا، أو

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٧١/٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٤/٧)، وذكره المنذري في الترغيب (٥٥/١).

(٢) ذكره الجلال السيوطي في الدر المنثور (٤٤/٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه مسلم (٢٠٠١/٤)، وأبو داود (٦٨٥/٢)، والترمذي (٣٢٩/٤)، وأحمد (٢٣٠/٢)، والدارمي في السنن (٣٨٧/٢).

مكاتبًا، أو زبالاً، أو إسكافيًا، أو حائكًا، أو صعلوكًا، أو عوانيًّا ظالمًا ونحو ذلك، وهذه السبعة الأخرى من أشد الغيبة المنهي عنها الوارد بها الأدلة القاطعة مما يطول شرحه.

وإذا ذكـــرت شـــيئًا في خلقه كقولك: إنه سيِّئ الخلق، متكبِّرًا، أحمق، جبان، عاجز، ضـــعيف القلب، عجول، خليع، عبوس، ليس في عينيه من أحدٍ شيءٌ، ونحو هذا، فهذه تسع خصالٍ منهيٍّ عنها من أكبر الغيبة.

وقد ورد في الخلاعة إذا كان يحب الإشاعة بها، ويتفاخر أنها غيبةٌ، وأنه يؤدب القائل؛ لأنـــه لا يتجـــرأ على خلق الله وأحاديثها كثيرةٌ، ذكرها الغزالي في «الإحياء»، والأحكام عليها.

أو ذكرت شيئًا من أفعاله، كقولك إنه خائنٌ، سارقٌ، كاذبٌ، يشرب الخمر، كسلان، لا يعـــرف البـــيع والشراء، لا ينصح في شغله، متهاونٌ بالصلاة، لا يُحسن الركوع، لا يحسن السجود، لا يحترز عن النجاسات، ليس بارًّا بوالديه، يغتاب الناس، قليل الأدب، كثير الكلام، كثير الأكل، ينام في غير وقته، يجلس في غير موضعه، لا يبحث كما ينبغي، لا ينـــصت في المناظـــرة، لا يسلم إذا ظهر الحق، كثير الدعوى، ونحو هذا فهذه اثنتان وعشرون مسألةً في أفعال غيبة يأثم العبد بها، وإذا داوم عليها مقت، نهى النبي ﷺ عنها.

كل مسألةٍ منها يحير فيها الفكر، وإذا ذكرت شيئًا من ملبسه، كقولك: واسع الكم، طـــويل الذيل، كبير العمامة، واسخ الثياب، يلبس ما لا يليق، ونحو هذا، فهذه الخمسة غيبةٌ.

وإذا كانـــت في حق عالمٍ أو في أنواع لبسه، قال شيخ الإسلام: يلزمه التعذير، وحد القـــذف، وفي قوله: يتبختر كالنساء، ذكر كلامًا يطول شرحه، وعلى كل حالٍ هو آثمٌ، وعليه وزرٌ عظيمٌ.

إذا تكلَّـــم في حق مسلمٍ وخصوصًا أهل العلم، قال شيخ الإسلام: كل هذا وأشباهه وإن كـــنت صـــادقًا فيه فأنت به مغتابٌ وعاصٍ لربِّك، وآكلٌ لحم أخيك، فكذلك إذا ذكرت ما يكره في ولده، كقولك: إنه قبيحٌ أو دلع، أو قليل الأدب، أو ليس فيه تربيةٌ، أو ولـــد زنى، أو يحلف والده بالطلاق، أو ولد حنثٌ، فهذه السبعة في هذه الحالة غيبةٌ في حقِّه وحق ولده.

قالـــت العلماء: وإذا ذكرت زوجته بأنها تكثر الخروج من البيت، أو تحكم عليه أو

يحـــبها، أو منقاد معها بشعرةٍ من فرسٍ أو غيره، أو قبيحةٌ، أو طويلة اللسان، ولا تعرف الـــنظافة، ولا تحسن الطبخ، وكثيرة السفه، أو ما أشبه ذلك فهذه العشر أنواع غيبةٌ إلا منقاد معها بشعرةٍ من فرسٍ؛ فإنه يغتاب ثلاثًا: المرأة، والرجل، والفرس.

وقـــال بعض العلماء: يُجرُّ يوم القيامة بشعرةٍ من فرسٍ، ويفضح، ويأكل لحمها نتنًا جائفًا.

وإذا ذكر خادمه أو مملوكه بأنه آبقٌ، أو سارقٌ، أو قبيحٌ، أو قليل الأدب، أو بئس ما اشترى أو غير ذلك، فهذه الخمسة خصالٍ أشد الغيبة تُلحق الأول.

وإذا ذكر الولد مع والده، والعبد مع سيده، والزوج مع زوجته، وبالعكس غيبتان.

قالـــت العلماء: هذه الأنواع الثلاث غيبتان: غيبة مَنْ ذكرته، وغيبة من هو منسوبٌ إليه: من والدٍ، وزوجٍ، وسيدٍ، إذا كان يكره ذلك.

وكـــذلك إذا ذكـــرت دابته أنها جموحٌ مثلاً، أو عاجزةٌ، أو قطوفةٌ، أو لا تسوى كذا وكذا، فيسقط لهذا.

أو ذكـــرت داره بأنها قليلة الموافقة مثلاً، أو خربةٌ، أو مظلمةٌ، أو ضيقةٌ، أو ضيع ما صرف عليها هباءً، ونحو هذا مما يكرهه العبد إذا بلغه فهو غيبةٌ محرمةٌ، فاجتنبه.

ومـــنه أيـــضًا وهو ما يتساهل به كثير من الجهَّال من الرجال والنساء كقول بعضهم لعبده: يا مخنَّث، ويعني به: المعنى الفاحش، أو لجاريته: يا قحبةُ يا زانيةُ، وما أشبه ذلك، وقـــد ذكر النبي ﷺ أنه يُقام عليه الحد يوم القيامة؛ لأنه ليس للعبد أن يطالب سيده بحد القذف في دار الدنيا؛ فافهم ذلك.

وزاد بعـــض العلماء قول بعضهم للولد الصغير: يا ابن القحبة، يا ابن الزنى، وما أشبه ذلك فهو من الذنوب العظام الكبائر التي توجب الحد في الدنيا، والمقت من الله تعالى يوم القيامة، وقد أحسن من قال في المعنى:

تخيَّـــرْ مِـــنْ الطـــرقِ أوســـاطها   وإيَّـــاك والجانـــبَ المـــشتبهَ
وسمعـــك صـــنْ عـــن سمـــاع القبيح   كـــصون اللِّـــسَانِ عـــن اللفـــظ بـــهِ
فإنَّـــك عـــند اســـتماع الكـــلام   شـــريكٌ لقائلـــه فانتـــبهِ

قال الشافعي:

لـــسانُك لا تذكـــرْ به عورة امـــرئٍ   فكلـــك عـــوراتٌ وللـــنَّاسِ ألـــسنُ

وقال آخر:

لا تغتبْ ولا تسعْ غيبةً ... ففيها وعيدٌ شديدٌ أتى
وغيبةُ مَنْ أنت تغتابه ... كأكلك من لحمه ميتا

وقال آخر:

وإيَّاك والخوضَ مع خائضٍ ... ولا كلُّ قولٍ له يُلتفتْ
ومَنْ قال خيرًا يُجازى به ... ويُرحم من قاله أو صمتْ

وقال آخر:

إذا ما انجلى الرأيُ فاحكمْ به ... ولا تحكمنَّ بما يشتبهِ
ونَبِّهْ فُؤادَكَ مِنْ رَقدةٍ ... فَإنَّ الموفَّقَ مَنْ يَنْتَبِهِ
وإنْ كُنْتَ لم تَتَّعِظ بالذي ... وعظتَ به فأنت أنت بهِ

ومن محاسن هذا الكتاب

أنه حوى ببركة صاحبه سائر الآداب، ويعين الطالب الراغب في الدين، قد حوى آداب الصالحين، وإرشاد العارفين، يرغِّب الزاهد العابد؛ لما حوى فيه من عدة المقاصد، وما فيه من ذكر المشاهد؛ فإنه بغية أهل الأوراد، تحفة القصاد، وعروس الزهَّاد والعبَّاد، ثم أقتصر فيه على معنًى من المعاني، وليس ذلك والله لقصر فهمي مما له أعاني، فلا تقل أيُّها المتأمل فيما رأيته في شيءٍ: أكان ذلك من باب أولى، وكان أحق ألا يجعله فيه به أصلاً، فإن كل مسألةٍ تعين القاصد لمشارع الصلاة عليه، ولقبه الزاهد المورود عليه.

وقد أشرت لك أنه كالدرر الملتقطة في المسائل المختلطة، والأعمال بالنيات، فإنَّ كلَّ عالمٍ من علماء الإسلام له مقاصد، وإذا جمعت مسالك الحنفاء عرفت ما في هذا الكتاب من الأسباب، والقول البديع ينسبه على ما في هذا من الأسباب، فإن الفقير من صحبته للفقراء طلب بنهل النصيحة والإعانة على الأعمال الصحيحة، والمتجر الرابح في ذكره ﷺ، وما كان عليه والعمل بسنته والاقتداء بأقواله وأعماله وخلقه، ومعرفة أخلاقه الجيدة، وما ورد عنه في السنة المفيدة، والصلاة عليه في سائر الأحوال، والأدب معه في سائر ما قال، فإن إحسانه واصلٌ إلينا، وتعظيمه واجبٌ علينا، والعمل بسنته يهيئنا إليه،

وطلبنا من الله ﷻ المعونة عليه، كيف وقد عظَّمه الله وأعطاه القوة والسلطان، والعز والإمكان، وعلو الشأن؛ فهو عين كل عصرٍ وزمانٍ، النبي الكريم والرسول العظيم، الذي ملك عنان أزمَّة العوالم جميعها، لم تزل أصحابه يوقرونه ويعزرونه ويعظمونه، وكذلك كل سلفٍ وخلفٍ على هذا، وقد فاز منهم من كان على قدمه واتِّباعه في سائر ما كان منه.

وقد ختمت هذا الباب بكيفيات، جمعها العبد الصالح أحمد شهاب الدين السيوفي في إحياء الليلة، وكان عبدًا صالحًا مباركًا، رتَّب له مجالس بطول الجمعة، وله أتباعٌ ﷺ، وهذا ورده عفا الله عنه:

ورد الشيخ سيدي شهاب الدين السيوفي

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمَّد، وعلى آل محمَّد، كما صلَّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمَّد، وعلى آل محمَّد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمَّد، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

اللَّهُمَّ صلِّ أفضل صلاةٍ على أفضل مخلوقاتك سيدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلِّمْ، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلِّمْ، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائنٌ في علم الله، صلاةً دائمةً بدوام ملك الله.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمَّد، عبدك ونبيِّك، ورسولك النبيِّ الأمِّيِّ، وعلى آله وصحبه وسلِّمْ، عدد ما في السماوات وما في الأرض، وما بينهما، وأجرِ لطفك في أمورنا، والمسلمين أجمعين، يا ربَّ العالمين.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمَّد، عبدك الذي جمعت به شَتات النفوس، ونبيك الذي جليت به ظلام القلوب، وحبيبك الذي اخترته على كل حبيبٍ.

اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمَّد، صاحب العلامة والغمامة، والرسالة والشفاعة.

اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمَّد، صاحب الشفاعة والكرامة.